

من عيون تراثنا الاسلامي

رُوضَةُ الصِّفَا

في سيرة الانبياء والملوك والخلفاء

تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بويه والاسماعيلية والملاصدة

تأليف

محمد بن قباوند شاه المعروف بخواندسهر

المتوفى ٩٠٣ هـ

رقة مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

ترجمه عن الفارسية وعلو عليه وقدم له
د. محمد عبد القادر الشاوي
كلية الآداب - جامعة المنوفية

راجعته وقدم له الدكتور
السبأعي محمد السبأعي

الدار المصرية للكتاب

للنشر والتوزيع

رفع مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م

رفع مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

من عيون تراثنا الاسلامي

رُوضَةُ الصِّفَا

في سيرة الانبياء والملوك والخلفاء

تاريخ الدولة الطاهرية والصفارية والسامانية وآل بوية والاسماعيلية والملاصدقة

تأليف

محمد بن قباوند شاه المعروف بخواندسار

المتوفى ٩٠٣ هـ

ترجمه عن الفارسية وعلو علمه وقدم له

د. محمد عبد القادر الشاوي

كلية الآداب - جامعة المنوفية

راجعته وقدم له الدكتور

السبأعي محمد السبأعي

الدار المصرية للكتاب

للنشر والتوزيع

اهداء
إلى ابني محمد
إلى ابنتي هند ونهال

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين .

عزى القارئ الكريم

أشرف اليوم بأن أقدم لك هذا الكتاب لتلميذى وصديقى وزميلي الدكتور أحمد الشاذلى المدرس بكلية الآداب جامعة المنوفية ؛ كثمرة من ثمار انشاء أقسام اللغات الشرقية فى الجامعات المصرية .

كانت المبررات عديدة والدوافع كثيرة لانشاء أقسام اللغات الشرقية ، بعد أن كانت الحاجة ماسة لإدخال هذه اللغات ضمن مناهج الدراسة فى أقسام عديدة بكليات الآداب مثل قسم اللغة العربية وقسم التاريخ وقسم الآثار وقسم المكتبات ، وقسم اللغة العربية بكليات التربية ، فلم يكن بالإمكان اغفال هذه اللغات وتلك الدراسات اذا أردنا التعليم الجامعى الذى يقتضى النظرة الشاملة ، والتخصص فى الجزئيات التى تؤدى إلى وضوح الرؤية وتحقيق الهدف .

لذا برزت الحاجة إلى انشاء هذه الأقسام ، ولدراسة تلك اللغات وبيان روافد حضارتنا الاسلامية ودراسة تراثنا الاسلامى التسليد ، لذا وجدنا الرواد فى هذا الحقل ينوعون اهتماماتهم بمناحى التراث المختلفة ، فرأينا أستاذنا المغفور له الدكتور عبد الوهاب عزام يهتم بتراث الفرس والترک والباكستان وحضارتهم ادبا ولغة وتاريخا وتصوفا كما تشهد بذلك مؤلفاته العديدة .

ثم جاء أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب ونهج نفس النهج فكتب جزءاً فى تراث فارس إضافة إلى الترجمة العربية لهذا الكتاب الشامل الذى ألفه جماعة من المستشرقين وترجمة عدد من أساتذتنا الكبار، كما ترجم كتاب (إيران فى عهد الساسانيين) عن الفرنسية ليوضح جانباً مهماً من تاريخ إيران القديم ثم ترجم وقدم لتاريخ بيهى ، وهو جزء متبق من سفر كبير .

وكذلك فعل المغفور له الدكتور ابراهيم أمين الشواربى حين كتب بحثاً مفصلاً عن المؤرخين الفرس واسهاماتهم .

وجاء من بعدهم أستاذنا الدكتور احمد السعيد سليمان فاهتم بتاريخ الترك ومعتقداتهم فى الأناضول ، ثم كتب العديد من الكتب عن تاريخ الترك فى آسيا الوسطى عن بارتولد والتيارات العربية فى تركيا المعاصرة ، وأضاف وترجم تاريخ الدول الاسلامية لخليل أدهم عن التركية .

وقد وجه أستاذنا الدكتور أحمد محمود الساداتى همه لدراسة تاريخ المسلمين فى فارس والباكستان والهند كما تشهد بذلك مؤلفاته فى هذا المضمار .

وكذا قام الأستاذ الدكتور عبد النعم حسناني فى تاريخه عن السلاجقة والدكتور الصياد فى اهتمامه بتاريخ المغول ومؤرخهم رشيد الدين فضل الله ثم الدكتور السعيد جمال الدين باهتمامه بموضوع الاسماعيلية وترجمتها كما وردت عند عطا ملك جوينى .

وقام كاتب هذه السطور بدراسة كتاب جهانگشا وترجمة المجلد الأول منه ، وكذا قام الدكتور بديع جمعة وأحمد الخولى والسعيد عبد المؤمن بدراساتهم المستفيضة عن تاريخ الصفويين وحضارتهم .

كل هذا لأن النهضة القومية الايرانية قد بدأت منذ العصر السامانى بنقل ما كتب بالعربية فى المجال التاريخى والتفسير فترجم تاريخ الطبرى وخرجت الترجمة جامعة أكبر من متنها الأصيلى .

ثم بدأ التأليف التاريخي باللغة الفارسية حتى اليوم ، ولأن إيران وتركيا والباكستان
الاسلامية في المقام الأول فالاهتمام بها وبتاريخها وبمساهمتها ودراسة التاريخ الاسلامي
منذ مبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، لا يتم بمعزل عن هذا ، واهتم كل عصر بتاريخه ،
فظهر العديد من المؤرخين في كل عصر يكتبون تاريخه بين مؤيد ومعارض حتى وصلنا إلى
العصر التيمورى فوجدنا في العهد التيمورى العديد من المؤلفات التاريخية التي يمكن تقسيمها
إلى قسمين الأول : مؤرخو البلاط الذين عاشوا في البلاط التيمورى في هراة مثل نظام الدين
الشامى (٨٠٧هـ - ١٤٠٤م) وشرف الدين على يزدى (٨٢٨هـ - ١٤٢٤م) كتب كل
منها كتاباً باسم ظفرنامه ، وقد اعتمدا على مصادر فارسية لم تصل إلى أيدينا ، وهذه ميزة
حسنة لهما . أما الجانب السيئ في هذا المجال فهو تعصبها لتيمور ومن والاه ، إلا أن الشامى
أقل في هذا الميدان ، ومع هذا فالكتابان يحتويان على معلومات قيمة عن تاريخ إيران منذ
نهاية القرن الرابع عشر ، وبداية القرن الخامس عشر الميلادي ، كمال الحق بكتاب شرف
الدين يزدى مقدمة تحتوي على تاريخ إيران وآسيا الوسطى من عصر جنكيز حتى تيمور (هذه
المقدمة في بعض مخطوطات الكتاب فقط) .

كما كان حافظ آبرو أكبر وأشهر مؤرخى العصر التيمورى وبخاصة عهد السلطان
شاهرخ بن تيمور ، ومن بين كتبه كتاب زبدة التواريخ في أربعة مجلدات ، وكتاب مفصل
عن جغرافية إيران .

وكذلك مؤلفات عبد الرزاق السمرقندى الذى كتب لحافظ آبرو وكتاب مطلع السعدين
ويجمع البحرين في مجلدين ، وكذلك فصيح خوافى من مؤرخى هذا القسم والذى كتب
مجملاً فصيحى عام ٨٤٦هـ - ١٤٤٢م وأهداه للسلطان شاهرخ .

ومن بين مؤرخى هذا القسم كذلك والذين نالوا شهرة كبيرة محمد بن خاوند شاه الملقب
بميرخونداى ميرخواندا (٨٣٧ - ٩٠٤هـ - ١٤٣٣ - ١٤٩٨م) ومؤلفه في التاريخ العام
ويعرف باسم « روضة الصفا » في سبعة مجلدات بمقدمة وخاتمة ، ويتناول المجلد السابع
شرحاً للأحداث حتى ١٥٢١م وقد اتم حفيده خوندمير هذا المجلد الأخير ، وميزة كتاب
ميرخواندا تتجلى في المجلد السادس والسابع الذى يشرح أحداث النصف الثانى من القرن
الخامس عشر الذى عاصر أحداثه ، اما المجلدات السابقة فهي مأخوذة عن مؤلفات للآخرين
كتبت بالعربية والفارسية .

وقد نالت المجلدات الأولى وبخاصة الرابع والخامس اهتمام المحققين والباحثين ،
واتفقوا جميعاً على أن أسلوب الكتاب رغم ما به من مبالغة في استخدام المحسنات البديعية
والتصنع والتكلف إلا أن دقة المعلومات وغزارة المعارف التى وردت به تجعله جديراً

بالتحقيق والدراسة ولائقا بالاعتماد عليه بالاصافة إلى ماورد عند حافظ آبرو وعند
عبدالرزاق السمرقندى .

طبع هذا الكتاب عدة مرات طباعة حجرية في المشرق الاسلامى سواء متنه الأصيلى
الفارسى أو ترجمته التركىة ولكن هذه الطبعات لم تكن منقحة مصححة .

أما فى أوربا فقد طبعت أجزاء من هذا الكتاب بمتنه الأصيلى الفارسى ولكن مما يؤسف
له ان هذه الطبعات كانت تتناول المجلدات الأولى من هذا الكتاب .

ومنذ القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام يتزايد لهذا الكتاب وبطبعه فى أوربا ولكن
الاهتمام تناول الأجزاء الخامس والسادس والسابع منه فظهرت طبعات جيدة ومنقحة لهذا
الكتاب وأغفلت الأجزاء الأربعة الأولى .

ولذا يحاول اليوم صديقى الدكتور أحمد الشاذلى أن يخرج للعربية ترجمة للمجلد الرابع
وليته استطاع الحصول على نسخ مختلفة لهذا المجلد حتى يقارن بينها وينشرها ولكنه لم يستطع
لعدم وجود نسخة مختلفة لهذا المجلد ، وآمل ان يتمكن من ذلك قريبا حتى تعم الفائدة . ومع
هذا فإن ما يقدمه اليوم للمكتبة العربية جهد يشكر عليه ، وتشرى به الدراسات الشرقية .

ومن الله التوفيق

الدكتور / السباعى محمد السباعى

المهرم فى ٧ / ٢ / ١٩٨٨





مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، محمد بن عبد الله وعلى آله ومن اتبعه من المؤمنين ... وبعد .

هذا الكتاب ثمرة من ثمرات حضارتنا الإسلامية الباسقة ، وزهرة من زهور روضتنا الزاهرة ، ونقطة من بحار تراثنا الزاخر ، حاولت ترجمتها من لغتها الفارسية إلى اللغة العربية ، مقرونة بدراسة مقارنة للنص ، حاولت من خلالها إبراز مواطن التلاقى والاختلاف بين المؤرخين سواء الفرس أم العرب وبالأحرى المؤرخين الذين كتبوا مؤلفاتهم بالعربية أو الفارسية .

وقد قدمت لهذه الترجمة بمقدمة تضمنت النقاط التالية :

أولا : تاريخ المسلمين وحضارتهم واللغات الإسلامية .

ثانيا : دراسة وصفية للكتاب .

ثالثا : محتويات روضة الصفا .

رابعا : فن الترجمة ومنهجى فى ترجمة الروضة .

اولا : تاريخ المسلمين وحضارتهم ... واللغات الاسلامية

لايزال تاريخ المسلمين وحضارتهم في المشرق الاسلامي في حاجة إلى إعادة رصد وتسجيل حركته وتطوره من عصر إلى عصر حتى عصرنا الحالي ، ولايتأتى هذا إلا بالإمام بلغة المسلمين في المشرق الاسلامي ، ولا يجوز لنا أن نسجل تاريخ الهند وايران وتركيا وافغانستان من مصادر عربية وكفى ، ولكن لا بد من معرفة تاريخ هذه الشعوب وحضارتها من لغتهم التي يتحدثون بها ، ويكتبون بها تاريخهم ، ومن مصادرهم التي خطوا بها حضارتهم .

وهذا الكتاب الذي أقدمه كتاب مهم ، ألف في فترة من فترات ازدهار كتابة التاريخ في المشرق الاسلامي ، مكونا حلقة من سلسلة لامعة لأمهات كتب التاريخ العام الذي كتب باللغة الفارسية ، وهذا الكتاب هو « روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء » ، وقد سبقتني محاولات عديدة في هذا المجال كتبها أساتذة لي ، فسدوا كثيراً من أوجه النقص في المكتبة العربية ، وكتاباتهم يمكن أن نطلق على معظمها أنها كتابات في التاريخ الخاص أو تاريخ الاسرات والمناطق ومن بينها كتاب أستاذنا الدكتور/أحمد محمود الساداتي الذي غطى جانبا هاما من جوانب تاريخ المسلمين في شبه القارة الهند وباكستانية وحضارتهم ، وقدم أيضا ترجمة لتاريخ بخارى لغامبري ، ومن قبله أستاذنا الدكتور عبد الوهاب عرام في مقدمته القيمة للشاهنامه ، وكتب الدكتور الشواربي مقالا عن المؤرخين الفرس ، وقدم أستاذنا الدكتور يحيى الخشاب لترجمة كتاب تراث فارس كما قدم وشارك في ترجمة تاريخ بيهقي في تاريخ الدولة الغزنوية ، كما نقل إلى العربية عن الفارسية أجزاء من كتاب جامع التواريخ وشارك فيها الدكتور فؤاد والصيد وصادق نشأت والدكتور القصاص والدكتور يحيى الخشاب والدكتور السباعي محمد السباعي والدكتور السعيد جمال الدين والدكتور أحمد الخولي ، وقدم الدكتور عبد النعيم حسنين دراسة عن السلاجقة .

وهذه الكتب جميعها تمتاز بميزة كبيرة وهي ان القائمين بها على علم تام باللغة الفارسية أو الأردية أو التركية .

وبالإضافة إلى ما سبق اذكر ما قام بها أستاذنا الدكتور أحمد السعيد سليمان في ترجمة كتاب تاريخ الترك في آسيا الوسطى وله أيضا تاريخ الدول الاسلامية ، وقد خرجت الترجمة ضافية شاملة كما ظهرت كتب عن الدول العثمانية كتبها باحثون متخصصون في اللغة والدراسات التركية فخرجت الكتب دقيقة مضبوطة الاعلام .

وهناك الكثير من الأعمال التي قام بها أساتذة اللغات الشرقية سواء بالترجمة أو التأليف والتي خرجت على مستوى علمي صحيح ودقيق .

كما ظهرت في العربية كتب أخرى ذات قيمة علمية إلا أنه شابها بعض الهنات لعدم معرفة اللغات الشرقية ، لغة أبناء هذه المناطق ، فجاءت الأسماء والأعلام خاطئة أو محرفة وعلى سبيل المثال لا الحصر .. فهم يكتبون لفظ المغول (الماغول) .

وأجد أحدهم وهو يورخ للمسلمين في الهند يكتب اسم السلطان المغولي بابر (بابر) وأوبير) وصوابه بابر بضم باء الثانية وهو اسم لأحد النور .

وهذه قائمة من الأخطاء مع بيان صوابها :

الكوجرات / الجوجرات	وصوابها الكُجرات اقليم هندي
اللغة الأوردية	وصوابها اللغة الأردية لأن اردو بمعنى معسكر اللفظ الذي تنتسب اليه اللغة
بوشمخ وثنيسر وسروستي وسمنه وهنسي	وصوابها بوشنك وتانيسر وسرُستي وسامانه وهانسي (اسماء مدن)
الراجبوت	وصوابها الراجبوت : قبائل هندية
جاولار	وصوابها گوالير - قلعة هندية
الكهكرية	وصوابها كهوكهران وهم قبائل تسكن الهند
دهلي	وصوابها دهلي حاضرة الهند الاسلامية
جاولييار	صوابها گوالييار اقليم هندي
ملاوي	صوابها مالوه اقليم هندي
آجان	صوابها أجين مدينة هندية
قبائل المواتي	صوابها قبائل الميواتيين قبائل هندية
لكهاونتي	صوابها لكهنوتي مدينة بهار
باراني	صوابها بارني مؤلف هندي
رانتمبور ورائشمبور	صوابها رنتنبور قلعة حصينة
غين	صوابها جهاين مدينه
برهاما	صوابها براهما
شيستور	صوابها چتور قلعة حصينة
راماديفا	صوابها رام ديواسم ملكة
ديفا كيري	صوابها ديواگیر

— « اندلعت ثورة في ديفا كبرى قادها ياك لآخي » وصوابها اندلعت ثورة في ديوا كبرى قادها
(يك لكه) قواد عشر آلاف

— ديوبالپور صوابها ديبالپور مدينة

— بهادور وصوابها بهادر

وفي سنة ١٣٤٧ هـ انتهز ضابط افغانى يسمى حسن جانجو الفرصة ليكون دولة مستقلة
عاصمتها كلبركه في جنوب غرب الهند وتسمى دولة حيدرآباد وكل هذه العبارة
خاطئة فهو حسن كانكوفي گلبرگه وهذه الدولة لم يكن اسمها حيدرآباد بل الهمنية ..

— ريجابور وصوابها بيجابور احدى ولايات الجنوب الهندي

— واستقر في احمد ناجر وصوابها احمد نگر

— واتجه الى شاندرى وصوابها چنديرى

— تلنجانا واسيرجره وصوابها تلنگانه واسيرگره

— واخترق جيش المغول سالد وصوابها صلدى

— كتلغ خواجى وصوابها قتلغ خواجه

— ينتمى تيمورلنگ الى فرع كركن وصوابها ينتمى تيمورلنگ الى فرع گورگان

— غيان ويوغان وصوابها جهاين و يوجين (اسماء مدن)

— ارنجال وصوابها اورنگل

— محمد شاه شانجى اللاعب على الشانج وصوابها محمد شاه چنگى اللاعب على

الچنگ أوالصنج

— بلبان وصوابها بلبن سلطان مملوكى

— خان الخانات وصوابها خان خانان اى امير الأمراء

— جاء في النشيد الوطنى للهند : باسمك تعمر قلوب الناس في البنجاب والسند وفي
جوجارات ومارتا .. وصوابها گجرات وميرته

— جبال كركورم صوابها قره قورم

— جبال هندوكوش صوابها هندكش

— وللسند أربعة روافد وهى ستلج ورافى وشيناب .. وراوى وچيناب

— نهر نربادا صوابه نهر نربده

— تاج محل في اجرا صوابه اكره

رفع مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

صوابه السك	جماعة الساكا
صوابه اورنگآباد	اورنجباد
صوابه قنوج	كانوج
صوابه دهلي	دهلي
	الطمش صوابه التمش
صوابه تغلق	محمد بن طفلاق
صوابه پهمني	باهماني
صوابه فيجا يانگر	فيجا ياناجار
صوابه همايون	هو مايون
صوابه دورگاواتي	الأميره دورجافاتي
صوابه چتور	تشيتور
صوابه برار	بيرار
صوابه احمد نگر	احمد نجار
صوابه جها نگر	جها نجير
صوابها سورته	سوارت
وصوابه خرم بن جها نگر	الأمير خوارم بن السلطان جهانكير
وصوابه اورنگ زيب	اورانجزيت
وصوابه دارا شكوه	دارا شيكوه
وصوابه اودهيوور	ولاية اودايور
وصوابه بهادرشاه	بها دورشاه
وصوابه نانگ	ناناك

وأخطاء هؤلاء المؤرخين ترجع لسببين وهما :

اما جهل هؤلاء المؤرخين باللغات الشرقية (الفارسية والتركية والأردية) وهي لغات الشعوب في المشرق الاسلامي والتي كُتبت بها تاريخ وحضارة هذه الشعوب .

واما انهم يقومون بالنقل عن الكتب التي ترجمها وكتبها المستشرقون فينقلون الاسماء عن الانجليزية والفرنسية وغيرها رسا فقط .

ولهذا وجب على من يتصدى لدراسة تاريخ المسلمين وحضارتهم الكف عن النقل عن الأوربيين ومعرفة اللغات الشرقية معرفة تامة ، والاعتماد على النصوص التاريخية والحضارية للشعوب الاسلامية .

ثانيا : دراسة وصفية لروضة الصفا

روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء تأليف محمد بن خاوندشاه بن محمود المعروف بميرخواند المتوفى ٩٠٣ هـ من المؤلفات الهامة مؤلف تاريخي ظهر في عهد التيموريين ، ويقع في سبعة مجلدات ، وقد ألفه للأمير عليشير نوائى .

والكتاب يوجد منه عدة نسخ خطية :

١ - نسخة بمبى طبعة حجرية بمطبعة حيدري بتاريخ السبت الثامن عشر من ذى الحجة سنة ١٢٧١ هـ على يد ميرزا محمد ابن ميرزا عبدالله الشهر بشهيد الشيرازى ، أولها : « زيب فهرست نسخه مفاخرت انبياي على مكان وزينت ديباجه مجموعه مآثر سلاطين كردون توان شكر منعميست . . . » الخ وهى برقم ١٥ تاريخ فارسى بدارالكتب المصرية وهى بحالة جيدة ، (ملاحق ١ - ٢ - ٣ - ٤) وهى النسخة الوحيدة الكاملة .

٢ - نسخة أخرى بنفس المواصفات السابقة ولكنها ممزقة وبها أرضة برقم ٣٥ تاريخ فارسى بدارالكتب المصرية وهى نفس الطبعة الحجرية .

وبدارالكتب نسخ أخرى بالمواصفات التالية وجميعها ناقصة وهى :

٣ - نسخة أولها « زيب فهرست نسخه مفاخر انبياي عالمگان . . . » الخ وهى نسخة مخطوطة من المجلد الأول منه مجدولة ومحلاة بالذهب بقلم تعليق بخط على قلى تمت كتابته في ٢١ شعبان سنة ١٠٦٩ هـ في ٣٥٧ ورقة مسطرتها ١٩ سطرا في ٢١×٣٠ سم (ملاحق ٥ - ٦ - ٧) .

٤ - ونسخة ناقصة من الأول والآخر وأول الموجود منها :

تركان شتافته بعد از وقوع محاربه باكثر سرداران عجم . . . الخ

٥ - وأخرى منه الجزء الثانى بقلم عادى بدون تاريخ في ٢٣ ورقة مسطرتها مختلفة .

٦ - وأخرى منه القسم الخاص بملوك العجم أوله « الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله أجمعين اما بعد هذه النسخة منقولة من كتاب التاريخ من تأليفات محمد بن خاوندشاه بن محمود غفر الله تعالى له « ذكر سلطنت گيومرث . . . » الخ

٧ - نسخة مخطوطة بقلم فارسى بخط محمد حسن بن محمد باقر التاجر الكاشانى تمت كتابته في اصفهان يوم الخميس ١٢ ربيع الثانى سنة ١٢٧٠ هـ في ٢١٣ ورقة مسطرتها ١٤ سطرا في ١٥×٢١ سم بأخرها فهرس

٨- نسخة مخطوطة مجدولة ومحلاة بالذهب والألوان بقلم تعليق ضمن مجموعة من ورقة ١٠٠-١٠٢ مسطرتها ١١ سطرا في ١٢,٥×٢٣ سم .

٩- نسخة اخرى اولها «عنوان صحيفة مرادات وفهرست مجموعة سعادات مبنى از حكايات ناقدان سير عظماء... الخ» . (ملاحق ٨-٩-١٠)

١٠- مخطوطة في مجلد بقلم نسخ معتاد بخط ابن محمد حسين على تقى الكاتب الكازرونى تمت كتابته في ٢١ رجب سنة ١٢٣٠ هـ في ٤٨٠ ورقة مسطرتها ٢٦ سطرا في ٢٠×٣٠ سم .

١١- نسخة من المجلد الخامس يشتمل على تاريخ تركستان وملوكها وملوك ديار المشرق اولها «آرايش ديباجه مناقب ومآثر سلاطين رفيع مقدار... الخ» .

١٢- مخطوطة في مجلد بأولها حلية ملونة مجدولة ومحلاة بالألوان بقلم فارسى جميل تمت كتابته في رمضان المبارك ١٠٦٢ هـ في ٢٩١ ورقة مسطرتها ١٩ سطرا في ٢١×٢٩ سم .

وهى مخطوطة في مجلد واحد اولها «آرايش ديباجه مناقب ومآثر سلاطين رفيع مقدار ونمايش روزنامه خصايص ومفاخر كرد... بقلم فارسى تمت كتابته ١٠٦٢ هـ (ملاحق ١١-١٢-١٣)

١٣- نسخة اخرى ناقصة من الأول وأول الموجود «زيب فهرست نسخة مفاخر انبيا.... الخ» .

١٤- مخطوطة في مجلد بقلم نسخ عادى بخط محمد بن بايزيد الجهرمى تمت كتابته سنة ٩٧٤ هـ في ٢٠٨ ورقة مسطرتها ٢٩ سطرا بها تقطيع وأكل ارضه .

والنسخ السابقة جميعا بدار الكتب المصرية ولا يوجد منها نسختان من المجلد الرابع الذى قمت بترجمته أما ماهو بمكتبة جامعة القاهرة فهى :

١٥- نسخة من المجلد الأول والثانى فقط ، والمجلد الأول ناقص من أوله والثانى ناقص من آخره وأول المجلد الأول «من بنده كمينه در اشراق آفتاب... الخ ويقع المجلد الأول في ٦٨٨ صفحة والثانى في ٤٦٦ صفحة .

١٦- نسخة من المجلد السادس فقط ويقع في ٢٦٣ صفحة .

والمخطوط سواء العربى أو الفارسى له ملامح ظاهرة وبارزة يجب الوقوف عليها واحصائها بجانب معرفة المادة العلمية ، وقيمة الملامح الظاهرة تتركز في اثبات الكتاب لصاحبه ومدى ماجرى عليه من تحريف أو تصحيف أو اغلاط متعمدة أو غير متعمدة ولهذا يجب الوقوف على تلك الملامح الظاهرة .

١ - صفحة العنوان

جاءت صفحة العنوان في روضة الصفا على النحو التالي :

صفحة خاصة يعلوها شكل زخرفى مكتوب في داخله « هو الله تعالى شانه العزيز » وفي وسط الصفحة وداخل شكل زخرفى متصل بالسابق على شكل هندسى مكتوب داخله « كتاب تاريخ روضة الصفا من تأليفات محمد خاوند شاه مشتمل برهفت جلد وتماضى دريك جلد مجلد ومنتظم كرديده » وجاء اسفل الصفحة شكل زخرفى يتناسب مع ماهو أعلى الصفحة جاء فيه « چاب بمبى فى سنة ١٢٧١ هجرية » ويحيط بهذه الاشكال فراغ ابيض يتصل بشكل زخرفى فى حواشى الورقة من أوراق الشجر.

ب - الاستهلال - بداية الكتاب

علت صفحة الاستهلال شكل زخرفى هندسى ملئ بأوراق الشجر، واسفل هذا الشكل الذى ملأ الثلث الأعلى للصفحة جاء فيه « جلد أول از كتاب تاريخ روضة الصفا » ثم تلاه فى نفس الموضع من الصفحة وأسفل ماجاء بعاليه « بسم الله الرحمن الرحيم » وكلاهما بخط فارسى .

واستهل المؤلف كتابه بالحمد لله والاستعانة به والصلاة والسلام على رسوله وآله ثم ذكر اسم الكتاب واسم صاحبه الذى ألف من اجله وهو عليشير نوائى .

ج - عناوين الفصول - العناوين الفرعية

جاءت عناوين الفصول بخط اكبر عن خط الكتاب سواء المطبوع أو المخطوط وفي نفس سياق الكتاب ، فلم يميزها سوى حجمها ، وفي بعض الأحيان كان الناسخ أو المؤلف ينسى حجم العنوان فيجعله مثل خط الكتاب ، ولم يتبع الناسخ طريقة من كانوا يكتبون العناوين بخط أحمر إلا فى نسختين من نسخ المخطوط ، ولم يكتب العناوين فى الجانب كما كان يفعل بعض النساخ أو المؤلفين .

ومن الملاحظ أن الكاتب كان يكتب عناوين المجلدات فقط فى صفحة مستقلة وعليها نفس الرسوم والأشكال كما هو فى صفحة العنوان ، وعليها سنة الطبع ومكانه .

د - الهوامش

كان المؤلف أو الناسخ عادة يترك مساحة بيضاء بجانب المخطوط وكان يزين عادة الصفحات الأولى من المجلدات ويملا هذه الهوامش بالزخارف .

هـ - مسطرة الكتاب

جاءت سطور المخطوط تبعا للتوصيف السابق عرضه ، أما بالنسبة للمنسوخ فقد جاءت عدد سطور الصفحة الواحدة خمسة وثلاثين سطرا .

و - علامات الترقيم

لم يستخدم الكتاب علامات ترقيم باستثناء النقطة وقد ذكر جروهمان أن العرب قد استعاروا النقطة باشكالها المختلفة من المخطوطات البهلوية .

ومن الملاحظ ان الكتاب كان يكتب كلمة بيت أو مصراع أو شعر قبل ذكر هذه الانماط وكان يضع ثلاثة نقاط فوق بعضها بين شطرى البيت الواحد .

ز - التصويبات والاضافات

كان الكتاب اذا اخطأ وتنسب في حينه ضرب عليه أى شطبه وكتب الصواب بعده أوفوقه ، كما أنه اذا نسى شيئا كان يضعه فوقه مباشرة .

ح - ترقيم الأوراق والصفحات

لم تكن الأوراق تخضع لأى نوع من الترقيم فى المخطوط وكتابة الكلمة الأولى من كل ورقة فى ذيل الورقة التى تسبقها تحت آخر كلمة من السطر الأخير فيها الا اننا فى هذا الكتاب نجد الكاتب قد اعاد كتابة الكلمة الأخيرة فى أول الصفحة التالية .

ط - نهاية الكتاب

جاء فى آخر الكتاب اسم الكتاب وانه كتاب تاريخ روضة الصفا مع خاتمة وانه تم بأمر عمده الأعظم والأعيان آقا محمد صادق صاحب شيرازى بيد ميرزا محمد بن ميرزا عبدالله الشهير بالشهيد الشيرازى فى مطبعة حيدرى بيمبى بتاريخ السبت ١٨ ذى الحجة من شهر المحرم سنة ١٢٧١ هـ ثم تلا هذه الصفحة قصيدة للشاعر ميرزا محمد محسن الشيرازى المتخلص بتائب .

ى - احجام أوراق الكتاب

سبق عرض أحجام أوراق المخطوطات .

هذه هى الدراسة الوصفية للكتاب مشتملة على نسخ الكتاب المخطوطة - ومواصفاتها والملاحظ الظاهرية لهذا الكتاب القيم .

ثالثا : محتويات روضة الصفا

يقع الكتاب في سبعة مجلدات ضخمة وضعت في مجلد واحد وأضيفت خاتمة في نهاية المجلدات السبعة ، وهذه المجلدات تضمن الوقائع التالية :

المجلد الأول ومحتوى على :

ذكر احوال بداية الخليقة وأحوال بنى الجان وآدم عليه السلام .

- أحوال إدريس
- أحوال هاروت وماروت
- أحوال نوح
- أحوال يافث بن نوح
- أحوال هود وقوم عاد
- أحوال صالح وقوم ثمود
- قصة ذى القرنين وصفة ياجوج وماجوج
- أحوال ابراهيم خليل الله
- أحوال لوط وقومه
- أحوال اسماعيل
- أحوال يعقوب
- أحوال يوسف
- أحوال ايوب
- أحوال شعيب
- أحوال موسى
- أحوال الياص وحزقيل
- أحوال اليسع
- أحوال طالوت
- أحوال داود
- أحوال سليمان
- أحوال لقمان الحكيم
- أحوال يونس بن متى
- أحوال بخت نصر
- أحوال العزيز

- أحوال زكريا ويحيى
- أحوال عيسى
- أحوال اصحاب الكهف
- أحوال كيومرث
- أحوال هوشنك
- أحوال طهمورث
- أحوال جمشيد
- أحوال الضحاك
- أحوال فريدون
- أحوال منوچهر
- أحوال نوذر
- أحوال زاب بن طهماسب
- أحوال كيقباد
- أحوال كى كاوس
- أحوال كيخسرو
- أحوال كشتاسپ
- أحوال رستم واسفنديار
- أحوال بهمن
- أحوال الاسكندر الرومى
- أحوال الحكماء
- تعريف العلم والحكمة
- سلطنة السامانيين

المجلد الثانى : ويحتوى على :

- أحوال عبدالمطلب
- ظهور نبي آخر الزمان
- أحوال هاشم بن عبدمناف
- أحوال قريش
- أحوال خاتم الأنبياء
- خلافة أبى بكر
- خلافة عمر

— خلافة عثمان

— خلافة علي

— استشهاد علي

المجلد الثالث : ويحتوي على :

— خلافة الحسن بن علي

— خلافة الحسين

— خلافة محمد بن علي بن الحسن

— أحوال جعفر بن محمد

— أحوال موسى بن جعفر

— أحوال علي بن موسى الرضا

— أحوال الحسن العسكري والقائم

— أحوال معاوية بن ابي سفيان

— وفاة زياد بن ابيه وولاية عهد يزيد

— أحوال يزيد

— أحوال مسلم بن عقيل

— خلافة بني أمية

— أحوال المختار الثقفي

— أحوال عبد الملك بن مروان

— أحوال الحجاج بن يوسف الثقفي

— أحوال الوليد بن عبد الملك

— أحوال سليمان بن عبد الملك

— أحوال عمر بن عبد العزيز

— أحوال هشام بن عبد الملك

— الدعوة العباسية

— بداية ظهور العباسيين

— خلفاء العباسيين

المجلد الرابع : ويحتوي على :

— ذكر الملوك الطاهرية وهم : طاهر بن الحسين وطلحة بن طاهر وعبد الله بن طاهر

وطاهر بن عبد الله ومحمد بن طاهر.

— سلاطين الصفارية وهم : يعقوب وعمرو وطاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار وخلف بن احمد .

— ذكر ملوك السامانية وهم : اسماعيل بن أحمد الساماني وأحمد بن اسماعيل ونصر بن أحمد ونوح بن نصر وعبد الملك بن نوح ومنصور بن نوح ونوح بن منصور ومنصور بن نوح وعبد الملك بن نوح .

— أحوال شمس المعالي قابوس بن وشمكير ومنوچهر بن شمس المعالي قابوس ، وداراء ابن شمس المعالي قابوس .

— ذكر ملوك الغزنوية وهم : سبكتگين واسماعيل ومحمود الغزنوي ونصر بن ناصر الدين ومحمد بن محمود ومسعود بن محمود ومودود بن مسعود وعبد الرشيد وفرخزاد بن مسعود وابراهيم بن مسعود وارسلان بن مسعود وبهرا مشاه بن مسعود وخسرو شاه بن بهرا مشاه وخسرو ملك بن خسرو شاه .

— ذكر حكومة الديلمة وهم : عماد الدولة علي بن بويه وركن الدولة ومعز الدولة وعضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة وشرف الدولة وصمصام الدولة وبهاء الدولة طغرل ومجد الدولة وسلطان الدولة وأبوعلى شرف الدولة وحكومة أبي كالنجار بن سلطان الدولة وجلال الدولة وقوام الدولة وخسرو بن فيروز أبي كالنجار وابو منصور فولادستون وابوعلى كيخسرو بن عز الملوك .

— ذكر الاسماعيلية في المغرب ومصر وهم : المهدي والقائم والمنصور والمعز لدين الله والعزيز بالله والحاكم بالله والظاهر لدين الله والمستنصر بالله والمستعلي بالله والامر باحكام الله والحافظ لدين الله والظافر بالله والفايز بنصر الله والعاقد لدين الله .

— ذكر احوال الحسن بن الصباح وحكومة كيا بزرگ اميد ومحمد بن كيا بزرگ اميد وحسن بن محمد بن بزرگ اميد المعروف بعلي ذكره السلام .

— ذكر الملاحدة ممن ينتسبون إلى « على ذكره السلام » ومحمد بن حسن بن محمد بن كيا بزرگ اميد وجلال الدين حسن بن محمد بن حسن المشهور « بنو مسلمان » وعلاء الدين محمد بن جلال الدين حسن وركن الدين خورشاه .

— ذكر طبقة السلاجقة

— ذكر الخوارزمشاهية

— ذكر القراختاي

— ذكر الاتابكة

- ذكر الخلع
- ذكر النيروز
- ذكر الكرت
- ذكر المغول

المجلد الخامس : ويحتوى على :

- ذكر خانات التركستان
- أحوال خانات المغول
- أحوال جنكيز خان
- أحوال أولاد جنكيز خان
- أحوال ملوك وامراء جنكيز خان
- أحوال ملك اشرف بن الأمير چوبان
- أحوال السلطان اويس ايلگانى
- أحوال السلطان حسين ايلگانى
- أحوال السلطان أحمد
- خروج السربدارية

المجلد السادس : ويحتوى على :

- أحوال ملوك المغول
- أحوال تيمور گورگان
- أحوال شاهرخ بن تيمور
- أحوال اولاد شاهرخ
- أحوال مرزا أبى القاسم بابتر گورگان
- أحوال السلطان سعيد گورگان وأولاده

المجلد السابع : ويحتوى على :

- ذكر السلطان حسين بايقرا
- ذكر بديع الزمان ميرزا
- ذكر أحوال امراء السلطان حسين بايقرا
- ذكر أحوال نقباء السلطان حسين بايقرا
- ذكر أحوال علماء السلطان حسين بايقرا
- ذكر أهل الكمال

— ذكر أحوال محمد خان شيبانى

— ذكر أولاد حسين بايقرا

الخاتمة : وتحتوى على :

— عجائب أرض الروم

— ذكر البحار السبعة

— ذكر أبى على سينا

— ذكر الأقاليم السبعة

— ذكر أحوال الختا

— ذكر ولاية بيجان نگر

— ذكر بناء هرات

— ذكر هرات وابنيها

— قصيدة تاريخ كتاب روضة الصفا « لأقاميرزا محمد محسن الشيرازى »

هذه هي محتويات روضة الصفا والمجلدات الستة تنسب لميرخواند أما المجلد السابع فقد ورد أن مؤلفه هو غياث الدين خواندمير حفيد ميرخواند لابنته ، وقد دون فيه خواند مير الحوادث التى تلت وفاة السلطان حسين بايقرا المتوفى ٩١٢ هـ وذكر فيه ايضا علماء وامراء ونقباء ورجال عصر حسين بايقرا واطرافه ايضا اولاد وأحفاد حسين بايقرا ومن المعروف ان مؤلف روضة الصفا قد مات سنة ٩٠٣ هـ ولهذا فالاحداث التى وردت بعد ذلك فى المجلد السابع تنسب لخواندمير ، كما انه ينسب اليه ايضا انه قد اختصر هذا المؤلف فى كتابه له اسماء « خلاصة الاخبار » كما أن لخواندمير هذا كتب قيمة فى التاريخ أهمها « حبيب السير فى أخبار أفراد البشر » يسير على نمط روضة الصفا وهوتاريخ عام مشهور وسجل فيه الحوادث منذ ابتداء تاريخ البشر حتى وفاة السلطان اسماعيل الصفوي أى سنة ٩٣٠ هـ وهو كتاب اصغر حجما من روضة الصفا ، ويقع فى ثلاثة مجلدات .

واشك فى نسبة الخاتمة أيضا للمؤلف ميرخواند ذلك أنه طالما لم يكتب المجلد السابع فكيف يكتب خاتمة لكتاب لم يتمه ؟ والخاتمة ربما تنسب لخواندمير ايضا كما نسب المجلد السابع ، وهذا يرجع إلى أنه تحدث عن ولاية بيجان نگر وهى من ولايات الهند الجنوبية ، والمعروف أن خواندمير قد سافر إلى الهند فى أواخر حياته ومات هناك سنة ٩٤١ هـ ودفن فى دهلى .

رابعاً : فن الترجمة ومنهجى فى ترجمة روضة الصفا

قبل أن أتحدث عن الترجمة كفن ، لابد أن أتوقف قليلاً عند هذا السؤال : لماذا نترجم ؟ من أجل الاجابة عن هذا السؤال يجب أن أستعرض حركة الترجمة إلى العربية ... والمعروف أن الترجمة من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية قد بدأت فى عهد الدولة الأموية بترجمة بعض الكتب الفارسية فى الادارة والحكم فى عهد عبد الملك بن مروان ، ثم توالى ترجمة كتب الطب والرياضيات والفلك ثم كتب الفلسفة والمنطق والاهليات فى عهد الدولة العباسية وبالأخص فى عصر الرشيد والمأمون .

والترجمة سواء فى عهد الدولة الأموية أو العباسية كان الدافع لها هو (الحاجة) أى الرغبة فى معرفة ما عند اليونان والفرس والهنود من علوم غير معروفة عند العرب وقد دفعتهم الحاجة إلى انشاء دار خاصة للترجمة سميت بدار الحكمة أو دار الترجمة لنقل معارف هذه الشعوب إلى العربية ، وبلغ الاهتمام بأمر الترجمة درجة كبيرة من اهتمام الخلفاء والوزراء ، حتى أن الخليفة العباسى المأمون كان يزن الأعمال المترجمة ذهباً .

وقد جاء ترجمة علوم الفلسفة والمنطق متأخرة قليلاً عن ترجمة علوم الفلك والطب والرياضيات ، وذلك لظروف دينية صاحبت الجدل الذى ظهر بين المسلمين واصحاب الديانات الأخرى الذين تسلموا بالمنطق اليونانى ، والفلسفة اليونانية وحمل المعتزلة لواء الدفاع عن الاسلام ، ورأى المسلمون ضرورة الرد عليهم ومحاربتهم بالآتهم فعكفوا على المنطق والفلسفة .

وتأتى مرحلة (التذوق) بعد (الحاجة) وقد رأى أحمد أمين (x) هذا عندما وجد المسلمين وقد شعروا بلذة عقلية عند دراسة الفلسفة ، وبعد ان كانت تطلب على انها وسيلة للدفاع عن الدين ، اصبحت غاية فى نفسها ، تطلب لذاتها .

ولو قارنا بالعصر الحديث وجدنا أيضاً أن الترجمة كانت حاجة ثم صارت لذاتها تطلب لتذوقها .

والترجمة ايضاً مطلوبة فهى مسألة جوهرية للتفاهم الدولى والتقارب بين الأمم ، وهى ايضاً ذات فائدة انسانية لتحقيق التفاهم الانسانى للبشر جميعاً (x) .

والترجمة ايضاً تزيد من حصيلة المعارف ، والاحتكاك بين الأمم يرفع من رصيدها المعرفى ، وقد كان الاتصال بين الفرس والعرب فى العصر العباسى الأول سبباً فى ازدهار حركة الترجمة ، كما كان الاتصال بين مصر واوربا فى أول القرن التاسع عشر الميلادى سبباً فى ازدهار حركة الترجمة .

ان المعارف لا تعرف موطناً ، ولا تستقر في مكان ولا تعرف القيود الاقليمية التي يفرضها علم الاجتماع الحديث ، فهي تتخطى الأماكن التي حددها الجغرافيون وتخرج من حدود الاقليمية ، وتنتقل من ذهن إلى ذهن غير عابثة بعقبة اللغة ، فالمعرفة انسانية عامة والمعارف تنتقل كانتقال الهواء (x) ، ولهذا فالترجمة عامل مهذب لنقل المعارف .

وخلاصة الأمر اننا نترجم حاجة دينية وتاريخية أولئك كشف مجهول ، وقد نترجم لمصلحة روحية ترتاح لها النفس حين تقرأ أثراً من آثار غيرها ، ونترجم استكمالاً لمعارفنا التي يجب ألا تقف عند حد ، ولا تنتهي عند غاية ونترجم تعريفاً لذاتنا وتوكيداً لشخصيتنا التي تزيدها القراءة قوة واستقلالاً ولن يتسع محيط قراءتنا إلا بالترجمة ، ولن نضم معارف غيرنا إلى معارفنا إلا بالنقل ، أما الاقتصار على معارفنا فقط يضعنا في نطاق محدود ، ونحن نترجم ايضاً لتقوية الروابط والصلات والتفاهم الدولي بين الأمم وتحقيق الاخاء الانساني ، ونترجم لنفتح أمامنا نوافذ الفكر .

وإذا كنا نترجم لأي أمة ، فنحن أحوج إلى ترجمة تراث أمتنا الاسلامية المكتوب بالفارسية والأردية والتركية فنحن أولى بمعرفته وكشفه ونحن أحق بتحقيق التفاهم وتقوية أواصر المحبة بين شعوب الأمة الاسلامية .

أما لماذا أترجم هذا الكتاب التاريخي عن الفارسية ؟ انما يرجع إلى كثير من الأسباب على رأسها تصحيح الأخطاء التي يقع فيها المؤرخون ممن لا يعرفون الفارسية ، وكشف كنز من كنوز حضارتنا الاسلامية وتقديم تاريخ الشعوب الاسلامية بلغة أهلها .

بعد الرد على هذا السؤال بقي استعراض لفن الترجمة ، فالترجمة لا تقل أهمية عن التأليف ، لأن المؤلف مطلق الحرية في سرد أفكاره أما المترجم فانه يتقصد أفكار المؤلف ، ويبدعها في اللغة التي ينقل إليها .

والترجمة ليست هي التعريب ، فالتعريب ينصب على اللفظ لا على الأفكار وهم العرب أن ينقل اللفظ من لغة إلى لغة ، أما الترجمة فهي تنصب على الأفكار ولا تهمل الألفاظ .

إن المترجمين في العصر العباسي لم يضعوا لنا منهاج ترجمتهم أو تعريبهم وإنما قدموا لنا هذا الأعمال التي ترجموها عن اليونانية والفارسية والهندية دون ان يحددوا لنا منهج الترجمة ، ولكن الجاحظ (x) وهو ليس مترجماً قد أدلى برأيه في هذا الشأن ورأى ان المترجم لن يكون قادراً على اداء الأفكار الأجنبية وتسليم معانيها والإخبار عنها إلا اذا بلغ العلم بمعانيها واستعمالات تصاريف الفاظها وتأويلات مخارجها مبلغ المؤلف الأصلي في اللغة الأجنبية فالجاحظ تكلم في الترجمة ووضع شروطاً للمترجم ولم يكن الجاحظ ملماً بلغة أخرى باستثناء الفارسية التي يقال انه كان على علم بها ولكنه لم يترجم عن أي لغة .

وفي العصر الحديث ترجمت كثير من الكتب عن اللغات المختلفة الشرقية والغربية ، وهناك من حدد منهجه في الترجمة ومنهم من لم يحدد منهجا . ومن الذين حددوا منهج الترجمة استاذنا الدكتور عبد الوهاب عزام الذي ترجم عن اللغات الشرقية ؛ الفارسية والتركية والأردية (x) ، الكثير .

والمعروف للمتترجمين عن اللغات الشرقية أنها أكثر صعوبة في ترجمتها عن الترجمة من اللغات الأوروبية ، وترجع الصعوبة إلى أن هذه اللغات تحتوي على قدر كبير من الألفاظ العربية ، والدلالات اللفظية لهذه الألفاظ العربية تختلف كثيرا أو قليلا عن مدلولاتها عند ترجمتها ، فالاشتراك اللفظي للكلمة الواحدة بين اللغات الشرقية وبين اللغة العربية يحتاج إلى دقة تحديد المعاني ، ومن هنا تنبع الصعوبة .

ومن الملاحظ أن المترجمين عن اللغات الشرقية — لم يحددوا مناهج ترجمتهم لأعمالهم — وهم كثر — باستثناء الدكتور عبد الوهاب عزام الذي قال في مقدمة ترجمته لببام مشرق لمحمد اقبال : (وطريقتي في الترجمة أن أحافظ على المعاني الأصلية والصور التي تبرز فيها بل على أوزان الشعر واسلوب التقفية جهد الطاقة) كما قال : « وخير طريقة في الترجمة كما هدتني التجربة أن يقدر المترجم أن المعاني التي يعالجها قد أهمها هو ، ثم ينظر إلى طريقة التعبير التي اتخذها المترجم له وطرائق التعبير في اللغة التي يترجم إليها ... ولا بأس أن يتصرف كذلك بالاطناب أو الايجاز استجابة لمقتضى الحال في اللغة التي يترجم إليها والناس الذين يترجم لهم » .

وهذا القول الذي ذكره الدكتور عبد الوهاب عزام يرجع إلى أن ترجمته لببام مشرق هي ترجمه شعرية أو ترجمة الشعر بالشعر ، وهذه لاشك تحتاج إلى موهبة وجهد أكبر .

والترجمة في نظري هي اشبه بالتحقيق فلا بد من التأكد من صحة الكلمة المطلوب ترجمتها وبالتالي صحة الجملة وصواب المعلومات المقدمة من جهة الأعلام والمسميات ، وصواب الأفكار والأخبار المعروضة عند المؤلف ولهذا يجب اجراء عدة قواعد على الترجمة للنص المراد ترجمته إلى العربية وهذه القواعد لا تختلف في كثير عن التحقيق وبذلك يكون الناقل إلى اللغة العربية مترجما ومحققا في نفس الوقت .

منهجي في ترجمة روضة الصفا

لقد لقيت في ترجمة هذا الكتاب عناء كثيرا ، ولم يكن العناء آتيا من صعوبة الأصل الفارسي أو خفاء عبارته أو غموض الفاظه ، فقط ولكن العناء كان من ناحية رد بعض المترجمات إلى اصولها الفارسية أو العربية ، ومطابقة هذه النصوص ببعضها للحصول على ترجمة جيدة خالية من الأخطاء التاريخية .

وكتاب روضة الصفا في سيرة الأنبياء والملوك والخلفاء ، كتاب شامل جامع ، ونتيجة لذلك فقد تعددت مصادر ومراجع المؤلف ، وتنوعت الأصول التي استمد منها مادته التاريخية ، وقد لزم هذا العودة بالنص إلى مصدره ورصد أوجه الاختلاف والاتفاق .

ولما كان كتاب روضة الصفا كتابا جامعا فقد قام المؤلف بالرجوع إلى الكتب والمصادر الجامعة فأخذ منها واثبت بعضها ولم يشب البعض ، وقد تتبع النص في كتب التاريخ العام لرصد ما فعله المؤلف .

وقد سلكت هذا المنهج في ترجمة روضة الصفا :

أولا : مراجعة مصادر المؤلف

ذكر المؤلف ميرخواند مجموعة من المصادر التي رجع إليها أو أشار إليها ، منها ما هو فارسي مثل زين الأخبار وتاريخ كزیده وتاريخ بناكتی ، ومنها ما هو عربي مثل تاريخ الطبري وابن الاثير وابن كثير وقد رجعت إلى المصادر التي أشار إليها المؤلف واثبت أوجه الاختلاف والاتفاق في حاشية الترجمة .

ثانيا : مراجعة المؤلفات المماثلة :

صنفت وألفت بعض الكتب في الموضوعات التي تحدث عنها المؤلف وقد عدت إلى هذه المؤلفات لتحقيق الأخبار والأعلام واثبت ذلك في الحاشية .

ثالثا : مراجعة النقول عن الكتاب

قام المؤرخون بنقل بعض الأخبار والأحداث التي وردت عند المؤلف ومن هؤلاء خواندمير وقد اثبت ذلك في الحاشية .

رابعا : تخريج النص

والتخريج المقصود منه تحقيق الاسماء والأعلام والآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وذلك بالرجوع إلى القواميس والأطالس وكتب المسالك والممالك والقرآن الكريم وكتب الأحاديث النبوية ، وقد اثبت ذلك بالحاشية .

خامسا : النقد الموضوعي

والمقصود بالنقد الموضوعي ، وهو ما يتعلق بتواتر الاسم أو العلم فالاسم الذي يكرر أكثر من مرة وبنفس الصورة فهو صواب إذا ما اتفق مر المصادر المماثلة ، إلى جانب التسلسل الموضوعي للكتاب فالكتاب يسير على نمط الحوليات ، وقد صححت كثيرا من السنوات بهذا النقد الموضوعي .

سادسا : الابقاء على الألقاب كما هي

فقد وجدت أن من المناسب أن أترك اللقب كما هو مع ذكر معناه في الحاشية مثل كوتوال ومير عرض وشحنه ، وسبه سالار... نظراً لأن اللفظ له دلالات تفوق معنى اللفظ الذى يترجم اليه هذه هي طريقة واسلوب ترجمة روضة الصفا (المجلد الرابع) آملا من الله ان يوفقنى لترجمة اجزاء أخرى من هذا الكتاب القيم .

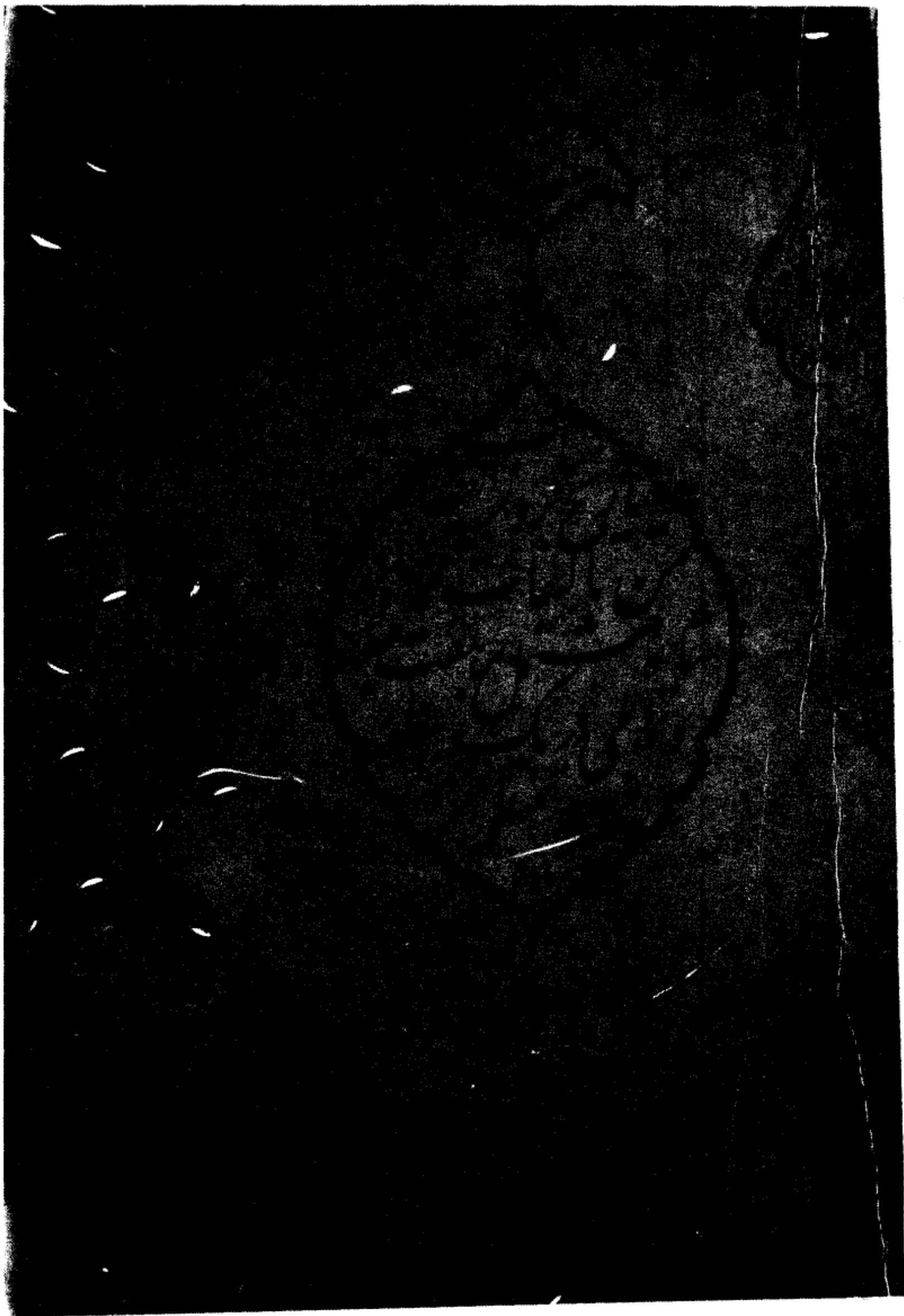
وعلى الله قصد السبيل

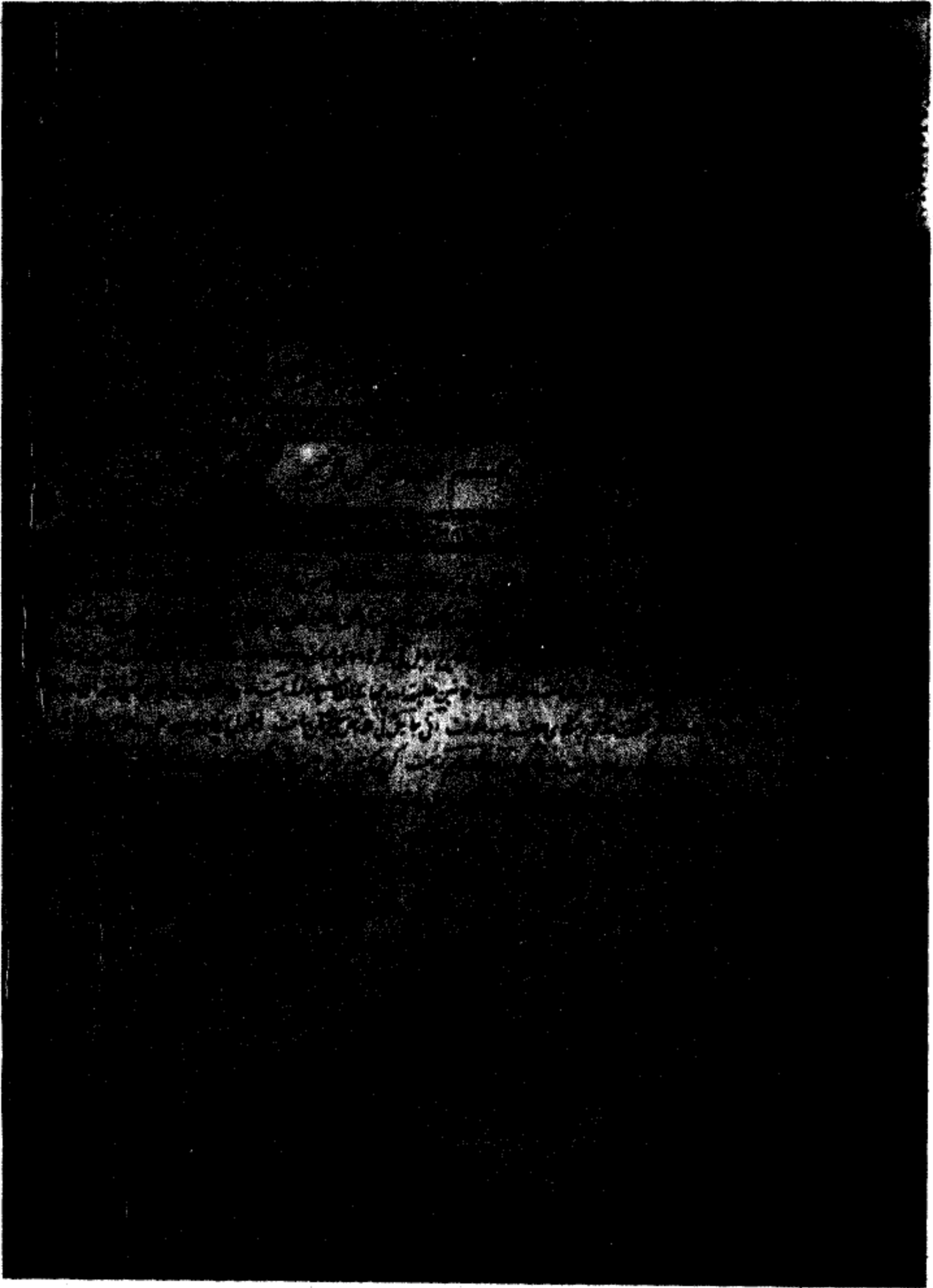
دكتور

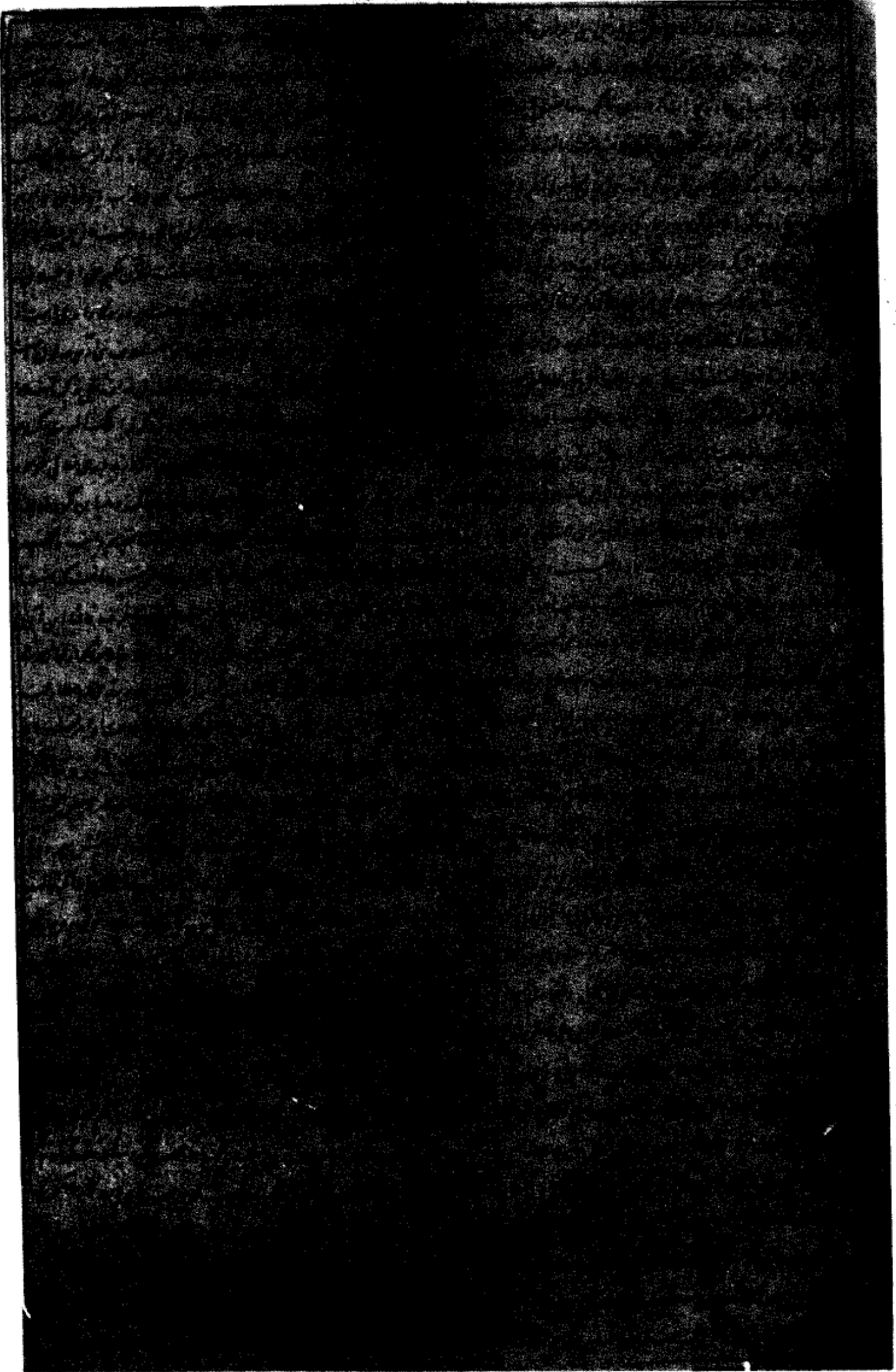
احمد عبد القادر الشاذلى

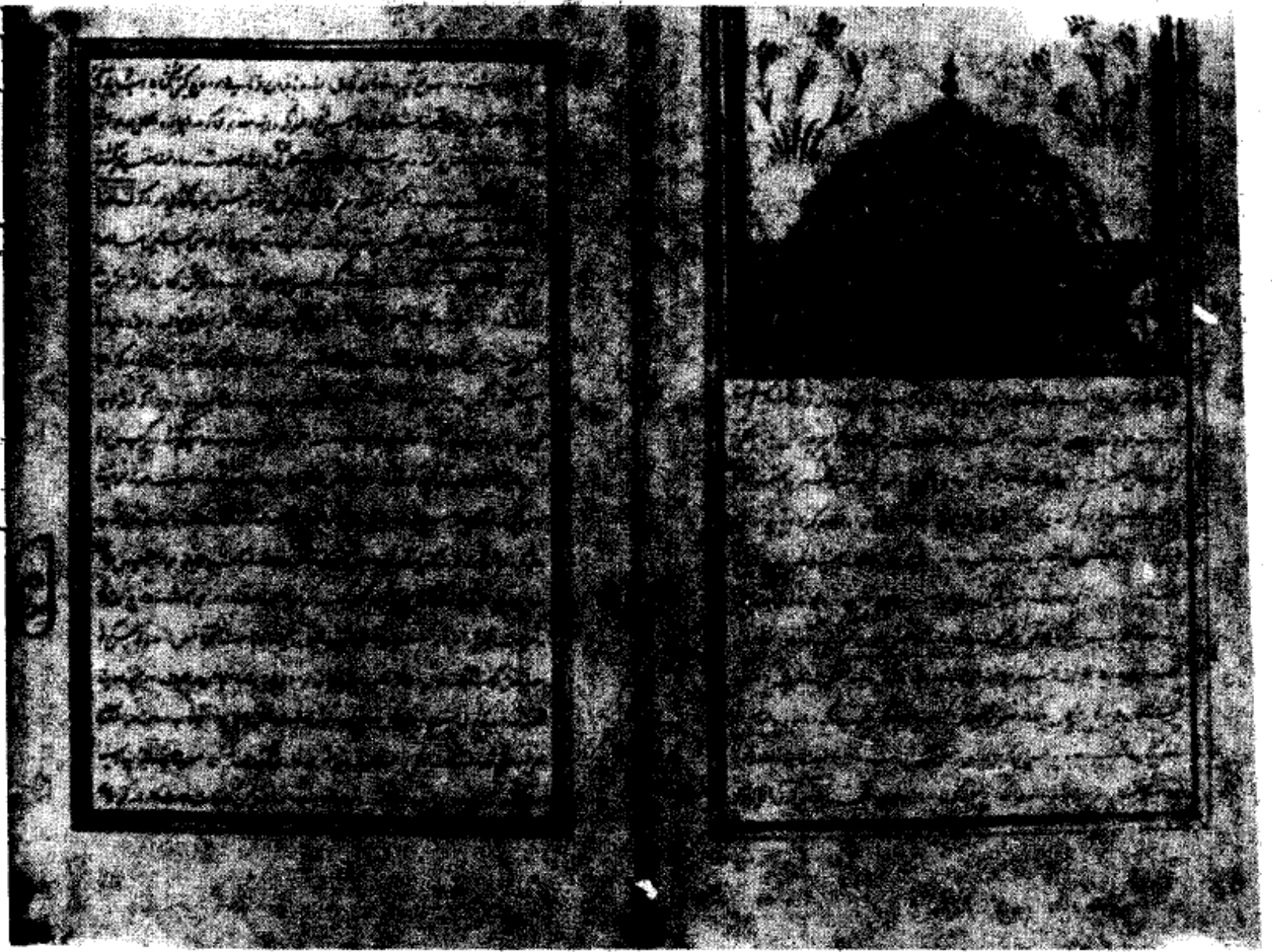
كلية الآداب - جامعة المنوفية

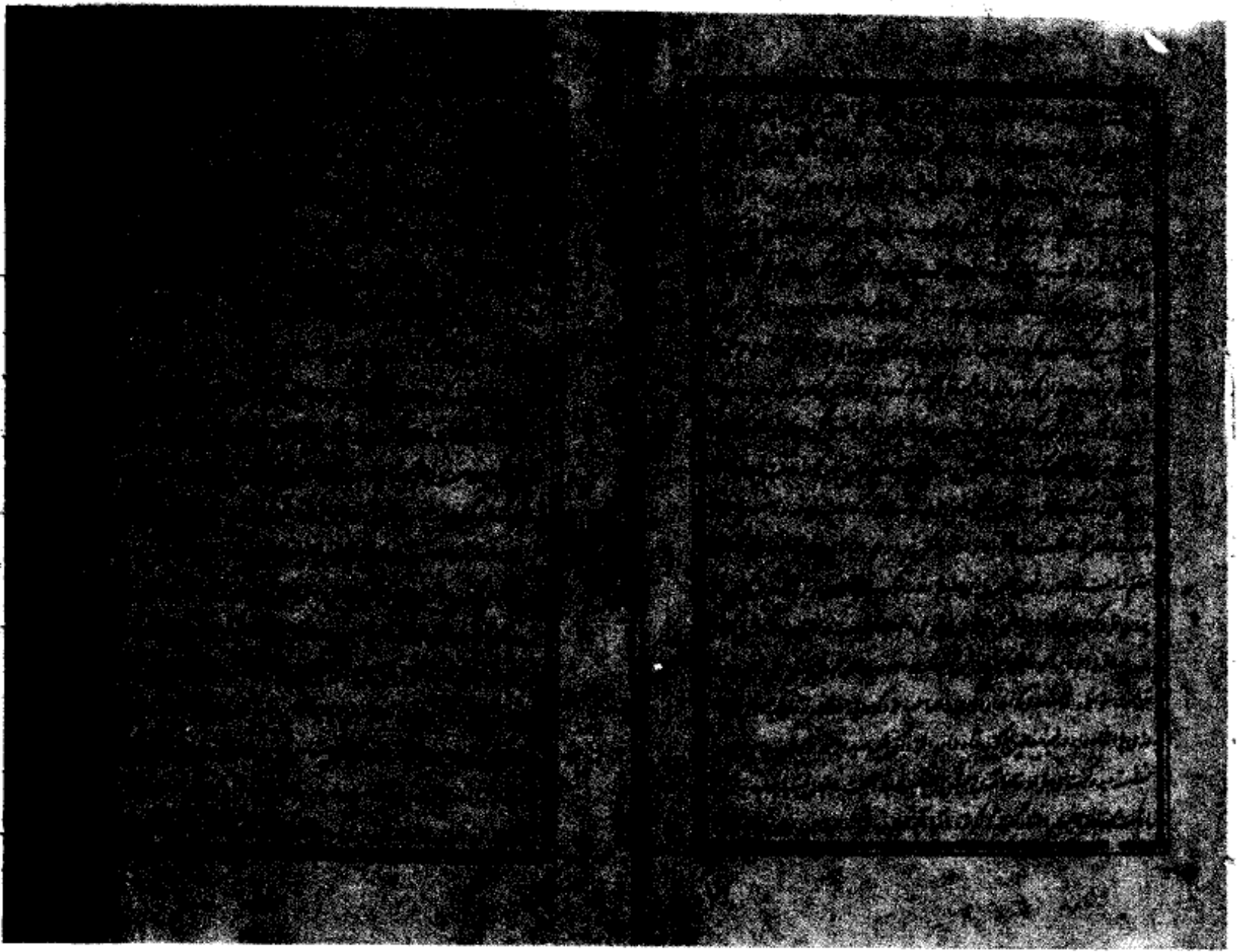


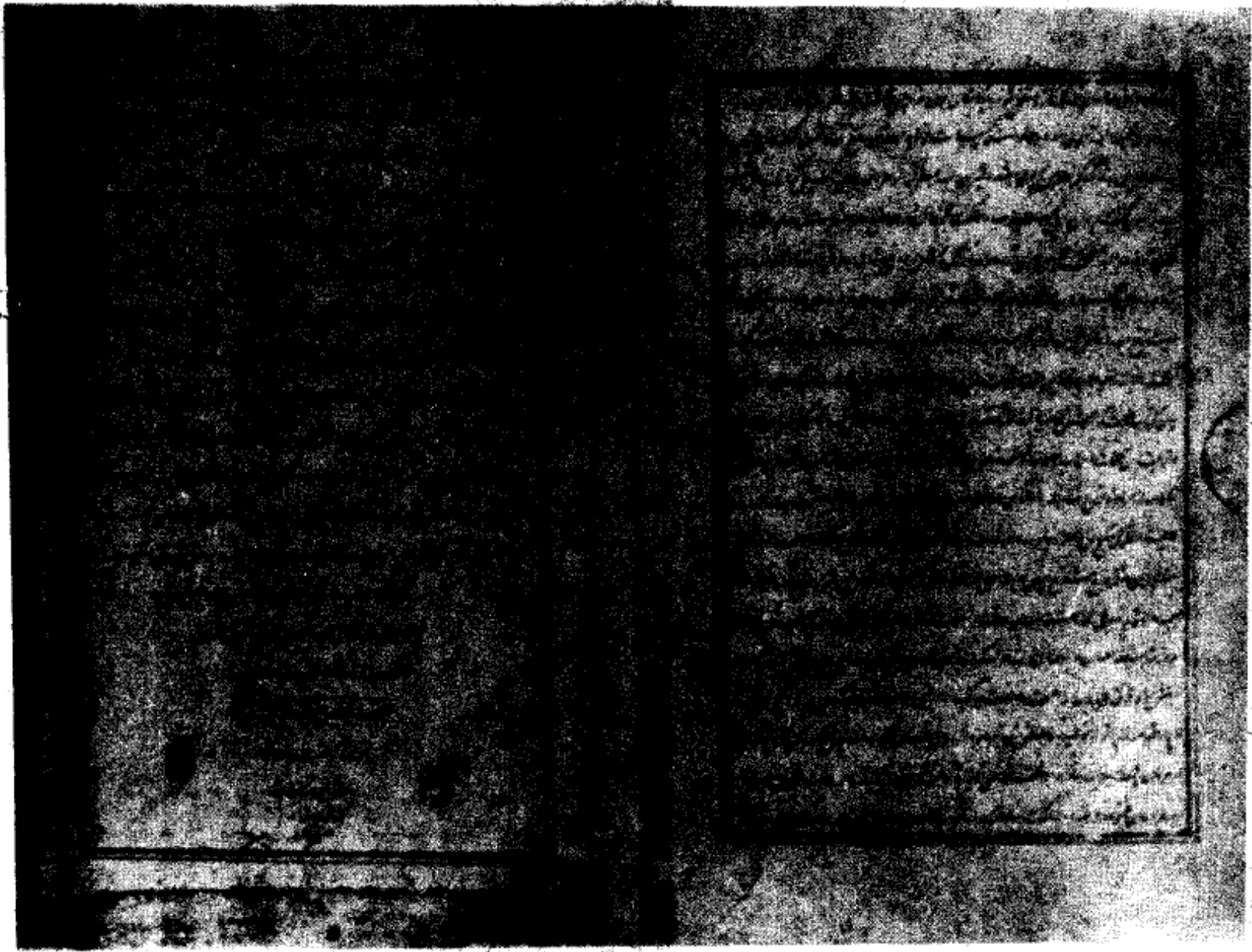


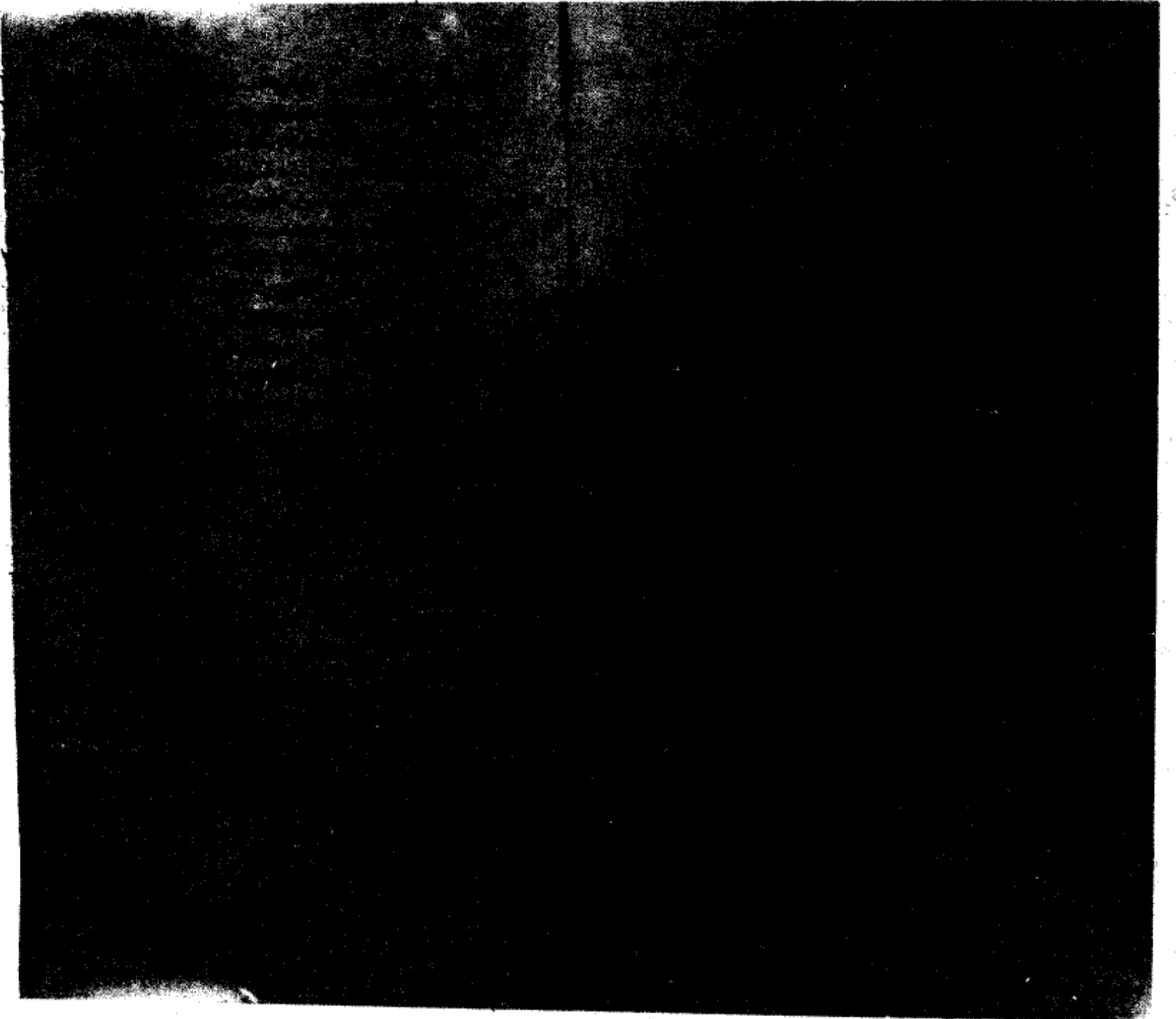




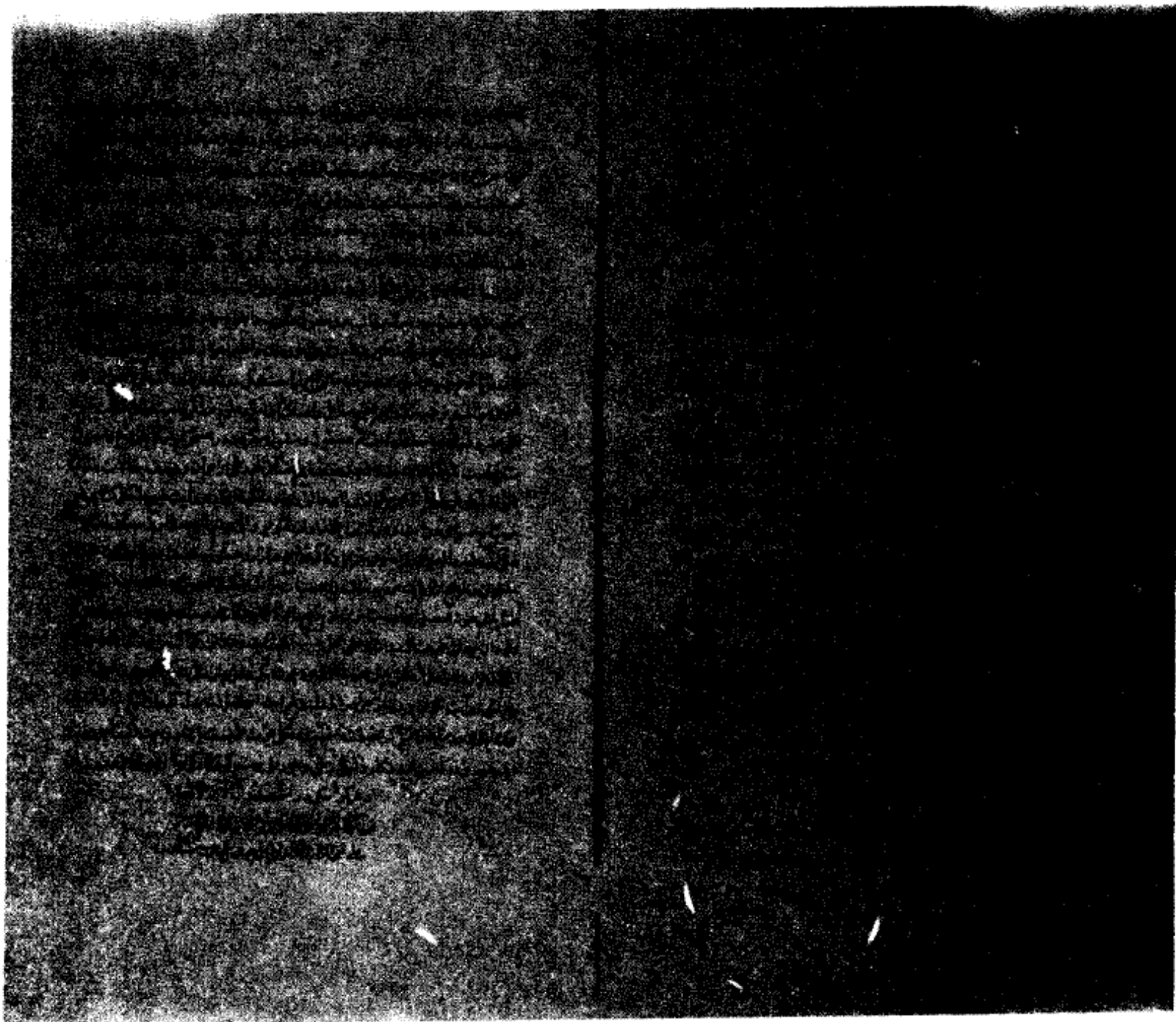








بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام على
سيدنا محمد وآله الطيبين
الطاهرين
الذين هم خاتم النبيين
مما مضى
والله اعلم
بما يعلن
في
الآخرة
والله اعلم
بما يعلن
في
الآخرة



Handwritten text at the top of the page, possibly a title or header.

الله

Handwritten text in the upper right quadrant, including the phrase "چهارم ماه کانون در ماه چشتم" (Fourth month of Kānūn in the fifth month).

۱۰	۱۱	۱۲	۱۳
۱۴	۱۵	۱۶	۱۷
۱۸	۱۹	۲۰	۲۱
۲۲	۲۳	۲۴	۲۵



Handwritten text below the table, possibly a signature or official name.

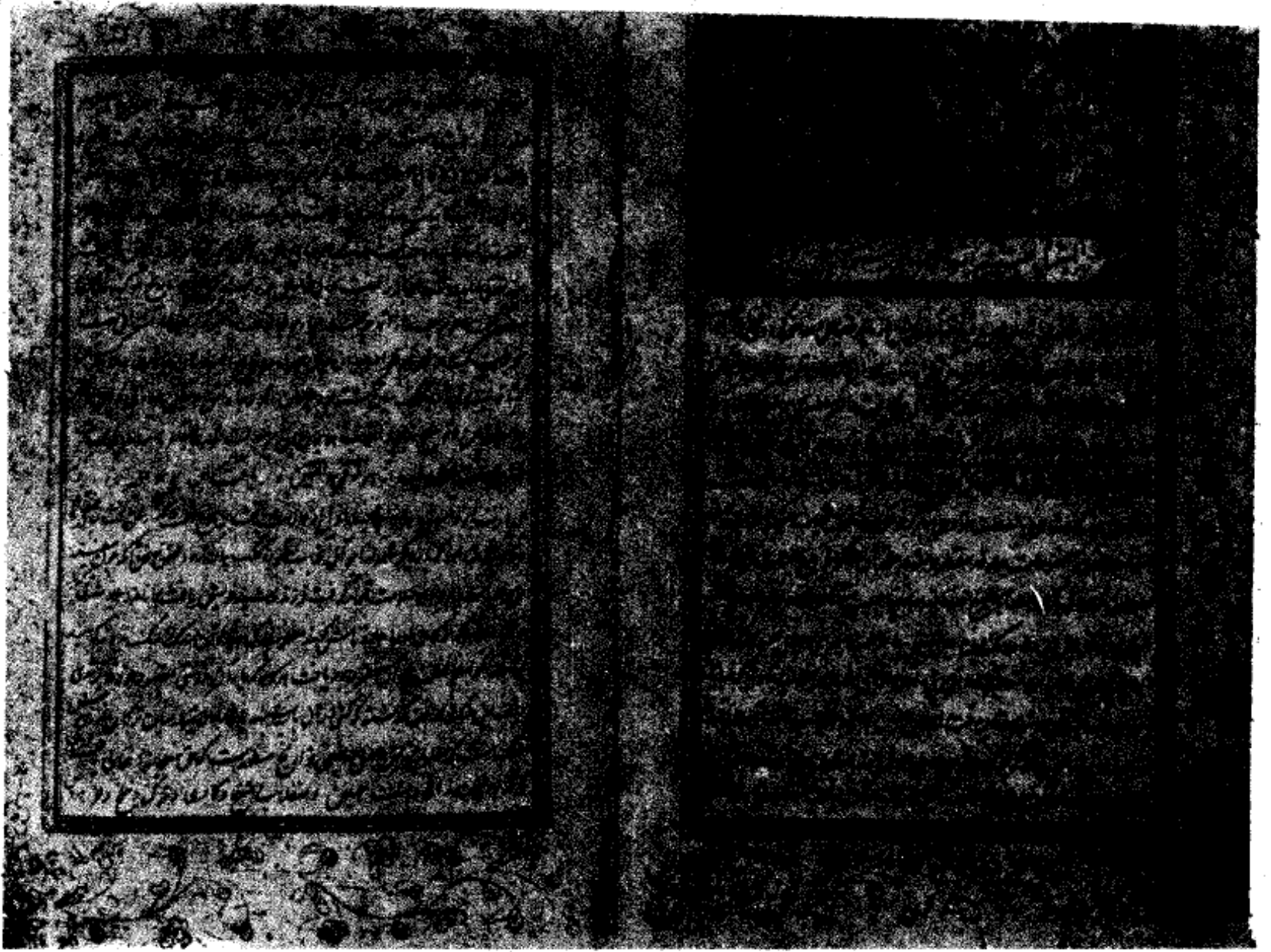
Handwritten text on the left side of the page, including the phrase "در باره آن که کسی از آنها که" (Regarding those who are among them).

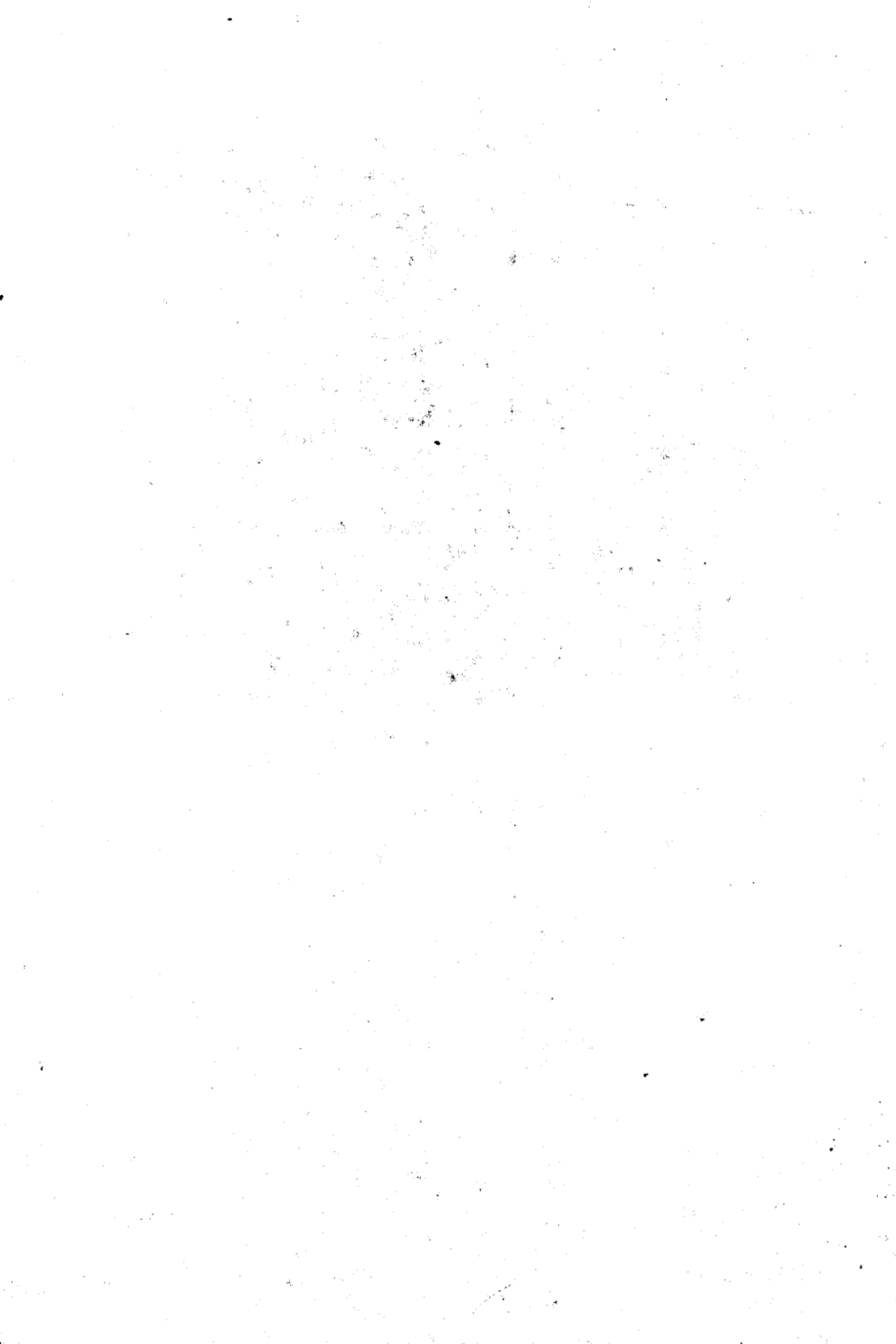
Handwritten text in the middle of the page.

Handwritten text on the right side of the page, including the phrase "مجلس علمیه" (Scientific Council).

Handwritten text at the bottom center of the page.

Handwritten text at the bottom right of the page.





روضۃ الصفا

فهرست النسخة الميمونة ، وديباجة مجموعة الكرامات السمرمية ، الحمد لله الذي ألبس مخلوقات العالم العلوى والسفلى ، خلعة الوجود من الجود غير المحدود ، وأظل أقطار الآفاق ، بحكمة انتظام حال العباد ، وأناط الأمر لسياسة السلاطين ذوى الاقتدار؛

« ترفع من يكون ملكه قديم وذاته غنية بالكبرياء والمنى »
« وتُتوج إنسانا بتاج الحظ وآخر تدسه في التراب من فوق العرش » (١)

وصلوات بلا انتهاء ، وتسليمات لا تعد ولا تحصى على المرقد الأقدس ، والمشهد المقدس سيد الانبياء وأفضل الأصفياء المخاطب بالخطاب الكرم « وما أرسلناك » (٢) والمشرف بتشريف كلمة « لولاك لما خلقت الأفلاك » وعلى الأرواح المطهرة ، والأجساد المعتبرة عترته واصحابه وعشيرته وأحبابه ، أما بعد ..

يقول كاتب الأوراق محمد خاوندشاه وفقه الله تعالى لنيل ما يتمناه ، أن الباعث الكلى والغرض الأصلى من كتابة هذه الكلمات ، وتمهيد هذه المقدمات هو أن يلفت نظر من تحلى بأنواع الأدب وجمال المعرفة ، وأتمت ذاته حميدة الصفات الصورة بأفعال الخير ، وامتاز بدرجة رفيعة وفضيلة من فضائل الزمان ، وارتقى درجة عالية من درجات إدراك دقائق المعانى والحقائق ، وصار مثالا للزمان ، إنه الأمير العادل الفاضل الحبيب النسيب عمدة

أعيان الملك والملة ، قدوة أركان الدين والدولة ملاذ الأمرء والأقطار والآفاق محيي مراسم الدولة ، جامع آيات الرأفة والانصاف رافع رايات العدل ، مقرب الحضرة السلطانية ، معتمد المملكة الخاقانية ، راعي الصغير والكبير ، نظام الملة والدنيا والدين ، الأمير على شير (٣) الذى يُقال فى شأنه :

« المميز عن جميع الناس كالسما ، اللطيف على جميع الخلق كالشمس » (٤)

حفظ الله تعالى عزه من نائبة المذلة ، وأمنه من شائبة النقصان ، ورفع جنابه بتحقيق السعادة والمراد الدنيوى والأخروى ، بمنته وفضله وعونه ، وها أنا شرعت فى القسم الرابع من الأقسام السبعة بعناية الملك الكبير المتعال وهو الميسر لإدراك جميع المطالب والآمال .



فصل

في حكومة ذى اليمينين (٥) وأولاده الذين يسمونهم الملوك الطاهرية .

(المخطوط ص ٢ - ٤)

عندما قتل طاهر بن حسين بن مصعب الخزاعي محمد الأمين العباسي (٦) ، وتوجه المأمون من خراسان إلى بغداد (٧) ، انتظم طاهر في سلك اتباع الخلافة ، ولازم الخليفة ، وذات يوم دخل مجلس المأمون ، وكان المأمون مشغولا بالشراب ، فأمر أن يقدم حسين الخادم الكأس لطاهر ، وفي أثناء ذلك بكى المأمون ، قال طاهر : « أيها الأمير العالم من شرقه إلى غربه تحت إمرتك ولا أعرف سببا لهذا البكاء ؟ » ، قال المأمون : « أبكى لأمر يستدعى اظهاره المذلة والمهانة ، واخفاؤه الغم والحزن ، وما من انسان بلاهم » ، وبعد ذلك استولى البكاء على المأمون لدرجة أن طاهر لم يجد مجالا لسؤاله (٨) ، وخرج من عند المأمون مهموما ، واستدعى واحدا من خاصة (٩) حسين الخادم ، وأعطاه مبلغا كبيرا ، ليوصله إلى مخدومه لكي يسأل المأمون عندما يدخل عليه عن سبب هذا البكاء ، وقدم الرسول إلى حسين مبلغ مائتي ألف درهم ، وعرض عليه طلب طاهر ذى اليمينين .

وعندما توجه حسين في اليوم التالي لخدمة المأمون ، وطلب المأمون منه الشراب ، فقال : المأمون : لن اسقيك حتى يقول الأمير لى سبب بكائه بالأمس ، قال المأمون : « وما دخلك بهذا الكلام ؟ » ، قال حسين : هذا التدخل بسبب الحزن الذى استولى على من بكاء الخليفة قال المأمون : « إذا كنت لن تفشى هذا السر لأحد أقوله لك » ، اجاب حسين :

إنسى لم أتهم بإفشاء السر أبدا ، قال المأمون : « عندما تقع عيني على طاهر ، اتذكر أحوال أخى محمد الأمين وقتله ، أشعر بالذل والهوان ، ولا أستطيع النظر إليه » (١٠) ، وابلغ حسين طاهرا بالأمر ، فتوجه طاهر إلى أحمد بن أبي خالد الوزير (١١) ، وقال : إذا فعلت لى خيرا لن يضيع ، وأخبره بهذا الأمر ، واتمس أن يرسله إلى ناحية حدود الولايات (١٢) ، ليأمن بأس وسخط المأمون ، فقبل أحمد بن أبي خالد التماس ذى اليمينين ، واسرع إلى المأمون (١٣) .

وعندما دخل أحمد بن أبي خالد مجلس المأمون ، استفسر منه عن أحوال المملكة ، قال الوزير : رأيت السلطان عدة ليال يرفع عنى الغطاء وأنا نائم ، فسأله المأمون عن سبب ذلك ، فأجابه أحمد : إن أحوال مملكة خراسان غير مضبوطة ، وجيش الترك قريب منها ، وواليها غسان (١٤) لا يستطيع حكمها ، قال المأمون : وما الصالح ؟ قال الوزير : يجب أن نرسل طاهر بن الحسين لحكم هذه المملكة ، قال المأمون : هل تضمن ألا يخالف ؟ قال أحمد أنا أضمن كل ما يصدر منه ، وقبل المأمون هذا ، وتوجه طاهر إلى خراسان (١٥) ، واستقل بحكومة هذه الممالك فى أقل فترة (١٦)

و يقول كلثوم بن ثابت (١٧) : كنت فى أيام خلافة المأمون صاحب بريد خراسان ، وفى جمعة من أيام الجمع صعد طاهر المنبر ، وخطب ودعا بهذه الكلمات بدلا من الدعاء للخليفة « اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أوليائك واكفها شر من بغى عليها وحسد بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين (١٨) » قلت لنفسى : إننى أول شخص سيقتل فى هذا الأمر ، لأننى لا أخفى هذا الخبر ؟ واغتسلت فى المنزل ، وأعددت الكفن ، وسجلت الأمر بلا زيادة ولا نقصان ، وارسلته إلى بغداد ، وفى اليوم التالى استدعانى شخص من قصر الامارة قبل شروق الشمس ، فأخذت أردد كلمة الشهادة ، وعندما وصلت هناك ، خرج طلحة بن طاهر من دار الامارة ، وقال : هل كتبت ما حدث بالأمس ؟ قلت بلى ، قال : اكتب اليوم خبر وفاة طاهر فعدت ، وكتبت الأمر ، وارسلته إلى بغداد .

ويقولون : إنه عندما وصل الخبر الأول إلى الخليفة ، قال لأحمد بن أبي خالد : يجب أن تذهب إلى خراسان فى يومك ، لأنك ضامن لطاهر ، واهتم أحمد باعداد وتجهيز الجيش ، واستعد للرحيل ، وفى اليوم التالى وصل خبر وفاة طاهر فجأة ، وتخلص أحمد بن أبي خالد من الورطة ، ويضيف أنه عندما اسقط ذو اليمينين اسم المأمون من الخطبة ونظم أمره بعد أداء الجمعة ، مرض ، ووجدوه ميتا فى فراشه صباحا (١٩) ، وكانت حكومة خراسان تحت إمرته لمدة سنة وستة أشهر ، كنى بأبى الطيب ، ولم تستفد عينه الواحدة من النور ، يقول شاعر (٢٠) فى هذا المجال :

« يا ذا اليمينين وعين واحدة نقصان عين ويمين زائدة »

حكومة طلحة بن طاهر ذى اليمينين

عندما وصل خبر وفاة طاهر إلى سماع المأمون في شهر سنة ٢٠٩ هـ (٢١) ، أرسل إلى طلحة المرسوم ، وعينه على حكومة خراسان ، قال البعض (٢٢) : إن عبد الله بن طاهر كان في الرقة حين مات أبوه ، وكان يقوم بمحاربة نصر بن شبث الخارجي ، وجعله المأمون والياً على جميع أعمال طاهر ، وفوض عبد الله حكومة خراسان على سبيل الانابة إلى أخيه طلحة ، ولم يستأ الخليفة من هذا .

عموماً في عهد حكومة طلحة خرج ما يسمى بجمزة (٢٣) في ولاية سيستان ، وجرى طلحة جيشاً إلى هذه الناحية ، وبعد القتال حقق النصر ، وضبط سيستان ، وعاد إلى خراسان ، ومرض طلحة سنة ٢١٣ هـ ، وانتقل إلى العالم الآخر ، وحل على بن طلحة محل أبيه ، وخرج عليه جماعة فحارب هؤلاء الأعداء في نواحي نيشابور (٢٤) وقتل .



حكومة عبد الله بن طاهر ذى اليمينين

في ذلك الوقت الذي كان فيه عبد الله بن طاهر مشغولاً — بناء على فرمان المأمون — بأعداد اسباب قتال بابك الخرمي (٢٥) في دينور (٢٦) . وصل خبر خروج الخوارج وقتل على ابن طلحة إلى بغداد ، فأرسل المأمون رسالة إلى عبد الله ليتوجه إلى خراسان ، ويقوم بصد مفسدى هذه الولاية ، فتوجه عبد الله بموجب الأمر إلى تلك الولاية ، وفي تلك الأيام حدث قحط عظيم في خراسان ، وتوقف المطر ، وكان الناس يائسين من الزراعة القادمة أيضاً ، وعندما وصل عبد الله إلى نيشابور ، فتح أبواب الرحمة ، وأمطرت السماء ، وفي عهد عبد الله بن طاهر عُمرت خراسان .

وفي سنة ٢١٥ هـ (٢٧) توجه أحد غلمان عبد الله مع جماعة من مصر ، وعندما وصل إلى قم (٢٨) حارب جعفر بن داود الذي كان معارضاً للمأمون في ذلك الوقت ، وانتصر عزيز (٢٩) عليه ، وفي سنة ٢١٦ هـ استأصل عبد الله بن طاهر خوارج خراسان (٣٠) ، وعندما التحق المأمون بجوار رحمة الله (٣١) ، وجلس المعتصم (٣٢) على سرير الخلافة ، أرسل إلى عبد الله بن طاهر العهد واللواء ، ورعى ابنه محمد في بغداد حتى صار من جملة رجاله المعتبرين ، وعندما توفي محمد بن عبد الله ، صلى عليه المعتصم .

وفي سنة ٢١٧ هـ (٣٣) توفي المعتصم ، وتصدى لأمر الخلافة ابنه الواثق بالله ، ولم يدع هو الآخر دقيقة في تكريم وتعظيم عبد الله ، وفي شهر سنة ٢٣٠ هـ سلم حياته لقابض الأرواح ،

وكانت مدة حكومته في خراسان سبع عشرة سنة وكان عمره في رواية سبعا واربعين سنة (٣٤).

كان عادلا وكرما جدا ، وكان اديبا وفاضلا ، له اشعار بالعربية جيدة ، وقد رثاه الشعراء ، ولما كان القلم المسكى قد وصل إلى هذا المقام ، فانه قد اثبت ما بالخاطر ، ذكروا أنه في أيام حكومة عبدالله بن طاهر اقام جماعة من المجوس في هرات (٣٥) معبدا أمام مسجد ، ولما كان مقررا في الشرع أن يدفعوا جزية ولا يتعرض لهم أحد ، ذات يوم وعظ أحد الوعاظ في قرية ، وقال في حديثه : إن المسلمين ضعفاء في هذه المدينة ، وأيد هذا القول بذلك المسجد والمعبد اللذين يتصلان ببعضهما ، وإن أهل الاسلام يتغافلون ويهملون في صد هذا العمل ، وتحرك عرق حمية المسلمين من هذه الكلمات ، واتفق خلق كثير ، وعندما حل الليل ، سعوا لتخريب المسجد والمعبد ، ولم يدعوا اثرا لعمارتهما ، وأقاموا في نفس الليلة مسجدا جديدا مكان المسجد والمعبد ، وعندما استقيظ المجوس صباحا من نوم الغفلة ، لم يجدوا اثرا للمسجد والمعبد ، تحيروا ، ومخثوا هذا الأمر ، وعندما علموا حقيقة الأمر ، توجهوا إلى نيشابور ، وعرضوا الأمر على عبدالله من أنه قد حدث لنا ظلم في دولتك ، والآن جئنا نشكو ، وأملنا أن تعطينا ما أخذ منا ، فأمر عبدالله بن طاهر أن يطلع على حقيقة هذا الأمر ، وعندما جاء الأمناء للبحث ، اجتمع اربعة آلاف شيخ معمر من نفس هرات والقرى والبلاد ، وشهدوا اننا قد رأينا هذا المسجد بهذه الكيفية طوال حياتنا ، ولم يكن هناك معبد أوشى آخر في هذا المكان ، وكانوا يطعمون في الثواب في اداء هذه الشهادة .



حكومة طاهر بن عبدالله

عندما وصل خبر وفاة عبدالله بن طاهر إلى سمع الخليفة الواثق ، جعل طاهر بن عبدالله واليا على جميع الأعمال التي كانت لأبيه ، ونخص كل واحد من اخوته بمنصب ، ولما مرت سنتان على حكومة طاهر بن عبدالله مات الواثق (٣٦) ، وجلس ابنه المتوكل على سرير الخلافة وأرسل اللواء إلى طاهر بن عبدالله .

وفي سنة ٢٣٧ هـ أرسل طاهر أخاه محمد بن عبدالله إلى بغداد ، فجعله المتوكل صاحب شرطة بغداد ، وأنابه على أعمال دار السلام ، وفي تلك الأيام عرضوا على المتوكل أن عيسى ابن جعفر بن عاصم ، وكان واحدا من أعيان بغداد ، قد سب أبا بكر الصديق وعمر الفاروق وعائشة وحفصه رضي الله عنهم ، فأرسل المتوكل من سامرا (٣٧) رسالة إلى محمد بن عبدالله بن طاهر بأن يقيض على عيسى ، ويضربه عدة سياط حتى يموت ويرمى بجثته في

دجلة ، ونفذ محمد الأمر ، وظل طاهر بن عبدالله يحكم خراسان حتى توفي (٣٨) في عهد خلافة المستعين .



حكومة محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر

عندما علم المستعين بخبر موت عبدالله ، فوض امانة خراسان لطاهر «أبي محمد» ، وجعل محمد بن عبدالله بن طاهر أمينا في العراق العربي (٣٩) والحرمين ، ويقولون : إن محمد ابن عبدالله بن طاهر كان متصفا بالفضل والأدب ، مال إلى اللهو واللعب والطرب والمجون ، وفي عهده أعطى امانة طبرستان (٤٠) لعمه سليمان بن عبدالله بن طاهر .

وفي شهر سنة ٢٥١ هـ خرج حسن بن زيد العلوي (٤١) ، وكان رجلا فاضلا وشاعرا ، في تلك الولاية ، واستولى على أكثر بلاد الديلم (٤٢) وغيلان (٤٣) ، وتوجه سليمان بن عبدالله مهزوما إلى الري (٤٤) ، ومن هناك أسرع إلى بغداد ، فجعله المستعين صاحب الشرطة ، وأقره أيضا عليها المعزمن بعد المستعين ، ف قضى وقته لاهيا حتى توفي سنة ٢٥٣ هـ .

في تلك الاثناء كان يعقوب بن الليث قد استولى على بعض ولايات خراسان بعد الاستيلاء على سيستان ، وبعد فترة وجيزة قاد الجيش إلى هرات ، فخرج منها عامل محمد بن طاهر واستولى أيضا على قوشنج (٤٥) وكانت دار سلطنة الطاهريين ، وفي رواية ان محمد بن طاهر قد فر وتوجه إلى نيشابور .

وفي سنة ٢٥٧ هـ قاد حسين بن زيد العلوي الجيش إلى جرجان ، واستولى على تلك الولاية وعندما علم محمد بن طاهر باستيلاء الحسن عليها ، وزع أموالا كثيرة على الجنود ، وارسلهم لقتاله ، فهزم حسن بن زيد جيش خراسان ، وقتل كثيرا منهم ، واستولى على اموال وغنائم كثيرة ، وصار محمد بن طاهر ضعيفا ، نظرا لأن يعقوب بن الليث قد استولى على أكثر بلاد خراسان ، واسترد الحسن بن زيد ولاية جرجان .

وفي تلك الأيام فر جماعة من أعيان خراسان ، والتجأوا ببلاط محمد بن طاهر ، وكان من بينهم أحمد فضل وأخوه ، وكلما أرسل يعقوب بن الليث الرسل ليطلبها ، لا يجيبه محمد ، وقد أدى هذا الفعل إلى ازدياد الفرقة ، وفي سنة ٢٥٩ هـ توجه يعقوب بن الليث إلى نيشابور ، وعندما سمع أحمد فضل هذا الخبر ، توجه مع أخيه إلى دار الإمارة ، ليخبر محمد بن طاهر بهذا الأمر ، قال الحاجب : لا يمكن أن تريا الأمير لأنه نائم ، قال فضل : عندما يأتي أي شخص أيقظ الأمير ، ثم توجه أحمد وأخوه من هناك إلى عبدالله بن صالح سنجري ، وكان قد فر أيضا

من يعقوب وجاء إلى محمد بن طاهر، وعندما ابلفاه بالحال، أدرك أن الغفلة قد استولت على محمد بن طاهر، وأن دولته قد غربت فاضطر ان يرسل أحمد إلى الري، والتحق بركب الحسن بن زيد العلوى .

وعندما تحقق محمد بن طاهر من خبر توجه يعقوب اليه، ارسل اليه رسولا وسلمه رسالة من انه « إلى اين تذهب دون فرمان من الأمير؟ إذا كان لديك منشور اظهره، لتمثل لك » وعلم يعقوب بمضمون الرسالة فأخرج السيف من تحت المصلى، وقال للرسول: « إن منشورى هو هذا » (٤٦)، وعندما عاد الرسول، ووصل إلى نيشابور، وتوجه خاصة محمد بن طاهر وأعيان تلك الولاية إلى يعقوب، وانقادوا له، وأخيرا أسر محمد بيد يعقوب (٤٧)، وانقرضت الدولة الطاهرية، وكانوا جميعا ملوكا، حسنى العقيدة وفضلاء، وكانت خراسان في أيام حكومة هذه الأسرة عامرة ومزدهرة، وقد أورد شاعر اسماهم في هذين البيتين:

« كان في خراسان من آل مصعب شاه، طاهر وطلحة وعبدالله »
« و طاهر ثان، ومحمد ذلك الذى سلم العرش والتاج ليعقوب » (٤٨)

من جملة مكارم محمد بن طاهر التى أوردها أحدهم، أن شخصا كان بنيشابور يدعى محمود، ولديه جارية فى غاية الحسن والجمال، تقرض الشعر الجيد، وتكتب خطا جميلا، وتعزف البربط (٤٩) جيدا، وتلعب النرد والشطرنج، ووصلت أوصافها إلى سمع محمد، فتشوق لها، وارسل إلى محمود عدة مرات ليشتريها بثمن غال، ولما كان محمود متعلقا بها، لم يرض بيعها ولما مرت فترة على ذلك وانفق محمود كل مايملك على هذه الجارية، وضاق به الحال، اخيرا ارسل محمود شخصا إلى الأمير ليشتري الجارية، فسر محمد بن طاهر، وأرسل أربعة صرر فضة إلى منزل محمود، ووضع الفضة امامه، وقام محمود، وذهب إلى حجرة الجارية وقال لها: انهضى وارتندي ملايسك واستعدى للذهاب إلى منزل الأمير الذى بعثك له، وعندما سمعت الجارية هذا صرخت وبكت ولما كان بكاءها قد وصل إلى سمع الأمير، قال محمود: ايتها الجارية ماسبب هذا البكاء والحزن؟، حرى بك إظهار الفرح والسرور لأنك ستذهبين إلى منزل الأمير وستكونين فى راحة ونعيم! فأجابته الجارية: سيدي هل يكون آخر خدمتى أن ابتعد عنك؟ قال محمود: لاأمل لأنه ليس فى يدي شىء من متاع الدنيا، وستجوعين وتتعرين، ولهذا فكرت فى أن اجعلك تقضين باقى عمرك فى راحة وسعادة، فأجابته الجارية: لا تبعننى، واعاهدك بأن أقدم لك قوتك طول العمر، قال محمود: لو كان كذلك، أطلقت سراحك واكرمك واتزوجك، وعندما سمع محمد بن طاهر ماحدث استدعى محمودا، وقال: اننى أهبك هذه الأربع صرر من الفضة لتقضى وقتك بعد ذلك فى زفاهية، وشد على يده، ونهض، وجرى ذكر فضله على الزمان .

حاشية الدولة الطاهرية

- (١) « مرورا رسد كبر يا ومنى كه ملكش قديمست وذاتش غنى »
« يكي رابسر برنهد تاج بخت يكي رابخاك اندر آردز تخت »
- (٢) « وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين » الأنبياء جزء ١٧ آية ١٠٧
- (٣) « على شيرنواثي (م ٩٠٧ هـ - ١٥٠١ م) من اعظم شعراء التركية الشرقية الجغتائية ، ولد في هراة ، كان أبوه من رجال بلاط خلفاء تيمور ، وكان في طفولته صديقا للأمير حسين بيقر الذي عينه بعد استيلائه على هراة في مناصب رفيعة بحيث كان الشخص الثاني في السلطنة بعد السلطان ، وعندما توفي نواثي قوبلت وفاته بحزن عميق في هراة ، كان اديبا ، اهتم بالأدباء والفنانين والفضلاء حتى أصبحت هراة في عهده مركزا مضيئا من مراكز الحضارة الاسلامية وكان معجبا بالفارسية نظم بها ديوانا ، وله اربعة دواوين بالجغتائية جمعها في ديوان واحد ، وهو « خزائن المعاني » وقلد خمسية نظامي ، وله كتاب « مجالس التفانس » فيه ثبت باسماء الامراء التيموريين المشتغلين بالأدب ، وله محاكمة اللغتين ايضا (انظر تاريخ بخارى لفامبري ترجمة د . الساداتي ص ٨٩ ، ٢٨٥ - الأدب المقارن د . طه ندا ص ١١٠) .
- (٤) « فايق بقدره كس آسمان صفت .. فايض بلطف برمه خلق آفتاب وار »
- (٥) اختلف المؤرخون في معنى قوله « ذو اليمينين » فقيل لأنه ضرب رجلا بشماله ففقد نصفين ، وقيل لأنه ولي العراق وخراسان (البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٠ / ١٠) وورد ايضا أنه حين خرج طاهر لقتال علي بن عيسى اختار الفضل بن سهل ساعة خروجه ، ورأى طالعه ، فوجد نجمي سهيل والشعري اليمانيين وسط السماء ولهذا لقبوه ذا اليمينين (زين الأخبار كرديزي ص ٦) .
- (٦) الخليفة محمد الأمين تولى الخلافة ٢٩٣ هـ ، خلع أخاه المأمون من ولاية العهد ، فأرسل اليه طاهر بن الحسين فحاصره ، وقتله مولى من مواليه ، وحمل رأسه إلى طاهر التي قدمها للمأمون سنة ٢٩٧ هـ (مروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ٣ / ٣٩٦ ، شذرات الذهب في اخبار من ذهب لابن العماد الحنبلي ١ / ٣٤٧) وذكر ابن الأثير انه قتل سنة ١٩٨ هـ (الكامل ٥ / ١٦٣) وواقفه ابن كثير (البداية والنهاية ١٠ / ٢٤٠) .
- (٧) سنة ٢٠٤ هـ (تاريخ الرسل والملوك المعروف بتاريخ الطبري ٨ / ٥٧٤)

- (٨) كان سبب توجه طاهر بن الحسين إلى المأمون هو أن محمد بن أبي العباس صهر طاهر قد اخطأ في مجلس للمأمون ، فأرسل طاهر ليتشفع له ، فلما دخل طاهر على المأمون ، ولم يكن هذا وقت زيارته ، اذن له ، وتشفع طاهر ، وقبل المأمون شفاعته (الطبرى ٥٧٨/٨) .
- (٩) هاوون بن جبغويه (الطبرى ٥٧٨/٨) هرون بن جيعونه (الكامل ١٩٦/٥)
- (١٠) انظر الطبرى ٥٧٩/٨
- (١١) أحمد بن ابى خالده الأحول من وزراء المأمون ، اراد ان يتنصل من الوزارة حين استدعاه المأمون لها ، كان جليل القدر ، من عقلاء الرجال ، كان كاتباً فصيحاً بصيراً بالأمر ، وظل بالوزارة حتى مات سنة ٢١١ هـ (الفخرى لابن طباطبا ١٩٩)
- (١٢) كان طاهر بن الحسين والياً على الرقة ، وانااب ابنه عبدالله عليها (الكامل ١٩٧/٥ البداية والنهاية ٢٥٥/١٠)
- (١٣) وردت القصة عند الطبرى ٥٧٩/٨ ، وابن الاثير ١٩٦/٥ ، وابن كثير ٢٦٠/١٠
- (١٤) غسان بن عباد كات يتولى خراسان من قبل الحسن بن سهل وهو ابن عم الفضل بن سهل (الطبرى ٦٢٠/٨ ، ابن الاثير ١٩٧/٥) وقد ولاه خراسان المأمون ، وظل بها حتى عزله عنها ، وولى طاهر بن الحسين (تاريخ بخارى للنرخشى ترجمة امين عبدالمجيد بدوى ونصر الله مبشر الطرازى ص ١٠٦)
- (١٥) قبل ان يخرج طاهر إلى خراسان نذبه الحسن بن سهل لمحاربة نصر بن شبث ، فقال له طاهر : « حاربت خليفة وسقت الخلافة إلى خليفة ، وأمر بمثل هذا ، انما كان ينبغي ان توجه لهذا قائداً من قوادى » (الطبرى ٥٨٠/٨)
- (١٦) سنة ٢٠٥ هـ (زين الأخبار ٥ ، الكامل ١٩٧/٥ ، البداية والنهاية ٢٥٥/١٠)
- (١٧) كلشوم بن ثابت بن أبى سعيد يكنى ابا سعدة (الطبرى ٥٩٤/٨) كلشوم بن ثابت بن أبى سعيد (ابن الاثير ٢٠٤/٥)
- (١٨) « اللهم اصلح أمة محمد بما اصلحت به اوليائك واكفنا مؤنة من بغى علينا وحشد فيها بلم الشعث وحقن الدماء واصلاح ذات البين (الطبرى ٥٩٤/٨ ، ابن الاثير ٢٠٤/٥)
- (١٩) اضاف الطبرى عن رواية مطهر بن طاهر انه مات من حمى وحرارة اصابته (الطبرى ٥٩٣/٨) وقد ألمح ابن كثير إلى ان المأمون هو الذى أمر خادمه أن يدس له السم إن رأى منه شيئاً يريه (البداية والنهاية ٢٦٠/١٠)
- (٢٠) البيت لعمر بن نباته .
- (٢١) سنة ٢٠٧ هـ (الطبرى ٥٩٣/٨) ، الكامل ٢٠٤/٥ ، البداية والنهاية ٢٦٠/١٠)
- (٢٢) تولى طلحة ولاية خراسان (زين الأخبار ٥ - ابن الاثير ٢٠٥/٥) وأورد ابن كثير أن المأمون قد ولى عبدالله بن طاهر خراسان على الرغم من أن طاهر لم يدع له على المنبر ، فأرسل عبدالله أخاه طلحة (البداية والنهاية ٢٦٠/١٠) وقام ابن كثير بنقلها عن الطبرى (٥٩٥/٨)
- (٢٣) حمزة بن أدرك الخارجمى (مروج الذهب ٢٠٠/٤) أوحزة بن عبدالله الخارجمى ، عرف حمزة بين اهالى سيستان ، بايعة اهلها من اعوان قطرى بن الفجاءة والحضين ، توجه عيسى بن على بن عيسى لمحاربتة سنة ١٨١ هـ ، وخرج هارون الرشيد بنفسه لحربه بعد أن استفحل شأنه إلا انه مات سنة ١٩٣ هـ فى طوس ، وظل حمزة يحارب الولاة الذين كان يرسلهم الخليفة إلى سيستان حتى حاربه طلحة ثم تنازل طلحة لأحمد بن ابى خالد عن سيستان ، فقام الأخير بدفع حمزة سنة ٢١٣ هـ (سجستان بين العرب والفرس تاريخ سيستان . ترجمة د . أحمد الخولى ص ٢١٨ - ٢٤٠)
- (٢٤) نيشاپور أونيساپور مدينة من مدن خراسان ، عتبة الشرق ، وجمع العلماء ومعدن الفضلاء (آثار البلاد وأخبار العباد - لذكرى محمد القزوينى ٤٧٣)
- (٢٥) وردت بابك خزاعى (روضة الصفا ص ٢) والصواب بابك الخرمى وهو صاحب مذهب الخرمية من اصطلاح (خرم دين) أى الدين الممتع ، وتطور اللفظ إلى خرمدينية ، ثم اختصر خرميه ، وكلمة خرم بمعنى اللذة والفرح ، فهو معنى دين اللذة والاباحية (انظر - الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٥٩ ، الفهرست لابن النديم ٤٨٠ ، الانساب للسمعانى ٧٢ ، تلبس ابليس لابن الجوزى ١٠٢) واسم بابك هو بابك بهشتا دسر (الطبرى ٦٢٢/٨)

- (٢٦) دينور ناحية من نواحي نهاوند (آثار البلاد ٣٤٦)
- (٢٧) وردت بالخطوط ٢٢٥ هـ (روضة الصفا ٣)
- (٢٨) قم مدينة بارض الجبال بين ساوه واصفهان ، مُضرت في عهد الحجاج بن يوسف سنة ٨٣ هـ ، اهلها شيعة غالية جدا (آثار البلاد ٤٤٢ - ٤٤٣)
- (٢٩) عزيز بن نوح (زين الأخبار ٦)
- (٣٠) أرسل عبد الله بن طاهر عزيز بن نوح ومحمد بن الأحوص وعباس بن هاشم والياس بن اسد لمحاربة الخوارج سنة ٢١٦ هـ (تاريخ سجستان بين العرب والفرس د. أحمد الخولي ص ٢٤٢ - ٢٤٣)
- (٣١) سنة ٢١٨ هـ (الطبري ٦٤٦/٨ - مروج الذهب ٤٠/٤ - ابن الأثير ٢٢٧/٥ ، ابن كثير ٢٧٥/١٠)
- (٣٢) جلس المعتصم ٢١٨ هـ وتوفي ٢٢٧ هـ (المسعودي ٤٦/٤ - ابن الأثير ٢٦٥/٥ - ابن كثير ٢٩٥/١٠)
- (٣٣) وردت بالخطوط ٢٢٧ هـ (روضة الصفا ٣)
- (٣٤) وردت كان عمره ثمانيا واربعين سنة (ابن الأثير ٢٧١/٥)
- (٣٥) هراة مدينة عظيمة من مدن خراسان ، بناها الاسكندر ، وحوفا سور حصين ليس هناك بخراسان مدينة أجل ولا أحر ولا أحسن ولا أكثر خيرا منها (آثار البلاد ٤٨١)
- (٣٦) مات الواثق سنة ٢٣٢ هـ (زين الاخبار ٩ - المسعودي ٨٤/٤ - ابن الأثير ٢٧٧/٥)
- (٣٧) سامرا مدينة بناها المعتصم سنة ٢٢١ هـ بسبب تعدى مماليكه على حرم الناس ، تقع شرقي دجلة بين بغداد وتكريت (آثار البلاد ٣٨٥) (انظر تجارب الامم لابن مسكويه ٢١٠/٥ ، الطبري ١٢/٩ - العوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الاسلامية لمصطفى عباس ص ١٤٢)
- (٣٨) مات طاهر سنة ٢٤٨ هـ (الطبري ٢٥٨/٩ - گردیزی ٩ - ابن الأثير ٣١١/٥)
- (٣٩) العراق العربي : العراق الحالي
- (٤٠) طبرستان : يقول المعجم عنها مازندران وهي بين الري وقومس وبحر الخزر (آثار البلاد ٤٠٣)
- (٤١) الحسن بن زيد بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي صاحب طبرستان ظهر بها في سنة ٢٥٠ هـ ومات بها سنة ٢٧٠ هـ ، وقام مكانه اخوه محمد بن زيد وملك الديلم ، وللحسن من الكتب (كتاب الجامع في الفقه - كتاب البيان - كتاب الحجية في الامامة) كان زاهدا جوادا يعرف الفقه والعربية (انظر الفهرست لابن النديم ٢٧٤ - ابن كثير ٤٧/١١)
- (٤٢) بلاد الديلم بأرض الجبال قرب قزوین ، وهي بلاد كلها جبال ووهاد ، قيل ان اصلهم من بني تميم لهذا اغلبهم يملون إلى الأدب والعربية منهم ملوك آل بويه وينسب اليهم قابوس بن وشمگیر (آثار البلاد ٣٣٠)
- (٤٣) جيلان - گیلان : بين قزوین وبحر الخزر (آثار البلاد ٣٥٣)
- (٤٤) انظر الطبري ٣١٧/٩
- (٤٥) قال محمد بن طاهر: إذا كنت قد جئت بمشور أمير المؤمنين فإظهره لنا لنترك لك الولاية ، وإذا لم يكن .. فعد (زين الأخبار ٦)
- (٤٦) ورد أن محمد بن عبد الله بن طاهر قد مات بسبب قروح اصابته في حلقه ورأسه فذبحته (الطبري ٣٧٦/٨)
- (٤٧) « در خراسان ز آل مصعب شاه طاهر وطلحة بود وعبد الله »
« باز طاهر دگر محمد آن کوييقوب داد تخت وکلاه » (روضة الصفا ٣)
- (٤٨) آلة موسيقية ، المود معرب ، يربط أي صدر الأوز لأنه يشبهه (القاموس المحيط الفيروز آبادي ٣٦٢/٢ - انظر شتايجس ١٧٠)



فصل

في احوال ال الليث وبداية أمر يعقوب (١) ويطلق
أرباب التاريخ عليهم الصفارية .

(المخطوط ص ٥ - ١٠)

كان والد يعقوب صفارا (٢) في سيستان ، ولديه ثلاثة أبناء ؛ يعقوب وعمرو وعلي (٣) ،
وقد حكموا جميعا ، ولم تطل فترة حكم علي ، كان يعقوب ايضا يعمل في بداية حاله
صفارا (٤) ومع أنه أتقن هذه الحرفة ، لم يُعلمها للصبيان ، وعندما وصل إلى سن الرشد ، جمع
جماعة من بنى جلدته حوله ، وقام بقطع الطريق ، حتى تهيأت له أسباب القيادة ، وكان
يراعى المساواة في هذا الأمر ، ويعدل في توزيع كل شيء يقع بأيديهم .

وفي سنة ٢٣٧ هـ حين كانت خراسان وتوابعها تتعلق بطاهر بن عبدالله ، استولى
شخص من أهل بست يدعى صالح بن نصر (٥) على مملكة سيستان عنوة ، وصار يعقوب بن
الليث في خدمة صالح ، وفي تلك الأثناء أرسل طاهر بن عبدالله جيشا ، ليطرده صالح من
نواحي سيستان ، وبعد ذلك خرج درهم بن نصر ، واستولى على سيستان ، وأبعد جيش
طاهر عن نواحي سيستان .

ولما لم يستطع درهم بن نصر من ضبط الجيش كما ينبغي ، جعل يعقوب بن الليث أميرا
على الجيش ، وعندما رأى الجنود ضعف وعجز درهم ، تلقوا خبر قيادة يعقوب بالابتهاج ،
وفوض درهم ايضا ضبط وربط الأمور له (٦) .

ورد في كامل التواريخ (٧) أن حاكم خراسان فكر في حيلة ليظفر بدرهم ، وقبض عليه وارسله إلى بغداد ، وحبسه الخليفة فترة ، وبعد ذلك أطلق سراحه ، وانشغل درهم بخدمة الخليفة ، وبعد غيبة درهم ترقى يعقوب درجات عالية ، وقام بدفع فتنة الخوارج ، وكان رفاقه وتابعوه يطيعون أوامره بشكل لا يمكن تصوره ، وعندما فرغ يعقوب من ضبط سيستان قاد الجيش إلى خراسان (٨) ، وفي هذه السنة لم يتيسر له الفتح ، فاضطر العودة إلى سيستان حتى عاد إليها مرة أخرى ليهاجمها .

وفي سنة ٢٥٣ هـ (٩) وطبقاً لما ذكر توجهه إلى خراسان ، واستولى على هرات وقوشنج (١٠) ، وتوجه من هناك إلى ناحية كرمان ، وقبض على نائب حاكم شيراز الذي كان يحكم هذه البلاد ، ومن هناك توجه إلى ناحية شيراز ، وحارب والى فارس ، وقبض عليه ايضاً ، وأرسل عشرة صقور بيضاء وعشرة صقور بقاء (١١) ومائة من (١٢) مسكا وهدايا أخرى إلى بغداد ، وأرسل رسالة إلى الخليفة : « إننى طائع لكم وتابع » ، وعاد إلى سيستان وحمل معه حاكم شيراز سجيناً (١٣) .

وفي سنة ٢٥٧ هـ قاد الجيش ثانية إلى فارس ، وفي هذه المرة ارسل خليفة بغداد المعتمد رسالة اليه من أنه : « طالما أن مملكة فارس لم نعطك إياها ، فلماذا تقود الجيوش اليها من فترة إلى أخرى ؟ » وأرسل الخليفة أخاه الموفق ، وكان « صاحب اختيار (١٤) » ومرجع المملكة رسولا إلى يعقوب (١٥) ، وحمله أمرا مضمونه بأن يتولى يعقوب ولاية بلخ وطخا رستان وسيستان (١٦) ، ويجب أن يتوجه إلى تلك الناحية ، وعاد يعقوب من فارس ، وقطع المنازل (١٧) ، ووصل إلى بلخ (١٨) ، وتوجه من هناك بجيش جرار إلى كابل (١٩) ، وأدخلها تحت سيطرته ، وأسر حاكمها ، وتوجه بعد ذلك إلى هرات ، واستولى عليها ، وأسرع إلى ناحية نيشابور ، وجاء محمد بن طاهر إلى يعقوب ، وأرسله يعقوب مع جميع أقاربه وعشائره . الذين كانوا مائة وخمسين شخصا ؛ مقيدين إلى سيستان ، وعين نوابه بخراسان ، وتوجه فجأة إلى طبرستان ، ليحارب حسن بن زيد العلوى ، وسبب ذلك هو أن عبدالله سنجرى كان قد فر من يعقوب ، وتوجه إلى نيشابور عند محمد بن طاهر ، وعندما علم بخبر توجه يعقوب ، فر من هذا المكان ، والتحق بحسن بن زيد العلوى كما سبق ذكره (٢٠) .

وأرسل يعقوب الرُّسل إلى حسن ، وطلبه ، ولم يهتم حسن بذلك الكلام ، فاستاء يعقوب ، وقاد الجيش اليه ، وعندما وصل إلى سارى ، توجه حسن بجيش منظم لمواجهة العدو ، وانتصر يعقوب ، وفر حسن (٢١) ، وتوجه إلى بلاد الديلمة ، وسار يعقوب من سارى إلى آمل (٢٢) ، وأخذ خراج عام وتوجه من هناك إلى الديلم ، لينتقم من الحسن مرة أخرى (٢٣) ، وفي الطريق فقد أربعون ألف رجل من جيش يعقوب لهطول الأمطار أربعين يوما متصلة ، وعاد في حال سيئة ، وأرسل رسولا إلى الخليفة من « أننى فتحت طبرستان

وهزمت حسن بن زيد، ولهذا أنتظر عطفكم» ، ولكن الخليفة أرسل منشوراً إلى حجاب الرى وخراسان وطبرستان مضمونه : « إننى عينت من قبل يعقوب على حكومة سيستان ، ولكنه الآن يبدى التمرد والعصيان ، فعليكم أن تلعنوه دون تردد » ، وقد صدر هذا الحكم عندما علم الخليفة أن يعقوب بن الليث قد جاء خراسان ، وقبض على آل طاهر ، وسجنهم ، وأرسلهم إلى سيستان .



استيلاء يعقوب بن الليث على مملكة فارس ومحاربتة الموفق أخى الخليفة

عندما قتل محمد بن واصل التميمي في فارس، عامل الخليفة (٢٤) ، واستولى على تلك البلاد ، فأرسل موسى بن يوخا (٢٥) - الذى كان حاكماً على البصرة والأهواز وبغامة وفارس من قبل دار الخلافة - عبدالرحمن بن مفلح لحرب ابن واصل ، وقد سمع وهو في الأهواز خبر جيش بغداد ، فتوجه من هناك لمقابلته ، والتقى الفريقان في الطريق ، ووقعت حرب ضروس ، وانتصر محمد بن واصل ، وأسر ابن مفلح لسوء حظه ، وكلما أرسل الخليفة إلى ابن واصل ليطلق سراح عبدالرحمن بن مفلح ، رفض ، وعندما وصل هذا الخبر إلى يعقوب بن الليث ، طمع في مملكة فارس ، فتوجه صوبها ، وبعد قطع المنازل ، وصل نواحي فارس ، ووقعت بينه وبين ابن واصل معارك ، وانتصر يعقوب ، وارتفعت راية دولته إلى أوج السماء .

وعندما استقل بهذه الولاية ، عزم التوجه إلى بغداد ، فأرسل الخليفة منشور حكومة خراسان وطبرستان وفارس (٢٦) إلى يعقوب ، لكى يعود ، وعندما وصل رسول دار الخلافة إلى يعقوب ، قال : « إننى لا أقبل هذا ، وفي الحقيقة أريد أن أحضر إلى بغداد » ، وعندما سُمع الخليفة المعتمد هذا الخبر ، أرسل أخاه الموفق بجيش إلى يعقوب (٢٧) ، وبعد القتال والجدال هزم يعقوب بن الليث بالمكر والحيلة كما هو مسطور في التواريخ ، ومرة ثانية جمع جيشه الممزق وتوجه إلى بغداد ، وأصيب في أثناء الطريق بمرض القولنج ، وكلما أراد الأطباء حقه كان يرفض ، وقال : « إن موتى أسهل من حقى (٢٨) » ، وفي أثناء ذلك المرض وصل رسول دار الخلافة ، واحضر له رسالة استمالة ومنشور ولاية فارس ، ووضع يعقوب أمامه السيف وقدرًا من الخبز الجاف والبصل ، واستدعى الرسول وقال له : « بلغ دعائى للخليفة ، وقل له : يعقوب يقول لك : إننى عليل ، فإن مت ، فقد خلصت من يدى ، وإن عشت فالسيف بينى وبينك ، حتى آخذ بثأرى أو تكسرنى وتعقرنى وأعود إلى هذا الخبز الجاف والبصل وأترك الحكم » ، وعاد الرسول ، ولم يكذبصل إلى دار الخلافة ، حتى توفى يعقوب (٢٩) .

كان يعقوب سياسياً فذاً، كان يسأل كل من جاء لخدمته، وراق في نظره، عن حاله في حمل السلاح واطلاق الرماح وضرب السيوف، وبعد ذلك يسأله عن هذه الفترة مع من قضاها في العمل، وفي أي معركة قاتل، ثم يأمر بأن يعطوه كل ما يحتاجه من مأكولات وملبوسات وغيرها لمدة عام، فإذا طلب ذلك الشخص شيئاً قبل انقضاء العام، أمر بأن يستردوا ما أعطوه له (٣٠).

كانت جميع جياد الجنود ملكاً له، إلا القليل، وكان يقدم علف الدواب من خاصته، وكان له كرسي خشبي يجلس عليه، ويشرف على جميع الجيش، وإذا وقع نظره على شيء سيء في أوضاع الجيش، كان يأمر بتغييره، وقد اختار ألف مقاتل جلد من الجيش، وأعطى كل واحد حماقاً (٣١) ذهبياً يزن ألف مثقال ذهباً، وكان قد وزع أيضاً ألف حماق من الفضة على ألف شخص، وكان هؤلاء القوم يضعون هذه الحماقات على اكتافهم في الأعياد والمحافل، ولم يكن هناك من شخص يقف على أسراره، ولم يكن يستشر أحداً قط في أمور المملكة، وعندما هزمه أعداؤه، لم يجرؤ أحد قط على الاقتراب منه، ولم يكن يسمع لأحد بالسلب والنهب دون إذن منه، وقد أقاموا خيمة خلف خيمته ليستقر فيها غلمان الخواص، وكلما احتاج شيئاً صاح على غلام منهم، ليكفيه إياها، وكانوا يطبخون عشرين خروفاً يومياً في خمسة قدور، كان يفصل القسم الأول لغلمان البلاط ويقسمها على الخاصة، وذات يوم قال له أحد الرسل: أنت في قيادتك، تجلس في خيمتك وليس لديك شيء قط سوى هذا الرداء وهذا السلاح الذي تلبسه، أجابه يعقوب: إن القائد يأتم به أصحابه ويعيشون على منهاجه (٣٢).

من غرائب الحكايات التي ينقلونها عن يعقوب تلك الحكاية وهي أنهم قالوا له: إن أبا يوسف يعقوب بن سفيان لم يسب عثمان سنجري بل انه سب عثمان بن عفان الصحابي، قال يعقوب: « اطلقوه، فلا شأن لي بالصحابة »!! كانت مدة سلطنة يعقوب إحدى عشرة سنة.



حكومة عمرو بن الليث الصفار

عندما توفي يعقوب بن الليث، تصدى أخوه عمرو لأمر الحكومة، وأرسل رسالة طاعة إلى دار الخلافة، وأبدي ولاءه، ووصل منشور دار الخلافة (٣٣)، وعُين على حكومة العراق العجمي وفارس وخراسان وشحنكي بغداد (٣٤)، وقبل عمرو خلع الخليفة، وأرسل عبد الله ابن طاهر رئيساً لشرطة دار السلام (٣٥) من قبله، وتوجه إلى قزوين (٣٦)، ومن هناك توجه

إلى الري (٣٧) ، وفي ذلك الوقت أبدى عامل فارس محمد بن الليث وكان نائبا لعمر
مخالفة ، وبناء على ذلك توجه عمرو إلى هذه الناحية ، وقاتل محمد بن الليث ، وهزمه ،
وتوجه إلى اصطخر (٣٨) ، ومال من اصطخر إلى ناحية شيراز ، وعندما استقر في شيراز ،
أرسل إلى الخليفة الموفق (٣٩) ثلاثمائة ألف دينار وخمسين منا مسكا وخمسين منا عنبرا
ومائتي منا عودا وثلاثمائة رداء منقوش بنقوش غربية ، وثلاثمائة طرف من الذهب
والفضة ، ثلاثمائة دابة كهدية ، لأنه جعل أخاه صاحب اختيار الخليفة .

وفي سنة ٢٧٠ هـ شكا والي خراسان عمرو للخليفة ، واستدعى الخليفة حجاج خراسان ،
وقال لهم : « اننى عزلت عمرو بن الليث عن خراسان ، ويجب عليكم لعنه » (٤٠) ، وبعد
ذلك أرسل صاعد بن مخلد (٤١) بجيش جرار من واسط لمحاربة عمرو بن الليث ، وبعد
التقاء الفريقين ، وقعت حرب ضروس ، واشتعلت نار الحرب من طلوع الشمس إلى وقت
زوالها ، وأخيرا هبت نسائم النصر على راية جيش الخليفة ، وقتلوا عددا من امراء عمرو بن
الليث ، وجرح (٤٢) ساعده ايضا ، ونجا عمرو بن الليث من هذا الهلاك ، وحملوا غنائم كثيرة
إلى بغداد ، وتوجه عمرو إلى فارس ، ووصل هذا الخبر إلى سمع الموفق ، وكان عمرو قد توجه
إلى شيراز قبل ذلك ، فاتجه إلى هذه الناحية ، ولما لم يجد عمرو طاقة للمقاومة توجه إلى
سيستان من طريق كرمان ، وأسرع من سيستان إلى خراسان ، ووقعت بينه وبين رافع بن
هرثمة - الذى كان قد خرج فى تلك الفترة (٤٣) - وخطب الخطبة باسم محمد بن زيد (٤٤)
حرب ، واخيرا انتصر عمرو بن الليث على رافع وأرسل رأسه إلى بغداد ، وهذه الحركة رضى
الخليفة عن عمرو (٤٥) ، فأمر أن يكتبوا اسمه فى الاعلام (٤٦) .

وفي سنة ٢٨٤ هـ جمع الخليفة حجاج خراسان ، وأمر أن يقرأوا عليهم منشور امانة
خراسان وماوراء النهر (٤٧) وفارس وكرمان وسيستان - الذى كان قد صدر باسم عمرو
ابن الليث ، وفى سنة ٢٨٦ هـ وصلت هدايا عمرو التى كان قد أرسلها من خراسان إلى
الخليفة ، من جملة الهدايا صنم ذهبى له أربعة أذرع وقرطان مرصعان فى أذنه ، وكان هذا
الصنم على قاعدة ذهبية توازى قامة جميزة ، وقد حملوه فى البداية على هذه الصورة إلى بيت
المعتضد ، ثم وضعوه فى مكان شرقى بغداد بناحية كان رؤساء الشرطة يقيمون بها ، وبعد
ثلاثة أيام سلموه للخازن .



ذكر محاربة عمرو بن الليث مع اسماعيل بن احمد الساماني وأسر عمرو ونهاية أمره

عندما وصل خبر تفويض ولاية ماوراء النهر لعمرو بن الليث ، أرسل خادمه — محمد بن بشير أحد اعمدته بل انه كان من أخص خواصه — بجيش جرار لمحاربة حاكم هذه البلاد اسماعيل الساماني^(٤٨) ، وعبر اسماعيل جيحون ، واستعد في مواجهة الأعداء ، وبعد القتال قُتل محمد بن بشير^(٤٩) ، وهُزم جيشه ، ولحق بعمرو ، وأعد عمرو عدة الحرب ليذهب بنفسه لمحاربة اسماعيل ، وكلما منعه الأمرء من أنه لا مصلحة في ارسال الجيش ، أبي ، وعندما وصل عمرو إلى بلخ أرسل اسماعيل رسالة اليه : « إن الحق عز وعلا قد اعطاك مملكة واسعة ، وأنا لا أطمع فيها وقد قنع ، إلى هذا الحد ، والآن اننى اتوقع أن تدع لى هذه الناحية لأنها صغيرة^(٥٠) ، ولم يقبل عمرو ، وتوجه عن طريق پنج آب ، وتحرك اسماعيل ايضا نحوه ، وعبر النهر ، واستقر في مواجهة الخراسانيين ، واتجه عمرو بجيش جرار لم يتيسر له من قبل ، ولم يكن هناك مجال للعودة ، ومنى جيشه بهزيمة في أقل فرصة ، وفي أثناء الهزيمة قالوا لعمرو : « المصلحة هي أن تعود أنت من طريق ملتو » ، ولكن عمرو قاد الجيش في طريق مستقيم ، ودخل غابة ، وتعيب جواده تماما ، ورحل نفر قليل كانوا معه وتركوا خدمته ، وكان جماعة من جيش اسماعيل يتقبون ، فقبضوا عليه^(٥١) .

وورد في بعض التواريخ أن اسماعيل الساماني ، قد عبر بعشرة آلاف فارس لمحاربة عمرو بن الليث ، بتحريرىض وغواية الخليفة المعتضد — الذى لم يكن مرتاحا لعمرو بن الليث ، وتوجه عمرو إليه بسبعين ألف فارس ، وعندما اصطفا نزل جواد عمرو — الذى كان متهورا جدا — الميدان وأوصله إلى صفوف الاعداء ، وبدون إراقة دماء هُزم ، ومُنى رجال عمرو بالهزيمة ، وجبوا عمرا في الخيمة ، وتركوا أحد الفراشين على عمرو ، فطلبه عمرو ، وقال : أعد لى طعاما وأحضر الفراش الطعام ، ووضعه فى سطل الجواد ، واشعل تحته النار ، وذهب ليحضر الحاجة وجاء كلب ، ووضع رأسه فى السطل ، فأحرقته النار ، فاسرع باخراج رأسه ، وتعلقت حلقة السطل فى رقبته ، وجرى ، وحمل السطل ، فضحك عمرو من هذا المنظر ، وقال له أحد الخدم : لماذا تضحك ؟ قال عمرو : لأن الطباخ شكالى اليوم ، بأن ثلاثمائة^(٥٢) بعير لا تستطيع حمل أدوات مطبخه وها هو كلب يحملها^(٥٣) .

ويقول بعضهم أنه : عندما احضروا عمرو بن الليث عند اسماعيل ، قبل اسماعيل وجهه وقال : أنت أخى العزيز ، وأعطاه خلعة فاخرة ، ولن أؤذيك ، وعندما عاد إلى ماوراء النهر ، حمله معه إلى هرات ، وارسل رسولا إلى دار الخلافة بعد أسر عمرو بن الليث ، وذكر أحواله ، قال الخليفة المعتضد : « الرحمة لاسماعيل واللعنة على عمرو » ، وارسل

الرسول بعد ذلك إلى اسماعيل ليسلمه عمرا ، وسلم اسماعيل عمرا لرسول الخلافة ، وعندما بلغوا بعمر ونواحي بغداد ، اركبوه على جمل ، وأدخلوه المدينة (٥٤) ، وعندما رآه المعتضد قال : « شكرا لله الذي أوقعك في يدي ، وكفانا همك (٥٥) » ، وأمر على الفور ان يحملوه إلى الحبس ، وهناك اختلاف في نهاية أمره .

قال بعضهم (٥٦) : إن المعتضد حين الوفاة ، أرسل قائدا ليقتله ، وقال آخرون : إنه في أثناء مرض المعتضد لم يتذكروه ومات جوعا ، وبرواية : أنه عندما كان الخليفة في حالة النزاع ، وأدرك صاحب الحرس أن المعتضد ميموت في تلك الفترة ، لم يلوث ذيل عصمته بدمه ، وعندما تربع المكتفى على سرير الخلافة ، سأل عن حال عمرو قالوا : حى ، سر — لما كان قد رآه من كرمه وفضله — وأراد ان يعرضه عن ذلك بالاحسان والرحمة ، وعندما علم الوزير القاسم أن المكتفى سيعتني بعمر وبين الليث ، ولما كان يحمله له من عداء ارسل أشخاصا ليقتلوا عمرا ، وقالوا للمكتفى : لما كنا نعتقد أن عمرا في زمرة الأحياء وكنا نتفحصه وجدنا خلاف ذلك (٥٧) .

ومستطور في تاريخ بناكتى أن مدة حكمه ثلاث وعشرون سنة (٥٨) ، ومن آثار عمرو : مسجد في شيراز ، وقد ذكروا أن من عادات عمرو بن الليث ، أنه كان يطعم غلمان الصغار ويربهم كما ينبغي ، وعندما كبروا ، يهبهم للأمراء ، ولا يكف عن رعايتهم حتى يقوم هؤلاء المماليك بإبلاغه خفية أحوال مالكيهم ، ولما كان الأمراء يجهلون أمر الغلمان ، كانوا يظنون أن جماعة من الجن تلازم ملكهم ، ويخبرونه باحوالهم خفية ، ولهذا السبب كان الأمراء يحتاطون ، وكان عمرو أعورا ، وكان قاسيا على عامله جدا .

ذات مرة غضب على أبى الحسين في فارس ، وقال : « أيها المملوك بع جميع املاكك وسلمنى ثمنها » ، فقام العامل بما أمر به ، فعاد عمرو وقال : « عليك ان تعطينى في ثلاثة أيام مائة الف درهم ، والا أمرت أن يطيحوا برأسك » ، فأرسل أبو الحسين شخصا إلى أبى سعيد الكاتب ، والتمس أن يضمه حتى يتخلص من حبسه ، ويعمل على اداء ما عليه ، وضمن أبو سعيد أبى الحسين ، وأخرجه من الحبس ، وكلما سعى لجمع المبلغ المطلوب لم يستطع وبعد ثلاثة أيام ، توجه إلى أبى سعيد ، وأبدى عجزه ، وقال : لقد جئت لتسلمنى للوكلاء ، وارسله إلى الحبس وعلم عمرو بهذه القضية ، قال : لا أعرف هل أتعجب من ضمان أبى سعيد الكاتب أم من عودة أبى الحسين (٥٩) ، وخط بقلم عفوه على جريمة أبى الحسين . وأطلق سراحه .

ويروى أن عمرا كان أحيانا يضع جلود الخرفان خالية على الابل ، ويحملها معه في المعسكرات ، ولا يعلم أحد قط ما الحكمة من ذلك ، وفجأه سبار في طريق غير مطروق وتوجه

إلى أهل العصيان ، واعترضه في هذا الطريق نهر لا يمكن عبوره ، فأمر عمرو أن يملأوا الجلود بقطع حجارة صغيرة ، وأن يلقوها في هذا النهر حتى يحقق هدفه ، وألقوا ترابا كثيرا ، وظهر طريق في وسط النهر ، وعبر عمرو والجنود عليه .

و يقولون : إنه لم يكن هناك من حجاب وخواص عمرو أفضل من محمد بن بشير ، قال له عمرو يوما : جراثمك كثيرة وبدأ يعدها ، واقسم محمد بن بشير على الفور بالأيمان الغليظة بأننى ليس لدى أكثر من خمسين صرة ذهباً ، وسأودعها الخزينة ولا حاجة لى بها حتى لاتهمنى بجرائم لم افعلها ، أجابه عمرو : ليس هراء قط أنت بكامل عقلك ، وسلم محمد بن بشير النقود للخازن فسر منه عمرو (٦٠) .

وذكروا أن عمرا قد أمر جيشه ذات يوم بأن يعرضوا عليه اسلحتهم ودوابهم ، وجلس في صحراء ، وكان الجنود يمشون أمامه وأحدا تلو الآخر ، فيتفحص أى السلاح أفضل ومدى قوته ، واثناء ذلك ركب شخص من الجنود جواداً ضامراً ، ومهم أمامه ، قال عمرو : عجباً لقوم يسمنون مقاعدهم كالنساء ويضمرون الجياد ، فنزل الجندي عن الجواد وضرب ركبته : وقال : ان الله اعطانى مقعداً إمراًه ليكون مرتبة على هذا الجواد الأكثر ضموراً ، فان لم تصدقنى فأنا أهينه ، فضحك عمرو من هذا الحديث ، واكرمه وأحسن اليه (٦١) .



طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار

عندما أسر عمرو بن الليث بيد القضاة ، أجلس أمراء وأعيان دولته طاهر ، على كرسى الملك في سيستان ، فتوجه بجيش جرار إلى فارس ، فخرج عامل الخليفة منها ، وتوجه إلى الأهواز ، وأرسل الخليفة عبد الله بن فتح إلى اسماعيل الساماني بهدايا وتحف ، وأتمس منه ارسال جيش لصد طاهر ، فأرسل اسماعيل رسالة إلى طاهر مضمونها : « إن الخليفة أعطاك سيستان فاتجه إلى عملك » (٦٢) .

عندما اطلع على مقصود الرسالة ، سلك طريق سيستان واقام بها ، وأرسل طاهر الهدايا إلى اسماعيل ، وأتمس منه أن يطلب من الخليفة ، أن يعطيه بعض ممالك آباءه واجداده ، وقبل اسماعيل هدايا طاهر ، وأرسل رسولا بالتماس طاهر إلى دار الخلافة ، وقدم ما ارسله طاهر من هدايا ، وقبل الخليفة شفاعة اسماعيل ، وأرسل رسالة من انه : « لو أرسل أحد عمالنا مائة أمثال ما أرسله طاهر مانال رضانا » ، وأرسل الخليفة إلى طاهر رداء مذهباً ومعاودة ، وتوجه طاهر إلى شيراز (٦٣) .

وفي ربيع الأول سنة ٢٩٣ هـ توجه أبو قابوس (٦٤) أحد أمراء طاهر مع جمع غفير إلى بغداد، لأن طاهر مال إلى اللهو والمرج والصيد، وتوجه إلى سيستان، وجاء الليث بن علي ابن الليث الصفار وسنكري (٦٥) غلام عمرو بن الليث إلى شيراز، وحدثت مشادة بينها وبين أبي قابوس، وأهانا أبا قابوس، فاستاء وتوجه إلى بغداد (٦٦)، فخلع الخليفة الخلع الغالية عليه وعلى رفاقه، وبعد ذلك كتب طاهر رسالة إلى الخليفة تضمنتها «إن أبا قابوس قد استولى على أموال كثيرة من المقاطعة، فأرسله إلي أوخذ منه الأموال»، فلم يرد عليه الخليفة ولم يعره انتباها (٦٧).

وفي سنة ٢٩٦ هـ حدثت فجوة بين طاهر وسنكري غلام عمرو وجماعة، انتهت بالمحاربة وغلب طاهر، وأسر سنكري طاهرا وأخاه يعقوب (٦٨)، وأرسلها إلى بغداد، وانتهت فترة حكم طاهر أيضا، ومكتوب في تاريخ بناكتي أن فترة حكمه ست سنوات (٦٩)، وبعد أسر طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار، حكم الليث بن علي بن الليث الصفار وأخوه معبد عدة أيام (٧٠)، ولكن لما كانت الدولة الصفارية قد اوشكت على الزوال فإنها أسرا أيضا وحُملا إلى بغداد.



خروج عمرو بن يعقوب بن محمد بن عمرو بن الليث الصفار في سنة ٣٠٠ هـ

أبدي السيستانيون العداة لأحمد بن اسماعيل الساماني، وسبب ذلك هو أن محمد بن هرمز السيستاني الخارجي (٧١) - الذي كان في بخارا، كان قد ذهب ذات يوم إلى أبي الحسين علي بن أحمد صاحب العرض «عارض» (٧٢) وطلب منه رزقه وقال له أبو الحسين: «إن ضعف شيخوختك لا يثاسبها إلا الانزواء بناحية، وإن تهتم بالعبادة»، وغضب محمد بن هرمز من هذا الكلام واتجه إلى سيستان، وقال للجماعة من خوارج سيستان: إن مهمتنا أن نطرد منصور بن اسحق الساماني من المدينة، ونأمر شخصا من نسل الصفاريين، لأن حكومة سيستان من حقهم، ورضي الخوارج، وبايع محمد بن هرمز عمرو بن يعقوب، واتفقوا مع محمد بن عباس الذي قال: أنه صفاري، وكان رئيسا للخوارج وفي غاية الشجاعة والجرأة، وأبدي عمرو الخروج، وأسر منصور بن اسحق الساماني، وحبس في قلعة ارك، وقرأوا الخطبة في ولاية نيمروز (٧٣) باسم عمرو بن يعقوب (٧٤).

علم أحمد بن اسماعيل بهذه الحادثة، فأرسل حسين بن علي بجيش لصد هذه الفتنة وتوجه حسين، وحاصر سيستان تسعة أشهر، وأثناء ذلك توفي محمد بن هرمز، واضطر

عمرو بن يعقوب وابن الحفار طلب الأمان ، وخرجا ، واطلقا سراح منصور بن اسحق ، وقرب حسين بن علي بن الحفار ، وأمر الأيمنه الحجاب والحراس إذا ما أراد أن يتوجه إلى البلاط ، وفي تلك الأثناء قصد ابن الحفار قتل حسين علي ، وعلم حسين بهذا الامر ، فقبض علي ابن الحفار ، وعندما علم احمد بن اسماعيل ، أن سيستان قد فتحت ، أقام سيمجور دواتي علي حكومتها ، واستدعى حسين بن علي ، وحمل حسين عمرو بن يعقوب وابن حفار معه إلى بخارا ، ودخلت مملكة نيمروز مرة أخرى في حوزة السامانيين (٧٥) ، وظلت الخطبة باسم السامانيين حتى عهد ظهور خلف بن أحمد .



حكومة خلف بن أحمد

ذكر بعض المؤرخين أن خلفاً كان حفيداً ليعقوب بن الليث ، ويقول ابن الأثير (٧٦) : أن أم خلف هي ابنة عمرو بن الليث ، ويجب أن يكون تصديقاً لهذه الرواية أن يكون أحمد والد خلف ابناً ليعقوب ، ولكن مامن مؤرخ قال : انه كان ليعقوب ابناً ، و يروى عن بديع الهمداني (٧٧) في قصيدته اللامية ، أنه قد نُسب خلف للملكين يعقوب وعمرو .

على كل حال فإن خلف بن أحمد كان متصفاً بكمال العلم والفضل والكرم والسخاء ومحبة العلماء ومودة الفضلاء ، وقد مدحه الشعراء بقصائد غراء ، يقول أبو الفتح البستي (٧٨) انسى كنت قد نظمت ثلاثة أبيات في مدح خلف ، ولم أكن أقصد أن أسمعه إياها ، ولكن هذه الأبيات وصلت إلى سمعه الشريف من الأفواه ، فأرسل لي جائزة ثلاثمائة دينار .

وفي سنة ٣٥٣ هـ توجه خلف بن احمد إلى الحج ، وأتاب طاهر بن حسين الذي كان من اقربائه على سيستان (٧٩) ، وعندما استعظم طاهر شراب الحكومة ، لم يدع خلف يعود من مكة إلى سيستان ، فعاد إلى بخارا ، وطلب المساعدة من منصور بن نوح الساماني ، وتوجه بجيش جرار إلى سيستان ، ولما لم يكن لدى طاهر طاقة لمقاومة جيش بخارا ، فر إلى اسفرار واستولى خلف على مملكته ، وأعاد جيش منصور .

وعندما علم طاهر بن حسين أن جيش ماوراء النهر ، قد عاد إلى وطنه ، توجه إلى سيستان ، والتحق خلف بمنصور الساماني ، وقدم له منصور شروط التعظيم والتكريم ، ومرة ثانية أعاد له اسباب السلطنة ، وقبيل وصول خلف إلى سيستان مات طاهر ، وحل محله ابنه حسين ، ووصل خلف اليه ، وتحصن حسين في المدينة ، وخلال الحصار قُتل خلق كثير من

رفع ملكية تاريخ وآثار دولة المماليك

من الطرفين ، وأخيرا ضاق الأمر بحسين ، فأرسل رسولا إلى بخارا ، وأرسل رسائل تدلل وخضوع ، وطلب الأمان ، فأرسل منصور إليه أمانا ، وأن يخرج ولا يتعرض له أحد من أتباعه ، وان يحملوهم جميعا إلى بخارا ، وعندما وصلت رسالة الأمان إلى حسين ، توجه مع أتباعه إلى بخارا ، وأحله منصور الساماني في كنف حمايته ورعايته .

وبعد أن مرت فترة على حكومة خلف بن أحمد ، أخذ يتعلل في أداء الواجب الذي كان قد قبل أن يؤديه سنويا إلى بخارا ، وغضب منصور الساماني من هذا الأمر ، فأرسل حسين ابن طاهر بجيش منظم لحربه ، ووصل حسين إلى سيستان ، وتحصن خلف في قلعة ارك وكانت من أحصن قلاع هذه المملكة ، وحاصر حسين القلعة مدة سبع سنوات ، ولما لم يحرز تقدما في هذه المهمة ، أرسل منصور الساماني أبا علي سيمجور - الذي كان واليا لخراسان من قبله - ليتكفل بأمر خلف ، ولما كانت هناك علاقة صداقة بين أبي علي وخلف ، نزل أبو علي بظاهر القلعة ، وأرسل شخصا خفية إلى خلف ، « من أن المصلحة تقتضي أن تنتقل إلى قلعة أخرى لكي اتعلل بالعودة ، ونفذ خلف التماس أبي علي ، وانتقل من قلعة ارك إلى قلعة طاق ، ودخل أبو علي القلعة ، وضبطها (٨٠) .

ومنذ ذلك الحين بدأ الخلل يسرى في ملك السامانيين ، ذلك لأن الأمراء لم يقدموا شروط الخدمة كما يجب وكما ينبغي ، وطمع ملوك الأطراف في مملكتهم .



ذكر ما حدث بين خلف بن أحمد والأمير ناصر الدين سبكتكين وابنه سيف الدولة محمود

ذات مرة توجه الأمير ناصر الدين لغزو الهندوستان (٨١) ، وظلت بست خالية من وجوده الشريف ، فاغتم خلف بن أحمد الفرصة ، وجاء إلى بست (٨٢) ، وأخذ خراج عام ، وترك جماعة لحراسة هذا المكان ، وعاد إلى سيستان ، وعندما عاد الأمير ناصر الدين (٨٣) من ممالك الهند خرج عمال خلف من بست ، واستشاط الأمير ناصر الدين غضبا من هذه الوقاحة ، ولما كان خلف بن أحمد يدرك أنه لا طاقة له بالقتال ، فأرسل مال بست وتحف كثيرة إلى الأمير ناصر الدين ، واعتذر ، وقبل الأمير ناصر الدين عذرة ، وعفا عن جرائمه .

ومرة أخرى وقعت بينه وبين الأمير سبكتكين وخشة ، ولكن أبا الفتح البستي أطفأ نار غضب الأمير سبكتكين بزالال الموعظة ، عندما توجه خلف بن أحمد إلى كرمان ، وبسبب كثرة أموالها ، استولى هوس استخلاصها على نفسه ، ولكنه لم يجرؤ على فعل ذلك بسبب

ما كان بينه وبين عضد الدولة من عهود ومواثيق ، وبعد وفاة عضد الدولة (٨٤) ، انشغل صمصام الدولة بالحكومة في شيراز ، فأرسل خلف بن أحمد ابنه عمرا بجيش إلى كرمان ، ووصل عمرو فجأة إلى هذه الولاية ، اضطرت تيمور تاش (٨٥) واليها من قبل الديلمة إلى الفرار ، وذهب إلى برده سير (٨٦) ، وعلم صمصام الدولة بهذا الأمر ، فأرسل أبا جعفر بجيش ، وأمره أن يأسر تيمور تاش ، لما كان قد وصل إلى سمعه ما بينته وبين بهاء الدولة من صحبة ومودة ، فقد سار أبو جعفر ثمانية عشر منزلاً إلى برده سير ، وأسر تيمور تاش بالحيلة والتدبير ، وحبسها ، وأرسله إلى شيراز ، وتوجه لمحاربة عمرو بن خلف ، وتحرك عمرو من مكانه ، والتقى الفريقان (٨٧) ، وبعد القتال والجهد ، انهزم أبو جعفر .

وعندما سمع صمصام الدولة هذا الخبر ، أرسل عباس بن أحمد بجيش من المحاربين الأشداء ، لمحاربة عمرو ، وأسرع عمرو أيضاً لاستقبال عباس ، والتقى الفريقان في حدود سيرجان (٨٨) ، وفر عمرو مهزوماً ، وأسر أكثر أمرائه ، وعندما قرع عمرو ووصل إلى سيستان ، غضب خلف ، ولامه ولم يكشف بذلك بل أمر بأن يحبسوا عمرا ، وبعد عدة أيام ، قُتل الإبن ، وقام بغسله وصلى عليه ، وأمر أن يدفنه في قلعته .

وبعد فترة قصيرة عزل صمصام الدولة عباس عن حكومة كرمان ، وأرسل هرمز لضبط هذه البلاد ، وخاف خلف بن أحمد ، من أن يتعرض استاد هرمز لولايته ، وبناء على ذلك أرسل رسالة إلى استاد هرمز ، وبالغ في وضع أسس المصالحة ، وبعد ذلك أرسل خلف بن أحمد أبا يوسف قاضي سيستان . وكان فاضلاً وصالحاً ومتعبداً ، ويعتقد فيه جميع أهالي المملكة ، أرسله برسالة إلى استاد هرمز ، ليقر أمر الصلح ، وجعل بصحبة القاضي أحد خاصته أهل الثقة ، وأعطاه قدواً من السم ، وقال له : اسق القاضي هذا السم بعد مقابلته مع استاد هرمز ، وأفشى بين الناس أن استاد هرمز قد قتل القاضي (٨٩) .

وعندما وصل هذا الذي لأخلف الله عليه — بموجب وصية خلف — إلى كرمان ، وقام بهذا العمل الكريه ، وركب على جمازة ، وجاء إلى سيستان ، وأكد صورة الحال على الوجه — الذي لقن به ، وجمع خلف أعيان مملكة نيمروز وقال : يجب أن تطلبوا دم القاضي من الديلمة وعليكم ألا تتوانوا في هذا المجال ، وصاح أهالي سيستان ، وقالوا : سمعاً وطاعة ، وأرسل خلف ابنه طاهر مع جمع غفير من أهالي هذه الولاية إلى حدود كرمان ، وسار معظم الجيش إلى كرمان في ذلك الحين إلى تيرماه سير (٩٠) ، وتوجه طاهر إلى هذه الناحية ، وحارب الديلمة ، وانتصر جيش سيستان ، واتجه الديلمة إلى برده سير (٩١) ، وحاصروهم طاهر ، واستاء الديلمة فأرسلوا رسالة إلى هرمز مضمونها : « إذا وصلنا مددك فيها ، وإلا سنسلم برده سير » ، وتوجه استاد هرمز إلى برده سير لدفع هذه الكارثة ، وعندما اقترب من هذا المكان ، رحل السيستانيون إلى ولايتهم (٩٢) .

وبعد ذلك قاد يمين الدولة محمود سيكتكين الجيش إلى ولاية سيستان (٩٣) ، وسبب ذلك هو أنه عندما كان يمين الدولة محمود قد توجه إلى ماوراء النهر ، وترك عاصمة خراسان خالية ، أرسل خلف طاهر إلى قهستان ، وتوجه طاهر من هناك إلى خراسان ، وأدخل قوشنج (٩٤) في حوزته ، وكانت حكومة قوشنج وهرات في تلك الفترة ، تتعلق بفراجق عم السلطان محمود الغازي ، وعندما عاد السلطان الغازي من المعسكر ، طلب بفراجق الإذن بأن يخرج طاهر من مملكته المحرومة وأخذ الإذن ، وتوجه إليه ، وخرج طاهر من قوشنج واصطف للقتال ، وبعد القتال والجدال ، إنهم طاهر ، وتعقبه بفراجق وقتل اتباعه ، واستولى على امتعته ، ولما كان قد شرب عدة كئوس فأصابته بالغرور ، وغفل عن اليقظة والحذر ، وفجأة هجمت الجياد ، واندفع الرجال لأن طاهر قد عاد ، ووصل بفراجق وطرحه أرضاً بضربة سيف في ظهره ، وانزله عن دابته ، وفصل رأسه عن جسده ، وركب جواده ، وتوجه إلى قهستان .

ومن اسباب استيلاء السلطان محمود ايضاً ، هو انه قد وصل إلى مسامعه العالية ، أنه عندما وصل خبر وفاة الأمير ناصر الدين سيكتكين إلى آذان خلف بن احمد ، أظهر السرور وتمثل بهذا البيت :

فقل للذي يبقى خلافة الذي مضى تجهز لأخرى مثلها فكان قدى

عموماً عندما تهيأ اسباب معسكر السلطان للتوجه إلى سيستان ، توجه في شهر سنة ٣٩٠ هـ إلى هذه الناحية ، فتحصن خلف في قلعة اصفهيد التي خيم في ذيل حضيضها ، وكانت نجوم الوحشة حوله ، وأهتم السلطان محمود بحصاره ، ولم يقر لخلف قرار في هذه القلعة ، ولم يجد مفراً من التضرع والخشوع (٩٥) ، وتوسل وقدم مبلغ مائة ألف دينار ذهباً أحرأ وتحفياً وهدايا أخرى للاعتذار ، وكلما أراد السلطان تحرير مملكة نيمروز واستصفاء هذه النواحي لكن في تلك الفترة وبناء على المصلحة توجه إلى بلاد الهند بنية الغزو الذي كان يداعب خاطره .

وفي سنة ٤٠١ هـ (٩٦) توجه طاهر بن خلف إلى كرمان ، وسبب ذلك هو أنه قد ظهر نزاع بين خلف وابنه طاهر بعد رحيل السلطان عن سيستان ، وأبدى طاهر عصيان والده ، ووقعت بينها حروب وغلب طاهر ، وتوجه إلى كرمان ، وعندما وصل إلى ديارها ، قال المستشارون لأبي موسى (٩٧) حاكم هذه البلاد من قبل بهاء الدولة بن عضد الدولة : من أنه ليس لدى طاهر قوة ، ويجب أن تسمى لدفعه قبل أن يقوى ، ولم يهتم ابو موسى لقولهم ، وأهمله ، واجتمع خلق كثيرون في ظل راية طاهر ، وبعد اجتماع جيش طاهر عاد إلى قهستان ، وقام بلوازم راحتهم ، وعندما اكتمل جيشه ، اتجه إلى جيرفت وأراد ان يدخل باقى

ولاية كرمان تحت سيطرته ، وجاء أبو موسى بجمع كبير من الديلمة ، لمحاربة طاهر ، وبعد التقاء الفئتين انهزم الديلمة ، وسخر طاهر جميع بلاد كرمان ، وعندما سمع بهاء الدولة هذا الخبر ، أرسل استاد هرمز مع جماعة من هناك لدفع هذه الكارثة بتلك النواحي ، وتوجه استاد هرمز إلى طاهر في « بم » حيث كان معسكره ، ولكن طاهر توجه إلى سيستان دون استعمال لآلات الحرب ، وعندما وصل إلى تلك النواحي قال لأعيان الديلمة - الذين كان قد أسرهم وحبسهم - إذا ساعدتموني لطرد خلف من المملكة سأسمح لكم بأن تذهبوا إلى بلادكم واتفقوا معه ، وقاتلوا قتالا شديدا ، وهزموا خلف ، وتحصن باحدى القلاع وأغدق طاهر على الناس في حياتهم وكلما أرسل خلف لهؤلاء الأشخاص ليدعوهم ، فلا فائدة ، آخر الأمر سلك طريق الحيلة والمكر ، فأرسل رسالة إلى طاهر من انه ليس لى ولد إلا أنت وأخشى أن أموت وتسقط أموالى في يد الأعراب ، فيجب أن تأتى إلى وحدك لأورينك إياها ، ولم يكذب طاهر وعد خلف ، وأرسل إلى الوالد : إننى سأحضر فى الوقت الفلانى إلى جوار القلعة ، فأجلس خلف جماعة فى كمين ، وعندما أتى طاهر إلى جوار القلعة ، خرج خلف منها ، واحتضن ابنه ، وبكى ، وخرج القوم من الكمين ، وقبضوا على طاهر ، وقيدوه حسب الأوامر ، وقتله خلف أيضا بيده وغسله وكفنه ، وهذه الحكاية مسطورة فى ترجمة يمينى (١٨) بشكل آخر ، وما هو مذكور فى هذا التاريخ هو أنه اثناء عودة السلطان محمود من الهند ، أجلس خلف بن احمد ابنه طاهرا على عرش الحكومة وسلمه مفاتيح الخزان وترك له مقاليد الممالك ، وانزوى واهتم بالعبادة ، وتمسك بالتنسك ، واستغفر الله حتى يستطيع بهذه الحيلة أن يتخلص من بأس وقوة السلطان ، ولما مرت مدة على ذلك ندم على ترك المملكة وتجنب منصب الحكومة ، وتحايل وتمارض ، واستدعى ابنه لتجديد الوصية والاطلاع على الخفايا والخبائيا ، وأجلس طائفة من خواصه فى كمين حتى يتخفوا حين وصوله وعندما حضر طاهر إلى خندق ابيه ، قبض أهل الخندق على طاهر وأطبقوا عليه ، وادعوه طمرا وأخرجوه بعد عدة أيام من محبسه ميتا ، وقالوا : إن طاهر قد قتل نفسه من شدة الحزن .

وعندما رأى طاهر بن زينت وأمراء وقواد آخرون هذا الحال استقرت ضمائرهم على مخالفة خلف ، وأبدى رؤساء الجماعة العدا ، وتقدمت جماعة المخالفين ، واستولوا على دار إمارة خلف ، وشرفوا السكة والخطبة باسم ولقب السلطان محمود الغزنوى ، وأرسلوا التماسا إلى السلطان ، وأخبروه بكل الأحوال ، وطلبوا أن يتوجه بالرايات العالية إلى هذه الناحية وحقق السلطان رغبتهم ، وصمم على حسم فتنة خلف ، وكان خلف بن أحمد فى تلك الأثناء مقبيا بقلعة طاق ، وكانت أسنة هذه القلعة تصل إلى أوج الفلك ، وحولها خندق عميق ، وعندما خيم

السلطان بظاهر قلعة طاق ، وقام الجنود الطافرون في أقل فرصة بل في يوم واحد
و بموجب الفرمان بردم الخندق المحفور بالتراب حتى امتلأ ، وظهر طريق للمشاة
والفرسان ، وتقدمت خيول وافيال السلطان للهدم ، وأجهوا تلك القلعة ، وعقدوا
العزم على استخلاص قلعة طاق وتقدم اصحاب خلف بقدم مرتجفة ، وتقدم فيل
كانت معظم الأفيال تهابه ، ورمى شرر الاشتعال في الهواء ، وتلف جمع من أعوان
وانصار خلف ، وفربقية الناس إلى القلعة الداخلية ، ورفعوا درع الوقاية ، وتقدموا
للحرب ، وخرج خلف لمشاهدة ومطالعة هذه الأحداث من مكانه ، ورأى أن
الساحة قد امتلأت بعفاريات الإنس وشياطين البشر ، ورأى أن نفس هذا الفيل
يواجه فارسا ، ويمسكه بخراطومه من ظهره و يرميه في الهواء عاليا بحرسته ، وعندما
هوى رفعه بأسنانه في الهواء من وسطه ، وألقاه هلى باب القلعة ، وكاد خلف أن
يجن عند مشاهدة هذا الأمر ، وكادت روحه تخرج من جسده من شدة الخوف
والفزع ، واضطر إلى الصياح وطلب الأمان ، وأمنه السلطان تكريما منه لما جُبل
عليه من طهارة الطينة ، وغمد سيف الانتقام في غمده ، وفتح خلف يد الجوائز
والمواهب والعطايا ، وألقى بنفسه تحت جواديين الدولة محمود ، ولقبه بالسلطان ،
وسرىميين الدولة جدا من هذا اللفظ وفرح .

وبعد ذلك صقل خلف محاسنه بتراب البلاط ، ونثر الدر والجواهر التي غلب
شعاع بريقها نور الشمس ، وبالغ في طي كتاب العتاب ونشر جناح العفو
والمغفرة ، ولم يدع السلطان لحظة في إكرام وتبجيل خلف ، واختصه وخط بقلم
الهنسيان على سوابق الإجرام ، وأمر ان ينقل خزائن وذخائر القلعة إلى أى مكان
يشاء ، ويخير خدمه في المسكن والمقام حتى يتوطن في أى مكان يشاء من ممالك
السلطان ، ليقضى حياته طبقا لما يشاء ويريد ، وقد اختار جرجان^(٩٩) بسبب
مناسبة هوائها ومائها ، وارسل السلطان خلف إلى هذه الناحية معززا مكرما ،
وقضى أربعة أعوام لاهيا ليل نهار ، وبعد ذلك ظهرت رسالة كان قد كتبها إلى
ايلك خان ، فارسله السلطان من أجل المصلحة إلى قلعة من القلاع ، وظل بهذه
القلعة حتى لبي دعوة الحق وأمر السلطان أن يقدموا تركته لابنه أبى حفص .

وقد ورد في ترجمة يمينى^(١٠٠) هذه العبارة : ان أمير خلف كان من أكابر
ملوك الدنيا معروف بالكرم والسخاء وكمال الفضل ووفور المجد والجلال والإنعام

على أهل العلم وإرباب الأدب ، مدحه شائع عند شعراء الدنيا ، وما أثره في أفواه
الخاص والعام ، جمع علماء العصر وفضلاء الدهر ، ليفسروا القرآن المجيد والكلام
الأزلي للبارئ جل جلاله وعظم قدره وكماله تفسيراً مشتملاً على أقوال
المفسرين وتأويل المتقدمين والمتأخرين وبيان وجوه قراءة القرآن ، وعلل النحو
واشتقاق الالفاظ المليئة بالشواهد والأمثال والأبيات وإيراد الأخبار والأحاديث
الشائعة ، وقالوا : إنه انفق عشرين ألف دينار ، يعني عشرين ألف مثقال ذهباً
أحمر على المؤلفين والمصنفين للكتاب ، وهذا التفسير كان محفوظاً بمدرسة الصابوني
بنيشايور حتى حدثت حادثة في شهر سنة ٥٤٥ هـ ، وهذه النسخة بتمامها
وكاملها الآن في اصفهان بين كتب آك خجند متع الله المسلمين ورحم الماضين .

وقد استأنس هذا الضعيف المصنف المترجم أبو الشرف ناصح (١٠١) برياض
هذا التفسير واقتبس من أنوار نكهته ودقائقه أثناء إقامته فترة بأصفهان راحلاً عن
وطنه ، وهذا الكتاب مائة مجلد ، وعلى كل حال فإن الإنسان يقضى كل عمره في
نسخه ، ودراسة هذا لا يمكن إلا بسنوات طوال ، هذا وقد انتهى حديث مصنف
ترجمة يميني في مجال خلف بن أحمد (١٠٢) والسلام .



حاشية الدولة الصفارية

- (١) يعقوب بن الليث بن معدل (گریزی ١٠)
- (٢) مبيض نحاس (شتایجس ٥٩٨) صفار (المسعودی ٢٠٠/٤) وكان الليث ابن صانع نحاس وعندما رأى في نفسه نخوة لم يهتم بمهنته ، وسلك طريق العيارية ، وقطع الطريق ، واستولى على خزانة درهم بن نصر بن رافع بن الليث ابن نصر بن نسيار وحمل مالا لا حصر له (تاریخ گزیده الحمد لله المستوفی ٢)
- (٣) ورد اسم يعقوب وعمرو فقط (گرديزی ١٤ - ١٤ ، ابن الأثير ٣٣٨/٥)
- (٤) كان يعمل اجيرا براتب شهري خمسة عشر درهما (گرديزی ١٠)
- (٥) صالح المطوعي (ابن الأثير ٣٣٧/٥) - شذرات الذهب ١٥٠/٢ صالح بن النصر بن مالك (سجستان بين العرب والفرس ٢٥١)
- (٦) ورد أن يعقوب قد خرج على صالح ونصر ولدى درهم بن نصر ، واستولى على بعض ولايات سيستان (تاریخ گزیده ٤)
- (٧) انظر الكامل في التاريخ لابن الاثير ٣٣٨/٥
- (٨) ورد ضمن احداث ٢٤٨ أنه توجه من سجستان إلى هراه (الطبري ٢٥٥/٩)
- (٩) وردت ضمن احداث سنة ٢٥٥ هـ (الطبري ٣٨٢/٩)
- (١٠) بوشنج (گرديزی ١٢ ، ابن الاثير ٣٣٨/٥) وقيل استولى على كل سيستان (حمد الله المستوفی ٥)
- (١١) اهدى له هدية جميلة منها عشر بازات بيض و بازابلق صيني (ابن الاثير ٣٤١/٥) وجه يعقوب إلى المعز دواب وبزاة ومسك هدية (الطبري ٣٨٦/٩)
- (١٢) نوع من الكيسال والميزان يختلف من عصر إلى آخر ومن اقليم إلى آخر (شتایجس ١٣١٦) وحدة قياسية للوزن مختلف في تقديرها (الترشحي هامش ص ١١٣)
- (١٣) كان المعز قد جعل على بن جمين بن شبل والي فارس حاكما على كرمان ايضا ، وتباطأ على في ارسال خراج فارس فكتب المعز إلى يعقوب بن الليث بولاية كرمان ايضا ، وكان كل منها يظهر طاعة لاحقية لها ، والمعز يعلم ذلك ، وسبق يعقوب على بن الحسين إلى كرمان وحكمها (ابن الأثير ٣٤٠/٥) وقيل أرسل على طوق بن المغلس (الطبري ٣٨٢/٩)

- (١٤) وظيفة بمثابة مشير أوزير (انظر شتايجس ٧٧٦) .
- (١٥) كان علي بن المستعين حاكما على فارس ، وقد ارسل طوق بن قيس من خوزستان لمحاربة يعقوب ، فهزمه واضره (حمد الله المستوفى ٧) .
- (١٦) ولاء الموفق بلخ وطخارستان وسجستان والسند (ابن الاثير ٣٦٣/٥) .
- (١٧) المنزل : مسافة ، مرحلة - رحلة يوم (شتايجس ١٣٢٦) .
- (١٨) بلخ : مدينة عظيمة من امهات بلاد خراسان ، بناها منوچهر بن ايرج بن افريدون كان بها معبد النوبهار ، اعظم بيت من بيوت الأصنام (آثار البلاد ٣٣١) .
- (١٩) كابل : مدينة مشهورة تقع بافغانستان (آثار البلاد ٢٤٣) وقد ارسل يعقوب عدة اصنام ذكر انه اخذها من كابل (الطبري ٤٧٦/٩) .
- (٢٠) صار يعقوب الى هراة ثم قصد نيسابور ، وحبس محمد بن طاهر واهل بيته (الطبري ٥٠٧/٩) .
- (٢١) عندما وصل يعقوب إلى معسكر حسن وجده خاليا (گردیزی ١٣) انتصر يعقوب على الحسين بن زيد الباقر (حمد الله المستوفى ٨) .
- (٢٢) آمل : مدينة بطبرستان (آثار البلاد ٢٨٦) .
- (٢٣) كان عبدالله السجزي ينازع يعقوب الرياسة بسجستان ، وقهره يعقوب فهرب الحسن بن زيد بطبرستان ، فسار اليه يعقوب سنة ٢٦٠ هـ (ابن الاثير ٣٧١/٥) .
- (٢٤) طاشتمر (الطبري ٥١٢/٩) .
- (٢٥) موسى بن بقا (الطبري ٥١٢/٩ - مروج الذهب ٢٠٦/٤ - ابن الاثير ٨/٦ - ابن كثير ٣٢/١١) .
- (٢٦) ارسل الخليفة منشور حكومة خراسان وجرجان وطبرستان والري وفارس وشرطة بغداد (ابن الاثير ٧/٦) خراسان وجرجان (الطبري ٥١٨/٩ - شذور الذهب ١٤٥/٢) .
- (٢٧) كان القتال في واسط ودير العاقول (الطبري ٥٢٢/٩ - گردیزی ١٤ - المسعودي ٢٠٠/٤ - ابن الاثير ٨/٩ - ابن كثير ٣٥/١١) .
- (٢٨) قال له الطبيب : لادواء لك إلا بالحقنة فامتنع منها (شذرات الذهب ١٥١/٢) .
- (٢٩) توفي في جندي سابور ١٤ شوال ٢٦٥ هـ (گردیزی ١٤) ٢٣ شوال ٢٦٥ هـ (المسعودي ٢٠٢/٤) ضمن احداث سنة ٢٦٥ هـ (الطبري ٥٤٤/٩ - ابن الاثير ٢١/٦ ، حمد الله المستوفى ٨ ابن كثير ٣٨/١١ - شذرات الذهب ١٥١/٢) .
- (٣٠) انظر مروج الذهب للمسعودي ٢٠٣/٤ .
- (٣١) شارة ، علامه توضع على الرأس أو الكتف ، وتصنع من معادن مختلفة منها الحديد والذهب والفضة .
- (٣٢) انظر مروج الذهب ٢٠٥/٤ .
- (٣٣) سنة ٢٦٥ هـ (الطبري ٥٤٥/٩ - گردیزی ١٥ - ابن الاثير ٢٢/٦ - ابن كثير ٣٨/١١) .
- (٣٤) شحنگی : رئيس الشرطة (شتايجس ١١٣٦) ورد انه تولى اصبهان وسجستان وكرمان والسند وشرطة بغداد وسامرا (الطبري ٥٤٥/٩) وقال حمد الله المستوفى تولى خراسان والعراق وفارس وكرمان وسيستان وقهستان ومازندران وغزنه (تاريخ گزیده ٨) أما الكامل فكان شرطة بغداد وسامرا (ابن الاثير ٢٢/٦) .
- (٣٥) دار السلام : بغداد بناها الخليفة المنصور على شاطئ دجلة (آثار البلاد ٣١٤) واطلق المنصور على بغداد دار السلام نسبة إلى نهر دجلة المسمى بنهر السلام أو نسبة إلى قوله تعالى « لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يصملون (يونس ٢٥) أنظر معجم البلدان لياقوت ٦٧٨/١ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١١/١ والعوامل التاريخية لنشأة المدن العربية الاسلامية لمصطفى عباس الموسوي ص ١٢٩ وما بعدها) .

- (٣٦) قزوين: مدينة كبيرة وعامرة وهي مدينتان احدهما في وسط الأخرى المدينة الصغرى تسمى شهرستان ، قيل بناها شايوردو الأكتاف وبنى الرشيد سورها وبين قزو بن والديلم جبل (الآثار ٤٣٤ - ٤٣٥) .
- (٣٧) الري: مدينة من مدن ايران الشهيرة - قيل بناها هوشنگ بن گيومرث وقيل بناها راز بن خراسان ولهذا فالنسبة اليها رازي (الآثار ٣٧٥) .
- (٣٨) اصطخر: مدينة بأرض فارس ، بها بيت نار عظيم للمجوس (الآثار ١٤٧) .
- (٣٩) توفي الموفق ٢٧٨ هـ (شذرات الذهب ١٧٢/٢ - ابن الأثير ٦٧/٦ وابن كثير ٩٣/١١) .
- (٤٠) عزل عمرو بن الليث ، وأمر بلعنه على المنابر سنة ٢٧١ هـ (الطبري ٧/١٠ - ابن كثير ٤٨/١١ - ابن الأثير ٥٨/٩) .
- (٤١) قيل احمد بن عبد العزيز بن أبي دلف (ابن الأثير ٥٨/٦) وقيل انه صاعد بن مخلد والأحداث سنة ٢٧٢ (المسعودي ٢٠٩/٤) ارسل الموفق صاعد بن مخلد ثم قبض عليه وارسل احمد بن عبد العزيز (الطبري ١١/١٠) .
- (٤٢) جرح الدرهمي مقدم الجيش عمرو ، وقتل مائة رجل ، وأسر ثلاثة آلاف (ابن الأثير ٥٨/٦) .
- (٤٣) كان الخليفة قد ولي محمد بن طاهر خراسان ، فاستخلف رافع بن هرثمة عليها (حمد الله المستوفى ١٠ - ابن الأثير ٥٨/٦) .
- (٤٤) محمد بن زيد العلوي أخو الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان (ابن كثير ٤٧/١١) .
- (٤٥) أمر الخليفة بطرح المطارد والأعلام والترسة التي كانت في مجالس الشرطة التي عليها اسم عمرو بن الليث (الطبري ١٠ / ١٧) كان عمرو بن الليث قد حارب عسكر الموفق سنة ٢٧١ هـ وهزم ، وعزم محاربة الموفق سنة ٢٧٤ هـ ولكن لم يحاربه (ابن الأثير ٦٢/٦) .
- (٤٦) في شوال سنة ٢٧٦ هـ (ابن الأثير ٦٦/٦) وقيل في المحرم (ابن كثير ٥٦/١١) وذكر ابن كثير ايضا انه كتب اسمه على الفرش والمقاعد والستور ثم اسقط اسمه وهزله وولى عبيد الله بن طاهر ، ثم رضى الخليفة على عمرو بسبب قتله لرافع بن هرثمة سنة ٢٨٣ هـ على يد ابي سعيد الدرفاني الذي قتله ، وقدم رأسه لعمرو الذي ارسلها إلى المعتضد بالله (الكامل ٧٥ / ٦) .
- (٤٧) كانت ماوراء النهر تحت سيطرة اسماعيل الساماني (الطبري ٦٧/١٠ - ابن الأثير ٥٨/٦ - تاريخ بخارى لفامبري ترجمة د . احمد الساداتي ٩٨) .
- (٤٨) حرص الخليفة عمرا لحرب السامانيين في ماوراء النهر (تاريخ بخارى لفامبري ١٠٠) ورد في أحداث ٢٨٥ هـ عزل اسماعيل بن أحمد عن ماوراء النهر وتولية عمرو (الطبري ٧٦/١٠ - ابن الأثير ٩١/٦ - حمد الله المستوفى ١٠) .
- (٤٩) ارسل عمرو بن شروان لحرب السامانيين فاسروه مع بشر ، ثم اطلق اسماعيل سراحها ، وحملها بالهدايا لعمرو (تاريخ بخارى لفامبري الترجمة العربية للساداتي ١٠٠/١٠١) واورد ابن الأثير وگردیزی ان محمد بن بشير قائد عمرو قد قتل (الكامل ٩٥/٦) (زين الأخبار ٥) .
- (٥٠) ارسل اسماعيل إلى عمرو « انك قد وليت دنيا عريضة وانما في يدي ماوراء النهر وانا في ثغر ، فاقنع بما في يدك واتركني مقيا في هذا الثغر (الطبري ٧٦/١٠ ابن الأثير ٩٥/٦ - ابن كثير ٨١/١١) .
- (٥١) ربيع الأول سنة ٢٨٧ هـ (گردیزی ١٩) جمادى الآخر ٢٨٨ هـ (تاريخ بخارى ١٠١) أحداث سنة ٢٨٧ هـ (ابن الأثير ٩٦/٦ - ابن كثير ٨٠/١١) .
- (٥٢) قيل ان ادوات مطبخة كان يحملها ستمائة رجل (ابن كثير ٨١/١١) .
- (٥٣) انظر تاريخ گزیده ص ١٢ .
- (٥٤) انظر الكامل ٩٦/٦ والبدایة والنهاية ٨١/١١ .
- (٥٥) مدح المعتضد اسماعيل وذم عمرا (الطبري ٧٧/١٠) قال الخليفة لعمرو: الحمد لله الذي ملكني منك وكفى شغلك (حمد الله المستوفى ١٤ - گردیزی ١٩) .

- (۵۶) ارسل المعتضد الخادم وقتله ، وبرواية نسيه ولم يطعمه فات جوعا (حمد الله المستوفى ۱۴) وقيل ان عمرا يوم دخل بخناد قتله المكتفى وقيل ان المعتضد قد أمر صافيا الخرمى بقتله ، فلم يفعل لعلمه بقرب وفاة المعتضد ، وكره قتل عمرو ، ولما وصل المكتفى بغداد سأل عنه قيل حى ، فسر ، واراد الاحسان اليه فكره الوزير ذلك فبعث من قتله (ابن الاثير ۱۰۱/۶ - ابن كثير ۹۵/۶۱) وقيل انه ظل بالسجن سنتين حتى قتل سنة ۲۸۰ هـ (تاريخ بخارى للنرشخى ترجمه امين عبدالمجيد بدوى ونصر الله مبشر الطرازى ص ۱۲۲) .
- (۵۷) مات سنة ۲۸۹ هـ (الطبرى ۸۸/۱۰ - گرديزى ۱۹ - ابن الاثير ۹۶/۶ ابن كثير ۹۵/۱۱ شذرات الذهب ۲/۲۰۲) .
- (۵۸) حكم اثنتين وعشرين سنة (حمد الله المستوفى ۸) .
- (۵۹) ابو الحصين - وردت القصة بالكامل ۹۶/۶ .
- (۶۰) آورد القصة بنفس المضمون گرديزى (زين الاختيار ۱۶) .
- (۶۱) اوردها ابن الاثير (الكامل ۹۶/۶) .
- (۶۲) غلبه اسماعيل (حمد الله المستوفى ۱۶) .
- (۶۳) عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس ، وحملت اليه خلع مع العقد (الطبرى ۹۸/۱۰) .
- (۶۴) ابو قاموس (روضة الصفا ۷) ابو قابوس (الطبرى ۱۲۱/۱) .
- (۶۵) سبكرى (الطبرى ۱۲۱/۱۰ - ۱۱۴/۶) .
- (۶۶) سبب الوحشة بين ابى قابوس وطاهر أن الأخير قد تشاغل باللهو فطلب الليث بن على بن الليث وسبكرى على الأمر فى فارس (تكملة تاريخ الطبرى لمحمد بن عبد الملك الهمداني ۱۹۷/۱۱ - ابن الاثير ۱۱۴/۶) .
- (۶۷) انظر الطبرى ۱۲۱/۱۰ ، صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبي من الجلد ۱۱ لتاريخ الطبرى ص ۳۵ - الكامل لابن الاثير ۱۱۵/۶) .
- (۶۸) يعقوب بن محمد بن عمرو (الطبرى ۱۴۱/۱۰ - ۱۳۵/۶) .
- (۶۹) حكم سنة وعدة اشهر (حمد الله المستوفى ۱۶) .
- (۷۰) بعد اسر طاهر بن محمد تولى سبكرى على فارس وسيطر الليث بن على على فارس فقاد الليث الجيش واستولى على فارس وقتل سبكرى ، وفى سنة ۲۹۸ هـ ، استولى احمد بن اسماعيل الساماني على سيستان وبها المعدل بن على واسر المعدل (الطبرى ۱۴۱/۱۰ - ۱۴۳ - ابن الاثير ۱۳۷/۶) حكم سيستان بعده طاهر حفيده احمد ثم انتقلت إلى ابنه خلف ، وبعد خلف حكم نصر بن طاهر بن خلف حتى سنة ۲۵۸ هـ (حمد الله ۱۶) .
- (۷۱) محمد بن هرمز المعروف بالمولى الصندلى ، وكان من اهالى سيستان واقام ببخارى وكان خارجى المذهب (ابن الاثير ۱۴۱/۶) .
- (۷۲) عارض ، مير عارض ، عرض لشكر ، عرض ممالك : اى المسئول عن الشؤون المالية للجيش (شتايجس ۸۲۹) .
- (۷۳) نيمروزهى نفسها سيستان (روضة الصفا ۱۸۶) .
- (۷۴) انظر ابن الاثير ۱۴۱/۶ .
- (۷۵) سنة ۳۰۰ هـ (ابن الاثير ۱۴۲/۶) .
- (۷۶) ورد بالمخطوط ابن اسير (روضة الصفا ۸ والصاباب ابن الاثير صاحب الكامل الذى اورد ان خلف بن احمد هو ابن بانوبنت عمرو بن الليث الصفار (ابن الاثير ۱۴۹/۷) واورد حمد الله المستوفى ان طاهر بن محمد بن عمرو كان له حفيد يدعى احمد ثم ابنه خلف وبعد خلف جاء نصر (تاريخ گزیده ۱۶) .

- (٧٧) بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات ، ولد بهمدان سنة ٣٥٨هـ ، تربي تربية ادبية على يد أحمد بن فارس اللغوي ، كان محبا للرحلة ، رحل إلى الصحاب ابن عباد ، وحضر مجالسه ، ومدحه ببعض اشعاره ، ثم توجه إلى جرجان عند ابي سعيد بن منصور الاسماعيلي ، ثم توجه إلى نيسابور ، ورعاه بنوميكال اعيان نيسابور ، الذي رعاه واعجب به ، وقد مدحه بديع الزمان كثيرا في قصائده ورسائله ، ثم اتجه إلى هراه عند الغزنويين وبها توفي سنة ٣٩٨هـ (انظر اليتيمة ٢٥٦/٤ - معجم الادباء ١٦١/٢ ، دمية القصر ٣٤٦/٢ ، ابن خلكان ١٢٧/١ ، المقامة لشوقي ضيف ص ١٣ وما بعدها ، الفن ومذاهبه في النثر العربي لشوقي ضيف ٢٣٨ تاريخ الأدب العربي - عصر الدول والامارات لشوقي ضيف ٦٦٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ١١/٣٤٠) .
- (٧٨) ابو الفتح البستي : علي بن محمد من كبار الأدباء الايرانيين في عصره ، كان يحسن الكتابة باللسانين العربي والفارسي ، كان كاتباً لأمير بست حتى فتحها محمود الغزنوي فصار كاتب ديوانه ، كان سياسياً بارعاً وشاعراً رقيقاً ، عاش في القرن الرابع الهجري ، له ديوان شعر (انظر يتيمة الدهر ٣٠٢/٤ ، المنتظم ٧٢/٧ - وفيات الاعيان ٣٧٦/٣ ، طبقات الشافعية للسبكي ٢٩٣/٥ - النجوم الزاهرة ١٠٦/٤ - الوافي بالوفيات ١٦٣/٢ ابو الفتح البستي لمحمد مرسى الخولي) .
- (٧٩) وردت ضمن احداث سنة ٣٥٤هـ (ابن الاثير ٧/١٤ - ١٥) .
- (٨٠) كان ابو الحسن بقرهستان ، وعندما استدهاه منصور لحرب خلف توجه اليه وطلب منه ان يسلم قلعة ارك لحسين بن طاهر حتى يكون لديه الحجة ليعود إلى بخارى ، فاذا تفرقت العساكر عاود محاربة الحسين ، فقبل خلف رايه (ابن الاثير ٧/١٥١) .
- (٨١) الهندوستان بلاد الهند وهذه الترجمة الحرفية للكلمة المكونة من « هند » ولاحقة مكانية (ستان) إلا أن الهندوستان هو اسم علم يطلق على الشمال الهندي فقط في مقابل الجنوب الذي يسمى باسم (الدكهن) وهي كلمة هندية تعني الجنوب .
- (٨٢) كانت بست تحت سيطرة الدولة الغزنوية التي بدأت تظهر إلى الوجود في غزنه ، وقد فتحت بست سنة ٣٦٧هـ (روضة الصفا) .
- (٨٣) ناصر الدين سبكتكين : كان غلاماً تركياً لأبكتكين صاحب جيش خراسان في عهد منصور بن نوح الساماني ، ولما مات الأبكتكين خلفه ابنه اسحق فسلم أمور الحل والعقد لسبكتكين ، وسرعان ما مات ، فاختار الجيش والرعية سبكتكين (روضة الصفا ٢٨) ارتقى سبكتكين ملك غزنه واعمالها في سنة ٣٦٦هـ (ابن الاثير ٧/٨٦ - ابن كثير ١١/٢٨٦) .
- (٨٤) تولى صمصام الدولة أمر الديلمة بعد موت عضد الدولة سنة ٣٧٢هـ (ابن كثير ٧/١١٥) .
- (٨٥) ورد تمر تاشي (ابن الاثير ٧/١٥٠) .
- (٨٦) برد سير (الكامل ٧/١٥٠) .
- (٨٧) بدارزين (الكامل ٧/١٥٠) .
- (٨٨) سيرجان قسبة ببلاد كرمان - ابي من شيراز بها دور لعضد الدولة (آثار البلاد ٢٠٤) .
- (٨٩) انظر الكامل ٧/١٥٠ .
- (٩٠) نرماشير (الكامل ٧/١٥٠) .
- (٩١) بردسير اهل بلاد كرمان - مصرها (ابن الاثير ٧/١٥٠) .
- (٩٢) سنة ٣٨٤هـ (الكامل ١٥٠) .
- (٩٣) سنة ٣٩٠هـ (الكامل ٧/٢٠٥) .
- (٩٤) بوشنج (الكامل ٧/٢٠٥) .
- (٩٥) انظر الكامل ٧/٢٠٦ .

- (٩٦) وردت خطأ ٣٠١ هـ (روضة الصفا ٩) .
- (٩٧) ابو موسى سياهجيل (ابن الاثير ٧/٢١٠) .
- (٩٨) تاريخ يمينى للعتبى .
- (٩٩) جوزجان (ابن الاثير ٧/٢١٦) .
- (١٠٠) تاريخ يمينى للعتبى .
- (١٠١) ابو الشرف ناصح العتبى .
- (١٠٢) اورد ابن الاثير انه سيتحدث عن خلف بن احمد في سنة وفاته ٣٩٩ هـ (الكامل ٧/٢١٦) إلا انه اهل ذكره ضمن احداث سنة الوفاة .



فصل

ملوك السامانية رجمهم الله وبيان بعض دولهم وحكومتهم في الاسلام

(المخطوط ص ١٠ - ٢٥)

قالوا في نسب سامان : أنه من أولاد بهرام چوبين (١) ، وأن بداية دولتهم قد حدثت في خلافة المأمون (٢) ، وتفصيل هذا الإجمال هو أنه عندما كان الخليفة المأمون في مرو ، أعطى حكومة خراسان وماوراء النهر لفسان بن عباد (٣) ابن عم الفضل بن سهل « ذو الرياستين » (٤) ، وارسل اليه أسد بن سامان ؛ - الذي كان في ذلك الحين يعمل في خدمة الخلافة - في سفارة (٥) ، وقال : « إن هذه الجماعات ذات نسب ، فأكرمهم بالأعمال » ، فجعل نوح بن اسد واليا على سمرقند ، وارسل أحمد بن اسد حاكما على فرغانة (٦) ، وأعطى نشاس واشروسنه (٧) ليحيى بن أسد ، وجعل زمام أمر هرات في كف الياقوت بن اسد (٨) .

عزل المأمون بعد ذلك غسان ، وأعطى خراسان لطاهر بن الحسين « ذي اليمينين » ، وترك طاهر آل سامان على جاههم ، وعندما توفي طاهر ، وانتقل منصبه إلى ابنه طلحة ، أرسل المأمون أحمد بن أبي خالد إلى خراسان وماوراء النهر ليحل على ضبط وتعمير وزراعة هذه الولاية ، ويطلع على كيفية حكومة طلحة أيضا ، وجاء جميع بني اسد إلى أحمد بن أبي خالد ، فشملهم برعايته ، ولما كان المخالفون قد انتزعوا فرغانة من أحمد بن اسد ، فقد قاد أحمد بن أبي خالد الجيش اليها ، وطرد أعداء الدين من فرغانة ، وولى أحمد بن اسد على نفس النظام السابق على تلك البلاد وعاد .

وعندما توفي نوح بن أسد، أعطى طلحة بن طاهر سمرقند لاختوته يحيى وأحمد، وكان أحمد غاية في الحفة والرحمة والعدل والصلاح، وكان لديه سبعة أولاد وهم: نصر و يعقوب ويحيى وأسد واسماعيل واسحق وحيد، وبعد فترة عزل أحمد بن أسد عن حكومة سمرقند، وعين طلحة بن طاهر ابنه نصراعليها، وعموما كانت حكومة ماوراء النهر متعلقة بحكم أولاد أسد بن سامان لفترة طويلة في عهد الدولة الطاهرية.

وعندما خرج يعقوب بن الليث وضعف الطاهر يون، وفي شهر سنة ٢٦١ هـ أرسل الخليفة رسولا بمنشور ولاية ماوراء النهر إلى نصر بن أحمد الساماني^(١)، والقي في سمرقند رحل اقامته، وجعل أخاه نائباً عنه في بخارا، وفي تلك الاثناء وقعت مراسلات بين رافع بن هرثمة - الذي كان صاحب شوكة في خراسان - وبين اسماعيل بن أحمد وتوطدت أسس المحبة بينهما، واتمس اسماعيل من رافع ان يعطيه خوارزم، وحقق رغبته ومد نفوذه إلى حدود خوارزم، وانتهاز الفرصة جماعة من الوشاة - عليهم اللعنة - وابلغوا نصرا من ان عجة اسماعيل لرافع بن هرثمة تستوجب أن يخرج من وراء النهر لمساعدته، واستاء نصر من اسماعيل^(٢)، واهتم بتجهيز أمور بخارا، وأطلع اسماعيل على هذا المعنى، فأرسل حمويه ابن أسد بن علي إلى خراسان، ليطلب المساعدة من رافع، ويوصل حمويه إلى مقعده، وتوجه رافع بنفسه إلى ماوراء النهر، وعندما عبر آمويه^(٣) ظن أن رافع بهذا الجيش الذي معه - يريد أن يستولي على جميع مملكة ماوراء النهر، ويحتمل لدفع نصر ويقبض على اسماعيل، وربما اعطاء المملكة، وعلى هذا يجب ان يكون اسماعيل تابعا لرافع، وهذا المعنى عار كبير، وسمى حمويه برأيه لحل هذه الواقعة، فقال لرافع: أيها الأمير المصلحة هي أن تسعى لعقد الصلح بين الأخوين، لانك لو تقدمت للحرب من الممكن ألا يتفق الأخوان سويا، ويصاب الأمير بتعب في مملكة غريبة، ووافق تدير حمويه مزاج رافع، فأرسل الرسل إلى نصر واسماعيل من أن الصلح في الصلح، وتضرب على هذا الوتر كثيرا حتى تصالح الأخوان^(٤)، وعاد رافع إلى خراسان.

وعرض حمويه كيفية تفكيره وحيلته على اسماعيل فقدره اسماعيل ورّقه إلى درجة عالية، وظل بساط الصداقة ممدودا بين نصر واسماعيل فترة طويلة، حتى طواه المفسدون^(٥)، ووصل العداء إلى درجة أن جمع نصر جيشا، واتجه إلى بخارا، وجهاز اسماعيل أيضا جيشا، وجاء لمواجهة وبعد القتال، ظفر اسماعيل، وأسر نصر، وأحضره إليه، فأجلس اسماعيل نصر على العرش، وقبل يده^(٦)، وقدم له رسوم الطاعة والتكريم إلى درجة أن ظن نصر أن اسماعيل يستهزئ به، وحينئذ حمل اسماعيل أخاه ومن جمعه جميعا إلى سمرقند، وقال له عند الموداع: إننى سأظل في بخارا نيابة عنك لضبطها وربط أمورها^(٧).

قال ارباب التواريخ : ان اسماعيل كان ملكا خيرا كريم الطبع ، كان الفضلاء والعلماء مكرمين في أيام دولته (١٦) ، ويقول ابن كثير (١٧) : ببركة هذا السلوك الطيب بقيت الحكومة فترة في أسرته ، ويقولون : ان أحد العلماء جاء يوما لزيارته ، وعند عودته ودعه سبعة أقدام ، فرأى ذات ليلة الرسول صلى الله عليه وسلم يقول : يا اسماعيل إنه سيكون من نسلك سبعة أفراد ملوكا بهذه السبعة اقدم التي شايحت بها هذا العالم ، وعندما توفي نصر سنة ٢٧٩ هـ (٨٨) ، دخلت جميع بلاد ماوراء النهر تحت سيطرة عمال اسماعيل ، واستقل تماما بجميع مهام المملكة ، وقد ذكر المؤرخون أنه أول شخص من آل سامان يعد من زمرة السلاطين كان اسماعيل ، لأنه لم يستقل أحد قط من قبله من آل سامان ، وكان البعض يحكم نيابة عن الطاهريين ، والبعض يحكم بمنشور ولاية ماوراء النهر.



سلطنة اسماعيل بن احمد الساماني

قاد اسماعيل الجيش إلى التركستان بعد وفاة أخيه سنة ٢٨٠ هـ (١٩) ، وأسر والد ملك التركستان وزوجته مع عشرة آلاف شخص (٢٠) ، وجاء إلى سمرقند ، وسقطت غنائم لاحصر لها بيد جنود اسماعيل ، لدرجة أنه نال كل فارس عند القسمة ألف درهم ، ولم يكن الجياد والإبل والأغنام في الحسبان ، وبعد ذلك عبر اسماعيل جيحون ، وأسر عمرو بن الليث ، كما هو مكتوب في أمر الصفارية .

ومذكور في تاريخ گزیده (٢١) : أنه بعد أسر عمرو بن الليث أرسل اسماعيل حاجبا اليه واستماله من ان الله تعالى أراد أن أخلصك من غضب الخليفة ، فشكر عمرو اسماعيل وقال : « اننى أعلم أنك لن تخلصنى من الخليفة » ، ولما كان اسماعيل قد جرى على لسانه ما يوجب المروءة فانه بعد قول هذه الكلمات ، أسر عمرو (٢٢) ، وسلمه للحاجب ، وقال عمرو : أرى أولادى ، وقل له : « إننى أعلم ان جيشك فى حاجة إلى المال » ، وفى هذه النسخة مسطور : « كنوزى وكنوزاخى ومن الأفضل ان تصل هذه الأموال إلى اتباعك وان تكون مصدر رفاهية وخير لهم ، واتوقع من كرم الأمير ، أن يكون فعله مثل قوله ، و يبرأ يده من دمي ، ويرسلنى إلى الخليفة » (٢٣) ، وظن الحاجب انه قدم للأمير اسماعيل تحفة كبيرة ، فعاد مسرورا مبتسما ، وقال : إن عمرو بن الليث قال كذا وكذا ، فصاح الأمير اسماعيل فى وجهه وقال : « احمل هذه النسخة ، وأعطه إياها ، وقل له : إن اسماعيل يقول لك من أين جاءت خزينتك وخزينة أخيك ، انه معلوم لدى الناس جميعا ، انكما أولاد صفار ، وقد سعدكم الزمان فترة ، وفى الحقيقة كانت عين الشقاء ، واستقليتم ، وجمعتم

الأموال بالظلم والجور، وتريد أن تعلق الظلم الذى فى عنقكم من هذه الأموال فى عنقى لست أنا من هؤلاء الناس الذين ينخدعون بكلامك ، ليس بينى وبينك دم حتى أبادر بقتلك» (٢٤).

ويقول كاتب هذه الكلمات : إن قول حمد الله المستوفى صاحب تاريخ كزیده ، لا تخلو من ضعف فع أنه قال : أن عمرو قال للحاجب : لا خلاص لى من الخليفة ، فكيف يتجاوز ذلك ويلتمس عمرو من اسماعيل أن يرسله إلى الخليفة (٢٥) ، والدليل على رجحان الأولى على الأخرى هو أن خواجه نظام الملك الطوسى (٢٦) رحمه الله ، وكان فى عهد قريب من عهد السامانيين ، قد ذكر فى وصاياه ، انه عندما تقابل الأمير اسماعيل السامانى فى نواحى بلخ مع عمرو بن الليث ، وكما هو مشهور فانه أسر عمرا ، وأنشغل بتفحص الخزائن التى معه ، ولما فحصها لم يجد أثرا منها ، ولم يعرف أحد من رجال الجيش عنها شيئا ، فأمر أن يسألوا عمرا عنها ، قال : إن شخصا من اقاربنى يدعى سام متعهد الخزائن ربما حملها إلى هرات ، وبعد عدة أيام وصل الأمير اسماعيل إلى هرات ، وطلب أهل هرات الأمان ، فأمنهم ، واستعلم عن حال سام وقرينة عمرو ، ولم يذكر أحد منهم خبرا قط عنها ، وتبرأ المشاهير والجماهير بالايمان والعهود وسائر وسائل التحقيق من ذلك ، ولما لم تقع هذه الأموال فى يده ، ولم يحفظ الجيش ايضا باغتنامها قالوا : انه من الصواب أن نحمل على اهل المدينة ، وعرضوا ذلك على الأمير اسماعيل الذى كان لديه فى هرات ونواحيا مائة ألف رجل شجاع فى أنه لو ساعدنا كل واحد من هؤلاء بمثقالين ذهبا يكون مائتان ألف دينار ، ولو ساعدنا كل واحد بدينار واحد يكون مائة ألف مثقال ، ويمكن بهذا المبلغ إصلاح الجيش ، قال الأمير اسماعيل : طالما أمنت ألف مؤمن مسلم ، وأكدت ذلك بالعهد والقسم ، فلا يمكن تبديل ذلك مطلقا ، وخرج من هرات على عجل ، حتى لا يفتحوا هذا الكلام مرة أخرى ، وألا يسول له الشيطان بنقض العهد .

وعندما نزلوا بمكان شرع أعيانه بترديد نفس الحكاية ، وقالوا : اننا لم نحقق شيئا من المملكة التى ستدخل تحت سيطرتنا ، وقد خرجنا بلا استعداد وهو أمر بعيد عن صلاح الملك ، فأجابهم الأمير اسماعيل نفس الجواب ، وقال : إن الله الذى ساق إلى جواد عمرو ابن الليث بسوء قدرته ، قادر على أن يهيب لى أمتة الجيش دون نهب وسلب المظلومين ، وخرجت هذه الجماعة يائسة قانطة من عنده .

فى تلك الأثناء خلعت جارية من جوارى الأمير اسماعيل الخواص حمائلها المرصعة من قطع السياقوت من عنقها ووضعها على ملابسها ، ودخلت بيت الطهارة ، وظن غليواجى أن هذه الحمائل هبطت من السماء ، وسرقها ، وركب القربون وهجموا على غليواجى ، وعندما اراد أن ينزل تجمع حوله الفرسان من جميع جوانبه ، وقبض غليواجى على الحمائل ، وتصادف

أن كان على حافة بئر، فسقط فيه فأحضرهوا حبلاً وربطوه في وسط شخص ، وانزلوه في البئر، وكان هناك طريق إلى بئر آخر، وظهرت صناديق ، فذهب هذا الشخص إلى الصناديق ، وكانت هذه هي خزانة عمرو بن الليث التي كان سام قد فر بها من بلخ ، وحملها عبر السهول والجبال إلى طريق غير مطروق للناس ، وكان قد أحطاها في هذا المكان على حدود هرات ، المهم ظفربما كان في خزانة عمرو بن الليث ، وما كان قد أقره على أهالي هرات أضعافاً مضاعفة (٢٧) .

ويقول خواجه نظام الملك بعد إيراد هذه الحكاية : أن الغرض من هذا التقرير هو أن تنفذ العهد والميثاق له فوائد حمة وثمرات لاحصر لها ، ويقولون إنه بعد إرسال عمرو بن الليث إلى بغداد ، أرسل الخليفة المعتضد إلى الأمير اسماعيل خلعاً قيمة والأحكام والمناشير ، وفوضه على حكومة سيستان وخراسان حتى مازندران والري واصفهان (٢٨) ، وألبسوه خلع الخليفة ، وبعد ارتداء كل خلعة أدى ركعتين ، وبعد أن لبس جميع الخلع ، قبل مناشير الخليفة وقدم لها شروط التعظيم ، وأعطى لحامل الخلع والأحكام سبعمائة ألف درهم .

وفي تلك الأثناء وصل إلى سمع الأمير اسماعيل خبر توجه محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان ، فأرسل شخصاً إليه ، ونصحه ، ولكن لا فائدة ، فأرسل الأمير اسماعيل محمد بن هارون لمحاربتة ، وحارب محمد حاكم طبرستان ، وهزمه ، وجرح العلوي في المعركة ، توفي بأثرها وحكم محمد بن هارون نيابة عن الأمير اسماعيل في جرجان وطبرستان ، وبعد ذلك استدعاه الأمير اسماعيل ، فتخلف وأبدى العصيان ، وتوجه إلى ناحية الري باستدعاء من أهلها ، وحارب عامل الخليفة ، وقتله مع اخوته وأبنائه ، فأرسل المكتفى رسولا إلى الأمير اسماعيل وأعطاه رسالة من أن ضبط الري يتعلق بك ، فأقصر يد سيطرة ابن هارون عنها ، فجمع الأمير اسماعيل الجيوش ، وتوجه إلى تلك الناحية ، وعندما بلغها ترك ابن هارون الري وذهب إلى قزوین وزنجان ، ومنها جاء طبرستان (٢٩) ، واستولى الأمير اسماعيل على الري ، وأسرع من هذا المكان إلى قزوین ، وكان في هذه الناحية حدائق مملوءة بالفاكهة والعنب ، فأمر بالآلا يقترب أحد من الحدائق فلا ينبغي أن يأخذ أحد « منا » من الشعير دون سعر ورضى صاحبها ، وأعطى الأمير اسماعيل حكومة الري لابن أخيه أبي صالح بن اسحق ، وقد كتب محمد بن زكريا الطيب الرازي كتاب « منصورى » باسمه ، وقد حكم هذه الولاية ست سنوات .

وعندما عاد الأمير اسماعيل من العراق ، وقاد الجيش إلى التركستان ، وفتح أماكن كثيرة ، وعاد بفنائم وفيرة ، وفي منتصف صفر سنة ٢٩٥ هـ سعد بفراديس الجنان (٣٠) ، وبعد الوفاة أطلقوا عليه الأمير الماضى (٣١) ، ومدة سلطنة الأمير اسماعيل بعد انقراض حكومة عمرو بن الليث سبع سنوات ، كان ملكاً وصلت عدالته درجة — أنه بلغ سمعه ذات

مرة أن هناك حجرا في الرى يزنون به ذهب الخراج ، وهوز زيادة عن الأحجار الأخرى ، فأرسل الأمير اسماعيل في الحال رسولا إلى الرى وأمهر الأحجار وأحضرها إلى بخارا ، وعندما عاد الرسول إلى الرى خاف الناس لأنه أثار ضجة ثم مهر الأحجار ، وحملها معه إلى بخارا ، وأغلق باب الديوان ، وتعطل اصحاب الدواوين ، وعندما وصل الحجر إلى بخارا ، احتاطوا في ألا يزيد عن الوزن المقرر ، وأمر أن يسقطوا الزيادة بتر ، وارسل الحجر المعدل إلى الرى ، وأمر أن يعيدوا كل زيادة أخذوها في الأيام الماضية .

ويقولون : انه كان لأحمد ابن الأمير اسماعيل معلما ، وذات يوم غضب المعلم من أحمد فقال له في حضور ابيه : لا بارك الله فيك ولا فيمن ولدك ، فخرج الأمير اسماعيل من المجلس وأعطى عطاء لهذا المعلم ، ليسرى عنه (٣٢) .

وذات مرة تحدث أمام الأمير اسماعيل عن الحسب والنسب ، فقال : كن عصاميا ولا تكن عظاميا (٣٣) ، ولم يفهم المخاطب ، فقال : الأمير : من الأفضل ان تفخر بمواهبك لا بأصلك وفصلك .

ويقول يحيى بن زكريا الرازى (٣٤) : ان الأمير اسماعيل سألتنى ذات يوم : ما السبب فى أن آل معاذ (٣٥) لمزالت دولتهم بقيت عليهم آثار النعمة مع سوء سيرتهم وظلمهم ، وأن آل طاهر لمزالت دولتهم زالت معهم نعمتهم مع عدلهم وحسن سيرتهم ؟ اجبته : لما كانت نعمة ونعيم آل معاذ قد وصل إلى نهايته ، وأستولى عليهم آل طاهر ، ولما كانوا ملوكا أهل عدل ، أرادوا أن يجيروا كل فساد صدر من آل معاذ ، وبقي كل خير كان موجودا فيهم ، ولما كانوا أصلاء فقد رعوا الأسر القديمة ، ولما انتقلت دولة الطاهريين إلى الصفاريين الذين كانوا بلا أصل ولا همة ، بمقتضى الأصل لا يخطيء ، فقد سعوا لتغير الأمور السابقة واحكام الأسر السابقة ، ليطمسوا آثارهم ويدرخوا رسومهم (٣٦) .

يقول يحيى : وعندما قلت هذا الكلام ، صدقه الأمير اسماعيل ، وأوصلنى ، وقال : لقد أرحمت خاطرى - بهذا الجواب الصواب - من التفكير ، ويذكرون : انه عندما توفى نصر ، وصار اسماعيل سلطانا ، فتح كسابق عهده أبواب المراسلات مع الأحياء وأهل الحق ، ولم يقلل من ألقابهم ونصحه الناصحون : أنه طالما وصلت إلى السلطنة فلا حاجة لك بالتواضع ، أجب إننى اعلم انه من الواجب واللازم لى ألا أقلل من درجة الأصدقاء فى ايام القوة والعظمة ، بل انه يجب رفع شأنهم ليخلصوا لك أكثر ويحمدوا الله جل وعلا ، ويجب أن يعمل الأصدقاء المخلصون ايضا من أجلنا .

سلطنة أحمد بن اسماعيل بن أحمد الساماني

عندما رحل الأمير اسماعيل إلى رياض الرضوان (٣٧) ، تصدى أخوه أحمد لأمر الحكومة ، وأرسل الخليفة المكتفي له (٣٨) العهد واللواء ، وأراد أحمد في بداية السلطنة أن يتوجه إلى خراسان ، وقال له ابراهيم زيد (٣٩) : يجب أن تتوجه أولا إلى سمرقند ، لتريح خاطرك من عمك اسحق ، وهو عدو أسرى ، وأيد أبونصر أحمد الرأي ، وأسرع ابراهيم إلى سمرقند ، وقبض على اسحق واحضره إلى بخارا ، وحبسه ، وتوجه إلى خراسان (٤٠) ، ووصل إلى نيشابور ، ففرپارس كبير الذي كان يحكم جرجان نيابة عن أبيه ، وتوجه إلى بغداد .

وتفصيل هذا الإجمال هو أن تجمع لپارس مال وفير من خراج الري وطبرستان وجرجان ، ولما كان في خزينته ثمانون ألف حمل من الذهب الأحمر المسكوك ، وبها أيضا من العملة الذهبية (الفلورى) والفضة والأجناس والامتعة لاحضر لها ، وقد حصل پارس هذه الأموال في آخر أيام الأمير اسماعيل ، وتوجه لخدمته ، وسمع في أثناء الطريق بخبر وفاته فعاد (٤١) ، واستولى على هذه الأموال ، ولعب الاستقلال برأسه ، وعندما سمع خبر توجه احمد بن اسماعيل ، أرسل رسولا إلى المكتفي ، واستأذن منه ان يسرع لخدمته ، فسمح له المكتفي ، وتوجه پارس بأربعة آلاف شخص وخزينة ثقيلة إلى بغداد ، وعندما وصل ، مات المكتفي ، وجلس المقتدر على الخلافة وفي بداية الأمر اعتبر المقتدر پارس والأموال والرجال غنيمة ، واهتم برعاية پارس ولكن أمراء الخليفة خشوا منه ، واحتالوا على غلام من مماليكه ليدس له السم ، وارتاح خاطرهم جميعا من همه .

وقد فوض أحمد بن اسماعيل أبا العباس عبدالله بن محمد بن نوح على حكومة طبرستان ، بعد توجه پارس إلى دار السلام ، وفي ذلك الوقت استولى حسن بن على الأطروش العلوى (٤٢) على ممالك الديالة ، وحرصهم لمحاربة عبدالله ، ولم يرضوا بمعاش عبدالله بإيعاز من حسن ، حتى يعزله احمد بن اسماعيل عن طبرستان ، وعين محله سلام ، وجاء الاطروش مع الديالة لحرب سلام ، وهزموا ، وعزل سلام عن حكومة هذه المملكة ، ومرة أخرى جعل حكومة طبرستان لعبدالله ، وعمل عبدالله لضبط وربط هذه الديار حتى توفى ، فجعل أحمد ابن اسماعيل محمد صعلك محله .

وفي سنة ٢٩٨ هـ استولى احمد بن اسماعيل على سيستان كما وضحه القلم في أمور الصفارين وفي هذه السنة أطلق أحمد عمه اسحق من الحبس ، وأعطاه سمرقند ، واندجان (٤٣) ، وفي سنة ٣٠٠ هـ أرسل احمد بن اسماعيل ابن عمه منصور بن اسحق على

حكومة نيشا بور، وفي نفس السنة صار السيستانيون وأرسل أحمد مرة أخرى جيشا إلى هذه البلاد، وجعلهم في طاعته .

وفي سنة ٣٠١ هـ توجه أحمد بن اسماعيل للصين ، وعسكر بعد مسافة ، وعندما رحل عن هذا المكان أمر أن يشعلوا النار في المعسكر، وعند عودته من جرجان سمع أن الاطروش قد استولى على طبرستان وكان نائبه صعلوك قد خرج من هذه المملكة ، فاستاء أحمد بن اسماعيل من هذا الخبر وقال : « إلهى لو كان القدر سيسلب من هذه المملكة كلها ، فأمتنى » (٤٤) ، وبعد ذلك نزل في نفس المكان الذي كان قد اشعل فيه النار، وتشاءم الناس من هذا المعنى (٤٥) ، ودخل الغلمان خيمته في هذه الليلة أيضا وقتلوه .

وواضح من هذا المقال أن أحمد بن اسماعيل كان يجالس العلماء أكثر الأوقات ، ولهذا نفر منه الغلمان ، وقصدوا قتله ، وكل ليلة كانوا يربطون اسدين (٤٦) على باب خيمة السلطان حتى لا يدخلها الأعداء ، وحسب الاتفاق لم يراعوا الحذر في تلك الليلة (٤٧) ، ودخل الغلمان — الذين كانوا ينتظرون الفرصة — الخيمة ، وقتلوه ، وقد حدثت هذه الحادثة في ليلة الخميس الثالث والعشرين من جماد الآخر سنة ٣٠١ هـ (٤٨) وفي اليوم التالي نقلوا نعشه إلى بخارا ودفنوه ، وحينئذ اطلقوا عليه السلطان الشهيد ، وقتلوا بعض الغلمان قتلة السلطان ممن وجدوهم ، ويقولون أن الأمير أحمد بن اسماعيل كان رجلا شجاعا انانيا سييء الخلق ، امتدت فترة حكمه برواية إلى ست سنوات وأربعة أشهر وسبعة أيام (٤٩) .



سلطنة نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني

عندما قُتل أحمد بن اسماعيل ، حمل أحمد بن محمد بن الليث والى بخارا أبا الحسن نصر ابن أحمد — وكان صغير السن ، على كتفه (٥٠) ، ليبايعه الناس ، فخاف نصر وقال : هل تريدون قتلى مثل أبي ! قالوا : نريد أن نجلسك محل ابيك أميرا ، وفي البداية لم يهتم الناس بنصر ، وفكروا ماذا يستطيع هذا الطفل أن يفعل مع وجود عمه اسحق شيخ السامانية وحاكم سمرقند ؟ ! ومال جميع أهالي ماوراء النهر ماعدا أهالي بخارى إلى اسحق الساماني واولاده (٥١) ، وساعده الزمان وحالفه الحظ بل ساعده عناية الحق عزوعلا والتوفيق الالهى ، ووصل نصر بن أحمد — الذى كانوا يسمونه الأمير السعيد — إلى درجات عالية ، بلغ درجة آبائه وأجداده ، وتفصيل هذا الإجمال هو أن أبا عبدالله محمد بن أحمد الوزير المتكفل بأمر الملك قام بضبط المهام حتى بلغ سن الرشد والعقل ، واستقام نظام الملك بيد الملك والوزير ، وعندما وصل خبر — وفاة الأمير أحمد بن اسماعيل ومبايعه الأهالي لابنه الأمير

السعيد - إلى سماع اسحق الساماني، سعى لاعداد الجيش، وترك ابنه نائباً عنه في سمرقند، وتوجه بنفسه بجيش جرار إلى بخارا، وعين الأمير السعيد حمويه لخر به، وعندما تلاقى الفريقان، وقعت حرب ضروس، وهزم اسحق، وعاد حمويه ظافراً منتصراً إلى بخارا، وعندما وصل اسحق إلى سمرقند، أعد الجيش مرة أخرى وجمع جيشاً جراراً، وتوجه إلى بخارا، وارسل الأمير السعيد مرة أخرى لمحاربتة، وفي هذه المرة انتصر أيضاً حمويه، وفر اسحق، وتعقبه حمويه إلى سمرقند، ودخلت هذه البلاد في سيطرته، واختفى اسحق في سمرقند، وتوجه ابنه إلياس إلى فرغانة، واخلى حمويه الطرق، وعين العيون لكي يظهر اسحق وخرج اسحق الخائف، وطلب الأمان من حمويه، فأرسله حمويه إلى بخارا، وظل محبوساً هناك حتى توفي.



مخالفة منصور بن اسحق الساماني مع الأمير السعيد نصر بن أحمد وبيان بعض القضايا التي حدثت في تلك الفترة

أبدى منصور بن اسحق بن اسد العصيان والمخالفة في أيام دولة الأمير السعيد، ولما كان حسين بن علي المرورودي قد فتح سيستان في عهد سلطنة الأمير الشهيد أحمد بن اسماعيل واعتقد أنه قد فوضه على هذه الولاية، وأعطى أحمد ولاية سيستان لسيمجور دواتي على خلاف ظن حسين، استاء حسين من هذا المعنى، وفر من الأمير الشهيد، ووضع أس الفساد، وحرص منصور بن اسحق على العصيان، وأثناء ذلك قُتل أحمد بن اسماعيل، وبعد قتله أبدى حسين الخلاف، واتجه من هرات إلى نيشابور، وقرأ الخطبة باسم منصور بن اسحق، وعلم الأمير السعيد بهذا الخبر، فأرسل حمويه (٥٣) من نيشابور، وتوفي منصور بن اسحق، وترك حسين بن علي المرورودي في نيشابور، وتوجه إلى هرات، والتحق محمد بن جنيد حاكم بخارا - خوفاً من الأمير نصر - بالحسين، وترك الحسين بن علي أخا المنصور في هرات، وعاد مرة أخرى إلى نيشابور، وعندما اطلع الأمير نصر على هذا الأمر، وعد أحمد بن سهل - الذي كان من أمراء الكبار ومن نسل يزدگرد شهر يار، وكان الأمير اسماعيل الساماني لا يحمي عن رأيه الصائب في أمور المملكة - بأن يرسله إلى خراسان، وأسر أحمد بن سهل حسين بن علي المرورودي ومحمد بن جنيد، وأرسلهما إلى بخارا، فأرسل الأمير نصر محمد بن جنيد إلى خوارزم، فقدم خدماته في تلك الديار حتى مات، واطلقوا سراح حسين ابن علي من سجن بخارا (٥٤).

ولما لم يف الأمير نصر بوعبه، ثار أحمد بن سهل، وأرسل رسولا إلى الخليفة المقتدر (٥٥) والتمس حكومة خراسان، وحقق التماس أحمد، وبعد ذلك قوى نفوذه في نيشابور، فاتجه إلى

جرجان، وحارب قراتكين حاكمها، وأخرجه من هذه الولاية، وجاء من هناك إلى مرو وبني سورا محكمًا، فأرسل الأمير السعيد حمويه لحربه، وقبض حمويه على أحمد بن سهل بعد محاصرته، وأرسله إلى بخارا، وتوفى أحمد بن سهل في حبس الأمير نصر (٥٦).

في نفس هذه الفترة جاء ليلى بن نعمان - الذي كان من أمراء الأطروش - إلى جرجان من عند قاسم بن حسن الداعي والى طبرستان، وكان اولاد الاطروش العلوى يكتبون في القابه « المؤيد لدين الله المنتصر لآل رسول الله ليلى بن نعمان »، وكان يذكرون على هذا النمط اسمه بعد اسماء والقاب السلاطين في الخطبة، وتوجه ليلى بعد ضبط جرجان إلى دامغان وحارب أهالي هذه الولاية، وقتل عددا كبيرا منهم، ولما كان يتصف بالسخاء والشجاعة فقد لجأ إلى بلاط أمراء الأطراف، وعلى هذا لم يف دخله نفقاته، وبإشارة قاسم ابن حسن الداعي توجه إلى خراسان، وجاء نيشابور ليخطب باسم قاسم في هذه الولاية، فعلم الأمير نصر بهذا الأمر، فأرسل حمويه بجيش جرار اليه، وتصادف أن تلاقى الفريقان في نوقان من أعمال طوس، وفي البداية انهزم جيش بخارا، لكن ثبت حمويه ومحمد بن عبدالله البلعمى وابوجعفر صعلوك وخوارزمشاه سيمجوردواتى، وقاتلوا قتالا شديدا، وهجموا على جيش ليلى - الذى كان مشغولا بالسلب والنهب - وعلى الرغم من أن ليلى قد خرج من المعركة لكنه أسر في النهاية وقتل .

ويروون أن على بن حسين ظل فترة حبيسا ببخارا، وبعد فترة أخرجه واحد من النواحي المعتبرين للأمير نصر من الحبس، ولازم البلاط، وذات يوم طلب الأمير نصر ماء « فأحضروا ماء في كوز غير حسن الصنعة، فقال حسين بن على المرورذى لعلى بن حمويه : أبوك حاكم نيشابور، وهناك يضعون أكوازا جيدة، فلما لا يهديك منها؟ فأجابه على بن حمويه : انما يهدى أبى إلتى أمير مثلك أنت وأحمد بن سهل وليلى بن نعمان ! فخجل حسين ابن على من هذا الرد أيما خجل (٥٧) .



استيلاء الأمير السعيد نصر بن احمد على بلاد الرى ونواحيها

استولى فاتك غلام يوسف بن أبى الساج على الرى في شهر سنة ٣١٣ هـ، وثار ضد الخليفة المقتدر، فأرسل رسالة إلى الأمير نصر: « لما كُنَّا قد بعيناك على الرى، فتوجه بنفسك إلى هذه الناحية »، فقاد الأمير نصر الجيش، وتوجه إلى الرى (٥٨)، وعندما اقترب من حدودها، لجأ فاتك إلى ناحية فأقام الأمير السعيد في هذه الولاية شهرين، وسلمها لسيمجوردواتى، وعاد من هناك إلى خراسان وماوراء النهر، وبعد ذلك استدعى سيمجور، وعين محله

محمد بن صعلوك، واهتم صعلوك بحكومة الري حتى مرض سنة ٣١٦ هـ، وفي اثناء المرض استدعى حسن بن حسن بن القاسم بن حسن الداعي وما كان ابن كاثي (٥٩) من طبرستان ليسلمهم الري، وكانوا يكتبون ألقاب الداعي «الموفق بطاعة الله المعترف بحق آل رسول الله»، وقرأوا في الخطبة أيضا بهذه الألقاب وتوجهوا إلى الري، وأوفى صعلوك بالوعد، وتوجه صعلوك إلى خراسان، وعندما وصل إلى دامغان توفى.

وبعد عدة أيام قُتل الداعي، وبعد قتله استولى اسفار بن شيرويه على الري وطبرستان وقزو ين وقم وكاشان ولر الصغيرة، وقرأ الخطبة باسم الأمير نصر (٦٠)، وظلم اسفار كثيرا في ولايته، وصادر الناس، وعصى الخليفة المقتدر، فكتب إليه الأمير السعيد لكي يكف يده عن الحركات غير المقبولة، فخاف اسفار من الأمير نصر فأعلن عليه العصيان أيضا، فأرسل الخليفة جيشا لمحاربة اسفار، فهزمه اسفار.

وفي سنة ٣١٧ هـ خرج الأمير السعيد من بخارا وتوجه إلى الري، ووصل إلى نيشابور وبعد قطع المسافات، توقف هناك عدة أيام من أجل تدبير المصالح الملكية، فسمع اسفار هذا الخبر فاستعد للحرب، وفي أثناء ذلك قال مطرف بن محمد الجرجاني الوزير لأسفار: المصلحة أن ترسل رسولا للأمير نصر، وتظهر الإخلاص، فاذا قبل المال قبلت، فطالما أعتقد في ذلك أنا وجماعة من الأتراك الذين في هذا الجيش فلا عذر لهم، وسمع اسفار كلام الوزير فأرسل رسولا إلى الأمير السعيد، وفي البداية رفض الأمير نصر المصالحة، فنصحه أصحابه وقالوا: لا مصلحة في الحرب لأنه لا أحد يعلم الغيب، فقبل الأمير نصر كلام ناصحيه، فسلم هذه الولاية لأسفار، وأقره على ان يرسل ما هو مقرر سنويا إلى الخزانة العامرة، وأطلق الأمير نصر اخوته من الحبس، فأثاروا الفتنة فعاد الأمير، وسكن هذه الفتنة (٦١)، ولا يخفى على الأذكياء أنه في أيام سلطنة الأمير السعيد وقعت في طبرستان وخراسان وما وراء النهر أمور لا تعد ولا تحصى، ولو أن القلم ذكرها جميعا، فسيمتلأ هذا الدفتر بها.



وفاة الأمير السعيد نصر بن احمد الساماني

استولى مرض السل على جسد الأمير السعيد، فلزم الفراش ثلاثة أشهر، والتحق بجوار ربه الملك الغفور في رجب سنة ٣٣١ هـ وكانت مدة حياته ثمانية وثلاثين عاما، وأمدت فترة حكمته إلى ثمانية وعشرين عاما (٦٢)، كان كريما ورحيما وعادلا وعاقلا جدا.

رووا أمامه أن فلانا التاجر لديه جوهرة نفيسة، كان قد اشتراها بثلاثة عشر الف درهم وهذه الجواهر لاثقة بخزانة الأمير، فأمر أن يحضروا التاجر بالجواهر فتعرف الأمير نصر على

الجواهر التي كانت قد سرقت من خزائنه ، فسأل التاجر من اشترت هذه الجواهر؟ ، قال : من فلان غلام الأمير ، فأمر أن يحضروا الغلام ، وطلب منه ثمن الجواهر ، وعرف انه أنفق أكثر ثمنها ، فأخذ الأمير نصر الجواهر من التاجر ، وأعطاه أربعة عشر ألف درهم ، وعرف التاجر جريمة الغلام ، فقال الأمير : اننى أهبك دمه أو أحمله معك وقدم الغلام لهذا التاجر (٦٣) .

يقولون : فى أثناء استعراض الجيش أحضروا لديه شخصا ، يسمى نصر بن أحمد ، فسأله الأمير عن اسمه ، فوقف صامتا ، فسأله مرة ثانية ، فلم يجر جوابا ، فقال أحد ملازميه إنه يسمى نصر بن أحمد ، ولا يستطيع أن يذكر اسمه تعظيما ورعاية للأدب ، فقال : الأمير نصر وجب علينا رعايته ، وأمر أن يضاعفوا حقه .

ويقولون : إنه عندما خرج عليه اخوته (٦٤) ، وأطلقوا يدهم فى أموال الخزائن ، فلما تمكن الأمير نصر من كرسى الحكم مرة ثانية ، قالوا له : إن فلانا وفلانا قد حملوا مبلغا كبيرا من الخزائن ، والآن نستطيع أن نأخذ هذه الأموال وزيادة منهم ، قال الأمير السعيد : كل ما وصل إلى أى شخص هو حق له ، لا يجب أن يتعرض له أى انسان ، إلا أنه ذات يوم باع شخص سكيننا نفيسة كان قد أخذها من الأمير نصر بمائتى دينار ، فأحضره وقال الأمير : اعطوا هذا المبلغ لصاحب السكين ، قال هذا الشخص : لن آخذ أقل من ألف دينار ، وقال الحاضرون عجبوا إن الأمير يشتري منك سكينه بما كنت قد اشتريتها به ، فتضايق ، و ارادوا أن يأخذوا السكين منه عنوة ، قال الأمير نصر : ارضوه ولا تسيثوا اليه ، ويروون أنه أمر فى أيام مرضه أن يبسنوا على باب قصره بيتا ، اسماه بيت العبادة ، وانشغل بالعبادة فيه أكثر الأوقات بملابس طاهرة حتى أنهى بها زمانه السعيد ، ومن بعده بايعوا ابنه الأمير نوح الذى كان ملقبا بالأمير الحميد (٦٥) .



سلطنة نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل السامانى

كان الأمير نصر قد جعل ابنه الأكبر اسماعيل وليا للعهد فى ايام دولته ، ولما كانت الإرادة الازلية قد اقتضت أن يتوفى ابنه قبله ، فاتفق أركان الدولة بعد وفاة الأمير نصر على سلطنة ابنه الثانى نوح ، وفوض ضبط مهام المملكة لأبى الفضل محمد بن أحمد الحاكم ، فطارد أبو الفضل بن أحمد حمويه - الذى كان من أهل ثقة الأمير نصر ، وسبب ذلك هو انه فى ذلك الوقت الذى كان الأمير السعيد قد جعل اسماعيل وليا للعهد ، وعين أبا الفضل نيابة عنه ، ففر أبو الفضل من نوح ، وعلم الأمير نصر بهذا المعنى ، فقال لأبى الفضل : حين يأتنى

الذى لامفر منه ، فأحذر من نوح ، وعندما انتقل نصر إلى دار البقاء عبر أبو الفضل أمويه ، وتوجه إلى ناحية أمل ، فاستماله نوح برسالة ، فعاد أبو الفضل من أمل وتوجه إلى بخارا ، وقدم له نوح لزوم الرحمة والعاطفة (٦٦) .

وفي أواخر سنة ٣٣٢ هـ ارسل الأمير نوح أبا علي بن محمد محتاج إلى الري ، وذلك لأن ركن الدولة الديلمي قد استولى على هذه الولاية ، فتوجه أبو علي بجيش جرار إلى الري ، وعندما وصل إلى سبزاور ، أسرع وشمگیر من طبرستان لخدمة نوح ، ولحق به في مرو ، فأكرمه الأمير نوح كل الأكرام ، وقدم له شروط التعظيم والاحترام كما يجب وينبغي ، عندما عبر أبو علي حدود سبزاور ووصل إلى دامغان ، تخلف منصور قراتكين - وكان من جملة المقربين لنوح - مع جماعة عن أبي علي ، وتوجهوا إلى جرجان ، وتحارب حسن فيروزان - حاكم هذه الولاية - مع منصور وهزم ، فعاد إلى نيشابور ، فتوجه أبو علي مع بقية الجيش إلى الري ، وخرج ركن الدولة من المدينة ، وتلقيا على ثلاثة قراسخ من الري ، وذهب جماعة الأكراد الذين كانوا في جيش أبي علي إلى ركن الدولة ، وهزم أبو علي ، فتوجه إلى نيشابور ، وسقطت امتعته واحماله بيد الديلمية ، وجاء أبو علي إلى نيشابور ، ووصل وشمگیر من عند نوح إليه ، وحملوا أمرا إلى أبي علي مضمونه : ألا يساعد وشمگیر حتى ينتزع جرجان من يد حسن فيروزان ، فنفذ أبو علي الفرمان ، وتوجه مع وشمگیر وطائفة من الجنود الذين جعلهم نوح بصحبته ، إلى جرجان ، واستقبلهم حسن فيروزان ، ووقعت حرب قوية بين الطرفين ، وهزم حسن ، واستولى وشمگیر على جرجان (٦٧) .

وفي صفر سنة ٣٣٣ هـ عاد أبو علي إلى خراسان ، وجاء الأمير نوح إلى نيشابور ، وأعد جيشا عظيما ، وأرسل أبا علي مرة أخرى إلى الري (٦٨) ، ووصل إلى هدفه في جمادى الآخر من السنة المذكورة ، فترك ركن الدولة المدينة ، واستولى أبو علي على الري ونواحيها ، وأرسل عماله إلى سائر أعمال الجبال (٦٩) ، وألقى الأمير نوح رحله في نيشابور فترة ، وضع طائفة من عوام خراسان من أبي علي ونوابه ، فأرسل الأمير نوح إبراهيم بن سيمجور واليا على خراسان ، وتوجه إلى بخارا في رمضان من السنة المذكورة (٧٠) ، وجاءت ولاية إبراهيم على مزاج أبي علي لَمَّا كان يطمع فيه بسبب إخراج ركن الدولة من الري ، فكان من الواجب أن ترتفع درجته ، وبعد ذلك أرسل أبو علي أخاه أبا العباس فضل بن محمد إلى بلاد الجبال ، وأعطاه همدان وأقطاعها ، وجعله خليفة له ، وتوجه إلى دينور ، فدخل جميع الأكراد في طاعته .



مخالفة أبي علي بن محمد بن محتاج مع الأمير نوح بن نصر

في شهر سنة ٣٣٤ هـ أبدى أبو علي بن محمد محتاج العصيان على الأمير نوح ، وكان سبب ذلك هو أنه عندما كان أبو علي مشغولاً بتجهيز الجيش ليتوجه من خراسان إلى الري ، ارسل الأمير نوح عارضاً (٧١) يحمل مرسوماً إلى جماعة الجيش ، وناقش العارض أبا علي مناقشة حامية ، واسقط بعض متعلقاته من الدفتر ، فنفر أبو علي من ذلك ، وبعد ذلك استخلص الري وهذه النواحي ، وأرسل الأمير نوح شخصاً لضبط مال هذه الولاية ، فكتب إلى أبي علي بالابتدخال في المال ، فازداد حنقه بسبب هذا أيضاً ، وبالإضافة إلى هذه الأسباب كان تفويض إمارة خراسان لسيم جور ، ولهذا أبدى أبو علي مخالفة نوح ، وارسل يستدعي إبراهيم بن أحمد اسماعيل الساماني - الذي كان قد ذهب في تلك الأيام لسبب من الأسباب إلى الموصل - عمل بملازمة الأمير ناصر الدولة ، وتوجه إبراهيم بتسعة عشر فارس من الموصل إلى العراق والتحق بأبي علي في همدان ، وجاء متفقين إلى الري ، وارسل عمالهما على جميع أعمال ولاية العراق التي كانت تحت تصرفها ، وتوجهها إلى خراسان ، وعلم الأمير نوح بصورة الحادثة فعبر بجيش ما وراء النهر النهر ، وجاء إلى مرو (٧٢) .

في تلك الأثناء اشتكى رؤساء الجيش وسائر الجنود من محمد بن أحمد بن الحاكم الوزير وعرضوا على الأمير نوح « أن الوزير قد عقد عصاة العصيان وأبدى حركات غير لائقة ، واخذ مبلغاً من رواتبنا ، فلو تركه السلطان لنا خدمناه ، ورحلنا ، وإلا ذهبنا إلى عمه إبراهيم » . واضطر الأمير نوح تسليم الوزير للأمرء ، فقتلوه في جمادى الأولى سنة ٣٣٥ هـ (٧٣) ، وعندما اقترب المخالفون من مرو ، اعتذر أكثر جيش الأمير نوح عن الالتحاق بهذه الجماعة ، ولم يبق لدى نوح مجالاً للمقاومة ، فركب مركب ، وعبر النهر ، وتوجه إلى بخارا ، واستولى إبراهيم الساماني وأبو علي على خراسان ، وتوجهوا إلى بخارا بعد ضبط هذه المملكة ، وتوجه نوح من هناك إلى سمرقند ، ودخل أبو علي بخارا وأمر أن يقرأوا الخطبة باسم إبراهيم ، وخلال هذه الأحوال ، خاف أبو علي من إبراهيم ، فتوجه إلى التركستان ، فقال له المفسدون : إن إبراهيم سيقصدك وظل الأمير إبراهيم وحيداً في بخارا ، وكان منصور قراتكين من امرء نوح قد قبض عليه أبو علي في نيشابور ، وحبسه ، فاطلق سراحه ، وفر منصور ، وتوجه إلى نوح ، وعجز الأمير إبراهيم عن ضبط أمور المملكة ، وبناء على هذا قرر أن يكون الأمير نوح حاكماً ، والأمير إبراهيم قائداً للجيش ، وسعيلاً لاستئصال أبي علي .

وقد سُرَّ أهالي بخارا جميعاً من هذا الاتفاق ، فأرسلوا الرسل إلى الأمير نوح ، وخرج الأمير نوح من سمرقند ، فتوجه إبراهيم بجيش بخارا لخدمته ، وتعانقا (٧٤) ، وتوجهها لمهاجمة أبي علي وهزما ، فلجأ الأمير نوح إلى قرية ، وهجم عليه أبو علي مرة أخرى ، ففرق

البخاريون ، وعادوا منهزمين شر هزيمة إلى بخارا ، وتعقبهم أبو علي ، ودخل المدينة وتشفع بعض البخاريين عند أبي علي الذي أشعل النار في بخارا حتى أتت عليها ، واستدعى الأخ الأكبر لنوح أبا جعفر محمد بن نصر ، وبايعه ، وخطبوا الخطبة باسمه في جميع البلاد .

في تلك الأثناء اختلف أبو علي مع بعض أعيان الجيش ، ليتعلل بالخروج إلى سمرقند وخرج من بخارا وتوجه إليها ، وفي غيبته كتبت جماعة إلى الأمير نوح من أن البلاد خالية وليس هناك وقت ، فعزم الأمير نوح التوجه إلى بخارا ، وأسرع إبراهيم الساماني وأبو جعفر لاستقباله ، والتحقا بالأمير نوح ، واعتذرا ، وندما على مافعلا ، وقبل نوح عذرهم ، ودخل بخارا وجلس على سرير الحكم ، وقتل الأمراء الطغاة ، وسمل عيني عمه وإبراهيم وولديه أبا جعفر وأحمد ، وأرسل منصور قراتكين إلى حكومة خراسان (٧٥) .

في نفس هذه الفترة فروشمكير من حسن فيروزان وجاء إلى خراسان ، وبعد ضبط هذه الولاية أمره الأمير نوح بأن يعاون وشمكير لينتزع جرجان من حسن فيروزان ، ويسلمها له وبموجب الأمر توجه جيش إلى جرجان ، وتصلح مع حسن ، وخرج حسن من جرجان ، واستقر وشمكير في مقر عزه ، وعاد منصور قراتكين من تلك الديار ، وبعد عودة منصور توجه ركن الدولة الديلمي صوب جرجان ، وحاربه وشمكير ، وهزم ، وتوجه إلى خراسان ، ووقع قرابة ثلاثمائة وثلاثة عشر من أعيان جيش وشمكير في يد ركن الدولة ، وفي سنة ٣٣٨ هـ توفي عماد الدولة الديلمي (٧٦) ، وفي سنة ٣٣٩ هـ توجه قراتكين بجيوش خراسان إلى الري ، وفي ذلك الوقت كان ركن الدولة في شيراز ، وكان علي بن ما كان نائبا عنه في الري ، فنخرج من المدينة وتوجه إلى أصفهان ، واستولى منصور على هذه الولاية ، وأرسل عماله إلى الأطراف ، فأرسل معز الدولة الديلمي أخاه ركن الدولة آهنگ لقتال منصور ، ووقعت بينها حروب ، وفي سنة ٣٤٠ هـ توفي منصور في الري ، وعاد الخراسانيون إلى وطنهم .

وفي أثناء ذلك تواترت الرسائل بين الأمير نوح وأبي علي ، ورضى الأمير نوح عنه ، وبعد وفاة منصور قراتكين (٧٧) ، دخل أبو علي إمارة خراسان بفرمان من الأمير نوح ، وفي شهر سنة ٣٤٢ هـ أرسل الأمير نوح أبا علي إلى الري ، والتحق وشمكير به في جرجان ، وعندما وصلا إلى الري ، رأى ركن الدولة لاطاقة له بمقاومتها ، فلبأ إلى قلعة طبرى (٧٨) ، وحاصر أبو علي طبرك ، وامتدت فترة الحصار وحل الشتاء ، ونفقت أكثر دواب الخراسانيين ، ومثل الفريقان الحرب فتقدم للوساطة عبدالرحمن الخازن وهو صاحب مصنفات في العلوم الرياضية ، ومن مؤلفاته « زيغ صفائح » ، وتقرر ان يرسل ركن الدولة سنويا مبلغ مائتي ألف دينار إلى خزانة الأمير نوح ، ونهض أبو علي عن ظاهر قلعة طبرك ، فأرسل وشمكير رسالة إلى الأمير نوح مضمونها : « ان أبا علي قد تساهل في حرب ركن الدولة بناء على المحبة التي

يكنها له » ، واستاء الأمير نوح من أبي علي لهذا السبب ، وعندما عاد أبوعلي ، ووصل إلى نيشابور قاد ركن الدولة الجيش إلى جرجان ، وفروشمكير ، وجاء إلى خراسان .

عندما سمع الأمير نوح بصورة الحادثة ، عزل أبا علي عن طبرستان وعين أبا سعيد بكر بن مالك الفرغاني على امارة تلك البلاد ، وجاء أبوعلي معتذرا ، وارسل الرسل إلى الأمير نوح ، ولكن لم يقبل عذره ، وارسل الأمير نوح إلى وشمكير وحسن فيروزان وامراء خراسان رسالة ليتفقوا على صد أبي علي ، وصار أبوعلي يائسا من الأمير نوح ، فأرسل رسائل إلى ركن الدولة ، واستأذنه في اللحاق به ، واكرم ركن الدولة سفارته ، وتوجه أبوعلي إلى الري وعندما وصل إلى ركن الدولة ، وكان أبوعلي يتوقع ان يقدم له ركن الدولة التعظيم والاحترام (٧٩) ، وطلب أبوعلي منه أن يطلب منشور الولاية خراسان من الخليفة باسمه فأرسل ركن الدولة رسولا إلى اخيه معز الدولة وكان صاحب اختيار في بغداد لهذه المهمة ، وأرسل معز الدولة منشور الخليفة في هذا الصدد ، وفي اوائل سنة ٣٤٣ هـ دخل خراسان ، وزين المنابر باسم ولقب المطيع العباسي (٨٠) ، وفي خلال تلك الأحوال توفى الأمير الحميد نوح بن نصر ، وكانت مدة سلطنته ثلاث عشرة سنة .



وفاة نوح بن نصر بن أحمد الساماني وجلوس عبد الملك محله

التحق نوح بن نصر بن أحمد الساماني إلى جوار رحمة الملك الغفور في ربيع الآخر من السنة المذكورة أي سنة ٣٤٣ هـ (٨١) وكان يتمتع بأخلاق حسنة وسلوك طيب ، وبعد وفاته سمى بكر بن مالك الذي كان واليا على حكومة خراسان ، ولم يكن قد ذهب اليها ، بكل جهده ليقر هذا الأمر الخطير لعبد الملك ، وبعد ذلك أرسل عبد الملك اليه في خراسان ، وفي تلك السنة ظهر وباء عظيم في خراسان وقهستان ، حتى انه فنى أكثر خلائق هذا المكان (٨٢) .

وفي سنة ٣٤٤ هـ توجه بكر بن مالك بالجيش من خراسان إلى الري ، وفي المحرم من هذه السنة ، عاد ركن الدولة من جرجان ، وكان قد ذهب إلى الري ، وعندما سمع أن جيشا غربيا قد توجه إلى هذه الناحية ، ارسل مكتوبا إلى معز الدولة ليمده بالمدد ، فأرسل سبكتكين الحاجب لمعاونة أخيه ، وفي نفس هذه السنة توجه محمد بن ماكان بجيش من خراسان إلى اصفهان ، وبمجرد ان سمع أبو منصور بويه ابن ركن الدولة هذا الخبر حتى حمل دفائنه وخزائنه وعياله وأطفاله وأبيه ركن الدولة وتوجه إلى الري ، وتعقب محمد بن ماكان بويه بعد الاستيلاء على اصفهان ، ولحق به ، وتصادف أن التحق وزير ركن الدولة

أبو الفضل بن التميميد في تلك الفترة ببويه ، وهزم جيش الوزير بعد محاربة الخراسانيين ، وسقطت خزائن وحرم ركن الدولة بيد اتباع محمد بن ماكان ، وانشغل جيش خراسان بالتهب والسلب (٨٣) .

وفي تلك الاثناء فكر الوزير مع نفسه بأى وجه يتوجه اليه وقد سقطت خزانة واهل وعيال ركن الدولة بيد الأعداء ؟ وبأى عين يستطيع أن ينظر اليه ؟ فالموت أفضل من الحياة فاضطر لحمل الروح على اليد ، وهجم على جيش محمد بن ماكان ، وعندما أدرك المنهزمون أن الوزير ثابت في المعركة ، ويقاوم بنفسه ، عادوا ، وهجموا على جيش خراسان ، وطردهم واسروا ابن ماكان ، وتوجه أبو الفضل بن حميد إلى اصفهان ، وطرده الخراسانيين من هناك واخيرا انتهى الأمرين ركن الدولة وعبد الملك بن نوح الساماني بالمصالحة .

وفي سنة ٣٥٠ هـ وقع الأمير عبد الملك في اثناء لعب الصولجان (٨٤) من فوق الجواد ومات ، وكانت سلطنته سبع سنين ونيف (٨٥) ، وكنيته أبو الفوارس ، وكان لقبه في حياته « المؤيد » (٨٦) واطلقوا عليه بعد وفاته الموفق ، رعى قاعدة الانصاف في أيام دولته ، وترك اسماً طيباً في الدنيا .



سلطنة منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن اسماعيل الساماني

عندما توفى عبد الملك ، صار أخوه منصور بن نوح حاكماً على خراسان وماوراء النهر ، وقبل مبايعته أرسل أمراء واران الدولة رسولا إلى البتگين (٨٧) — الذي كان قد وصل إلى درجة الإمارة بل كان قدوتهم ومرجع أمرهم ليعرفوا رغبته فيمن يكون جديراً بالملك من ورثة آل سامان ليرسله اليهم ، فقال : منصور شاب وعمه أهل لهذا الأمر الخطير ، وقبيل وصول هذا الخبر إلى الأمراء ، أجلسوا منصور على كرسي السلطنة (٨٨) ، فخاف البتگين من منصور وأراد أن يميل خاطره بالتحف والهدايا ، وكلما أرسل الهدايا ، لا فائدة .

وعندما استقام الأمر لمنصور أرسل الرسل لاستدعاء البتگين ، أنه لاخير في ذهابه فاضطر إلى التوجه صوب غزني ، وفي اثناء الطريق استشار الأمراء على سبيل الامتحان : هل تظهرون مخالفة منصور أم لا ؟ فقالوا متفقين : نحن في طاعة أميرنا ، فشكرهم البتگين وأمر هؤلاء القوم بأن يتوجهوا إلى بخارا ، وسار بثلاثة آلاف من خاصته إلى غزني ، فأحل منصور محله أبا الحسن سيمجور ، فتوجه المشار اليه إلى خراسان ، واهتم بحكم هذه المملكة .

وأرسل منصور خمسة عشر ألف فارس عقب الپتگين ، وتقاتل الپتگين مع البخاريين قرب بلخ ، وهزمهم (٨٩) ، وعندما توجه من بلخ إلى غزني اعترضه حاكمها ، فانشغل الپتگين بالحصار ، واستولى على غزني بالقوة ، ومرة أخرى ارسل منصور جيشا جازا لمحاربتة ، وهزمه الپتگين في هذه المرة أيضا .

وفي سنة ٣٥٦ هـ فرأبو علي بن الياس والي كرمان ، وذهب إلى بخارا ، وعرضوا على منصور أنه يمكنه أن يضم مملكة الديالة بأقل قوة إلى مملكته ، وكان وشمگیر قد عرض هذا الكلام من قبل على منصور ، المهم كتب منصور رسالة إلى وشمگیر وحسن فيروزان مضمونها : « كما كان يجري بخلدكم أن أسير جيشا إلى الري ، والمهمة الملقاة على عاتقكم أن تجهزوه وتراقبوه إلى أن يصل إلى هذه الناحية » ، وعين أبا الحسين بعد ذلك أميراً لجيوش خراسان ، وأمره أن يفعل الصواب ولا يدع وشمگیر يتجاوز .

ولما وصل هذا الخبر إلى ركن الدولة ، أرسل أولاده وزوجاته من الري إلى اصفهان ، وطلب من اخيه عضد الدولة ، وبعض القواد أن يتوجهوا إلى خراسان لأن أمير الجيوش محمد ابن ابراهيم سيمجور (٩٠) متوجه إلى الري ، وقد خلت ساحة خراسان ، فتوجه عضد الدولة إلى هذه الناحية ، وبلغ حدود خراسان ، وتعقب وشمگیر ومحمد بن ابراهيم ، وجاء إلى دامغان ، وخرج ركن الدولة من الري ، حيث توجه الخراسانيون ، وفي أثناء ذلك توفي وشمگیر (٩١) ، وسعى أبو الحسين سيمجور كثيرا ليقر الصلح بين الأمير منصور وركن الدولة على أن يرسل ركن الدولة سنويا مائة وخمسين ألف دينار ذهباً أحمر إلى الخزنة العامة ، ومن أجل تأكيد المصالحة تزوج ابنة عضد الدولة ، وفي الحادي عشر من رجب سنة ٣٦٥ هـ (٩٢) رحل منصور وكانت مدة حكمته خمس عشرة سنة ، وكانوا يسمونه في حياته الأمير « المؤيد » ، وبعد وفاته بالأمير « السديد » .



ذكر سلطنة الأمير نوح بن منصور بن نوح الساماني

حل أبو القاسم نوح بن منصور محل ابيه بعد وفاته ، وفي بداية ملكه مات الپتگين واتفق اتباعه على امارة سيكتگين وكان غلاما له .

وفي سنة ٣٦٦ هـ توفي بيستون بن وشمگیر في جرجان ، فاستولى أبو المعالي قابوس بن وشمگیر على جرجان وطبرستان ، وفي سنة ٣٦٧ هـ استولى عضد الدولة بعد وفاة ابيه ركن

الدولة على جميع بلاد العراق (١٣)، وفي سنة ٣٦٩ هـ توجه عضد صوب اخيه فخر الدولة ، ففر فخر الدولة ، ولاذ بقابوس ، فقابلته قابوس بالتكريم والتعظيم بل أنه أشركه في ملكه (١٤) .

وفي سنة ٣٧١ هـ عزل الأمير نوح محمد بن إبراهيم سيمجور عن امارة خراسان ، وعين محله حسام الدولة أبا العباس تاشي (١٥) ، وفي نفس السنة أرسل عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة للحرب ففخر الدولة ، وفي نواحي استراباد تحارب فخر الدولة وقابوس مع مؤيد الدولة ، وهزما ، وجاءا إلى خراسان عند حسام الدولة تاشي ، وحررا رسالة عن حالهما واستيلاء الاعداء على ملكهما الموروث ، وأرسلوها إلى الأمير نوح في بخارا ، فكتب الأمير نوح رسالة مملوءة بانواع الإعزاز والاحترام إلى حسام الدولة ، لأنه أكرم قدمهما ، وعمل على تعظيم وتكريم هذه الأسرة الكريمة ، وطلب أن يرسلها إلى مقر العز والشرف ، ويرد خصومهما ويدفع أعداءهما ، فامثل حسام الدولة للأمر ، وجمع الجيوش المتفرقة ، وتوجه من نيشابور إلى جرجان ، ليستخلص أولا دار ملك قابوس ، وبعدها يتوجه لأمر فخر الدولة .

وعندما وصل حسام الدولة وفخر الدولة الديلمي وقابوس - وكان من أهل الثقة عند الأمير نوح - إلى حدود جرجان ، تحصن مؤيد الدولة في المدينة ، وسعى لاحكام الأبراج ، وصابر مدة شهرين في هذا الحصار ، وثبت الجيش في هذه المحنة ، وأبدى بطولات ، وفي هذه المعارك لم يتراجعوا خشية السيف أوعبا من الرماح والسنان ، ولما امتدت فترة إقامة الخراسانيين في جرجان ، ظهر قحط شديد في المدينة ، وصل درجة أن أكل أهالي جرجان نخالة الشعير المتخمرة بالطين (١٦) ، وكان أبو الفضل المنجم يقول لمؤيد الدولة : « فلتصبر في هذه الحادثة حتى يصل المريخ إلى درجة الهبوط وبعدها اعزم واجتهد فرما يتيسر القمح فيها ، وإذا لم يحدث فاخرج بالجنود من هذا المضيق إلى الفضاء ، وارض بالقضاء .

أخفى مؤيد الدولة هذا السر ، وانشغل بإعداد أدوات الحرب حتى رمضان سنة ٣٧١ هـ ، خرج بجميع الجيش من المدينة ، وظن الخراسانيون انه يتجول كسابق عهده في الأيام الأخرى ، وسعود ، وتوالت هجمات الديلمة عليهم خلاف ماظنوا ، وفي أول هجوم فر فائق - الذي كان قد أخذ الرشوة من مؤيد الدولة مقابل المساهلة يوم الوغى - وثبت حسام الدولة تاشي وفخر الدولة ثباتا عظيما ، حتى تفرق معظم الجيش ، واقترب الليل ، وخارت قوى الأعداء ، فاضطروا إلى ترك المعسكر بخزائنه ونفائسه الكثيرة ومواشيه العديدة ، وسلكوا طريق الفرار ، ولم يقر لحسام الدولة وفخر الدولة وقابوس قرار إلا في نيشابور ، فأرسلوا رسولا إلى بخارا ، وعلم نوح بهذه الواقعة النكراء ، فطيب خاطرهم ، ووعدهم بأن يرسل إليهم

خراثن كثيرة وجيشا جرارا لمساعدتهم ، وأرسل أبو الحسين العتبي بموجب امر نوح بن منصور الرسل إلى اطراف واكناف الممالك المحروسة ، ليجمعوا الجيوش في مرو ، حتى يتحرك بنفسه لإصلاح هذا الخلل وتدارك هذا الفساد ، وخلع الأمير نوح على أبي الحسين الوزير خلعة ثمينة ، وقاد الجيش بنفسه بأبهة القيادة وعظمة الوزارة ، ولما كان أمره في علو الشأن ونفاذ الأمر وكمال الاقبال وحصول الغاية قد بلغ نهايته ، فقد بدأ يتراجع « اذا انتهى الأمر بالكمال فهو إلى زوال » وخلع خلعة الحياة (٩٧) .

وتفصيل هذا الاجمال هو أن أبا الحسين سيمجور قد سعى لعزله من اماره خراسان ، ودائما ما كان يكتب لفائف في تقبيح حاله ، حتى حرض فائق جماعة من غلمانه ، واتفقوا في هذا المجال وانتظروا الفرصة ، وعلم أبو الحسين بهذا الحال ، فخاف ، وعرض الأمر على الأمير نوح فعين جماعة من خواص خدمه لحراسة الوزير ، وظن أنه يمكن دفع سهم القدر السماوي بالتدبير الانساني ، وحسب الاتفاق توجه الوزير إلى قصر الإمارة ذات ليلة ، وتعقبته جماعة من هذه الطائفة ، وطعنوه طعنات ، ففر الحراس بسهولة ، ولم يذكر لنا التاريخ قط وزيرا مثله ولن يذكر .

وظل حسام الدولة تاش وفخر الدولة وقابوس ينتظرون وصول الوزير ، وفجأة وصل هذا الخبر المفجع ، فانفرط عقدهم ، واستولت قوافل الغم والحزن على خاطرهم ، وطلب الأمير ببخارا من حسام الدولة أن يتلافى هذه الحادثة ، وأن يعود من عند شمس المعالي وفخر الدولة فتوجه إلى بخارا .

وظهر بعض قتلة أبي الحسين العتبي ، فثلب بهم وتفرق الآخرون في أقطار البلاد ، وفوض الوزارة لأبي الحسين مزني ، وفي تلك الأثناء كان أبو الحسين سيمجور قد عاد من سيستان ، وجاء خراسان دون استئذان ، وترصد الفتنة والفساد ، وطمع في أن يستغل حادثة جرجان ، ليستحل بخارا ويروج أمره ، ولامه أبو الحسين مزني على هذا التصرف ، وقال له على سبيل النصيحة والإرشاد : « يجب أن تخرج من ساحة خراسان إلى قهستان فهي من أقطاعك » ، وقبل ابو الحسين سيمجور التماس الوزير ، وأضاف الوزير ببادغيس وكنج رستاق إلى اقطاعه وقال : « لو صدقت العهد واطعت وضمت عقيدتك في الخدمة وثبتت قدمك في موالة الدولة سأختصك بأنواع الإكرامات ومزيد من الاقطاعات » .

ومستطور في بعض كتب التاريخ أنه عندما توجه حسام الدولة تاش إلى بخارا ، أخلى أبو علي سيمجور ساحة خراسان ، وكاتب فائق ورغبة في مخالفة تاش ، ومن اجل ارضائه لأمه على تقديم (أبي علي سيمجور) عليه على الرغم من كبر سنه وحقوقه القديمة على دولة آل سمامان ، ودعاه لموافقته لاصلاح ذات البين ، فوافق ، وجعله يوافق على هذا الأمر ، وعقد

بينها موثيق مؤكدة ، وقبض ابو على على عمال تاش الذين كانوا يعملون في خراسان وصادرهم وتوجهها سويا إلى مرو ، وبادرا باعلان كلمة العصيان (٩٨) .

وعندما وصل هذا الخبر إلى تاش ، جمع الجيوش ، وتوجه إلى خراسان ، ووقع بينه وبين الشائرين قتال ، انتهى بالصلح على أن تكون زعامة الجيش ونيشابور لتاش ، وبلغ لفائق وهرات لأبى على ، وتوجه كل منهم إلى ولايته ، وعند العودة كان حسام الدين الدولة تاش قد عزل عن وزارة بخارا ، وأخذ منصبه أحد ملازميه يدعونه بعبد الرحمن پارسى ، وبعد ذلك جاء تاش إلى خراسان .

وعزل نوح بن منصور پارس وعين عبدالله عزيز على هذا المنصب ، وعندما تولى عبدالله منصب الوزارة عزل حسام الدولة تاش عن إمارة وزعامة خراسان بسبب العداة الذى كان يكنه له ، ومن على ابن الحسين سيمجور بهذا المنصب ، وكلما حاول حسام الدولة ارضاء خاطر الملك والوزير ، لا يجد فائدة ، وعرض عبدالله عزيز على الأمير نوح أن حدوث الوهن والضعف فى الدولة كان بسبب ضعف رأى وسوء تدبير الوزراء السابقين ، ولا يمكن تدارك هذا الفساد إلا بهذا التغيير والتبديل (٩٩) .

وفى أثناء ذلك أرسل فخر الدولة الذى كان قد جلس على العرش بعد وفاة أخويه عضد الدولة ومؤيد الدولة (١٠٠) طبقا لما سذكروه ان شاء الله ضمن وقائع وأحداث الديالة ، أرسل رسالة إلى تاش من أن « أيام المحن وعهد الشدة قد انتهى ، وانتظمت الأمور واستقامت وفق المرام ، وتطهر الملك الموروث من الكدر ومزاحة الأعداء » ، وأجابه تاش فهنا فخر الدولة بعرش المملكة ، وضمها بعض مكاييد الحساد وعدم اهتمام الأمير نوح ، فكتب فخر الدولة لحسام الدولة رسالة طويلة وقال : « لما كان الله قد رفعنى بفيض لطفه فانى أشركك فى الممالك والخزائن والدفائن وغير ذلك ، وكل ما اقترحه عليك من مال وجيش وعتاد ليس هراء ، وذكر إننا لاننسى أياذى ومكارم حسام الدولة تاش فى أثناء اقامتنا بخراسان ، ولا يمكن ان نقصر عن شكره » ، وسمح فخر الدولة لرسول تاش بالانصراف معززا مكرما ، وأرسل الفى فارس وهدايا لائقة لمساعدته وتوجه تاش إلى أبى الحسين .

تحصن أبو الحسين سيمجور فى نيشابور ، وسعى تاش لمحاصرته ، وفى أثناء ذلك وصل ألفان آخران من فرسان الديالة لمعاونة تاش ، وعندما علم أبو الحسين سيمجور بهذا الأمر سلك طريق الهزيمة تحت حجب الظلام ، وعرف جيش تاش فتعقبه ، واستولوا على كثير من أحمال واثقال الخراسانيين ، واستولى تاش على نيشابور ، وأرسل رسائل إلى بلاط نوح ، وكلما حاول إصلاح الحال وطلب المغفرة والاعتذار عن العثرات السابقة وقال : « إذا كنت لم

اعتد الخيانة فلم تغلق باب العفو؟ وسعى في هذا الأمر، ولكن لم يهتم الأمير نوح بكلام أبي العباس تاش بسعاية عبدالله عزيز.

وفي اثناء ذلك ارسل سيم-جور رسولا إلى كرمان ، وطلب المساعدة من الأمير أبي الفوارس ابن عضد الدولة ، فارسل اليه عشرة آلاف فارسا لمعاونته ، والتحق فائق ايضا بجمع غفير بأبي الحسين ولما جمع جيشا ملاً السهل والجبل ، اتجه إلى نيشابور، وخرج أبو العباس تاش من المدينة ، واستعد في مواجهة الأعداء ، وبعد قتال عنيف انهزم ، وعاد جيش الديلم من عنده ، والتف الخراسانيون حولهم ، وأفرطوا في قتلهم ، وأسروا بعض الديلمة وأهل خراسان الذين كانوا بخدمة تاش ، وأرسلوهم إلى بخارا ، وأدخلوهم المدينة في ذلة وسوء حال فأسرع مخرجو المدينة بالدفوف وأمثالها من آلات الملاهي لاستقبالهم ، وسقطت نساء هذه الجماعة في ايديهم ، فأهانوهم ثم حبسوهم جميعا في قلعة قهندز حتى لقي بعضهم حتفه لسوء الحال واطلقوا سراح بعضهم .



وصول أبي العباس حسام الدولة تاش إلى جرجان وماحدث له في هذه المملكة

عندما انتهى تاش من محاربة أبي الحسين سيمجور، توجه إلى جرجان ، كان فخر الدولة قد أعد قصر الامارة وتركه له بفرشه الفاخر وآلات الطرب وأواني الفضة والذهب وآلات المطبخ والشراب وأنواع أخرى وخزائن ، وتوجه إلى الري ، ومن هناك أهدى اليه خمسين جوادا عربيا وبغال والجمرة وسروج ذهبية وعتاد واسلحة ودروع وتروس مذهبة وسيوف هندية وأنواع من الأسلحة محلاة بالذهب والفضة ، وسلمه خراج جرجان ودهستان وابسكون (١٠١) ، وكان يرسل دوما التحف والهدايا لدرجة أن نصحه الصاحب عباد ذوالمقام الرفيع بعدم التبذير، فقال لابن عباد : ان سوابق الإنعام التي قدمها لى تاش تعادل جميع ماوزنته واكتسبته بما فيها هذا القميص الذي ارتديه لو انفقته في مصلحة له لا تكفى قضاء مكرمة واحدة من كرمه ، ولا ترقى نعمة من نعمه ، ومن جملة هذه النعم أنني أقت عند حسام الدولة تاش في خراسان هربا من جور وظلم الأخوة ، وأرسل الأخوان رسائل اليه من انه لو سلمنى اليها سيرسلان مالا كثيرا إلى خزانة الأمير نوح ، ومثله لتاش ، وأرسل من تحف بلاد العراق من الأقمشة الفاخرة والجياد العربية والهدايا الأخرى لهذه البلاد من قبيل تقديم الخدمة كنى لا يكون هناك مجال للاعتذار، وعندما وصل مضمون رسالتهم إلى اسمعى وأظلمت الدنيا في عيني ، وانقطع أملى في الحياة ، وكان طريق الموت ميسرا

رفع مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

ولامفر، وفي أثناء هذا التفكير، جاءني حاجب تاش واستأذن، ودخل مجلس ودعاني للضيافة، وترددت لأن الضيافة إما بلاء أو عداء، قلت لنفسي: غالبا سيصينى سهم خداع اخوتى هناك مكيدة لاحضارى، وركبت وأنا فى غاية الاضطراب والقلق، ولا تستطيع يدي إمساك العنان ولا يمكنها القبض على السوط، وعندما وصلت إلى مجلسه قدم لى تعظيما واحتراما وتوقيرا لاحدود له، وزال الخوف الذى استولى على للطف مجالسته وموانسته وفجأة سلمنى مكتوب اخوتى وقال: اريد أن أخفى هذه الرقاع حتى لا يصاب خاطرك بأذى لكن رأيت ابعاد أمر التهمة والريبة عنك وعملت أكثر على سكون قلبك وفراغ خاطرك، وبعد ذلك أقسم بالايمان الغليظة اننى لن أسلم فى شعرة من شعرك بل فى خيط من ثوبك بجميع خراج العراق، وكل ماتحت يدي من صامت وناطق تحت تصرف ممالكك، ولن نكف عن اكرامك واعزازك انت وعشيرتك وكل من هو تابع لك بصدق واخلاص، حتى لو انفقت قيصى هذا الذى على كتفى من اجل دفع الحوادث عن ساحة مجدك والانتقام من منازعك فى ملكك الموروث، فلن اتوانى ولن أقصر مطلقا فى مجال مساعدتك حتى تصل إلى حقل معززا مكرما، والآن الشخص الذى كان بمثل هذه المودة وقدم هذا الكرم بلا طمع كيف يجوز لى أن اتهاون فى كرمه، لا وبحق الكعبة لن أنسى هذه المساعى ولن أكفريهذه الأيادي، ولن أقصر فى حقه، ولو بقدر ما وجدت من مكافأة ومجازاة، وقد كفانى البارى تعالى معونته وموثته» .

أقام تاش فترة فى جرجان حتى سنة ٣٧٩ هـ حدث وباء عظيم فى هذه الولاية، وفنى معظم جيش تاش وكبار قواده وحجابه وكتابه، وسقط تاش نفسه ايضا فى هذا المرض عدة ايام ومات فى هذه الغربة بقلب حسير (١٠٢) .



وفاة أبى الحسين سيمجور وتقلد ابنه أبو على منصبه ومخالفته لنوح بن منصور وبيان قضايا بغراخان

ذات يوم ذهب أبو الحسين سيمجور للتنزه، وكان يحمل معه جارية من سراريه، ومال السيد لمعاشرتها والتحم بالجارية، وفى أثناء المعاشره فارقت روحه بدنه، وتوقفت آلة المعاشره عن عملها (١٠٣) .

وتصدى ابنه أبو على لامارة خراسان على سبيل الارث واسترد من بخارا حكومة نيشابور وأعطوا امارة هرات لفائق، ووقع نزاع بين أبى على وفائق، وانتهى القتال وهزم فائق امام

أبى على ، واستعد في مرو الرود بجيشه ، ودون ان يحصل على اذن من نوح بن منصور توجه إلى بخارا ، وظن الأمير نوح ظن السوء بفائق ، وارسل اينانج وبكتوزن لصدده ، وحاربا فائق ، ولهمزم فائق ، فتوجه إلى بلخ ومن هناك إلى ترمذ ، وأرسل رسائل إلى بغراخان وحرضه على عداوة الأمير نوح .

وفي أثناء ذلك أرسل أبو على سيمجور إلى بخارا رسالة عارضا المصالحة ، واتمس أن تكون إمارة خراسان له بلا شريك ، وعرض فيها أيضا خدمات آل سيمجور التي صدرت منهم لسلطين السامانية ، وأمل ان يجاب طلبه بفرمان نوح بن منصور أمير الأمراء المؤيد من السماء .

وعندما علا وارتفع نجم ابى على إلى غايته ، اطلق يد التصرف في جميع بلاد خراسان ، وقسم أموال هذه البلاد على اتباعه ، وطلب نوح بن منصور منه أن يترك بعض ممالك خراسان لعماله الخواص ، فلم يلتفت أبو على لقوله ، ورد عليه « إن خلقا كثيرين من المجندين مجتمعون هنا ، وأموال هذه الولاية لا تفي لمرتباتهم ، وربما أضفت ممالك أخرى من الممالك المحروسة لهذه الاقطاع الناقصة » ، وبعد ذلك برز العصيان وظهر العداء في صورة صداقة ، ثم ارسل رسائل إلى بغراخان ملك الترك ، وجاء برسائله لو أن الأمير توجه إلى ماوراء النهر ، وتحركت انا من هنا ، وهجمت عليه على أساس ان نقسم المملكة بعد القضاء على نوح إلى قسمين ؛ يكون ماوراء النهر للأمير وتكون خراسان لى ، وعض بغراخان بأنياب الطمع ، وجرى الجيش إلى نوح فأرسل نوح اينانج حاجب بجيوش لاستقباله ، وأسر بغراخان اينانج ، واتجه إلى التركستان ، ولهذا السبب اصاب الوهن تماما حال نوح ، وبعد ذلك اضطر نوح استدعاء فائق ، وسلم الجيش لفائق وعينه على حكومة سمرقند ، ليصون هذه المملكة من أضرار الترك ، وعندما وصل فائق سمرقند ، سمع أن بغراخان متوجه بجيش كان برفقته ، وخرج من المدينة ، وتقدم لاعداد الصفوف واستعمال السيوف فاتجه إلى بخارا ، ولم يعد عند أى شخص قط شبهة من أن فرار فائق مبنى على خبث عقيدته وكفران نعمته (١٠٤) .

واضطرب نوح من وقوع هذا الأمر ، فترك أمر الحكيم وترك المملكة ، وتوارى في ركن ، وبعد ضبط سمرقند ، اتجه بغراخان إلى بخارا ، واسرع فائق لاستقباله ، وانتظم في زمرة خواصه ، وعندما استقر بغراخان على عرش سلطنة ماوراء النهر استأذن فائق في أن يذهب إلى بلخ ، ويجبى مال هذه المملكة من الرعايا حتى يضربوا السكة ، ويخطبوا للأمير في هذه الولاية ، فأذن له بغراخان ، فتوجه فائق إلى هذه الناحية ، فانتهمز نوح الفرصة وخرج من مستقره متنكرا ، وعبر جيحون ، ونزل شط آيل ، وسر جميع خدمه ومماليكه الذين كانوا هناك في حيرة واضطراب ، عندما علموا بخبر وصول ملكهم ، بل انه ظهرت حياة جديدة بين هذه

الجماعة الذابطة ، وجمعوا من الأطراف والنواحي الجيوش المتفرقة تحت ظل رايته الظافرة ، ومنذ بداية الفتنة وحدثت المهجوم الغادر كان الأمير نوح يرسل أبا علي سيمجور ، ودعاه لنصرتة وقضاء حقوق نعمته وحماية بيضة دولته ، وكان يداوم بالقول الكاذب والمواعيد المخالفة على الأمير نوح ، وعندما نزل الأمير نوح بشط « ايل » ، وارسل رسولا إلى أبي علي وقال : لقد مر وقت انتظار ، ووصل الأمر إلى غايته ، وحين الوقت للقيام بقضاء الحقوق السالفة الذكر ، وتعاون آل سامان السابقين ، وهكذا استمر أبو علي في عادته الذميمة وخلقه اللثيم حتى كفى الله تعالى أمر نوح بلامنة من مخلوق ، ووصل إلى مقره الشريف وجعل غدر ومكر أعدائه سبب حرمانهم وخذلانهم وما ذلك على الله بعزيز (١٠٥) .



رحيل بغراخان عن بخارا وعودة نوح بن منصور إلى مملكته واتفاق الأمير ناصر الدين سبكتكين معه على قلع وقع أبي علي وفائق وبيان الحروب التي وقعت في ذلك الوقت بينها

تأذى بغراخان من هواء بخارا ، وشمله شؤم الطمع الذي سرى في اسرته ، وأصيب بمرض عضال لا علاج له إلا باستنشاق هواء تركستان ، واضطر الخروج من بخارا ، وتوجه إلى هذه الناحية ، وتطاول البخاريون على مؤخرة جيشه ، وقاموا بالغارة والنهب ، وسلم بغراخان الروح لقابضها بعد عدة منازل .

وعندما وصلت هذه البشرية إلى مسامع الملك نوح ، سارع على جناح السرعة ، واسرع البخاريون جميعا لاستقباله ، وسعدوا بكسادة العصائم برؤية الهلال والظمان بالشراب الزلال ، ومرة أخرى عادت سمرقند وبخارا إلى ديوان الملك نوح ونفذ أمره ونهيه على القاعدة السابقة في هذه المملكة (١٠٦) .

وعندما رأى أبو علي أن سفينة نوح قد استقرت على الجودي ، انطفت شعلة رأيه في ظلمات تلك الكارثة ، وذبلت روضة عيشه من عاصفة الحادثة ، وشاور خاصته في هذا المجال واستفسر من العقلاء عن المخرج ، فقالوا جميعا : إن طينة آل سامان معجونة بزلال اللطف والكرم ، وعفوه عن زلات وعثرات خدمهم عادة قديمة ، ولا يمكن أن تصل إلى بر النجاة من هذا الغرق إلا بسفينة عناية نوح ، ولا يمكن أن تهرب في الأرض من سيل المهن إلا بيمين دعوته ، والحل هو أن تسمى لاسترضاء خاطره الشربف بأى شكل كان ، ووافق هذا القول مراج أبي علي ، وأعد الهدايا وجمع التحف اللاتقة ، وازاد أن يرسلها مع رسول لبق ليفك بسحره عقدة الوحشة من ضميره ، وأخيراً تبدل رأيه وقال لنفسه : طالما زرعت كل هذا

الجفاء فكيف اطمع في الموافقة في نفس المكان الذي نمت فيه اغصان الخلاف ؟ وتردد في ارسال الرسول الذي كان يريد ارساله والأموال واطهار الاعتذار والاستغفار.

وفي أثناء ذلك التحق فائق به وراودته الوسوس كثيرا في أن يتفق مع أبي علي على مخالفة ولي النعمة ، وبيان هذا الكلام هو أنه عندما انتظمت أحوال الأمير نوح بعد وفاة بغراخان ، اضطرب خاطر فائق ولم يجد تدييرا إلا أن يقضى على الملك نوح قبل ازدياد قوته وشوكته ، واضطر لاعداد الجيش ، وتوجه من فوره إلى بخارا ، وارسل الأمير نوح جيشا لاستقباله وتلقى الفريقان ، وبعد اعداد الصفوف ، وقع قتال عنيف ، وهلك خلق كثيرون ، وآخر الأمر فر فائق بروحه من المعركة ، ولما لم يجد ملجأ آخر ، لجأ إلى أبي علي ، وشرع في الفساد وسر أبو علي من قدومه ، وظن أن حضوره سبب في استغناؤه عن رضا نوح ابن منصور ، وأعطى الهدايا التي كان قد أعدها للملك نوح ، وتوطدت بينها أسس المحبة والصدقة .

عندما علم الأمير نوح باتفاق أبي علي وفائق ، فكر فيمن سيروض هذين العاصيين ؟ ومن الصياد الذي يمكنه اصطياد هذين الحوتين ؟ وبعد المشورة ، وقعت قرعة الاختيار على الأمير سبكتكين الذي كان معروفا بالوفاء والمرؤة ومتصفا بالقوة والشوكة (١٠٧) ، وفي تلك الأيام التي كانت خراسان وماوراء النهر يحدث فيها هذه الأمور كان الأمير سبكتكين يقوم بغزو الهندوستان ، وحصل على غنائم كثيرة .

وعندما استقر رأى الأمير نوح على الاستعانة بسبكتكين ، أرسل أبا نصر الفارسي بسفارة إليه ، وعرض عليه بعضا من قبائح أفعال وفصائح أعمال أبي علي وفائق فغار على ضعف سليل سامان ، ودق طبل الرحيل فورا ، وتوجه صوب بخارا وماوراء النهر ، وجاء الأمير نوح لاستقباله حتى ولاية كش ، وقبل ملاقة الأمير سبكتكين اعفاه من تكلف النزول وتقبيل الأرض لضعف شيخوخته ومراعاة كبر سنه ، وقبل ملك نوح عذره ، ولكن عندما وقعت عين ناصر الدين سبكتكين على خلعة نوح افلنت هيبة السلطان الزمام من يده واضطر النزول وقبل ركاب ملك نوح ، فاحتضنه نوح باعزاز وسرور تام ، وانشرحت قلوب الاثنین من الزيارة ، وسر الجميع الخاص والعام ، وأكرم الجميع بما هو ليس مكتوب ومذكور في أي تاريخ .

وبعد تقديم واجبات الضيافة ، تحدثا في مجال تنظيم المملكة ودفع المنازعين ، وقررا أن يعود الأمير سبكتكين إلى غزنین ، و يقوم باعداد الجيش وفتح الأمير نوح يد الانعام ، وأكرم الأمير سبكتكين واتباعه بالخلع الفاخرة والهدايا السلطانية ، وعاد سبكتكين إلى غزنین ، واسرع الأمير نوح إلى بخارا

وعندما علم أبو علي بهذا الأمر زادت الحيرة في رأسه ، وشاور خواصه في هذا المجال ، من انه لو وقعت الواقعة وأصابته العين ، فإلى أي ولاية نذهب ؟ وإلى من نلجأ ؟ قالوا جميعا : يجب أن تسلك طريق المحبة والمودة مع فخر الدولة ، ويجب أن توطد عروة مولاته ، فأرسل أبو علي أبا جعفر ذا القرنين بسفارة إلى جرجان ، وأرسل ماتيسر من نفائس خراسان وتحف تركستان إلى فخر الدولة ووزيره الصاحب عباد ، ليمحو من بينها أساس العداة و يفتح أبواب المراسلات والمكاتبات .

وفي أثناء ذلك صعد النجم الظافر للأمير ناصر الدين سبكتكين من أفق بلاد بلخ ، وتحرك الأمير نوح من بخارا ، والتحق به شار (١١٨) حاكم غرجستان وابو الحارث فر يقوبي والى جورججان (١١٩) والتحق الأمير ناصر الدين بقرابة مائتين من الأميال والجيوش المنظمة بالأمير نوح ، وعندما علم أبو علي وفائق بتوجههما ، خرجا من هرات بجيوش خراسان وألفين من الديلم الذين كان فخر الدولة قد أرسلهم للمساعدة ، واستعدا للحرب وكان داراء شمس المعالى قابوس بن وشمكير قد جاء من جرجان لمعاونتهما ، واختار الأمير ناصر الدين صحراء شاسعة ، ونظم الميمنة والميسرة ، ووقف على القلب بنفسه مع الأمير نوح وسيف الدولة محمود غازى ، وسعى أبو علي أيضا في اعداد جيشه اعدادا جيدا ، فأرسل فائق على الميمنة ، وسلم الميسرة لأخيه أبى القاسم سيمجور ، وعندما تلاقى الفريقان ، غلبت ميمنة وميسرة فائق ميمنة وميسرة ملك نوح ، وجاء فائق وهجم عليهم ، وكاد امر الحرب يخرج من يده ، ووقع خلل كبير ، لأن داراء بن قابوس هجم من قلب ابى على وعندما توسط الجيشين احتسى بالدرع ، والتحق بخدمة ملك نوح ، وقاتل جيش خراسان ، واضطرب الأمراء العصاة وجميع جيوشهم لأن غدر داراء لم يكن موافقا لهم ، ولهذا السبب وهنوا ، وعندما رأى الأمير سبكتكين آثار الضعف على وجنات المخالفين ، هجم بجماعة من الفرسان الشجعان ، واضطرب اصحاب أبى على من نهاية هذه الواقعة ، ففروا ، فتعقب السلطان محمود الفارين ، فقتل جمعا وأسرجمعا ، وترك المخالفون من الأموال والأسلحة والعتاد لوأنهم وقوا بعشره عرضيهم لسلموا من مصائب الدهر ، وفر أبو علي وفائق ، واتجها إلى نيشابور ، وتوقف الأمير نوح وسبكتكين وابنه محمود للراحة وتقسيم الغنائم بضعة ايام في هرات ، ولقب ملك نوح الأمير سبكتكين بناصر الدين ، وشرف وارث ملكه محمود بلقب سيف الدولة ، وعين سيف الدولة على امارة الجيوش وكان منصب أبى على ، وعاد ظافرا منتصرا إلى بخارا ، وتوجه الأمير ناصر الدين وسيف الدولة محمود بكوكبة عظيمة إلى نيشابور (١٢٠) .

وعندما سمع أبو علي بخبر عودتهم ، توجه إلى جرجان ولجأ إلى فخر الدولة ، وتشاور فخر الدولة مع الصاحب عباد في مجال رعاية أبى على ، وأنعم فخر الدولة عليه بمبلغ ألف ألف درهم لينفقها على مصالحه ، وقضى أبو علي وفائق الشتاء في جرجان ، وأرهقا فخر الدولة

بكثرة طلباتها ، فتغافل عن هدفها ، وتأذى خاطر أبي على وفائق وفخر الدولة وتشاوروا مع خواصهم في مجال ما يصلح الأمر ، قال بعضهم : الصلاح هو أن يظهر شعار دولة الأمير نوح في جرجان ، ونزين المنابر والدنانير باسمه ولقبه ، وبذلك نتقرب إلى خدمته ، استاء فائق من هذا المعنى وقال لقد ذهب سبكتكين إلى غزني ، وظل محمود وحيدا في هذه الولاية ، وليس لديه طاقة للمقاومة ، ولما كان الوقت مناسباً لكي نذهب إلى نيشابور ونطرد محمود من هذه الولاية ، ونقيم مطمئنين ، ولو هزمتنا والعياذ بالله ، نعود إلى جرجان ، ويجب أن نعجل بالتوجه إلى هذه البلاد لأن هواء جرجان عفن حتى لا يصبينا ما أصاب حسام الدولة تاش وجيشه ، واستحسن عامة الجيش هذا الرأي بسبب حب الوطن والأهل ، ووافقه أبو علي سواء شاء أم أبي ، وعرما التوجه إلى نيشابور .

وعلم سيف الدولة بتوجه المخالفين ، فتوجه إلى غزني وعرض الأمر على أبيه ، وعسكر بالجيش في ظاهر نيشابور ، وانتظر المدد ، ووصل أبو علي وفائق بجيشهما قبيل وصول جيش غزني في سنة ٣٨٥ هـ (١١١) ، وهجا عليه ، وهزم محمود بعد القتال ، وسقطت أمواله وأمواله في يد أبي على وفائق ، واستوليا على نيشابور ، فقال جماعة من بعيدى الفكر لأبي على : يجب أن تسرع عقب محمود قبل أن يلحق الأب بالابن ويصل مدد بخارا اليها ، ويجب أن تريح الخطر من الأمور الملكية ، ولم يصغ أبو علي لسوء حظه لكلمات المشفقين عليه ، وتغافل في هذا الأمر وارسل رسالة إلى الأمير ناصر الدين في بخارا ليتقبل عذره ، ونسب هذه الجسارة والجرأة لفائق ، فلم يهتم الأمير نوح وسبكتكين بكلامه ، ولم يكتبوا ردا .

بعد هزيمة سيف الدولة محمود ، ارسل الأمير ناصر الدين رسائل إلى النواحي ليجمعوا الجيوش في مكان محدد ، وأرسل أبا نصر بن أبي زيد ليستدعى خلف بن احمد ، واستدعى أبا الحارث فريقونى من جرجان ، وجمع في فترة وجيزة خلائق يعجز المحاسب عن حسابهم ، وبعد تجمع الجيوش ، سار الأمير ناصر الدين إلى نيشابور ، وتحرك أبو علي إلى طوس ، وعسكر على حدود هذه الولاية ، ووصل الأمير ناصر الدين بعد قطع المسافات والمنازل ، ونزل بطوس قرب معسكر أبي على ، وقضى الجيشان تلك الليلة حتى إذا انبلج الصبح ، تقلد رجال الجيشين وأهل الفريقين السيوف والحراب ، وفي أثناء ذلك اشتعلت نار الحرب ، ودارت جماعة كبيرة خلف ميسرة أبي على ، ولما مزقتها ، ظهر سيف الدولة محمود مع جماعة كبيرة من المقاتلين الشجعان ، وظل أبو علي بين الجيشين حائراً مضطرباً ، ولم يجد بداً من ضم الجناحين إلى القلب ، وهجم على قلب ناصر الدين لينجو بنفسه من هذا الهلاك ، وواجه ناصر الدين بجزم متين وقدم راسخ هؤلاء جميعاً ، ووصل سيف الدولة محمود ، وعمل السيف في المخالفين وأهلك كثيراً منهم حتى انثنت ظهور البقر من حملهم ، وانتقشت الأرض من

دمائهم ، وهلك خلق لاحصر له تحت أرجل الأفيال ، وأسروا من ملازمي أبي علي المشهورين بغرا وحاجب وسبكتكين فرغانى وارسلان بيگ وأبا علي بن نوشتكين وأبا جعفر ديلمى ، وفر أبوعلی وفائق من هذه المعركة وذهبا إلى قلعة كلات وهذه القلعة في مكان موحش ، وقام باستضافتها عدة أيام من حوادث الزمان أميرك طوسى حتى علم العصاة بحال الجيش وحياة وممات وهلاك ونجاة كل واحد ، والتحق بها شزيمة ممن نجوا من هذا الهلاك ، وحيث توجّه أبوعلی وفائق إلى بايتور ومن هناك توجهوا إلى سرخس ، ومن هناك عزما التوجه إلى مرو .

وبرواية الأمير ناصر الدين ويقول سيف الدولة محمود أن مشيرا الفتنة توجهها إلى مرو ، ووصل أبوعلی وفائق إلى شط بامل ، ومرة ثانية قدما العذر وأرسل أبوعلی أبا الحسين كثير وفايق عبدالرحمن الفقيه بسفارة إلى الملك نوح ، وذهبا إلى بخارا ، وسعيا لارضاء واستعطاف نوح بن منصور ، فرد فايق وقبل عذر أبي علي ، وأمر ملك نوح أن يذهب أبا علي إلى جرجانية ليحكم اقطاعها ، وارسل رسالة إلى والى جرجانية مأمون بن محمد مضمونها : « إن يكرم أبا علي ويعد له ما يحتاج اليه تبعا لمقتضى رأينا في هذا الشأن » (١١٢) .

وعندما عاد أبو الحسين كثير قال فايق لأبي علي : هل الهدف من توجهك إلى جرجانية مساعدتنا ، فالآن الأقرب إلى الصواب هو أن ترافقنى إلى ايلك خان حتى تنجو من هذا الفرق ، فلم ينصت اليه أبوعلی ، وودع فايق ، وتوجه إلى جرجانية وعبر فايق النهر ، وانتظم في سلك ايلك خان ، وعندما وصل ابوعلی إلى « هزار راسب » (١١٣) ، أرسل أبو عبد الله خوارزمشاه رسولا اليه ، واعتذر عن استقباله وقال « سأصل لخدمتك غدا » ، وعندما حل المساء ، وبناء على الحقد الذى يكنه لأبي علي ، ارسل جماعة أسروه مع خاصته ، وحملوهم إلى خوارزم فأمر خوارزمشاه بحبس أبي علي ، وأودعوه قسرا من القصور .

وعندما وصلت صورة واقعة أبي علي إلى سمع محمد بن مأمون والى جرجانية ، تحرك غرق حميته ، وابدى قلقا واضطرابا ، وجمع خشمه ، وأمر بلنكو غلام أبي علي وباقى خدمه بأن تكون ربة طاعتهم له ، وبهاجموا خوارزمشاه وعملوا بأوامره ، وعندما دخلوا مدينة كات التى كانت مقرا له . قتلوا بعض اتباع خوارزمشاه ، وفرقوا البعض الآخر ، وأسروا خدمه ، وفكوا قيود أبي علي ، ووضعوها على قدم خوارزمشاه ، وأسروا الأمر ، وحملوا إلى جرجانية أبا علي باعزاز واحترام تام ، وخوارزمشاه فى لباس الإذلال والنكال ، وبالغ مأمون فى تعظيم وتكريم أبي علي ، وقدم الهدايا اللاتقة .

وكان سبب عداة عبد الله خوارزمشاه ومحبة مأمون لأبي علي هو أنه عندما عبر نوح بن منصور النهر بسبب سيطرة وغلبة بغراخان قدم خوارزمشاه ومأمون بن محمد خدمات جليلة له

وعندما استقر ملك نوح على عرشه ، كافأ عبدالله خوارزمشاه ، بمنحه لبيورد ونسا لمأمون ،
وذهب عمال الحاكمين إلى هاتين الولايتين ، وسلم أبوعلی نسا لمأمون ، ورد على رسل
خوارزمشاه من أن ابيورد هي اقطاع أخى ولن يعوضه عنها الديوان الأعلى ومن المحال أن
يدخلها خوارزمشاه ، فعادوا ، وحكوا هذا الخبر السيء لخوارزمشاه .

عموما بعد ان وصل أبوعلی إلى جرجانية ، أعد له مأمون بن محمد ضيافة لم يكن مثلها
في العهود السابقة واحضروا الشراب في هذه الضيافة ، وعلى الرغم من أن أبا علی كان قد
تاب عن المحرمات ولكن أقدم على شرب الخمر لاحتفاء مأمون بن محمد .

« ان اساس التوبة عندما يستحکم مثل الحجر ، انظر كيف يكسر حساؤه الجمام
الزجاجی » (١١٤) .

وكلما شرب عدة اقداح ، اثرت فيه سورة الشراب ، واحضروا خوارزمشاه ، وكلما تحدثوا
اليه وألحوا في سلامته لم يجر جوابا ، ولا يرفع رأسه خجلا ، وأخيرا ضربوا رأسه بضربة سيف
في المجلس (١١٥) ، وتخلص (مأمون من خوارزمشاه) وارسل مأمون تحفا وهدايا كثيرة إلى
بخارا وتشفع بأن يعفو عن جرائم أبى علی ، قال نوح : « إننا في البداية تسامحنا عن ذنوبه
فأرسله إلينا » ، وفي أثناء ذلك استدعى نوح أبا علی وكان غافلا عما يخططه القدر ، فهل يسير
في الطريق ؟ وعندما اقترب من دار الملك ، اسرع عبدالله عزيز والخواص والمقربون
لاستقباله ، وذهبوا بأبى علی مع الأمراء والأعيان إلى العرش ، فنكس رأسه خجلا لكفرانه
بالنعمة ، وعندما احضروا بلنكو وقواده الآخرين واخوته واصحابه ، وادخلوهم المجلس وأمر
الملك بأسرهم جميعا ، وتقييدهم بالأغلال ، واطلق يد السلب والنهب في اموالهم ، وفي ذلك
الوقت كان الأمير ناصر الدين سبكتگين مقيا في مرو ، وعندما سمع بخبر أسر أبى علی توجه
إلى بلخ ، واستدعاه ، وأمر نوح أن يحملوا أبا علی إلى الأمير ناصر الدين ، وحبسه سبكتگين
إلى أن توفى (١١٦) .

ولما كان فايق قد وصل إلى ايلك خان ، اتفقا على أن يهاجما ماوراء النهر ، وصمم ايلك
بتحريض فايق على التوجه إلى هذه الناحية ، واضطرب الأمير نوح عند سماع هذا الخبر ،
ولم يجد بدا من طلب المساعدة من الأمير ناصر الدين ، فأرسل رسولا وسلمه رسالة ، من أن
ايلك خان قد جاء إلى ماوراء النهر ، وأساء إلى عمال الولايات المحروسة والتمس « أن يأتى
مرة أخرى بجيشه ، وتصعد هذا الخائن عن ساحة مملكتنا ، وتقوم بنظم حال ملكنا » ، وأرسل
ناصر الدين إلى اقطار وأطراف الممالك المحروسة خراسان وغزني وزابلستان لاستدعاء
الجيوش ، واستعد بنفسه ، ونزل بين كش ونسف ، وتوقف هناك حتى جاء سيف الدولة
محمود من نيشابور والتحق به جيوش الآفاق والأمصار ، وأرسل ملك نوح جميع الأمراء
والأعيان والجنود الخاصة لمعاونته ، وتوالت الرسل بين ايلك خان والأمير ناصر الدين ،

وتباحشا في مجال الصلح وعندما طلب سبكتكين من الأمير نوح أن يحضر بنفسه في هذه المعركة ، منعه عبد الله عزيز برأيه الفاسد من الذهاب ، فاستاء الأمير سبكتكين ورضى بالصلح ، وتنازل عن الحرب ، وبشفاعة ايلك خان تقرر أن تكون ولاية سمرقند لفائق ، وكتبا معاهدة صلح على هذا ، وزينوها بشهادة أئمة ومشايخ ماوراء النهر ، وبعد اتمام الصلح عاش الأمير نوح هادىء البال حتى رجب سنة ٣٨٧ هـ (١١٧) حيث توجه بمرض نضع ايام إلى وادى الصامتين ، عاقبتنا وادى الصامتين .



ذكر سلطنة منصور بن نوح بن منصور الساماني

عندما توفي الأمير الرضا نوح ، اجلس الأمراء والاعيان ابنه أبا الحارث منصور على العرش ، فوزع الأموال التي كانت في الخزائن على الجنود ، وعين بكتوزون على رياسة وامارة الجيش ، ووصل خبر موت ملك نوح إلى ايلك خان ، فتوجه إلى سمرقند ، وخرج فائق إلى بخارا ، وعندما وصل إلى هذه الحدود ، اضطرب منصور ، وترك بخارا ، وعبر أموية متعجلا ، ودخل فائق المدينة ، وأبدى أنه جاء لنصرة ومعاونة منصور ، ليرعى حقوق اسلافه ، وأرسل أكابر ومشايخ بخارا رسلا إلى منصور ، ليأمنوه من جانب فائق ، وعاد منصور إلى بخارا ، وقبض على المهام بواسطة فائق ، وارسلوا بكتوزون لامارة خراسان ، وفي أثناء ذلك توفي الأمير سبكتكين ، ووقع نزاع بين سيف الدولة محمود واسماعيل (١١٨) ، وعندما استراح خاطر محمود من ناحية اسماعيل ، طبقا لما سذكه ضمن قضايا الغزنويين أن شاء الله تعالى ، جاء إلى خراسان ، وأرسل رسولا إلى بخارا والتمس في أن يعيد إليه منصبه الذي كان قد عهد لبكتوزون على النظام السابق ، وأمر أبو الحارث منصور بن نوح في رده على سيف الدولة باننا سنسلمه إمارة بلخ وترمز وهرات ، أما بكتوزون فهو مملوك الدولة ، وقد ابعده عن القيادة والخدمة وعزله بلا اسباب على الرغم من خدماته القديمة .

وعندما سمع محمود بهذا الخبر ، فكر في أنه لاشك أن حساد وأعداء منصور قد حملوه على هذا ، لأنه تغاضى عن التماسي وبعد تأمل أرسل أبا الحسن حمولى بتحف وهدايا غالية لاتعد ولا تحصى إلى بخارا ، وسلم منصور رسالة أنه من المتوقع ألا تظلم وتسىء إلى الموالين ولا تنقص المساعدات والانعامات عن الرسم المعهود ، وحقوقنا وحقوق أبينا ثابتة في ذمة آل سامان ، ولا تضيع بكلمات النوشاة حتى لا ينفصم نظام الألفة ولا يهدم أساس الطاعة (١١٩) .

وعندما وصل حمولى إلى بخارا ، وسلمه منصب الوزارة فاغتر بهذا المنصب ، وأهمل السفارة التى كانت منوطة به ، وعندما رأى الأمير سيف الدولة محمود ضعف عقل وفتور رأى وسوء تدبير القوم ، وأدرك أن ملك السامانيين أشرف على الزوال ، ودولتهم بصدد الانتقال وأن هذه الجماعة المسئولة عن الدولة ومدبرها يهتمون بصلاح أمرهم ، ولا يهتمون بانتظام أحوال ولى النعمة ، فاضطر التوجه إلى نيشابور ليستولى على منصبه القديم ، وعلم بكتوزون بعزمه وقصده ، فعبر النهر وترك نيشابور ، وخرج إلى ناحية ، وارسل رسالة إلى بخارا ، وعرض صورة الحال ، وجمع أبو الحارث منصور بسبب غفلة الشباب وعدم التجربة — طائفة — ووجههم إلى خراسان ، ليقتصروا يد سيف الدولة محمود عن التصرف فى هذه الولاية ، وعجلوا بالسير ولم يتوقفوا بمكان قط إلا فى سرخس ، وكان سيف الدولة يدرك أن الأعداء ليس لديهم طاقة للمقاومة ، لكنه فكر فى كفران النعمة ، ورعاية جانب أبى الحارث ، فعاد إلى نيشابور ، وتوجه إلى مرو الرود التى تشتهر بمزغاب حتى لا يساء به الظن ، وبعد ذلك يأتى لمقابلتهم بحجة قاطعة ، ولا يدع فرصة لظن الحساد وملامة الأعداء فى هذا المجال ويعذرهم الأقاليم والأداني .



غدر فائق بمنصور بن نوح وجلوس عبد الملك بن نوح محل أخيه

عندما وصل بكتوزون لخدمة أبى الحارث منصور بن نوح ، وكان يتخيل انه لن يحظ بانعامه وعواطفه ، ولهذا لم يستاء ، وشكاً لفائق ، ولما كان فائق خشن الطبع وسىء فقد أيده ، وأخذوا فى تعداد عيوب منصور ، ودعوا الجميع لخلعه وعزله ، ووافقوهم جميعاً ، ورتب بكتوزون للدعوة ، وأخرجه من بيته لسبب هام فى حاجة لحضور منصور ، وقبض على هذا الأمير ، وسمل عينيه (١٢٠) ، واجلسوا أخاه عبد الملك الذى كان فى سن الطفولة على العرش ، وكانت مدة سلطنة منصور سنة وسبعة أشهر ، وانطلق الجميع الخاص والعام والوضيع والشريف بلسان التوبيخ ، وانكروا هذه الوقاحة والجسارة .

وفى هذه الاثناء وصل الخبر إلى الأمير سيف الدولة محمود ، وكان ينزل على جسر راغول ، فخاف فائق وبكتوزون ، وتوجها إلى مرو ، فأرسل سيف الدولة رسولا ليلومها على إضاعة حق ولى النعمة ، وإزالة الحشمة وهتك الحرمه ، فسلك فائق وبكتوزون طريق الخداع ووعدا بالرعاية ومزيد من العناية لعبد الملك بن نوح ، ووعده بزيادة الاقطاعات وحكومة الولايات ليرضيا .

ولم يقبل سيف الدولة محمود ذلك الحميته الاسلاميه وغيرته الدينيه ، ولم يتوان فى مواجهة هذه الحركات السخيفه والأفعال الذميمة ، واضطر التوجه من جسر راغول وجاء إلى مرو ،

ليحادثها في هذه القضية ، واحتار فائق و بكتوزون من قدوم السلطان محمود ، فاستولى عليها الرعب والخوف واضطربا على مافعلا ، لكن اظهرا تجلدا ، وأخرجوا عبد الملك من المدينة ، ونزلا في مواجهة جيش سيف الدولة محمود ، وعندما تيقنا انها يسعيان لهلاك انفسهما في مصارعة الفيل ، آثرا الشفاعة وارسلا الرسل ، وشرعا في المصالحة والتضرع ، وأراد السلطان محمود البعد عن الملامة من أجل السلامة حتى لا يهدم قصر الملك ، ودق طبل الرحيل .

وعندما سار مرحلة ، اطلق الأوباش والأراذل يد السلب في مؤخرة جيشه ، ونهبوا بعض الأمتعة ، وعندما اطلع السلطان محمود على هذه الحادثة ، ورأى طمعهم الكاذب وحرصهم على نهب وسلب اتباعه ، فكر في الانتقال ، ولما كان الأعيان لم ينكروا حركات الأوباش أدرك سيف الدولة أن رضاهم مرتبط بهذه الوقاحة ، فاستشاط غضبا ، وأمر أن يلتف جماعة من الجيش حول هؤلاء الأشرار ، ويقتلوهم جميعا ، وأعد القلب والميمنة والميسرة ، واتجه إلى الخصم ، ودق المخالفون مضطرين طبل الحرب ، واصطفوا بالملابس الملونة والمزينة ، ولكن نظرا لكثرة عدد الجيش سواء الذين جمعوا من أطراف خراسان وماوراء النهر أو الفرسان والمشاة الكثيرين الذي التحقوا به . وبعد الحرب والجدال . شمل شؤم كفران النعمة حالهم ، وهبت نسائم الظفر والنصر على راية سيف الدولة ، وسار أهل العصيان في بادية الخسران ، ووصل عبد الملك إلى بخارا ، وانشغل فائق بضبط أمور الأهالي ، وبعد فترة توجه بكتوزون ايضا إلى بخارا خوفا من سطوة سيف الدولة محمود ، وجمع الجيوش المتفرقة ، ومرة أخرى غرس في رهوسهم الفساد ، وسيطر خيال الاستقلال والجدال والقتال والمفاخرة والمبارزة على مزاجهم .

وفي أثناء ذلك لبي فائق الذي كان عمدة القوم داعى الحق ، ولهذا السبب صارت أحوال بقية أركان عبد الملك الساماني إلى اضطراب ، وفي نفس الوقت توجه ايلك خان من كاشغر إلى بخارا ، وارسل في البداية رسولا إلى عبد الملك ، وسلمه رسالة من انه عند الشدائد تذهب الأحقاد ، فاذا كان قد اصابك من قبل ضرر ، بسبب وساوس شياطين الانس وحدث لك مكروه فالان ارتفع عنك غبار هذه الحاشية تماما ، وحالا يجب أن أقوم بصد هؤلاء الأجانب الذين دخلوا مملكة آل سامان نظرا لقرب جوارى ، واقطع أيدي تعدى المعتدين عن ذيل الممالك المحروسة ، لكي يصلك إرثك وحقك ، وصدق عبد الملك بن نوح وأعيانه كلمات ايلك خان ، واغثروا بزخارف قوله ، وأسرع بكتوزون وبنالتكين والقواد والأمراء الآخرون لاستقباله ، وعندما استقر هذا الغدار في المجلس ، أمر أن يقيدوهم جميعا .

لم يستقر لعبد الملك قرار عند سماع هذه الحادثة ، فاختم في ناحية ، ودخل ايلك خان بخارا يوم الثلاثاء العاشر من ذي القعدة سنة ٣٨٦ هـ ، وعين العيون لتقبض على عبد الملك ،

وأسروه وارسلوه إلى آركند ، وخذت شعلة حياته في هذه البلاد ، وبعد أسره تنقل اخوه منتصر عدة أيام في أطراف ونواحي ما وراء النهر ، ولما كانت دولة أقبال هذه الأسرة قد قاربت النهاية فلا فائدة من ذلك .



خروج منتصر أبي إبراهيم اسماعيل بن نوح الساماني وبيان ما وقع بينه وبين ايلك خان ونصر بن ناصر الدين سبكتكين

عندما استولى ايلك خان على بخارا (١٢١) قبض على أبي الحارث منصور المسلم العينين ، وأبي إبراهيم - الذي سيطلقون عليه منتصر - وأبي يعقوب اولاد نوح من اعمامهم أبي زكريا وأبي صالح وباقي أرومة الساماني ، وفصل كل منهم في مجلس حتى لا يجتمعوا ، ومن حسن طالع منتصر أخرج من حبسه في ملابس جارية كانت تخدمه ، وتوازي في منزل عجوز من عجائز بخارا ، إلى أن سكنت ثورة طلبة ، وارتدى طالبوه لباس اليأس ، وقطعوا الأمل فيه ، وفر إلى خوارزم بلباس حراس السجن ، واخذ يستعد للانتقام من ايلك خان ، وتوجه اليه بقية أولياء آل سامان ، وجمع جيشا كبيرا ، وهجم ارسلان بالوا حاجبه على بخارا ، وأسر جعفر تكين وسبع عشرة من معارف الأمير ، وارسلهم إلى جرجانية ، وذهب الآخرون منهكين إلى ايلك خان ، واقتفى ارسلان آثارهم حتى حدود سمرقند ، وعندما وصل إلى قنطرة صغيرة ، قطع تكين خان ضد الذي كان واليا لسمرقند من قبل ايلك خان ، بجماعة كبيرة - الطريق ، لم يتراجع ارسلان عن مواجهتهم ، ووقف لمحاربتهم ، وهزم تكين خان ، واستولى على غنائم كثيرة ، وعاد منتصرا إلى بخارا ، وسر الأهلالي لقدمه ، وعندما علم ايلك خان بهذا الأمر ، جمع جيشا وتوجه إلى منتصر ، والتحق ارسلان بالوجوبك منتصر ، وبعد تقديم المشورة عبروا النهر ، ونزلوا بآمل ، وبعد تحصيل أموال تلك البلاد توجهوا من الصحراء إلى أبيورد ومن هناك توجهوا إلى نيسابور ، ووقعت بين منتصر ونصر بن ناصر الدين قتال في نيشابور .

وعندما احتجبت الشمس في خيمة آل عباس ، توجه الأمير نصر صوب مرو ، ومن هناك توجه إلى هرات ، وعندما وصل هذا الخبر إلى السلطان محمود ، رحل على الفور ، وسار إلى نيشابور ، وعندما علم منتصر باقبال الرايات الظافرة ، عزم التوجه إلى اسفراين ، واران أن يحصل أموال هذه الولاية كمرتب لملازميه ، ولم يتيسر ، فتوجه إلى ولاية شمس المعالي بن وشمگیر ، وقدم قابوس بن وشمگیر خدمات جليلة له من جملتها : عشرة حياض عربية بأسرج وألجم ذهبية ، وثلاثين آخرين بأسرج فضية ، وثلاثين بعقد حريرية ، وثلاثين بغلا بأسرج

ذهبية ، وثلاثين جملا محملة بالفرش الفاخرة والأمتعة النادرة ، وألف ألف درهم وثلاثين ألف دينار وخمسين ثوبا ملونا وأمتعة وأدوات عظيمة أخرى ، وارسل إلى اتباعه أموالا أخرى ، وقال له : المصلحة هي أن تذهب إلى الري حتى أرسل ابناى دارا ومنوچهر في ظل رايبتك ، فطالما عرش هذه المملكة خال من ملك يملكها وحالها غير مستقر فهي في حاجة إلى ملك قوى وحاكم شديد ، فيجب أن تستقر في هذه الناحية ، وتدخل هذه الولاية في حوزتك وتتمكن من منصب الإمارة ، وتجمع الجيش بالتدريج ، وتعود إلى خراسان وتطالب بملكك الموروث ، فقبل منتصر هذا القول ، وخرج من جرجان ، وبعد قطع المنازل ، عسكر حول الري ، وخرج الجيش الذى كان يعسكر في المدينة ، وأقاموا المعسكر في المواجهة وارسلوا إلى أبى القاسم سيمجور وأرسلان بالو وسائر الأمراء رسلا ، وسلموهم الذهب ، وخافوا من نسيان الوعد ، وعرضوا على منتصر بأن جلالة قدرك أكثر منهم ، فليدخلوا في جماعتك ويطيعوك ويسعدوا بخدمتك ، وترتفع درجتك عنهم ، ولكى تنزل في هذه الصحراء : « العرش هو عرشك ، لن يصيبه أذى وسيصبح مقرا لولايتك » (١٢٢) .

يريد قابوس أن يقبض عليك بيد اعوانك وانصارك ، فان حدث ذلك ، عادت الفائدة اليه ، ولو حدث أن أصبت بمكروه والعياذ بالله بقى هذا العار على جبين الدولة .

وقال عدد من القوم قولا على هذا النحو ، وقبل منتصر قولهم ، ورحل من الري ، وتوجه من طريق دامغان ، وانفصل عنه دارا ومنوچهر ، وذهبا إلى جرجان ، ووصل منتصر إلى حدود نيشابور ، وغادر الأمير نصر ناصر الدين نيشابور ، واسرع إلى ناحية بوزجان ، واستولى منتصر مرة أخرى على نيشابور في شوال سنة ٣٩١ هـ ، وأرسل العمال على رأس الأعمال ، وبدأ بالمطالبة بالأموال ، وطلب الأمير نصر من أخيه المساعدة ، فأرسل السلطان محمود والى هرات التونتاش حاجب لمعاونته ، وقوى الأمير نصر بمساعدة اخيه ، وتوجه إلى نيشابور وتحير منتصر ، (١٢٣) وأدرك أن أخاه قد أخطأ في ظنه واتضح مضمون (تركت الرأى بالرأى) .

ولما كان ارسلان بالوقد خالف منتصر في المهام الملكية ، وحدث منه شطط في الأمور وبالتدريج ازداد الحقد في قلب منتصر ، وقد ابلغوه في ذلك الوقت أن ارسلان بالوقد أهمل في محاربة نصر بن ناصر الدين بسبب الحسد الذى يكنه لأبى القاسم سيمجور ، وهذا السبب أثار منتصر ، فقتل ارسلان ، واضطرب الجيش من هذه الفعلة ، وانطلقت الألسنة في لومه وانكاره ، فتلطف أبو القاسم سيمجور وأطفأ النار ، وهدأ الجميع ، وتوجهوا إلى سرخس ليطلبوا المدد من زعيم هذه المنطقة المشهور بابن الفقيه .

ولما كان ابن الفقيه مواليا لمنتصر ، و يتقرب اليه بالخدمات الجليلة ، فعندما وصلوا إلى سرخس قام ابن الفقيه بمراسم الخدمة كما يجب وينبغى ، وفي أثناء ذلك توجه نصر بن ناصر

الدين بجيش قوى إلى سرخس ، وأسرع منتصر بملازميه الخواص لاستقباله ، وبعد القتال الشديد هبت نسائم النصر والظفر على راية الأمير نصر ، وقبض على أبي القاسم سيمجور وعدد من الأمراء الآخرين ، وأحضروهم أمامه ، وحملوهم جميعا بناء على أوامره في ذل وخسار إلى غزني ، وتوجه الأمير نصر منتصرا إلى مستقر الغز والشرف ، وقطع منتصر بعد هزيمته الصحارى حائرا ، حتى وقع بين التركمان الغز ، وكانوا دائما من انصار آل سامان ، وكانوا يفاخرون ويتباهون بذلك ، ولا شك أن قدومه فرصة عظيمة ، فتقلدوا سيوفهم في ولاء وإخلاص ، وقوى منتصر بمعاونة جيش الغز ، وتوجه بجماعته طمعا في ولاية ما وراء النهر ، وعلم ايلك خان باتجاهه ، فجمع جيشا ضخما ، وجاء إلى حدود سمرقند ، وهجم الغز على ايلك خان ليلا ، واسروا جماعة من كبار جيشه ، قتلوهم جميعا ، وسقط في يد جيش الغز مال كثير وغنائم وفيرة من جيش ايلك ، وكان ذلك في شوال سنة ٣٩٣ هـ .

وعاد الغز إلى بلادهم ، ولم يسلموا الأسرى لمنتصر ، وقالوا إنهم ندموا لمقاتلتهم ايلك خان ، وسيطلقون سراح الأسرى اعتذارا له ، فاغتاز منتصر من هذا الأمر ، واختار سبعمائة شخص من خواصه وثقاته ، وخرج من بين جيش الغز ، ووصل على وجه السرعة إلى شاطئ النهر ، ولما كان جيحون متجمدا من البرودة ، وكانت صفحته ثلجا ، عبروا النهر ، واضطر جيش الغز إلى العودة بعد أن ارتفعت الشمس وذاب الثلج ، ونزل منتصر على أمل وكتب رسالة إلى السلطان محمود ، وذكره بحقوق اجداده واسلافه ، واستعطفه من تمادى أيام المحنة وتراكم الكرب ، وقال : « طالما لجأت اليك فأعطني مكانا فأنا في ظلك » .

ورحل منتصر خوفا من الترك الغز ، وتوجه إلى مرو ، وارسل شخصا إلى أبي جعفر ابن اخته الذى كان مقيا في مرو في تلك الفترة ، وطلب المساعدة بالسلاح والعتاد ، وكان أبو جعفر من جملة الأراذل ، وصل إلى درجة كبيرة في أيام دولة آل سامان ، ولدنائه ولؤمه رفض التماس منتصر ، بل أنه خرج من المدينة ، وصف الجيش في مواجهته ، وجمع منتصر جميع ملازميه ، وسلك طريق ابورد ، وابدى السلطان محمود اكراما ولطفا لرسوله ، وارسل تحفة لاثقة ، وكتب إلى أبي جعفر ابن اخته بالأهمل دقيقة قط في خدمته وارضائه ، واضطر ابن اخته بالقيام بالمطلوب رغم انفه ، وقدم أبو نصر حاجب من امراء السلطان الخدمة إلى منتصر حين وصل إلى هذه الحدود ، وانكر أهل نسا ذلك الأمر ، وتحرزوا من اقامة منتصر في هذه الحدود ، وأرسلوا رسالة إلى خوارزمشاه ، وطلبوا المساعدة ، وأرسل خوارزمشاه أبا الفضل حاجب وكان من مشاهير رجاله لمعاونة أبي نصر ، وتوجه أبو نصر حاجب لاستقبال منتصر ، وفي ذلك الوقت كان الليل مظلما والهواء قاريا ولا يمكن للبصر مشاهدة الأشخاص ، سل الفريقان السيوف ، وتحاربوا حتى تباشير الصباح ، وقتل وجرح أغلب أهالى الفريقين ، ومن جملتهم : قُتل أبو نصر وسائر أنصار منتصر ، وفر الآخرون ، وجاء منتصر إلى سمرقند ،

واستعد الناس هناك لمنعه ، ولوى منتصر العنان من هذه الناحية ، ووصل إلى سرخس ، وتوقف هناك عدة أيام حتى لحق به اتباعه ، وعبر جيحون من هناك ، فتوجه والى بخارا اليه بجيش ، ولما لم يكن هناك مهرب لمنتصر ، وقف يقاتل ووقع قتال شديد بين الجانبين ، وخرج منتصر من هذه الورطة باعجوبة ، حتى توقف في مكان في بندنور ، وتوجه والى بخارا إلى سفد ، وانشغل بجمع الجيش الذي كان هناك ، وفي أثناء ذلك أغار منتصر ، فتفرق شمل جماعة والى بخارا .

وفي نفس الحال علم علمدار قائد جيوش سمرقند بانتصار منتصر ، فالتحق به بثلاثة آلاف رجل ، وأرسل اعيان سمرقند ثلاثمائة غلام تركي ومالا واقرا اليه ، والتحق به جمع غفير من الجيش ، ومرة اخرى ارتفعت نار اقبال منتصر ، وعندما علم ايلك خان بانتظام احوال منتصر ، توجه لمحاربتة ، واصطفا في حدود سمرقند ، وهزم الخان ، واستولى جيش الغز من جيش ايلك على غنائم كثيرة ، وأموال وفيرة ، وقد حدثت هذه الحادثة في شعبان من سنة ٣٩٤ هـ .

وعندما عاد ايلك خان إلى ولايته ، جمع الجيش المتفرق واسرع إلى منتصر ، وفي ذلك الوقت كان جيش الغز قد تفرق ، وعادوا إلى اوطانهم ، وانشغلوا بتقسيم الغنائم ، ولما اصطف الجيشان في المرة الثانية للقتال ، غدر أبو الحسين طاق - وكان في ظل رايته خمسة آلاف رجل - بمنتصر ، والتحق بايلك ، وسلك منتصر طريق الهزيمة ، واعمل ايلك سيف الانتقام ، وقتل جمعا كبيرا من اتباعه ، وفر منتصر إلى شاطيء النهر ، ولم يجد مركبا فجمع عدة اشجار وعبر نهر جيحون ، وقسم عدة حيوانات كانت في هذه الناحية على جيشه وجاء من طريق الصحراء إلى جسر راغول ، واخبروا السلطان محمود بخبر وصوله ، وجاء السلطان من غزنيين إلى بلخ من اجل انتظام امره والتثام حاله ، وعين فر يقول بن محمد مع أربعين نفرا من اعيان جيشه لدفع فتنته ، فتحاشى منتصر محاربتهم وتوجه إلى قهستان ، وتعبه نصر بن ناصر الدين وارسلان جاذب والى طوس وطغانجق حاكم سرخس ، وتوجه منتصر خشية هذه الجماعة إلى بكند ، ومن هناك إلى بسطام ، وارسل قابوس ابن وشمگیر ألفين من الرجال ليخرجوا منتصر من بسطام ، فتوجه من بسطام إلى نسا ، وارسل ابن سرخك الساماني رسالة ، وأرعب منتصر بالمواعيد الزور والأقاويل الفاسدة ، ووعده بمساعدته ومقاومته لايلك خان ، فرحل إلى بخارا على أمل هذا الوعد ، ووصل جميع الجيش إلى هذا المعسكر منهكين من هذه الرحلة ، ووصلوا ساعة الغروب ، وذهب اهل الغدر إلى سليمان وصافي حاجبا ايلك خان وأخبروهما بسوء حال منتصر ، وعندما علم هذا الخبر التف جماعة من أهل الغدر حول خيمته ، ووقف منتصر لحظة للدفاع ثم سلك طريق الفرار ، وقبضوا على اخوته وخاصته وأرسلوهم إلى أوزكند ، وسقط منتصر بحملة ابن بهيج الأعرابي ، وحرض ماه روى . وكان حاكما عليها من قبل

السلطان محمود . جماعة على قتل منتصر ، وعندما حل المساء ، هجم جماعة من أجلاف العرب ، وأهدروا دم هذا الأمير ، وارقوا دمه الشريف على الأرض ، وقد وقعت هذه الحادثة في ربيع الأول سنة ٣٩٥ هـ ، وعندما وصل خبر هذه الواقعة إلى السلطان محمود قتل ما هـ روى جزاء فعلته وانتهب حلة ابن بهيج ، وانطفأت شعلة دولة آل سامان نهائياً وهبط كوكب آقبالمهم وشرفهم ، وكان الله على كل شيء قديراً .



ذكر حال وبيان مال شمس المعالي قابوس بن وشمكير .

لما كان اسم قابوس وشمكير قد ورد ضمن قضايا آل سامان ، وكان ملكاً فاضلاً كريم النفس أديباً ، فانه من المناسب أن نذكر بعض حالاته أيضاً بعد إيراد قضايا السامانية ومنه الاعانة والتوفيق .

مذكور في بعض التواريخ أن قابوس بن وشمكير ظل بخراسان مدة ثمان عشرة سنة ، وصبر على تغير الحال وحوادث الزمان والأيام ، وخلال هذه المدة لم تجد شائبة النقصان طر يقها إلى علوهمته ، ولم ينقص شيء من رونق حاله وجاهه ، ولم يبق أحد قط من كبار أمراء خراسان واعيانها دون أن يحظى باحسانه وامتنانه ، ولم يسلم عليه أحد إلا ونال الانعام ولبس الخاص والعام لباسه وخلعته الشريفة ، وتجرع كأس كرمه الوضيع والشريف وكان ملوك السامانية يزيدون أن يعاونوه ويرفعوه إلى مستقر عزه وجلاله ، ولكن لم يصب سهم امنياتهم المهدف بسبب نوازل المحن وعوارض الفتن وعوائق الأيام وعلائق الزمان ، وتحمل مثل الجبل الراسخ لطمات العواصف وصدقات الأزلال .

وعندما جاء الأمير ناصر الدين سبكتكين إلى خراسان ، ورفع يد أبي على عن هذه الولاية ، ابدى ارتياحاً وسروراً لمقابلة قابوس ، واراد أن يقوم بنصرته ومعاونته ، لاستخلاص مملكته ، وفجأة توجه إلى بلخ وحالت شواغله دون ذلك ، وعندما عاد الأمير ناصر الدين مرة ثانية ، إلى خراسان لدفع أبي القاسم سيمجور ، جدد العهد مع قابوس ، وابدى كل منهم للآخر ارتياحاً كبيراً ، وفي ذلك الحين كان فخر الدولة الديلمي واليا على جرجان ولديه جيش كبير ، وكان يبدو قويا بهؤلاء الحشوية وجماعة كبيرة من قومه ، وأراد الأمير ناصر الدين أن يجمع جيشاً من الترك لمعاونة شمس المعالي ومقاومة اعدائه ، وعندما استحکم هذا الأمر في ضمير الأمير ناصر الدين ، ارسل التونتاش حاجب برسالة إلى ايلك خان ، وطلب الفى فارس مدداً ، وتوجه بنفسه إلى بلخ مترقباً ومترصدًا الرد ، ولكن حال القدر دون عودة الأمير ناصر الدين ، وعندما توفي فخر الدين الدولة ، أرسل ابو القاسم سيمجور — الذي كان

مقيا في تلك الفترة في منطقة قومن . رسولا إلى قابوس ، واخبره بخلو ساحة الولاية و وفاة
فخر الدولة ، واتمس منه أن يتوجه فورا ليذهب إلى جرجان و يطرد حسن فيروزان الذي جاء
بجيش كبير من الكرد والديلم — بناء على فرمان خلفه المسمى بمجد الدولة الذي تكفل بأمر
السلطنة .

وعندما وصل قابوس وأبو القاسم إلى جرجان ، أخلف أبو القاسم وعده ، وتوجه إلى
قهبستان ، لأنهم أرسلوا اليه في ذلك الحين إلى بخارا بأن يذهب إلى هذه الولاية ، وهم بالقيام
بمهام هذه البلاد ، وعاد شمس المعالي قابوس إلى نيشابور ، وانتظر الفرصة وعندما أدرك أن
دولة آل سامان تتجه إلى الزوال ، اهتم بشئونه ، وأرسل اصفهيد بن شهر يار لصد رستم بن
مرزبان خال مجد الملك بن فخر الدولة حاكم كوره شهر يار ، وتوجه اصفهيد بناء على أوامره
إلى هناك ، و حارب رستم ، وهزم جيشه ، واستولى على غنائم كثيرة ، وقرأ الخطبة في هذه
النواحي باسم قابوس ، واستولى جماعة من أمراء طبرستان على آمل أيضا ، وأظهروا شعار
فرعونيته ، وكتب قابوس لاصفهيد بأنه يذهب إلى آمل ، و يقوم بمساعدة الأمراء المذكورين ،
وتوجه اصفهيد بموجب أمره إلى هذه الناحية .

وعندما علم حسن فيروزان بخبر تجمعهم ، توجه بجيش جرار من جرجان إلى آمل ،
و وقعت بين الفريقين معركة شرسة ، وقبض على حسن وعشرين شخصا من كبار رجال
جيشه ، وبشروا قابوس بهذه البشري ، فأدرك أن أيام المحنة قد ولت ، وانتهى زمان الشدة ،
فتوجه بقلب مستريح وصدر منشرح إلى جرجان ، وفي سنة ٤٠٨ هـ جلس على كرسي
المملكة ، وبعد ذلك وقعت معارك بين قابوس والديلمة الذين كانوا قد اتفقوا على سلطنة مجد
الدولة بن فخر الدولة ، وكانت نسام الظفر تهب في أكثر الأحيان على رؤية قابوس ، وفي
النهاية تصالح مجد الدولة مع قابوس وبالتدريج نمت اغصان شمس المعالي حتى دانت له
مملكة گيلان بأسرها وولاية جرجان وطبرستان فاعطى گيلان لابنه منوچهر ، وسعى شمس
المعالي لتأسيس بنیان المودة وتأكيد اسباب المحبة مع السلطان محمود ، فأرسل رسلا اليه ،
وتقرب اليه بارسال التحف والهدايا حتى تبدلت وحشة العداوة بألفة الصداقة ، وانتظمت
جميع بلاد طبرستان والديلم حتى ساحل البحر تحت أمره ونهيه ، وكان شمس المعالي في
حياته معروفا لملوك الأطراف وأكابر الآفاق بشرف نفسه ومكارم ذاته ومحاسن شيمه وكمال
فضله . بجلال قدره ، وكان مستقيا على منهاج الحكمة وجادة الشريعة ومنزها مبرأ عن
ارتكاب المناهي ، ومتصفا بالعدل والانصاف ، ومتبحرا في فنون العلوم والآداب ورسائله
مشهورة في أطراف واكناف العالم ، وكمال براعته وبلاغته في تأليف الكلمات معروفة ،
ومذكورة ، كل نقطة تسقط من سن قلمه على ديباجة كتاب لا تخلو من فضله وكماله ، وكان
قلم ذي القرنين يخرج من ظلمات الدواة ، كأنه درة في قلادة زمان الجواهر ، كل من يرى

سطرا من سطوره يقول هذا خط قابوس أم جناح طاووس ، ومع كل هذه الفضائل كان حادا مع أمراء الجيش ، ويفرط في العقاب وما من أحد قط يأمن خشونة سطوته ومرارة كأس بأسه ، كان يعاقب عقوبات قاسية على أقل خطأ ، ولم يكن يخشى إراقة الدماء وملاأ الدناء بالدماء ، ولم يكن يؤدب إلا بالسيف القاطع ، ولم يكن حبسه إلا في لحد مطمور تحت الثرى ، ولهذا الأسباب نفرت القلوب وامتلات الصدور بحقده .

وكان نعيم حاجبه رجلا طيبا صالحا ، وكان معروفا من بين خدمه وحشمه بسلامة الذات فوضه لضبط اموال استراباد وأعمالها ، فاتهمه حساده والوشاه بتهم عديدة ، فأصدر قابوس بدون تفكير أمرا بقتل نعيم ، وكلما أراد أن يمهله فترة ليبرأ ذمته من هذه التهمة أبى ، وأزداد نفور الجيش لقتله ، واتفقوا جميعا على الخلاص .

وفي تلك الأثناء خرج قابوس من جرجان ، واقام خيمة الاقامة في بعض متنزهات مملكته ، وكان غافلا عن حوادث الزمان وفكر أهل العصيان والطغيان ، وفجأة التقوا حول قصره ، وأطلقوا يد السلب في امواله ، ووقف خواصه للدفاع وحموه من ضرر الأعداء ، ولما لم يفز الأمراء العصاة بالمقصود توجهوا إلى جرجان ، واستولوا عليها ، واستدعوا منوچهر بن قابوس من طبرستان ، وتوجه على عجل من أجل مصلحة الملك ، وعندما وصل إلى جرجان ، رأى جيشا ، فاضطرب ، وفقد السيطرة ، وسلمه جميع الحشم رسالة وهي اذا وافقتنا على خلع وعزل ابيك سنسعى جميعا برغبة صادقة لخدمتك ونطيعك ، وألا نباع آخر ، ولم يجد منوچهر بدا من المداراة ، وفكر في أنه إذا رفض ستزداد الفتنة والفساد ، وسيزول الملك القديم من يده .

وعندما رأى شمس المعالى اجماعهم على الطغيان والعناد ، توجه إلى بسطام بأهله وخواصه ومماليكه وباقي امتعته وانتظر خاتمة أمره ومآل حاله ، وعندما علم الأمراء والجيش بهذا الأمر ، كلفوا منوچهر بطرد قابوس من هذه الناحية ، وتوجه مضطرا إلى بسطام ، وعندما وصل هناك ، استدعاه قابوس لرؤيته ، وعندما وصل الابن إلى مجلس ابيه قبل الأرض ، ووقف بكل تواضع ، وتحدثا في أمر هذه الحادثة النكراء ، وتناقشا في مصالح الملك ، وقال منوچهر لقابوس : اذا سمحت لى أن أصد هذه القلعة العاصية فاننى أجعل نفسى فداء لك وحماية لذاتك ، فأجابه شمس المعالى إجابة أب شفق : « إن هذا هو غاية أمرى ونهاية حالى ، وقد تعلق رتق الأمور الملكية بك ، وهذا الأمر مرتبط بك في حياتى وبعد مماتى وسلمه خاتم الملك ، واعطاه مفاتيح الخزانة ، واتفقا على أن يذهب قابوس إلى خباشك ، وينشغل بالعبادة ، وأعطوا شمس المعالى قصرا بالقلعة ، وذهب جماعة من خواصه وقاموا بخدمته .

وذكروا أن أحد الأمراء العصاة ، رافق قابوس إلى القلعة ، ليوصله إلى القلعة و يعود ،
وسأله قابوس : ما سبب هذه الفتنة ؟ فأجابه عندما أفرط في القتل ، اتفقت مع خمسة من
الأعيان لنزيجك من السلطنة ، ونجلس شخصا آخر على العرش وهذه المحنة بسبب ما اقدمت
عليه من كثرة اراقة الدماء ، قال قابوس : هذا قول خاطيء إذا كان مواجهة هذه البلية يتم
باراقة الدماء فصدّق ذلك انه لو قتلتك والخمسة اشخاص الآخرين ما كان قد اصابنى ابدا
الزمان بما أصابنى .

وعموما عندما وصل الأمير منوچهر إلى جرجان ، انشغل بسد الخلل وتدارك الذلل ،
وعاش مع جماعة العصاة على سبيل المداراة ، ولم يهمل لحظة قط في مراعاة الشريف
والوضع ، ولكن العصاة لم يأمنوا جانبه بسبب خوفهم من سطوة قابوس واحتالوا عليه وذهبوا
إلى القلعة ، وقتلوه ، وأمنوا صواعق سيفه وسنانه ، ودفنوه في القبة التي كانت بظاهر
جرجان ، وحتى الآن هذه القبة مشهورة على السنة وأفواه الناس بقبة قابوس ، وقام منوچهر
على عادة الديلم بالمأتم ثلاثة ايام — وبعد ذلك اهتم بأحوال الجيش والرعاية .



حكومة منوچهر بن قابوس بن وشمگیر

أرسل القادر بالله العباسى منشور حكومة طبرستان وسائر البلاد التي كانت في يد
قابوس باسم منوچهر ، ولقبه فلك المعالى وحى البارىء سبحانه وتعالى منوچهر حتى
تمسك بجبل أولاد سيف الدولة محمود ، فساعدوا على قوة دولته ، وضمّدوا جراح حادثة
ابيه . فأرسل جماعة من اعيانه بهدايا ونفائس لاحصر لها إلى بلاط السلطنة ، وابدى صدق
: النية وصفاء الطوية في اطاعة السلطان ، فقبل السلطان هذه الهدايا والرسائل بقبول حسن ،
واجابة على مطلبه ، واختبر قوة موالاته ، وأرسل أبا محمد بن مهران بسفارة إلى جرجان
وارسل رسالة جاء فيها : « اذا كان منوچهر صادقا ومخلصا في محبتنا ، يجب أن يسك السكة
ويخطب الخطبة بألقابنا » .

واستمع الأمير منوچهر لفرمان السلطان بأذن العقل ، وأظهر شعار دولة السلطان على
منابر ممالك جرجان وطبرستان وقومس ودامغان وغير ذلك ، وقرر أن يرسل سنويا خمسين
ألف دينار ذهبيا إلى الخزانة العامرة ، وسر السلطان من مساعيه الجميلة ، وارسل أحد فضلاء
مملكته إلى غزنین ، وخطب إحدى بنات السلطان ، وسر السلطان محمود ، وعاد هذا الرجل
الفاضل مسرورا إلى جرجان ، وعرض مارآه من إنعام واکرام السلطان ، وأرسله فلك المعالى
مرة أخرى مع قاضى جرجان — وكان فرید زمانه وعلامة عصره — إلى السلطان محمود

لا تمام هذا الأمر، وحملوا هدايا لائقة، فأدخل السلطان فلذة كبده وكانت زهرة سماء السلطنة في سلك زواج فلك المعالي، وعاد الرسولان بعد قضاء المرام إلى جرجان، وارسل فلك المعالي جماعة من خواصه وثقاته بأموال وأمتعة كثيرة ليقدموها إلى صاحبة العصمة في استرabad بعد عدة أيام.

وعندما استقام أمر فلك المعالي بهذه المصاهرة، سعى لتدبير أحوال الجيش والانتقام من الذين سعوا في دم أبيه المعالي، وقضى عليهم جميعا بالحيلة، وحكم بقلب مستريح حتى لبي دعوة الحق جل وعلا.

ذكر دارا بن شمس المعالي قابوس بن وشمگیر

وبعد ان اجتنب دارا مصاحبة أبي على سيمجور، والتحق بموكب ملك نوح، ولازم خدمته وعندما تمكن قابوس من كرسى الحكم، أسرع إلى أبيه، ولازمه، وظل دارا منتظرا عطف أبيه حتى ارسله قابوس إلى طبرستان، وقام فترة هناك بقيادة الجيش والرعية، ومعاربة المتنازعين، واستدعاه قابوس ليطلعه على خطأ ارتكبه، واسرع دارا إلى أبيه ليبرأ ساحته، وارتضى قابوس، واكرمه وعطف عليه وبعد عدة ايام استدعاه مرة أخرى، واستاء دارا من الذهاب، وتوجه إلى خراسان لخدمة السلطان محمود، فأكرمه بكل انواع الكرم والتعظيم والتبجيل وما يعد من هذا القبيل، ولكنه لغرور الشباب صدر منه عدة أمور جعلت السلطان يهمل في العطف عليه، وشعر بتغير في مزاج السلطان، فهرب من طريق غرجستان في جوف الليل نظرا لأواصر المحبة والمودة بينه وبين شارح حاكم هذه الولاية.

وعلم السلطان بفرار دارا فأرسل جماعة لملاحقته ولما لم يلحقوا بمركبته، عادوا، فأرسل السلطان إلى شار، وقدم له الوعد والوعيد لاستعادته، فأرسل شار دارا إلى السلطان خوفا منه، وقضى فترة في محنة وشدة، وانتهز الفرصة ذات مرة، وفر من حبسه، فتعقبته جماعة وأسرته، وحبسوه هذه المرة في مكان أكثر حصانة حتى زالت وحشة السلطان، فتعطف عليه، واطلق سراحه، ونال رعاية السلطان مرة أخرى، وصدر فرمان السلطان بأن يتوجه ارسلان جاذب إلى ولاية طبرستان لمعاونة دارا، وينتزع هذه المملكة من منوچهر ويسلمها له، وفي تلك الاثناء توطدت أواصر المصادقة بين السلطان ومنوچهر، كما هو مسطور، فاستدعى السلطان دارا، فعاد بناء على الأمر، وسلك في سلك ندماء وخواص السلطان، ولم يغب لحظة عن مجالس انس ورحلات صيد وأوقات فراغ وهو وطرب السلطان، إلى أن وصل

الأمير أبو الفوارس بن عضد الدولة من كرمان إلى عرش السلطان طالبا المساعدة لعدائه مع أخيه ، وذات يوم كان أبو الفوارس ودارا مجتمعين عند السلطان ، وجرى الحديث في مجال شرف العائلة واصالة القبيلة ، فجرت كلمات على لسان دارا غير لائقة في حضرة السلطان ، وكلما انكروا عليه ذلك أصر حتى وصل الأمر إلى درجة أن خرج كل أهل العقل من المجلس وقد أصابتهم الإهانة ، ومرة أخرى حبسوه في قلعة من قلاعه بموجب الفرمان ، وضبط عمال ديوان السلطان عقاراته وضياعه حتى شفيع له الوزير ، فسلموا ممتلكاته إلى وكلائه ، ليتصرفوا فيها .



حاشية الدولة السامانية

- (١) ان نسب السامانيين هو: سامان خداه بن خامتا بن نوش بن طمغاسب بن شاول بن بهرام چوبين ... ويصل گردبیزی نسبههم إلى گیومرث اول سلطان على الأرض (زين الاخبار ١٩) دخل سامان خداه الاسلام في عهد ولاية اسد بن عبدالله امير خراسان واطلق على ابنه اسم « اسد » ورزق اسد باربعة ابناء ، نالوا رعاية أمير خراسان في عهد المأمون (تاريخ بخارى قامبري الترجمة العربية للساداتي ٩٣) وذكر النرشخي ان سامان خداه قد فر من بلخ إلى اسد بن عبدالله القسري (القشيري) وجاء إلى مرو واکرمه اسد ، وآمن سامان على يديه ، و يسمى سامان خداه لأنه بنى قرية اسماها سامان فدعوه بذلك الاسم كما يدعى امير بخارى « بخارى خداه » (تاريخ بخارى الترجمة العربية ص ٨٦ ، ١٠٥) وسامان قرية فعلا من قرى سمرقند (ياقوت معجم البلدان ١١/٥) وبهرام چوبين قائد كسرى ابرو يزئار على كسرى ، فغز ابرو يزئار إلى الروم واستعان بهم لاستعادة ملكه ، وتمكن كسرى من قتل بهرام چوبين ، وقد نسبهم حمد الله المستوفى إلى بهرام چوبين ايضا (تاريخ گزیده ٢٠) ويزعمون ان سامان ينسب إلى بهرام جور (ياقوت معجم البلدان ١٢/٥) .
- (٢) عبدالله بن هارون ١٩٨ هـ — ٢١٨ هـ .
- (٣) جاء سامان الى اسلام حاكم ماوراء النهر واسلم (حمد الله المستوفى ٢٠) وذكر النرشخي ان بداية أمر اولاد سامان كان في عهد هارون الرشيد وانهم ساعدوا هرثمة بن اعين في حرب رافع بن الليث (تاريخ بخارى الترجمة العربية ١٠٥) .
- (٤) الفضل بن سهل « ذو الرياستين » وزير المأمون ، قتله بعض اعدائه في حمام بسرخس ، كان من مسلمة الجيوش ، وقيل انه سرخسى كان يلقب بذي الرياستين (رياضة السيف والقلم) كان عالما بالنجوم (شذرات الذهب ٥/٢) .
- (٥) اورد گردبیزی ان سامان خداه قد اسلم على يد المأمون حين جاء خراسان (زين الاخبار ٢٠) وذكر حمد الله المستوفى انه اسلم على يد اسلام حاكم ماوراء النهر (تاريخ گزیده ٢٠) واستعان المأمون باولاد اسد لمحاربة رافع بن الليث واجبر الابناء رافعا على عقد الصلح فارتاح الرشيد (النرشخي ١٠٥) .
- (٦) احمد بن اسد تولى مرو (النرشخي ١٠٦)

- (٧) چاچ اشروسنه (گرديزى ٢٠) واشروسنه من قصبات ماوراء النهر من اعمال بخارى (آثار البلاد ٥٤٠) وچاچ : ناحية من وراء نهر سيحون متاخمة لبلاد الترك وهى اكبر نغرى وجه الترك (آثار البلاد ٥٤٨) وچاچ هى طشقند الحالية (تاريخ بخارى لفامبرى الترجمة العربية ٩٤) وقد وردت اشناس بالروضة اشناس) وصوابها اشناس (حمد الله المستوفى ٢٢).
- (٨) سنة ٢٠٢ هـ (الترشخى ١٠٦)
- (٩) صارت جميع الولايات لاسماعيل سنة ٢٦١ هـ (گرديزى ٢٢)
- (١٠) انظر تاريخ گزیده ص ٢٢
- (١١) آمويه : نهر جيحون (شتا يجس ١٠١)
- (١٢) ترجل وتقدم نحوه وقبل يديه واعتذر له واعاده الى سمرقند معززا مكرما مع جميع الحشم والحاشية (گرديزى ٢٢)
- (١٣) ورد أن سبب الجفوة هو أن نصرا كان قد فرض على اسماعيل كل سنة خمسمائة الف درهم من اموال بخارى ، ولم يستطع اسماعيل ارسال شىء فطالبه نصر ، ولم يرسل الأمير اسماعيل شيئا ، فظهرت الجفوة وارسل نصر جيشا (الترشخى ١١٢ - ١١٣).
- (١٤) ترجل اسماعيل وقبل ركاب نصر (الترشخى ١١٥)
- (١٥) توفى نصر سنة ٢٧٩ هـ (الطبرى ٣٠/١٠ - گرديزى ٢٠ - ابن الاثير ٧٤/٦ - حمد الله المستوفى ٢٤).
- (١٦) كان ذا علم وعدل وشجاعة ورأى وكان يعرف بالأمير الماضى ابى ابراهيم ، جمع بعض الفضلاء شمائله فى كتاب (شذرات الذهب ٢/٢١٩).
- (١٧) انظر ابن كثير ١٠٤/١١
- (١٨) ورد تاريخ الوفاة خطأ ٢٥٩ هـ (روضة الصفا ١١) والصواب ٢٧٩ هـ (ابن الاثير ٧٤/٦ - الترشخى ١١٦ - فامبرى ٩٨).
- (١٩) ارسل الخليفة المعتضف بالله منشور الخلافة له سنة ٢٨٠ هـ (الترشخى ١١٧)
- (٢٠) غزا اسماعيل مدينة ملك الترك ، وأسر أباه ، وامراته خاتون وعشرة آلاف وقتل خلقا كثيرا (الطبرى ٣٤/١٠ - ابن الاثير ٧٧/٦ - حمد الله المستوفى ٥٤ - فامبرى ١٠٤).
- (٢١) تاريخ گزیده لحمد الله المستوفى ١٢ ، ١٤
- (٢٢) وردت قصة الأسر كاملة فى تاريخ بخارى للترشخى ١٢١
- (٢٣) ارسل الخليفة رسالة الى اسماعيل يطلب ارسال عمرو اليه (الترشخى ١٢٢)
- (٢٤) ذكر الترشخى ان اسماعيل بعث شخصا ، واتوا بالخزانة وأرسلها إلى عمرو ولم يقبل منها شيئا (الترشخى ١٢٢).
- (٢٥) ذكر ابن الاثير أن عمرا طلب التوجه إلى المعتضد (الكامل ٩٦/٦)
- (٢٦) نظام الملك وزير ملكشاه السلجوقى سترد اخباره ضمن اخبار الحسن الصباح وملكشاه السلجوقى .
- (٢٧) ورد فى تاريخ بخارى لفامبرى ان عمرا قد افضى إلى اسماعيل بخزينته (١٠٢)
- (٢٨) اضاف الترشخى التركستان والسند (تاريخ بخارى ١٢٣)
- (٢٩) انظر ابن الاثير ٩٦/٦ - گرديزى ٢١ - ٢٢ - ابن كثير ٨٣/١١ .
- (٣٠) مات ١٥ صفر ٢٩٥ هـ / ٩٧ م (الترشخى ١٢٣)
- (٣١) ورد بالمخطوط الامير القاضى (روضة الصفا ١٢) وذكر الطبرى وحمد الله المستوفى وابن العماد الحنبلى انه الامير الماضى (الطبرى ١٣٧/١٠ - تاريخ گزیده ٢٤ - شذرات الذهب ٢/٢١٩ - الترشخى ١٢٤)
- (٣٢) انظر ابن الاثير ١١٨/٦

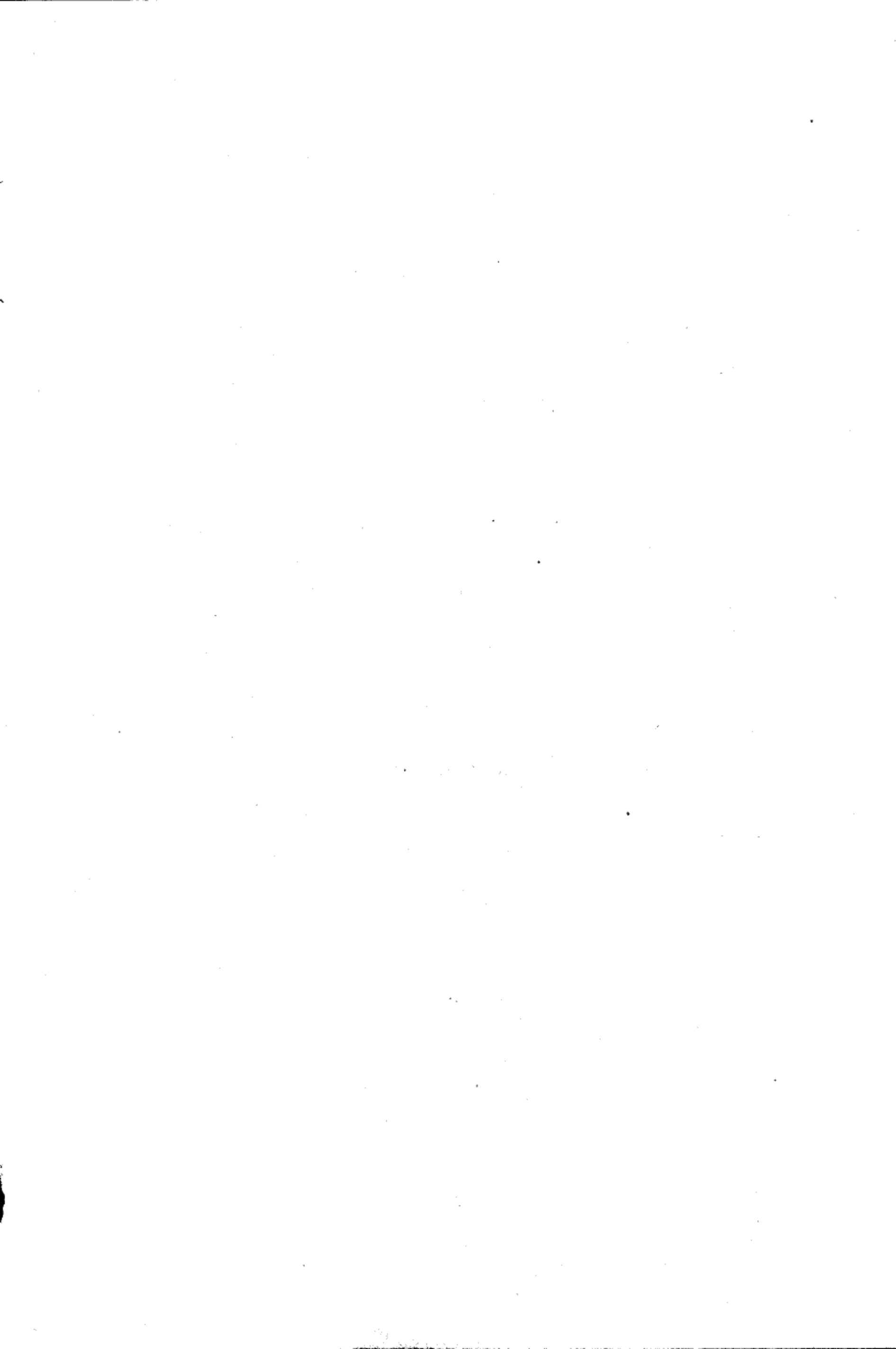
- (٣٣) وردت بالمخطوط كلمة عصاميا : عظاميا (الروضة ١٢) كن عصاميا ولا تكن عظاميا كن العصام الذي قيل فيه (حمدان الله المستوفى ٢٦) (انظر ابن كثير ١١/١٠٤)
- (٣٤) النيسابورى (ابن الاثير ٦/١١٨)
- (٣٥) آل معاد (روضة الصفا ١٢)
- (٣٦) انظر ابن الاثير ٦/١١٨ - حمد الله المستوفى ٢٦
- (٣٧) منتصف صفر سنة ٢٩٥ هـ (ابن الاثير ٦/١١٧) ١٤ صفر ٢٩٥ هـ (حمد الله المستوفى ٢٦)
- ٨) تولى المكتفى الخلافة سنة ٢٩٨ هـ وتوفى ٢٩٥ هـ (ابن الاثير ٦/١١٩ - شذرات الذهب ٢/٢١٩ - ابن كثير ١١/٩٤ - ١٠٤)
- (٣٩) ابراهيم بن زيدويه (زين الاخبار گرديرى النسخة الفارسية ص ٢٢) ابراهيم ابن زيدون (زين الاخبار ترجمة د. غفاف زيدان ص ٢٣٦)
- (٤٠) انظر زين الاخبار النسخة الفارسية ٢٣ - ٢٤ / النسخة العربية المترجمة ص ٢٣٧ - ٢٣٨
- (٤١) رد ابن الاثير سبب هروب بارس من جرجان إلى بغداد لخوفه من الأمير أحمد ، لأن الأمير اسماعيل كان قد استعمل ابنه أحمد عليها عندما أخذها من محمد بن زيد ثم عزل عنها واستعمل عليها بارس كبير (الكامل ٦/١١٨)
- (٤٢) حسين بن على بن عمرو بن على بن الحسين بن على بن ابي طالب المسمى بحسين الأطروش (گرديزى ص ٢٤ - الترجمة العربية ٢٣٨) حسين بن العلاء (الترشيحى ١٢٥)
- (٤٣) الكامل ٦/١٣٧ - ١٣٨
- (٤٤) « يا إلهى إذا كان هذا الملك سيذهب عنى فأمتى » (الترشيحى ١٢٥)
- (٤٥) ولم يكن هذا فألاحسنا (زين الاخبار فارسية ٢٥ / النسخة المترجمة ٢٣٨) قتله اخمص غلمانة ذبحا (الطبرى ١٠/١٤٧) صلة تاريخ الطبرى لعريب بن سعد القرطبي ١١/٤٧ - تكله تاريخ الطبرى لمحمد بن عبد الملك الهمذاني ١١/٢٠٤)
- (٤٦) كان له أسد يربطه على باب بيته كل ليلة (گرديزى ٢٥ - ابن الاثير ٦/١٤٤) كان يربط اسدين على باب خيمته (حمد الله المستوفى ٢٨) وقيل قتله اليتكين (حمد الله المستوفى ٣٠)
- (٤٧) لما كان تلك الليلة ضيق الصدر شغل جميع خاصته ، فنسوا احضار الأسد ونام (الترشيحى ١٢٥)
- (٤٨) قتلوه سنة ٣٠٠ هـ (حمد الله المستوفى ٢٨) ١١ جمادى الآخرة ٣٠١ هـ (الترشيحى ١٢٦)
- (٤٩) خمس سنوات (حمد الله المستوفى ٢٨) ست سنوات واربعة اشهر وخمسة ايام (الترشيحى ١٢٦)
- (٥٠) كان ابن ثمان سنين (گرديزى ٢٥ - ابن الاثير ٦/١٤٥ - الترشيحى ١٢٧)
- (٥١) انظر الطبرى ١٠/١٤٧ - ١٤٨ ، ابن الاثير ٦/١٤٥ - الترشيحى ١٢٧
- (٥٢) أبو عبد الله محمد بن احمد الجيهانى (گرديزى ٢٥ - ابن الاثير ٦/١٤٥ - الترشيحى ١٢٧)
- (٥٣) حويه بن على (گرديزى ٢٦ - ابن الاثير ٦/١٤٥)
- (٥٤) انظر الكامل ٦/١٤٦ - صلة تاريخ الطبرى ١١/٥٠ - الترشيحى ١٢٧
- (٥٥) تولى الخلافة سنة ٢٩٥ هـ - وخُلع سنة ٣١٧ هـ ثم عاد في نفس السنة وقُتل ٣٢٠ هـ (ابن الاثير ٦/٢٢٠ - شذرات الذهب ٢/٢٨٤ ، ٢٨٥)
- (٥٦) احمد بن سهل من كبار قواد الأمير اسماعيل بن أحمد وولده أحمد بن اسماعيل وولده نصر بن أحمد ، وكان خليفة عمرو بن الميث على مرو ، ونقله إلى سجستان ، وحبس بها وفر من السجن إلى بخارى فأكرمه اسماعيل ، وسيره هاربه اخس بن على عندما عصى ، وحدثت وحشة بينه وبين الأمير نصر ، ودعا جماعة الحسن الخروج فأجابهم ، ولكنه أسر سنة ٣٠٧ هـ ، ومات بحبس (گرديزى ٢٧ - ابن الاثير ٦/١٦٤ - ١٦٥)

- (٥٧) قال ابن الاثير إن الأمير نصر طلب من الحسين بن علي ماء/فأتى بماء في كوز غير حسن الصنعة ، فقال الحسين بن علي لأحمد بن حمويه كما ذكر اسم ليلى الديلمي وليس ليلى بن نعمان (الكامل ١٤٩/٦)
- (٥٨) سنة ٣١٤هـ (ابن الاثير ١٨٥/٦)
- (٥٩) ما كان بن كالي (ابن الاثير ١٨٥/٦) صلة تاريخ الطبري لعريب ١١٩/١١ حمد الله المستوفى (٣٤)
- (٦٠) سنة ٣١٥هـ (ابن الاثير ١٨٩/٦ - صلة تاريخ الطبري لعريب ١١٣/١١)
- (٦١) انظر احداث أخرى بالكامل ١٩٥/٦ - ١٩٨ - وتكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمداني (٣٥١/٣١)
- (٦٢) حكم ثلاثين سنة وثلاثين يوماً (شذور الذهب ٢/٣٣١) كانت ولايته ثلاثين سنة وثلاثة وثلاثين يوماً (ابن الاثير ٢٩٢/٦) مات سنة ٣٢٩هـ (حمد الله المستوفى ٣٤ - النرشخي ١٢٩)
- (٦٣) اضاف ابن الاثير احداثا اخرى (الكامل ٢٩٢/٦).
- (٦٤) اخوه أبوزكريا (الكامل ٢٨٢/٦).
- (٦٥) انظر گرديزي ٣٢ - ابن الاثير ٢٩٣/٦ - ابن كثير ٢٠٦/١١ - النرشخي ١٢٩.
- (٦٦) انظر الكامل ٢٩٣/٦ - النرشخي ١٢٩.
- (٦٧) أورد ابن الاثير هذه الأحداث ضمن احداث سنة ٣٣٣هـ (الكامل ٣١١/٦).
- (٦٨) انظر تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الهمداني ٣٥١/١١.
- (٦٩) ناحية مشهورة يقال لها قهستان ، شرقها مفازة خراسان وفارس وغربها آذربيجان وشمالها بحر الخزر وجنوبها العراق وخوزستان (آثار البلاد ٣٤١).
- (٧٠) انظر زين الاخبار گرديزي ص ٣٣ - الترجمة العربية ٢٤٨ - ٢٤٩.
- (٧١) عارض - ميرعرض - ميربخش (المسنول عن رواتب الجيش وما يتعلق بأمر الجيش - شتايجس ٨٢٩ - ٨٤٣).
- (٧٢) انظر زين الاخبار ٣٣ - الكامل ٣١٨/٦.
- (٧٣) انظر زين الاخبار ٣٤.
- (٧٤) انظر تاريخ گزیده ٤٦.
- (٧٥) انظر زين الاخبار ٣٤ - ابن الاثير ٣٢٠/٦ - تكملة تاريخ الطبري ٣٦٦/١١).
- (٧٦) توفي عماد الدولة الديلمي بشيراز في جماد الآخرة ، ولم يكن له ولد ذكر فأرسل إلى اخيه ركن الدولة الذي انفذ ابنه عضد الدولة (الكامل ٣٣٢/٦).
- (٧٧) انظر زين الاخبار ٣٥ - ابن الاثير ٣٣٨/٦.
- (٧٨) قلعة حصينة في جرجان.
- (٧٩) انظر زين الاخبار ٣٦ - ٣٧ - ابن الاثير ٣٤٤/٦.
- (٨٠) انظر تاريخ بخارى ١١٦.
- (٨١) وردت خطأ بالخطوط ٢٤٥هـ (روضة الصفا ١٦) والصاب ٣٤٣هـ (گرديزي ٣٦ - النرشخي ١٢٩).
- (٨٢) مات فيه من الخلق مالا يحصى ، وكان فيمن مات أبوعلی بن محتاج الذي كان صاحب جيوش خراسان ، ومات معه ولده (گرديزي ٤٠ - تكملة تاريخ الطبري ٣٨٠/١١ - ابن الاثير ٣٤٨/٦ - ابن كثير ٢٢٨/١١).
- (٨٣) انظر الكامل ٣٤٨/٦.

- (٨٤) لعبه الجوجان - اى البولو - كان اللاعبون فيها يضربون الكرة وهم يركضون بخيولهم وعليهم ان يقلفوها في ضربتين خلال حافتين مثبتتين بأوتاد الواحدة خلف الأخرى وتستلزم هذه اللعبة مرونة في الجسم أكثر مما تستلزمه لعبة جريد التركية (تاريخ بخارى فامبرى حاشية ص ١١٧) وورد في تكملة الطبرى (تمطر فرس عبد الملك بن نوح فات) ٣٩٢/١١ .
- (٨٥) قيل انهم لقبوه بالرشيد (گرديزى ٤٢) مات سنة ٣٤٥ (حمد الله المستوفى ٣٦ انظر أيضا ابن الأثير ٦/٣٥٩ وابن كثير ١١/٢٣٨) .
- (٨٦) لقب بالرشيد وابو الفوارس والمؤيد والموفق (حمد الله المستوفى ٣٦) .
- (٨٧) الهكتين كلمة مركبة من (اله) بمعنى البطل ، و (تگين) بمعنى المسمى والكلمة الأخيرة صحتها تكن أوتگن أوتين لا تزال تروج كاسم علم بين التركمان وتلحق لفظ تگين بكثير من الأسماء التركية مثل قره تگين - نوشتگين - اينالتگين سبكتگين (انظر تاريخ بخارى فامبرى حاشية ١١٧ وتاريخ گزیده ٣٦) .
- (٨٨) اورد گرديزى . ان الهكتين قد رد على اركان الدولة أن يولوا الأفضل ثم علم انهم اجلسوا منصور بن نوح (زين الاخبار ٤٣) .
- (٨٩) كان هذا سنة ٣٥١ هـ (ابن الاثير ٧/٥) .
- (٩٠) محمد بن سمجور (تكملة تاريخ الطبرى ١١/٤١٠ - حمد الله المستوفى ٣٨) .
- (٩١) انظر الكامل ٧/٢٣ - تاريخ بخارى فامبرى ١١٧ .
- (٩٢) ورد انه توفى في منتصف شوال ٣٦٦ هـ (الكامل ٧/٨١) انظر أيضا گرديزى ٤٧ - حمد الله المستوفى ٤٠ - ٤٢ .
- (٩٣) طلب عضد الدولة من بنختيار أن يسير عن العراق إلى أى جهة اراد ، فاختلف اصحاب بنختيار عليه فأجابه بضمف نفسه ، فأنفذ اليه عضد الدولة خلفه وخرج من بغداد إلى الشام ، وسار عضد الدولة إلى بغداد فدخلها ، وخطب له بها ، ولم يكن قبل ذلك يخطب لأحد ببغداد ، وضرب على بابه ثلاث نوب ، ولم تجر بذلك عادة من تقدمه (ابن الاثير ٧/٩٠ - ٩١ - ابن كثير ١١/٢٨٩) .
- (٩٤) انظر الكامل ٧/١٠١ - ١٠٢ - ابن كثير ١١/٢٩٥ .
- (٩٥) انظر تاريخ گزیده ٤٤ - تاريخ بخارى فامبرى ١١٨ .
- (٩٦) انظر ابن كثير ١١/٣٧١ .
- (٩٧) انظر زين الاخبار ٥١ .
- (٩٨) انظر تاريخ گزیده ٤٢ .
- (٩٩) راجع الكامل ٧/١١٨ .
- (١٠٠) توفى عضد الدولة ٣٧٢ هـ ومؤيد الدولة ٣٧٣ هـ (ابن الاثير ٧/١١٣ - ١١٧) .
- (١٠١) جرجان ودهستان واستراباذ (ابن الاثير ٧/١١٨) .
- (١٠٢) انظر تاريخ بخارى فامبرى ١١٨ - ١١٩ .
- (١٠٣) انظر احداث ٣٧٣ هـ (ابن الاثير ١١٨ - ١١٩ - حمد الله المستوفى ٤٤ تاريخ بخارى فامبرى ١١٩) .
- (١٠٤) انظر زين الاخبار ٥٣ - حمد الله المستوفى ٤٦ .
- (١٠٥) انظر تاريخ بخارى فامبرى ١٢٠ .
- (١٠٦) انظر زين الاخبار ٥٦ .
- (١٠٧) انظر زين الاخبار ٥٦ - ٥٧ تاريخ گزیده ٥٠ - تاريخ بخارى فامبرى ١٢٢ .

- (١٠٨) كلمة شار لقب امراء غرجستان (شتايچيس ٧٢٢) .
- (١٠٩) ترد الكلمة جرجان - جورجان - گرگان .
- (١١٠) انظر زين الاخبار ٥٧ .
- (١١١) ربيع الاول ٣٨٥ هـ (ابن الاثير ١٦٤/٧) .
- (١١٢) انظر تاريخ بخارى قامبرى ١٢٢ .
- (١١٣) هزا راسب - مدينة كبيرة وقلعة حصينة بارض خوارزم والماء يحيطها وهي كالجزيرة ليس لها إلا طريق واحد (آثار البلاد ٥٦٧) .
- (١١٤) « اساس توبه كه در محكمى چوسنگ نمود
بين كه جام زجاجى چگونه اش بشكست »
- (١١٥) سنة ٣٨٥ هـ (ابن الاثير ١٦٩/٧) .
- (١١٦) مات سنة ٣٨٥ هـ (ابن الاثير ١٦٩/٧) ٣٨٧ هـ (حمد الله المستوفى ٥٢) .
- (١١٧) أورد ابن كثير أن نوحا هو آخر ملوك السامانية (البداية والنهاية ٣٢٣/١١) (انظر زين الاخبار ٥٨ - ابن الاثير ١٨٤/٧) .
- (١١٨) انظر زين الاخبار ٥٩ - ابن الاثير ١٨٥/٧ .
- (١١٩) انظر الأحداث تاريخ عزيزه ص ٥٦ .
- (١٢٠) مات سنة ٣٨٩ هـ (حمد الله المستوفى ٥٦) .
- (١٢١) سنة ٣٨٩ هـ (حمد الله المستوفى ٥٨) وايلك خان يدعى أبونصر أحمد بن على ولقبه شمس الدولة (ابن الاثير ١٩٧/٧) .
- (١٢٢) « عرش است نشيمن توشمرت نايد .. كانى ومقيم خطه خاك شوى »
- (١٢٣) انظر أحداث ٣٩١ هـ (ابن الاثير ٢٠٩/٧ - ٢١٠) .





فصل

في بيان أحوال الأمير ناصر الدين سبكتكين وسلطنة أولاده الذين يطلق عليهم الملوك
الغزنوية (١)

(المخطوط ص ٢٠ - ٤٤)

كان الأمير ناصر الدين غلاما تركي الأصل ، وكان مملوكا لأبتيكين صاحب جيش خراسان (٢) وكان ناصر الدين متصفا بفيض الفضل الأمل ، متميزا بقوانين السلطنة والملك فهو يوم الوغى كالأسد في عنفه ، وعند العطاء كالسحاب في كرمه ، جوادا كالسحاب في كرمه على القوى والضعيف ، مضيئا كالشمس على الوضيع والشريف سخيا كالبحر في عطائه ، يعطي بلاتوان ، وفي شجاعته كالسيل الذي لا يمه تلاطم الأمواج وارتفاعها ، رأيه في ظلمه الحوادث كالنجم الهادي ، وسيفه كالقضاء في مفاصل العدو ، آثار النجابه والشهامة ظاهرة وواضحة في شمائله ، دلائل اليمن والسعادة بارزة في حركته وسكونه .

يقول أبو الحسن الخازن : ان ناصر الدين قد وصل إلى بخارا في أيام دولة نوح بن منصور (٣) الساماني (٤) مع أبي اسحق البتيكين (٥) ، الذي كان صاحبا لجيش خراسان ، عمل بحجابة أبي اسحق وحل وعقد أمور الأتباع والحشم والخدم (٦) ، وعندما ارسلوا أبا اسحق إلى غزني ، وأحالوا اليه ولاية هذه النواحي سلم مقاليد ترتيب وتدير الأعمال ، وتقدير وتقدير أمور الولاية المذكورة للأمير ناصر الدين (٧) ، لرأيه الصائب وفكره الصادق ، وعندما وصل أبو اسحق إلى غزني لبي دعوه الحق بعد فترة وجيزة ، ولم يكن من بين أهله (٨) من هو جدير بمنصب القيادة والحكومة .

تشاور أعوان وأنصار أبي اسحق بشأن الشخص الذي يمكن أن يكون له يد بيضاء على الجيش والرعية ، وأصابته قرعة الاختيار الأمير ناصر الدين سبكتكين ، ورضوا جميعا بزعامته ورئاسته ، وعقدوا البيعة له ، وأحل ناصر الدين الجميع في ظل حمايته ورعايته ، وقام بالأمر كما يجب ، وأقر كل شخص على ماله من اقطاع^(١) .

توجه ناصر الدين بعد ذلك للقضاء على أعداء الدين ، وجعل ناحية الهندوستان ، وكانت مقاما لأعداء الاسلام ، وموطنا لعبدة الأوثان والأصنام ، دارا للغزو ، وكان يغزو أطراف وأكناف مملكة الكفرة الفجرة^(١٠) باستمرار ، وأخذ نيران الشرك التي كانت تتأجج من معابد الهنادكة ، بطعنات السيف البتار ، ونثر تراب معابدهم ومعاهدتهم في الرياح ، وأسس مكانها المساجد ، وكان صبورا في الشدائد والمحن إلى درجة تعجز عنها قوة البشر ، وكثيرا ما وقع في محن ومآزق ليس فيها نجاة الا بتأييد ولطف الملك المنان .

وذات مرة اراد أن يعبر عن أحداث سفره وأن يخبر عن سيرة أحواله ، قال : عندما كنت في مواجهة هؤلاء الملاعين ، وكانوا متفوقين علينا بكثرة العدد والعتاد وكنا أقل منهم بكثير ، وطالت مدة الجهاد ، ولم يبق لدينا زاد ، وظل طريق المدد مغلقا وبقينا في متاعب هذه الشدة ومصائب هذه الكربة ، وضعف رؤوس القوم ووجهاء الأتباع لعدم وجود القوات ، وتضرعوا إلى السماء بسبب فقدان الطعام ، ولم يكن لدينا مناص إلا أن نقتسم كل شيء بسيط بالمطبخ وواصلنا النهار بالليل والليل بالنهار بما يسد الرمق وقضينا مدة على هذا المنوال حتى نصرنا الله^(١١) ، وحققنا الوعد الذي تعاهدنا عليه على أن نعلی كلمة الحق وصار هؤلاء الملاعين بعضهم طعاما للسيف والأخرون في قيد الأسر ، وارتدى جماعة لباس الخزي والخسران ، وعاد المجاهدون منتصرين ظافرين إلى أوطانهم .



فتح بست في شهر سنة سبع وستين وثلاثمائة^(١٢) وهذا التاريخ بعد بداية دولة الغزنويين

كان والى هذه المنطقة والذي يحكم تلك القصبه شخص يدعى طغان ، وأثناء ولايته خرج شخص يدعى بايتوز^(١٣) ، ولم يكن لدى طغان طاقة لمقاومته ، وأخلى عاصمة الولاية مضطرا ، واحتسب بالأمير ناصر الدين ، وطلب منه المعونة لكي يسترد ولايته من العدو ، وقبل تأدية الخدمة ، والتزم بارسال المال إلى الخزانة سنويا ، كما أنه انتظم في سلك تابعيه ليكون تحت أمره وقتما شاء ، وقام بأداء الخدمة ، وترك ابنه رهينه في خدمته ، ولهذا قبل ناصر الدين دعوة طغان ، ونزل بجيش جرار بظاهر بست ، وأبدى الجانبان شجاعة في هذا القتال ، وهجم

الأمير ناصر الدين بقلب جيشه ، وفرق جيش العدو في حارات المدينة وقتل طائفة ، وفر الآخرون مهزومين ، وعاد طغان إلى مقر حكمه ، وقدم الشكر والهدايا للأمير ناصر الدين ، ونكث بالوعد الذي كان قد قطعه على نفسه ، وأغفل أداء المال المقرر ، وظهرت عليه مخايل المكر والخديعة (١٤) ، وذات يوم كانا (١٥) مجتمعان في صحراء ، وطالبه ناصر الدين بما عليه بجدة ، فرد عليه رداً غير مناسب ، المهم انتهت المشكلة بأن سحب طغان السيف ، وأصاب يد ناصر الدين بجرح ، وعندما رأى ناصر الدين هذه الوقاحة ، وأصاب يده بجرح طعن طغان ، وهم بضربة أخرى لكن الجيشان اشتبكا ، وحال ازدحام الفريقين عن نيل المقصود ، وأصدر الأمير ناصر الدين أمراً بأن يخرجوا طغان واتباعه من هذا الأقليم (١٦) .

وخلال ساعة واحدة من ذلك اليوم استخلص هذه البلاد ، ونجا طغان وبايتوز برأسيهما ، وفرا إلى كرمان ، ولم يعد أي منها يرى وجه الملك مرة أخرى ولوفى حلمه .

وكان أبو الفتح البستي من عداد أفاضل هذه البلاد حين وصلها الأمير ناصر الدين وكان (البستي) لامثيل ولا نظير له في جميع الفنون خاصة فن البلاغة والبراعة ، في عصره ، وكان كاتباً لبايتوز ، وعندما طردوا بايتوز من هذه الولاية اختفى ، وأخبر جماعة الأمير ناصر الدين عن مكانه وأحواله فأمر باحضاره ، وعندما جاء أبو الفتح إلى البلاط ، نال الرعاية والعناية ، وأمر ناصر الدين بأن يكون في نفس العمل الذي كان يؤديه لبايتوز طالما هو في خدمته ، يقول الشيخ أبو الفتح البستي : لما كان الأمير ناصر الدين قد عينني بمنصب الكاتب وخصني بهذا الشرف فإن ديوان الرسائل وهو خزينة الأسرار سيؤل إلي ، وأعتقد أن السلطان لم يطلع بقدر كاف على أحوالي كما أنني كنت مخدوماً لعدوك ، فلو فكر جاسد بشر فرما بصيب سهم فساده الهدف ، وانني أرى أن الانسان لا يمكن أن يصل إلى هذا المنصب إلا اذا أراد الله ، ولكنني أرى من الصواب أن يسمح لي بخدمته عدة أيام ، وأن أظل بمكان يحدده لي في كنف عنايته إلى أن يخلصني الله مما علق بنفس من مهام بايتوز ، واسعد بشرف الولاء ، وأصبح أهلاً لهذا المنصب ، وأكون مبراً من وصمة الشك (١٧) .

وأصاب هذا القول هوى الأمير ناصر الدين ، فأمر بأن اتوجه إلى ناحية رخج (١٨) وانتظر وصول الأمير ، وعندما استدعيني أتوجه إليه ، وتوجهت إلى هذه الناحية ، واسترحت فترة في ظل ظليل حتى وصلني أمر استدعاء السلطان ، وأسرعت للخدمة ، ووجدت من بين أطفاه ما وجدت ، وحظيت بديوان الرسائل الذي فوضت عليه من بداية دولة السلطان محمود إلى أن مالت عنه الأسباب ، وسقط في بلاد الترك ، ووصلت شمس حياته إلى حد الأفول والزوال .



فتح قصدار وبعض غزوات الأمير ناصر الدين التي وقعت في نواحي الهند

كانت هذه المنطقة تقع بجوار مملكة ناصر الدين ، وكان واليها مغرورا بحصانة قلاعها ، ومسرورا بخصب ورفاهية بقاعها ، فقاد الأمير ناصر الدين الجيش ، وحاصره ، وأجبره على خدمته ، وبعد ذلك أكرمه لأخلاقه الحميدة ، وأقره على ولايته بشرط أن يرسل المال المقرر سنويا إلى خزانته ، ويسك الدينانير ، ويزين المنابر بألقاب الأمير ناصر الدين في ولايته (١٩) .

وبعدما فرغ خاطره من أمر قصدار (٢٠) عزم غزو الكفار ، وتوجه إلى الهندوستان وفتح عده قلاع ، لم تكن رايات الإسلام قد بلغت في الأيام الخوالي ، وعندما رأى جيبال حاكم (٢١) ممالك الهند أن يد المجاهدين قد تناولت على مملكته ، اضطرب ، ولم ينم له طرف ، وأدرك أنه إذا لم يتدارك الأمر فإن الملك الموروث عرضة للزوال وجمع مضطراً الأعوان والانصار ، وتوجه إلى بلاد الاسلام واثقا من قدرته وقوته ، ومغرورا بكثرة جيشه وغلبة اتباعه ، عندما بلغ لمغان ، وعلم الأمير ناصر الدين بهذا الأمر ، جمع جيشا ملاً السهل والجبال ، وخرج بهذا الجيش الكثير والجمع الغفير من غزنين ، وبلغا حدود مملكتيهما ، وتشابكا ، وتقاتلا قتالا إلى درجة أن صارت الأرض مخضبة من دماء القتلى ، وممل الأبطال من الجيشين والشجعان من البلدين القتال ، وأوشكا على الانكسار ولكن السلطان يمين الدولة محمود على الرغم من صفر سنه ، فان آثار الشجاعة والبطولة جدت عليه وأدرك أن عقول الأعداء قاصرة عن تحقيق النصر ، وكان بالقرب من جيش هؤلاء الملاعين عين ماء ، ولما كانت هذه العين لا تقبل نجسا ولا قدرا ، واذا القى في هذه العين القاذورات تحدث صاعقة عظيمة ، وتهب الرياح الشديدة ، ويحدث صقيع شديد ، فأمر ناصر الدين بأن يلقوا فوراً في العين القاذورات ، وأظلمت الدنيا ، وبلغ البارد درجة أن تجمد الدم في المروق (٢٢) ، ولم يصبح لدى الهنود طاقة الإقامة ، وأدركوا أن الموت قد حل ، ففتح جيبال باب التضرع والابتهاال ، والتزم بأن يقدم فدية ويرسل سنويا مبلغا كبيرا ، وقدم عدة أفيال وطلبات أخرى كان قد طلبها ناصر الدين ، وأن يكون حكمه نافذا في ممالك الهند (٢٣) .

وقبل الأمير ناصر الدين لكرمه الذي جُبل عليه ؛ الصلح ، لكن يمين الدولة محمود رفض ، وقال : إن المصالحة مع هؤلاء الملاعين يأباه الدين ، وأصر على الرفض ، فعاد رسول جيبال مستاء مما سمعه من يمين الدولة ، ولما كان جيبال ليس لديه مناص فقد ارسل متضرعا متذلا رسولا :

« طالما طلبوا الأمان فأمهم »
« لأن السلام أفضل من الحرب »
« فلتتعطف عليهم من الذلّة »
« لكى لا يهلكوا جميعاً » (٢٤)

وكانت خلاصة رسالته « انك تعلم جهل وتعصب الهنادكة وتعرف أنهم لن يتوانوا في قتل انفسهم وقت الشدة ، فان كان سبب الرفض للمصالحة الطمع في أموالنا وجوارينا وذرارينا وافيالنا ، فانه عندما ينقطع طريق الخلاص وأمل النجاة ، فان كل ماهو في أيدينا وما نملك نلقيه في النار، ونقتل انفسنا ، ولن يبق منه سوى التراب والرماد » (٢٥) .

وعندما لم يدرك الأمير ناصر الدين مدى صدق جييال ، استعطف يمين الدولة محمود بأن ينحى فكرة الانتقام من رأسه وقرر أن يقوم جييال بتقديم ألف ألف درهم وخمسين فيلا فدية ، وبعد ذلك يترك عدة مدن وقلاع من بلاد الهند تحت تصرف ولاية الأمير ناصر الدين ، وأن يرسل بعض وجوه ومعارف جيشه رهينة حتى يفى بوعده ، وأن يصحب جييال جماعة من الجيش الظافر، ليسيظروا على هذه البلاد والقلاع .

بناء على هذا عقد الاتفاق ، وانفصلا عن بعضهما ، وعندما قطع جييال عدة مراحل ووصل إلى مأمّن ، واستقر وسط مملكته ، زين له خبث اعتقاده ، نقض العهد واظهار الخلاف ، ولم يسمح للجماعة التي كانت قد ذهبت لحكم البلاد المشروط بتسليمها بالانصراف ، ولم ينسلمهم ولاياتهم ، وقال : لن أدع هذه الجماعة حتى يترك ناصر الدين الجماعة التي أخذها رهينة ، وفي البداية بلغ هذا الخبر ناصر الدين فظنه من جملة الأراجيف ، وعندما برزت حقيقة غدر جييال من حجاب الشبهة ، اشتعلت نار الغيرة والتهمت ، وصمم على الانتقام ، وأعد الجيش ، وتوجه صوب هذا الغادر الفاجر ، ولم يدع لحظة تمر دون قتل ونهب وأسرفى كل مكان وصل إليه ، وخرّب المعابد ، وبنى محلها المساجد ، وبلغت بشارة هذه الفتوح مسامع الأقاليم والأداني ، واستولى على لمغان (٢٦) من بلاد جييال ، وكانت عامرة ، وعاد إلى دارغزين بعد أن أتم هذه الفتوحات . (٢٧)

وعندما رأى جييال إشراف ممالكه على الزوال ، أرسل رسائل استغاثة إلى جميع ممالك الهند ، وطلب المعونة والمساعدة ، وجمع قرابة مائة ألف رجل ، وتوجه إلى بلاد الاسلام ، وعلم الأمير ناصر الدين بهذا الأمر ، فتوجه بقلب قوى وأمل كبير إليه ، وعندما ضاقت المسافة بين الجيشين ، صعد الأمير ناصر الدين على تل يشرف على هؤلاء الملاحين ، ليطلع على أعدادهم ، وكيفية إعدادهم فرأى بحراً بلا شاطئ ، وجيشاً كالنمل والجراد في كثرته ، ولكن وجد نفسه مثل الأسد الذى لا يجد فرصة للتفكير من كثرة الصيد (٢٨) ، ومثل ذئب انبهر بالقطيع ،

فجمع قواد الجيش وشجعان العسكر، ووعدهم جميعاً بمزيد من الاقطاعات، ورضيهم وحرصهم في القضاء على هؤلاء الملاحين .

وأصدر أوامره بأن يتناوب خمسمائة مقاتل من المقاتلين الشجعان الحرب، ويتبع كل جماعة من هؤلاء جماعات، ويقاثلون بشجاعة بموجب أوامره، حارب كل خمسمائة شخص بقدر المستطاع، وحل محلهم خمسمائة آخرون في القتال، حتى اثنوا المشركين، وحينئذ هجم حياة الاسلام بكامل هيئتهم، وأرسلوا خلقاً من هؤلاء المهزومين إلى جهنم، وتفرق من تبقى من السيف مهزوماً، وسقطت غنائم لا حصر لها في يد المسلمين، ودخلت معظم بلاد الهندوستان تحت سيطرة الأمير ناصر الدين، وطرزت القابه الميمونة خطبة وسكة هذه النواحي، وانخرطت جماعة الأفغان والخلج (٢٩) الذين كانوا في هذه البلاد وأطرافها في سلك جيش الأمير ناصر الدين، وبعد ذلك تنفس الهنادكة الصعداء، ورضوا أن يعيشوا في أمان بأقصى البلاد، ليتمكنوا من العيش في اطمئنان من اعتداء المسلمين .

ولما فرغ فكر الأمير ناصر الدين من ضبط ممالك الهند، توجه باستدعاء الأمير الرضا أبي القاسم نوح بن منصور الساماني إلى خراسان وما وراء النهر ليقدم المساعي المشكورة في نصرته ومعاونته، وطبقا لما خطه القلم، وبعد أن انتظم أمر الملك والدين بيمن رعايته، فقد خرج هادم اللذات من مكنه في كتيبة، وأسرع الأمير المجاهد الغازي ناصر الدين سبكتكين إلى فراديس الجنان في شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة (٣٠)، رضوان الله عليه .



سلطنة الأمير اسماعيل ابن الأمير ناصر الدين وما وقع بينه وبين أخيه سيف الدولة محمود .

ولى الأمير ناصر الدين سبكتكين ابنه الأمير اسماعيل ولاية العهد في أيام المرض (٣١)، وفوضه على أهله وعياله وحكم ما خلفه، وعندما وصله الوعد الحق عقد كافة أعيان الدولة وجميع الجيش والخدم العزم على خدمته، وأنفق خزائن ودفائن أبيه على طبقات الجيش، وعلى الرغم من كل ما أنفقه على الجيش لكنهم تطاولوا طمعا في المزيد، ولم يستطع أن يكفى طمعهم وطلباتهم حتى وصل الأمر إلى درجة أن ضاق الأمر باسماعيل، ولم يستطع القيام بالسيادة ضعفاً (٣٢) .

ولما علم سيف الدولة بما حدث لأبيه، وكان يستعد للغزو فكتب رسالة عزاء إلى أخيه، وأرسل أبا الحسن حمولى برسالة إليه وسلمه الرسالة التي تقول: « إن الأمير ناصر الدين أفاض الله عليه شآبيب الغفران، لأنه كان حافظاً للنواب وقاصماً لظهور الحوادث، قد

رحل ، ولا يوجد لدى الآن من هو أفضل منك من بين الناس وكل ما أتمناه لك حسن البصيرة ، فلا تأسى في الحكم وخزائن الممالك وسائر الجيش ، لأن كبر السن وتجارب الأيام والوقوف على وثائق القيامة ومعرفة مقدار الحشم هي الأصل المبين والحبل المتين لثبات الملك ودوام الدولة ، فطالما أنت أهل لمباشرة هذا الأمر ، وصالح لهذا العمل الكبير ، فأننى أكون دائماً راضياً ومطيعاً ، مع أن أبى قد أوصى فى غيبتى ، بسبب بُعد المسافة وخشية سر يان الآفة وتفرق الجمع وتشتت الحال ، والمصلحة هي أن تبصر بعين البصيرة وتعرف درجة الصواب من الخطأ ، وما هو من حطام الدنيا قسمه على بمقتضى الشريعة ، فدع لى غزنين التى هي مطلع السعادة ومنشأ السيادة ومستقر أولياء الدولة ، حتى أخلص لك ولاية بلخ وأقر لك بامارة وزعامة خراسان (٣٣) .

لم يصغ الأمير مسعود بسمع الرضا لهذه الكلمات الطيبة ، وأصر على العداة وسلوك طريق النزاع ، وانتظر الأمير سيف الدولة محمود على طريق هذا الأمر وبصدد هذا الحال وكلما أراد الوصول إلى المقصود ، لم يتمكن ، وفى النهاية ، اطلع على مضمون القول « آخر الدواء الكى » (٣٤) وفكر فى القضاء على أخيه ، وأرسل مع أبى الحارث السامانى إلى بخارا ، يخبره أنه متوجه مضطراً إلى غزنين ، ورحل من نيشابور ، وجاء إلى هرات ، وكتب إلى إسماعيل طالبا منه أن يتبعه طوعاً أو كرهاً ، لكن لافائدة ولم يقطع جبل الخصومة إلا بالسيف البتار ، وتبدل العتاب والخطاب بالظعن والضرب ودعا سيف الدولة محمود عمه بغراجق (٣٥) لطاعته ، فأسرع لخدمته دون تعلل ، وسلك نصرين ناصر الدين (٣٦) أيضاً فى سلك أولياء دولة محمود دون شائبة ، وتوجه مواليا مخلصاً تحت رايته .

وعندما علم الأمير اسماعيل بتوجه السلطان محمود إلى غزنين بادر بالتوجه إلى بلخ ، وأرسل أركان دولة الأمير اسماعيل ومعارفه رسائل إلى الأمير سيف الدولة يخبرونه بصفاء طويتهم ، وعندما ضاقت المسافة بين الجيشين ، سعى السفراء والرسل سعياً جدياً لاصلاح ذات البين ، لكن تقدير السماء غلب ، واشتعلت نار الشر ، أمر الأمير سيف الدولة أنصاره وأعوانه بصف الصفوف ، وتقدم الأمير اسماعيل مع مواليه ومماليكه واتباع وأصحاب أبيه فى مواجهته ، ووضع على قلب وجناح الجيش الأفيال الضخمة ، وسل كلا الفريقين السيف من الضمد ، وكلما هجموا أدمى السيف الحديدى قلب المقاتلين الشجعان ، وهجم سيف الدولة بنفسه ، وتزلزلت أقطار الأرض والزمان من قوته ، وهزم جيش اسماعيل ، وتحصن خدمه فى قلعة غزنين ، وأنزله الأمير سيف الدولة من القلعة بالعهود والمواثيق ، وأخذ منه مفاتيح الخزائن واستولى على ذخائر ودفائن القلعة ، وتدارك الوهن الذى حدث وعين العمال والولاية على الأعمال ، وأعاد شحنة (٣٧) قاهر صاحب وجود لحراسة غزنين ، وكانت مطلع سعد لهذه الأسرة ، وجعل اسماعيل تحت حمايته ورعايته وجاء إلى بلخ بجيش جرار . (٣٨)

سلطنة يمين الدولة وأمين الملة محمود بن سيكتكين .

عندما فرغ السلطان محمود من أمر اسماعيل ، لم يستقر قط بمكان من أجل امتلاك اماره خراسان وزعامه الجيوش حتى بلغ ، وما كان من تدخله بين الأمير أبي الحارث منصور بن نوح وأخيه عبد الملك مشروحا ضمن قضايا آل سامان بشكل مفصل ، وعندما تطهرت بلاد خراسان من نواذب الأعداء ، وبلغت جلبه طبول دولته أطراف وأكناف العالم أرسل خليفة بغداد القادر بالله العباسي خلعة غالية لم يرسل مثلها قط أى خليفة إلى سلطان ، اليه (٣٩) ، ولقبه يمين الدولة وأمين الملة (٤٠) والتف أمراء خراسان وأعيان الأطراف في مجلسه وعقدوا العزم على الطاعة له ، وأكرم السلطان كل واحد منهم بالهدايا العظيمة والعواطف الكريمة ، ومد بساط العدل والانصاف ، واستقرت قلوب الخواص والعوام على الولاء والوداد له ونذر أن يتوجه إلى الهند كل سنة ، ويقوم بالغزو .

وأثناء تلك الأحوال استولى ايلك خان (٤١) على ماوراء النهر (٤٢) وقبض على سلوك السامانية وأخلاقهم وأولادهم طبقا لما سبق ذكره ، وأرسل رسالة نصر إلى السلطان (٤٣) وهنأه بوراثه ملك خراسان ، وسلك سلوك الولاء والطاعة له ، وتوطدت بين السلطانين أواصر الصداقة ، وجاء السلطان خلال ذلك الولاء إلى نيشابور لدفع فتنة المنتصر وأرسل أبا الطيب سهل بن سليمان صعلوكي ، وكان إماماً للحديث ، برسالة إلى ايلك خان ، راغبا في خطبة كريمة من كريماته ، وأرسل بصحبته نفائس لاحصر لها وأموال من سبائك الذهب واليواقيت القيمة وعقود الدر والمرجان ، وصناديق ملابس ، وعنبر ، وأواني فضة وذهب مملوءة بالكافور ، وهدايا أخرى من بلاد الهند من أشجار الحناء والسيوف البتارة وأفيال الحرب ، والملابس الموشاة التي تحتار العين من لمعانها والجياد السريعة بالسروج المذهبة . (٤٤)

وعندما وصل الامام أبو الطيب إلى بلاد الترك ، بالغوا في تعظيمه وتبجيله وأقام أبو الطيب في أوزكند حتى أتم الأمر ، وعاد محملاً بالدر والنفائس وتحف هذه الولاية من ذهب خالص وفضة نقية وجواري الخطا وحسان الصين والسمور وكلاب البحر وتحف أخرى محبوبة ، وأسرع إلى السلطان ، وامتد بساط الصداقة فترة بين السلطان وايلك خان حتى كدرت عين صائبة أيام السعادة ، ونمام سوء مشاريع المودة ، وتبدلت المحبة بالعداوة .



غزوهاطيه وتوجه السلطان بعد ذلك إلى المولتان

توجه يمين الدولة محمود بعد ضبط خراسان وفتح سيستان من المولتان (٤٥) ونزل بظاهر بهاطيه (٤٦) وكان لهذه المدينة سور لا ترقى النسور إلى موازاة شرفاته ، وكانوا يقيمون خندقاً

حوله مثل البحر المحيط بعدا وعرضاً ، وكان حاكم هذه الديار بحيرا (٤٧) مغرورا بكثرة رجاله وأفياله وكل ما لديه ، وعندما شاع خبر نزول السلطان خرج مع أتباعه وأشياعه من المدينة ، وصف الصفوف في مواجهة عساكر الاسلام ، واستمرت الحروب ثلاثة أيام بين السعداء والأشقياء وفي اليوم الرابع هجم السلطان بنفسه على قلب الكفار ، واستولى على عدة أفيال ، وانهمز كفار المدينة ، ودخلوا القلعة وملاً أتباع الدين الخندق ، ولجأ بحيرا بتبة من تباب ولايته ، وأمر السلطان جماعة من المجاهدين أن يقتفوا أثره ، وأحاطوا هذه التبة ، وطعن بحيرا نفسه بالخنجر من الخوف ، ومزق صدره . (٤٨)

استولى السلطان وجيشه على مائة وعشرين فيلا (٤٩) وأموالاً لا حصر لها من غنائم الكفار ، وأضيفت هذه البلاد إلى سائر بلاد السلطان ، لكن هلك كثير من جنود الاسلام بسبب هذا السفر ، وعندما فرغ السلطان من هذا الغزو ، توجه إلى الملتان (٥٠) ولما كان قد وصل إلى سمع السلطان من أن والى هذه المملكة المسمى بأبي الفتح (٥١) قد قام بحركات غير لائقة ، ولما كان الوقت ربيعاً وتعذر اختراق بعض الطرق بسبب غزارة المطر ، أرسل السلطان رسولاً إلى جيبال (٥٢) ملك معظم ممالك الهند ، والتمس منه أن يوسط مملكته بجيش الاسلام ، ورفض جيبال التماس السلطان ، وسلك طريق التمرد وغضب بين الدولة محمود من هذا التصرف ، ونوى الغزو وبدأ في الاستعداد ، وأمر أن يطلقوا يد النهب والسلب والهدم والاحراق بدياره وأمصاره ، وضيقوا على جيبال حتى اضطر التوجه إلى كشمير ، وعندما رأى أبو الفتح والى الملتان ما حدث لرئيس ملوك الهند ، حمل خزائنه ودفائنه على الأفيال والجمال ، وصحبها إلى سرانديب (٥٣) وعندما وصل السلطان إلى الملتان ، إطلع على عقائدهم ، ووقف على معتقداتهم الفاسدة ، فحاصر المدينة التي كانت موطناً ومسكناً لهذه الجماعة ، واستولى على هذه المدينة قهراً وقسراً (٥٤) ، وحدد عليهم مبلغ عشرين ألف درهم فدية لعدوانهم وجزية لطغيانهم وارتكابهم المعاصي وشاعت جميته في نصرة الدين المبين في الآفاق ، وحل مهابة سيفه في خاطر الأقاليم والأداني بديار الهند ، وقطع أس الفساد والكفر والاحاد والعناد في هذه النواحي . (٥٥)



مخالفة ايلك خان مع السلطان محمود بن سبكتكين وهزيمته بسيف المجاهدين في الدين
وسالكي طريق اليقين .

كان بساط الصداقة والمودة ممدوداً بين السلطان وايلك خان مدة ، حتى حدث فساد المفسدين في نور وعندما وصل السلطان إلى نواحي المولتان وابتعدت راياته ، وخلت بلاد

خراسان من مهابة الشجعان ، أرسل ايلك خان سياسى تگين (٥٦) صاحب جيشه ، على رأس جيش جرار إلى خراسان ، وعين جعفر تگين والياً على دار المُلْك بلخ .

وأثناء ذلك كان أرسلان جاذب مقياً في هرات من قبل السلطان واتجه إلى غزني ليواجه الحادثة (٥٧) ، ويحمى هذه البلاد من اعتداء الأعداء ، وعندما وقعت هذه الواقعة توجه أرسلان إلى غزني ، وجاء سياسى تگين إلى هرات ، وأرسل حسن بن نصر إلى نيشاپور للاستيلاء على الأموال ، وسلك جماعة من أعيان خراسان طريق مصادقة وموالاتة الأعداء بسبب امتداد أيام غيبة السلطان وانقطاع الأخبار وكثرة الأكاذيب ، وقام أبو العباس فضل بن أحمد بحفظ الممالك ، وضبط نواحي البلاد من غزني وحتى باميان ، وسلم مداخل ومخارج هذه النواحي لرجال أكفاء وحراس أشداء ، وأرسل الرسل إلى الملتان وأخبر السلطان بالحقيقة ، فأهمل السلطان أمر هذه النواحي ، ونزل بغزني خلال عدة أيام ، وجمع جيشاً جراراً وعساكر كثيرة مثل بحر مائج ، وتوجه إلى بلخ ، وفر جعفر تگين هارباً كالشيطان الذى لا حول له إلى ترمذ ، وأرسل السلطان أرسلان جاذب على عشرة آلاف رجل لقطع الطريق عليه ، وأثناء ذلك وصل سياسى تگين إلى شاطئ جيحون فوجد النهر هائجاً ، فسار على الشاطئ ، ووصل إلى ما وراء النهر مسرعاً عبر الصحراء ، ولما كان الهواء حاراً جداً والآبار مطموسة ، توجه إلى سرخس ، وقطع محسن بن طارق طريقه ، فانتصر سياسى تگين على محسن ، وفرق جمعه ، وهلك الكثير من الجانبين ، ولم يتوقف سياسى تگين في سرخس بسبب اتباع أرسلان ، وتوجه إلى أبيورد ومن هناك توجه إلى نيشابور ، وتعبه أرسلان جاذب في كل مرحلة رحلتها ، وبسبب كثرة الارتحال والتنقل ، وبسبب الحراسة في كل مكان تلف كثير في هذه الهزيمة ، وتعبه أرسلان جاذب ، وبلغ اتباعه جرجان وأطلق الوكلاء يد النهب والقتل ، وأصاب أصحابه وأتباعه بنكاية عظيمة ، ولجأ جماعة من رجاله بشمس المعالى قابوس ، وجاء من طريق دهستان إلى نسا ، وأرسل بقايا أملاكه إلى على بن مأمون خوارزمشاه فبالغ في الحفاظ عليها ، واتجه من طريق صحراوى إلى مرو ، وانتظر السلطان أرسلان في مرو ، وعندما علم أن سياسى تگين متوجه من طريق صحراوى توجه صوبه ليقبض عليه ، وسقط في شرك الانتقام .

وعندما قطع يمين الدولة ثلاثة منازل ، كان سياسى تگين قد سبقه ، فأرسل السلطان أبا عبدالله الطائى بجيش العرب خلفه ، ولحق أبو عبدالله وجيش العرب بسياسى تگين في وسط الصحراء لم يكن بها ماء سوى لعاب الشيطان ، ولا يبدو فيها خضرة إلا على صفحة السيف ، فأغمد السيف في جيشه ، وأسر أخاه مع سبعمائة شخص من الجيش ، وأمر السلطان بأن يحمل كل واحد معه ما أسره إلى غزني وعبر سياسى تگين مع عدد محدود النهر ، والتحق بايلك خان . (٥٨)

لم يستقر لايلك خان قرار، فأرسل رسالة استغاثة إلى قدرخان ملك الختن وطلب المساعدة، واستدعى قدرخان جيشه من أقصى الممالك، واجتمع جيش تركستان وما وراء النهر، ورافق ايلك، وعبر ايلك النهر بمساعدته، ووصل خبر هجومهم على طخارستان إلى يمين الدولة محمود، فاتجه إلى بلخ ليقطع حبل الأمل لهؤلاء الغرباء والأفغان وجيش الغز، ونزل بمكان فسيح على مسافة أربعة فراسخ من بلخ، وترك ايلك خان وقدرخان في مواجهة السلطان، واشتبك الفتیان من الجانبين في ذلك اليوم حتى أسدل الظلام أستاره، وانفصل كل منهم عن الآخر.

وفي اليوم التالي دق ترك رومي طبول الهجوم، واعتنى السلطان بحال جيشه الظافر، وجعل أخاه الأمير نصر ووالى جوزجان وأبا نصر فریغونی وأبا عبدالله الطائي على قلب الجيش، وأرسل التونتاش حاجب على الميمنة، وفوض إدارة الميسرة لأرسلان جاذب، وأحكم القلب بخمسمائة فيل، ووقف ايلك خان بنفسه على القلب، وعين قدرخان على الميمنة وسلم الميسرة لجعفر تگین، وفجأة اشتبك الجيشان وبلغ سهيل الجياد آذان السماء، وأظلمت الدنيا من غبار حوافر الدواب، وارتفع الصياح والنواح في مآتم الراحلين، وجرى نهر دم في تلك الصحراء من كثرة القتلى. (٥٩)

كان ايلك خان قد جعل على مقدمة جيشه خمسمائة غلام تركي من حملة السهام، الذين يمزقون حتى الشعرة بنصل سهامهم، حتى أحدثوا صدعا في هذا الجيش بسبب طعناتهم، وعندما رأى يمين الدولة شدة الجيوش التركية في القتال، توجه إلى اعتاب السلطان الذي لا وزير ولا ستير له، وصعد تلا، وخفض الجبين متضرعا، وطلب النصر والظفر من جلال عظمته، ونذرتقديم الصدقات، والتزم بالاحسان، وركب على فيل خاص، وهجم على قلب ايلك خان بعزم ثابت ونية خالصة، هجم الفيل على صاحب راية ايلك، وقذفه في الهواء، وجذب خلقا كثيرين بخرطومهم من فوق الجياد، ووضعهم تحت قدمه، ومزق جمعا بأنسيابه، وانتهز أولياء الدولة الفرصة، وهجموا، وأفنوا الأعداء بالسيف والسنان، وترك جيش الأتراك أمواهم خوفاً على أرواحهم وفروا، ولم يبق لهم أثر في هذه الناحية، وسقطت غنائم كثيرة في هذه المعركة بأيدي جيش السلطان، وقد وقعت هذه الواقعة في شهر سنة سبع وتسعين وثلثمائة. (٦٠)

وعندما فرغ خاطر يمين الدولة من أمر ايلك خان، توجه إلى بلاد الهند، ليؤدب نواسه شاه (٦١)، وهذا الشخص كان واحداً من أولاد ملوك الهند، رباه السلطان، وكان قد تركه ناثباً له في بعض بلاد الهندوستان، وأثناء غيبة السلطان خرج عن الاسلام وارتدى رداء الكفر وصار مرتداً، وبمجرد توجه السلطان إليه فر من هذه البلاد (٦٢)، وعادت تلك الولاية مرة ثانية في حوزة ولاية السلطان.

توجه السلطان محمود إلى قلعة بهيم غازيا

عاد السلطان محمد بعد هذين الفتحين المؤثرين إلى غزنين ، وارتاح عدة أيام من تعب ومشقة السفر، ثم توجه إلى بلاد الهند ليرفع أعلام الاسلام في تلك البلاد وينكس راية الكفر. (٦٣)

وعندما وصلت راية النصر إلى مساحة الهند ، جاء بال بن آندبال (٦٤) بجيش جرار لمواجهة ، ومنذ أن طار نسر الصبح من عرش الأفق وحتى أسدل الليل سدوله ، كانت نيران الحرب مستمرة حتى قتل وجرح جمع لا حصر له في هذه المعركة ، وكاد حزب الشيطان يفوز على جيش الرحمن ولكن لما كان قد وعد الحق في اعلاء كلمة الاسلام فإن السلطان قد هجم مع غلمان الخواص ، ورأى الكفار علامات القيامة ، فسلخوا طريق الفرار، ووقع ثلاثون فيلا في هذه المعركة في يد السلطان ، وهجم يمين الدولة بالنفس والنفيس على الأعداء وسقط خلق كثير من أهل الشقاق والنفاق على الأرض .

وحاصر السلطان قلعة بهيم (٦٥) وكانت هذه القلعة قد بنيت على قمة تل عال يحيط به المياه ، ويعتقد أهل الهند في أنها مخزون الصنم الأعظم ، وكانوا ينقلون الذخائر والخزائن إليها قرناً بعد قرن ، وملأوها بالنقود والجواهر والنفائس ، ولهذا الأمر حاصر السلطان القلعة تقرباً وزلفى إلى الواحد الأحد ، وبدأ الحرب بقلب قوى وعزم صادق ، ولما لم يجد المتحصنون بالقلعة من قدرة على المقاومة ، واستولى عليهم الرعب والخوف ، والتف حبل هول وفزع الأمر حول أعناقهم ، فطلبوا الأمان ، وفتحوا القلعة ، ورموا بأنفسهم أمام جواد السلطان ، ودخل يمين الدولة مع والى جوزجان وخاصة القلعة ، ومن جملة الغنائم التي أمكن حصرها كان سبعمون ألف ألف درهم وسبعمائة ألف دينار وسبعمائة « من » ذهباً وفضة (٦٦) ، ومن أنواع الأقمشة التي وجدوها في تلك القلعة عدد عجز كتبه السلطان عن حصرها وكان من الجواهر والدر واللاكيء أيضاً ما لا يمكن حصره .

وكان من جملة الغنائم منزل كبير مصنوع من الفضة بطول ثلاثين ذراعاً ، مقام على قواعد عريضة مربوطة بعلامات لكي يسهل ويتيسر جمعها وتفريقها ونشرها وحطها عين السلطان جماعة من الشقاة لحفظ وحراسة القلعة ، وتوجه منتصراً ظافراً إلى غزنين ، وعندما استقر في مساحة دولته ، أمر أن يمدوا بساطاً بين القصرين وينثروا هذه الدرر الفلكية واليواقيت الحمراء وسائر الجواهر عليه ، وعض رسل الملوك الذين حضروا هذا المجلس أناملهم تعجباً وتحميراً ، وقال رسل طغان خان ملك التركستان الذين كانوا في هذا الحقل « هذه الأنواع لا تحصى إلا الظنون ولا تبلغ خزانة قارون عُشرها » . (٦٨)

غزوة نارين

عزم السلطان ، ايفاءً للنذر الذي كان قد قطعه على نفسه ، التوجه إلى مملكة الهند بجيش جرار في شهر سنة أربع مائة ، وعندما وصل إلى وسط هذه المملكة ، أمر الجيش بتخريب الديار وتعذيب الكفار ، وأرسلوا عدداً من زعماء ورؤساء هؤلاء المخذولين إلى جهنم ، وتفرق القوم الأرازل ، وعاد سالماً غانماً إلى مقره ، وعندما علم ملك ملوك الهند أن الرايات الظافرة قد وصلت إلى أطراف وأنحاء هذه البلاد ، ورأى عجزه عن مقاومة جيش الإسلام ، ووجد أنه من الأفضل أن يرسل خواصه وأعيانه إلى السلطان ، ويتوسل إليه بأن يقبل أن يرسل إليه خمسين فيلاً من أفياله الضخمة إلى السلطان وأن يرسل سنوياً مالاً كثيراً إلى الخزانة العامرة ، وأن يجعل ألفين من الفرسان يتناوبون ملازمة المعسكر الظافر ، وسوف يفى بهذه العهود دائماً وأبداً ، وأنه سوف يسلك أى ولد من أولاده وأعقابهم ومن سيخلفه على بلاد الهند على نفس الطريق ، ورضى السلطان بهذا الصلح ، وأرسل جماعة لتحصيل أموال هذه الجماعة ، وفتح طريق التجار ، وقام التجار بعمليات التجارة ، وعاد محمود الغزنوي سالماً إلى دار ملكه . (٦٩)



غزوة الغور

قاد السلطان جيشاً إلى الغور (٧٠) سنة إحدى وأربع مائة ، وصف محمد بن سوري (٧١) حاكم هذه الناحية ، عشرة آلاف رجل في مواجهة السلطان ، وظل الجهاد مستمراً بين الجانبين حتى الظهر وعند زوال شمس دولة الأعداء ، أمر السلطان أن يتقهقر جنوده على سبيل الخدعة ، واعتقد الغوريون هزيمة السلطان ، وخرجوا من الخندق الذي كانوا قد حفروه حولهم ، وعندما وصلوا إلى الفضاء الصحراوي ، أطلق جيش السلطان العنان ، وجعلوا هؤلاء جميعاً طعاماً للكلاب والذئاب في هذه الصحراء ، وأسروا ابن سوري ، وحملوه إلى محمود ، فتجرع السم لضجره ، وأسلم الروح لبارئها . (٧٢)

أورد العتبي في تاريخ يميني أن حكام ورعايا الغور لم يكونوا قد اعتنقوا الإسلام في ذلك الزمان ، ولكن ما أورده صاحب طبقات ناصري وفخر الدين مبارك شاه المرورودي الذي نظم تاريخ سلاطين الغور وهو أن أهل الغور قد أسلموا في عهد خلافة أمير المؤمنين على عليه السلام . (٧٣) وكان حاكم الغور في ذلك الوقت شخصاً من نسل الضحاك ، وكان المنشور بخط أسد الله الغالب بن اسمه في مجال حكم الغور ، وأولاده يفخرون بذلك ، وكان هذا المنشور بأيديهم حتى عهد بهرام شاه بن مسعود الغزنوي .

وذكر بعض أصحاب التواريخ أنه لما كان أشرار بنى أمية يأمرون الخطباء على المنابر بسب امام المتقين وأولاده عليهم السلام، وكان أمرهم ينفذ في جمع بلاد الاسلام ما عدا الغور، ويقول فخر الدين مباركشاه في هذا المجال (٧٤) : مثنوى

« لم يبق منبر في الاسلام قط »

« يعتليه خطيب يخطب »

« لا يلفظ باللفظ القبيح على آل ياسين »

« ولا يلعنهم صراحة »

« وصينت الديار العالية من هذا السوء »

« وخرجت من يد الأخصاء »

« لم يقل شخص بهذا القول مطلقا »

« سواء في العلن أو في السر »

« ولم تجر لعنة للأسرة »

« لها الفخر على الجميع »

« هؤلاء السلاطين أهل الدين والعدل »

« يفخرون بهذا على كل أصيل » .

وأورد بعرض المؤرخين قصة محمد بن سوري بشكل آخر وهي أنه لما حاصر السلطان محمود محمد سوري، ولم يظفر به، وقبض عليه مؤخرا بالعهد والميثاق، وقيده، وحمله معه إلى غزني، وبعد مرور فترة من حبسه، قال له السلطان : استدع ابنك حسن من ولايته ليلازم البلاط، وأتعهد حينما يأتي حسن سأدعك تذهب إلى ولايتك، فاستدعى محمد ابنه، وتوجه حسن من الغور إلى غزني، وقيده السلطان أيضا، ولكنه فر من الحبس بعد فترة من الزمن وذهب إلى الغور، وظل العدا قائما بين أولاد سوري وأحفاد السلطان محمود، وسيذكر جملة من هذا الأمر في محله إن شاء الله تعالى .

وفي هذه السنة (٧٥) حدث قحط شديد في خراسان عامة وفي نيشابور خاصة حتى أنه لم يبق للناس ما يقتاتون به، وقيمت حبة القمح والشعير بحبة اللؤلؤ، ولم يبق أثر لكلب أو قطة، بل إن الأم تغذت من لحم ابنها، وتناول الأخ لحم أخيه، وقتل الزوج زوجته وأكلها وفي نيشابور لم يبق لشخص قط فرصة لكي يتردد على القرى البعيدة لأن البعض كان يحمل السلاح. (٧٦)

ويروون أنه في تلك الأيام ذهب عالم من أئمة الحديث إلى الإمام أبي الطيب الصعلوكي، سأله الإمام : منذ متى لم تختلط ؟ قال العالم : إن قصتي من غرائب القصص وعجائب الأحوال، استفسر الامام عن كيفية ذلك، قال العالم : خرجت مرة بعد صلاة

العشاء إلى شارع من الشوارع ، وفجأة ضربني شخص بسهم في رقبتي ، وضغط على حلقي حتى كاد أن يقطع نفسي ، ويقتلني ، وسحبني إلى حارة وخرجت امرأة عجوز من منزل ، وسحقت أذناي ، ففقدت الوعي ، وبعد فترة أحسست ببرودة ماء صبوه على وجهي فأفقت ، رأيت جماعة يجلسون حولي ، بدأوا الكلام ، واعتذروا لما حدث لأذني ، وأخبروني بأنهم جماعة كانوا يمرون إلى مساكنهم حين رأوني في غير وعيي ، وعندما رأهم هذا الغدار فر ، وتركني على هذا الحال ، المهم لما كان لدى رمق من الحياة ذهبت إلى المنزل ، ومكثت بالفراش عشرين يوما من هول هذه الحادثة ، وذهبت إلى المسجد بعد أن استرددت صحتي وقت الفجر لصلاة الفريضة ، وتقدمت إلى الرحبة ، فجأة طار سهم بجانبني ، ومع أنه كان يقصد حلقي لطف الله شمل حالي ، وأصاب السهم عمامتي ، ونجت روحي ، ونذرت ألا أخرج من البيت إلا في الأيام القمرية ، وتعجب الحاضرون من هذه الواقعة الخطيرة ، وطلبوا العافية من الله ولجأوا إلى رحمته وعنايته .



أحوال ايلك خان وطفان خان بعد هزيمة ايلك خان

من السلطان يمين الدولة محمود

عندما أصيب ايلك خان بهزيمة في ميدان القتال مع السلطان ، توجه إلى ما وراء النهر ، وبث السلطان يمين الدولة محمود الجواسيس في هذه الولاية ليكشفوا حال ايلك خان وأخيه طفان خان ، فتوجهوا إلى هذه الناحية (واطلعوا) على ثبات قدم طفان خان في اطاعة وصداقة السلطان ، وأنكروا فُجروا جسارة أخيه ، وأرسل طفان خان الرسل وسلمهم رسالة إلى السلطان من أننا ... « مصراع » « على العهد والوفاء الذي قطعناه » (٧٧) ، واعتذر عن الحركات غير اللائقة لأخيه ، وقال : « انه لا يجيب على السلطان من أننى لا أوافق . (٧٨) »

وعندما رأى ايلك خان نفاق أخيه واتفاقه مع السلطان ، قرر بنفسه أن يحسم أول أس لفساده وهو العداء الأسرى ، وجمع جيش ما وراء النهر ، واتجه إلى ولاية طفان خان ، وعبر أوزكند ، واضطر للعودة نظرا لأن الثلوج سدت الطريق .

وعندما أذاب الربيع الثلوج الفضية في مسام الأرض ، اتجه ايلك باتباعه وأشياعه عازما الانتقام من أخيه ، وأرسل الاثنان في نفس الوقت الرسل إلى اعتبار السلطان ، وبعد نزاعها وجدا لها في مجلس السلطان أمر السلطان بأن يعدوا محفلا لم ير مثله في أى قرن لأى انسان ، وتفصيل هذا الاجمال أنه كان في مقر السلطان وموجب أمره يصفون ألفين من

غلمان قبائل الترك بملابسهم الملونة في صفين متواجهين ، ويقف خمسمائة غلام من الممالك الخاصة قرب المجلس ، وهم يرتدون العباءات الرومية ويتمنطقون بالنطاقات الذهبية المرصعة بالجواهر اللامعة والسيوف الهندية في أغمدها المذهبة على الأكتاف ، ويقف أربعون فيل مغطاة بالحرير الرومي والعصابات المذهبة أمام المجلس ، ويقف سبعمائة فيل ضخمة عليهم الأقنعة المصورة والأسلحة النفسية وسائر أنواع الرياش الأخرى خلف كل مائتين ، ويرتدى عامة الجيش جميعا الدروع الدورية ، ويلبسون الخوذ الفرنجية ، ويقف المشاة أمامهم وعليهم الدروع ومسلولى السيوف والسنان ، وأمام مجلس السلطان جمع الحجاب يقفون مثل القمر والشمس أيديهم على قبضة السيف ، وعيونهم وآذانهم ينتظرون الإشارة .

وفي هذا المحفل سمحوا للرسولين بالمثل ، ووصلا خاضعين تماما من هيبة هذا المقام إلى العرش ، وقدموا شروط الطاعة والولاء ، وبعد ذلك استدعى الرسولان إلى المائدة وأجلسا ، فرأيا الجنة مفروشة بأطباق ذهبية وفضية وصحون مرصعة وفرش رومية وحريرية ووضعوا في الصدارة طبقا كبيرا ، وقسموا حوله المربع والمسدس والمدور ، وزينوا كل ركن بنوع من الجواهر يحير شعاع نورها العيون ، وأمام كرسي السلطان ضربوا قبة ربطوا ألواحها وعوارضها بالمسامير الذهبية ، أجمع الناظرون على أنه لم يرقط في أى عهد من عهود الأكاسرة العجم وقياصرة الروم وحكام العرب وملوك الهند مثل هذه النفائس ، وكانوا قد وضعوا في كل مجلس أطباق ذهبية مشحونة بالمسك الأذفر والعنبر الأشهب والكافور القيصورى والعود القمارى والاترنجيات المصنوعة والنارجيات المصبوغة وأنواع الفواكه والثمار المصنوعة من الذهب الأحمر ، وكان جماعة من الحسان الخواص مثل لؤلؤمكنون ودر مخزون يصبون الشراب الوردى في كأسات بلورية ، ويقدمونها للحاضرين ، وظل الرسولان في دهشة وتعجب من رياش هذا الحفل وزينة هذا المجلس ، واستثنا العودة ، وعادا بتكريم سلطاني .

وأرسل السلطان محمود إلى ايلك خان وطغان خان رسالة من أن المحبة الأخوية تقتضى أن تغمدنا سيف الانتقام في غمده ، وتقنعا بما قدره الله القادر ذو الجلال لكما من الملك والمال ، وينبغى أن تسلكا بعد ذلك طريق المحبة والود ، وتغلقا أبواب النزاع والجدال .

وبعد وصول الرسولين إلى بلاد الترك ترك الأخوان طريق الحرب وعملا بأمر السلطان ، وبعد أن ودع السلطان الرسل ، توجه إلى قصدار^(٧٩) حيث كان حاكمها قد أعلن العصيان ، وهاجمه وحاصر القلعة قبيل طلوع الشمس ، واضطرب الوالى في قصره ورأى الموت ، وخرج طالبا الأمان ، والقى بنفسه في مركب السلطان ، والتزم بأداء مبلغ أحد عشر ألف حمل وألف درهم^(٨٠) مما كان عليه من خراج سابق وسلم ما كان عنده من نقد وأخذ يمين الدولة محمود خمسة عشر فيلا آخر منه ، وعاد إلى دار الملك غزنين في حماية وعناية الملك الديان .^(٨١)

ويطلق أهل غرجستان على حاكمهم لقب «شار» كما يدعو الأتراك «خان» والهنود «راي» ، وفي عهد سلطنة نوح بن منصور الساماني وحتى أيام دولة يمين الدولة محمود وحكومة هذه البلاد تتعلق بشار أبي نصر ، وعندما بلغ ابنه أبو محمد إلى سن الرشد ، استولى على الملك ، فترك له أبو نصر الحكومة ، وانشغل بمطالعة الكتب ومجالسة أهل العلم ومصاحبة أرباب الفضل ، وفضل النعم الباقى على اللذة الفانية وقصد أهل الفضل وأهل الحاجة بلاطه ، وتيمموا من أطراف وأكناف العالم إلى بلاده ، وسمى بقدر المستطاع لإنجاح مآربهم وتحقيق مطالبهم .

في تلك الأثناء أظهر أبو على سيمجور العصيان للملك نوح ، وأراد أن يدخل كلا «الشارين» في طاعته ، ولكنها رعبا حقوق نيم آل سامان ، ورفضاً إطاعة أبي على فأرسل أبا القاسم فقيه مع جماعة من المحاربين الأشداء لقتالها ، وقطع أبو القاسم عدة جبال كانت تطاول السماء وتوازي الجوزراء ، وقاتل هذين الشارين مرات ومرات ، حتى أخرجها من دار الملك ، وتحصن الأب والابن في أقصى مملكتها في قلعة منيعة حصينة واستولى أبو القاسم على خزائنها ودفائنها وتوقف في غرجستان . (٨٢)

وعندما جاء الأمير ناصر الدين سبكتكين إلى خراسان ، وطلب أبو على سيمجور أبا القاسم ، وانخرط الشاران في زمرة أعوان وأنصار الأمير ناصر الدين ، وقاما بشروط إطاعة نوح بن منصور ، وعندما انقضت أيام دولة السامانيين ، ووصل كوكب إقبال يمين الدولة إلى ذروة الإقبال ، أرسل العتبي مؤرخ تاريخ يمينى برسالة ليدعو الشارين لمبايعة السلطان ، وبالغ الشاران في تعظيم وتبجيل أسس الصداقة بحسن مساعى العتبي بين الشارين والسلطان ، وجاء ابن شار أبي نصر المسمى بشاه شار إلى السلطان ، ولم يدع السلطان لحظة في إكرامه واحترامه ، وجعله من عداد المقربين إليه

وفي الأيام التى كان شاه شار ملازماً يمين الدولة محمود ، أقدم على حركات غير لائقة بسبب غرور الشباب ونخوة السلطان ، وأبدى المستشارون رغبة في زجره وتأديبه وأغفل السلطان ذلك للطفه ورحمته ، حتى استأذن شاه شار في الانصراف ، وأكرمه السلطان بالانعام والخلع الثمينة ، وودعه ، وظل حاكماً لغرجستان حتى خطر ليمين الدولة محمود خاطر الغزو ، فاستدعى شاه شار ، وتعلقت يد الخذلان بثوب ذلته ، واعتذر بأعذار غير لائقة ، ولما كان السلطان قد عزم التوجه إلى بلاد الهند فقد أهمل ذلك وتوجه إلى الهند ، وعندما عاد إلى مقر عزه ، أرسل رسالة استمالة إلى شاه شار ، ولم يرد أن يضيغ خدماته السابقة بزلة واحدة ، وأصر شار على العصيان ، ولم يلتفت إلى ملاحظة السلطان ، وعندما ظهر تمرد أمام الجميع ، أرسل يمين الدولة التونتاش حاجب وارسلان جاذب لدفع فتنة شار ، وتوجهها إلى

الفرجستان ، وأخذها معها أبا الحسين منيعي زعيم المرور الذي كان يقف على مداخل ومخارج هذه القرى ، وكفأ يد شاه شار عن هذه الديار ، وتعلق شاه أبو نصر بذيل عاطفة التونتاشى لادراكه خاتمة ما اقترفت يدها ، وتبرأ من عقوق ومخالفة ابنه ، وقبل التونتاش شفاعته ، وسمع السلطان عذره ، فأمر باحضاره معززا مكرما إلى هرات ، وتحصن ابنه في قلعة كان قد احتسى بها في عهد دولة أبي على سيمجور ، وحاصر التونتاش حاجب وارسلان جاذب هذه القلعة ونصبا العرادات والمجانيق وسويا ناحية القلعة بالأرض ، وكلما صاح شار بالأمان لاتصل صيحته وظلت هذه الفتنة قائمة حتى قبضا عليه ، وأخرجاه من القلعة ، وسلبا أموال وذخائر القلعة ، واسرا وزيره وأذياه حتى أقر بمكان خزائن ودفائن شار ، في تلك الأثناء وصل رسول السلطان لاحضار شاه شار ، فقيده التونتاش ، وسلمه لرسول السلطان .

يحكون أن الغلام الذي كان موكلا بشار أراد أن يكتب رسالة إلى أهله قبل أن يصل إلى غزنيين ويبلغهم بأحواله في هذه الرحلة وكلف شار بكتابة عدة أسطر ، واستاء من تحكم الغلام ، فأخذ القلم فكتب « أيتها الفاجرة العاهرة قليلة الحياء التعمسة هل تتصورين أن سلوكك في طريق الفسق والفساد ، وتبذيرك في الأموال من أجل رغبتك لم تصل إلى مسمى ؟ هل تعتقدين أنني لا أعلم أنك تقضين وقتك في شرب الخمر وجميع المناهى والملاهى ، وتقضين كل يوم مع نديم وكل مساء مع ظريف ، وتضيعين مالى هباء وتذلين شرفى وتسعين لهتك ستر عرضى ، ولا ترعين حرمتى ، فإذا ضمنت السلامة سأعاقبك وأجزيك على سوء فعلك » ، واطنّب في ذلك ، وأمهر الرسالة ، وسلمها للغلام ، وعندما وصلت هذه الرسالة إلى منزل الغلام ، وعلمت زوجته بمضمونها اضطربت ، ولم تشك في أن الأعداء والحاسدين قد اتهموها أمام زوجها بهذه القبائح ، وخرجت من المنزل خائفة من هذه الواقعة واختفت في زاوية ، ووصل الغلام بعد عدة أيام إلى المنزل ووجد قصره الذى كان قد تركه مثل جنة آدم قد صار مثل صحراء لوط ، ولم ير أثرا للخدم أو سيده المنزل ، وظل حيرانا ، واستكشف الأحوال من جيرانه ، فذكروا له صورة الرسالة والقبائح التى وضمت بها ، فصاح الغلام ، واهتم برعاية خاطر زوجته وتهذئة هذه الفتنة ، وأقسم أنه لم يعلم خبر هذه الرسالة ، وأحضر الزوجة ، وعرضوا هذه الكلمات الهزل على السلطان في مجلس كان مليئا بالخواص فتبسم السلطان من حركة شار وقال : « كل من يكلف بمثل ما كُلف به شار وما فعله معه من سوء أدب ، جزاؤه هذا » .

وعندما أدخلوا شار بلاط السلطان ، وبموجب أمره ضربوه عدة سياط لتأديبه واعتباراً للآخرين ، وصدر أمر السلطان أن يحبسوه ، وبيثوا له كل ما يحتاجه دون أن يعلم أن هذا برضا السلطان حتى لا يتجرأ ويتجاسر ، والتمس شار ، وهو فى حبسه ، ألا يضايقوا أحداً من غلماناه ، وأن ينفقوا من أملاكه بقدر حوائجه ، وسعى وكلاء السلطان لتحقيق مطالبه ،

واستدعى السلطان أساه من هرات إلى غزني ، ورعى خاطره ، واشترى منهم الضياع والعقارات التي كانت لديهم في غرجستان ، وحلهم ثمنها نقدا ، ينفقوا منها على أحوالهم ، وجعل خواجه أحمد بن حسن الميمندي شارأبانصر في حمايته ورعايته حتى التحق بالملك الغفور في سنة ست وأربعمائة .



فتح آخر توجه إليه السلطان في أقصى الهند

توجه السلطان بين الدولة محمود في أوائل فصل الخريف من غزني إلى أقصى بلاد الهند ، ورجع إلى غزني بسبب كثرة الثلوج ، وعندما حل موسم الربيع توجه ثانية بجيش جرار إلى الهندوستان ، واستعد ملك من ملوك الهند ، كان السلطان قد توجه إلى ولايته ، للحرب وعندما اقترب بين الدولة محمود ، سلم الميمنة للأمير نصر وجعل الميسرة لأرسلان جاذب ، وجعل أبا عبد الله الطائي على مقدمة الجيش ، ووضع الأمير التونتاش حاجب على قلب الجيش ، وتحصن ملك الهند خوفا من الجيش بين جبلين حصينين ، وأحكم مداخل ومخارج هذا المر بالأنفياال الضخمة ، وأرسل إلى أقطار وأطراف ممالكة رسائل استغاثة ، وجمع مشاة وفرسان ممالكة ، وأخذ يربأ أمر الحرب لعل المسلمين يضجرون من طول الأيام ، ولما اجتمع جيش الهند كله ، ولم يبق هناك عذر ، دق راى (٨٣) الهند طبول الحرب ، ونظم الجيش أمام الجبل (٨٤) ، ودار حول الجيش بسد من الأنفياال الضخمة ، وأشعل نيران الحرب وانطلق المحاربون يطنون كالنحل ، ويمزقون صدور بعضهم بالخناجر ، ويطيحون رؤوسهم بالسيوف ، وكلما تقدمت الأنفياال للحرب ، رشق المسلمون خرطومها وحلقومها بالرماح والحراب ، وعندما رأى ملك الهند جرأة وشجاعة عبد الله الطائي في سفك الدماء وممارسة الحرب ، أرسل جماعة من أهل الحرب والضرب لصدده ، وتوجهوا بموجب أمره إلى الطائي ، وجعلوا جسده كالغربال من الطعنات العنيفة ، ولم يتحول قط عن هذه الجماعة بأى حال من الأحوال ، وعندما رأى السلطان أبا عبد الله في محنة الوغى ، أرسل جماعة من غلمانة الخواص لمعاونته ومعاضدته ، ليخرجوا هذا البطل من هذا الهلاك ، وأمر السلطان أن يركبوه فيلا لكى يسترىح من ألم الجراح ، وأشعل نار القتال ، وفي النهاية هبت نسائم نصر بين الدولة محمود ، وانهزم جيش الكفار ، وتعقبهم مجاهدو الدين ، وقتلوا أكثر هؤلاء الملائع ، وغنموا أموال وأنفياال هؤلاء الأنجاس . (٨٥)

وقد حملوا من معبد هذه الناحية حجرا محفورا بدقة إلى السلطان ، وما أثبت عليه أنه منذ أربعين ألف سنة (٨٦) وضع أساس هذا المعبد ، وتعجب محمود من عقيدة الهنود الفاسدة ،

لأن علماء الشريعة متفقون على أن بداية خلق آدم على نبيينا وعليه السلام لا تزيد عن سبعة آلاف سنة ، وسأل أعيان العلماء والفضلاء والحكماء الحاضرين عن هذا الأمر فأجابوا جميعا: إن شهادة الصخور كاذبة تماما (٨٧) ، وعاد جيش الاسلام بهذه الغنائم التي لا حصر لها ، والنفائس التي لا حد لها ، وجاء غزنين ، واختفى سواد جيش الاسلام بين جنود الهنود ، وحمل كل واحد من الناس مائتين أو ثلاثمائة أسير .

وبعد أن استراح المجاهدون من عناء السفر عدة أيام ، توجه السلطان مرة ثانية إلى بلاد الهند (٨٨) ، ومما بلغ المسامع العلية أن هذه النواحي غنية بالأفيال التي يطلقون عليها أفيال المسلمين (٨٩) ، ووالى هذه الناحية كافر مشهور ، ووصل السلطان إلى هذه البلاد بعد أن قطع الصحارى ، وحارب حاكمها ، وانتصر عليه ، وعاد إلى غزنين بغنائم كثيرة وأموال وفيرة . (٩٠)



انقراض دولة خوارزمشاه وانتقال ملكها إلى

يمين الدولة محمود سبكتكين

عندما انتقل حكم خوارزم من المأمون إلى ابنه أبى على ، وتزوج أبوعلى أخت السلطان محمود ، وامتد أمر الصداقة إلى المصاهرة ، واستمر هذا الأمر حتى آخر عهد أبى على ، وبعد انتهاء الحكم تصدى لأمر الحكم أخوه المأمون بن المأمون ، فأرسل سفارة إلى السلطان وأبدى إخلاصا وولاء له ، وخطب أرملة أخيه ، وقبل السلطان محمود هذا ، وتولدت أواصر المحبة والوداد بينها . (٩١)

وفي آخر أيام المأمون أرسل إليه السلطان رسولا وطلب منه أن يقرأ الخطبة باسمه في ولاية خوارزم ، واستشار المأمون أعيان دولته في هذا الأمر ، فرفض أكثرهم ، وقالوا طالما أن ملكك مصون من المشاركة فنحن في خدمتك ، وإذا أردت حكم آخر ، وصرت مغلوبا على أمرك ، فنحن نسل السيوف ونعزلك ، ونجلس غيرك على العرش ، فعاد رسول السلطان ، وعرض مارآه رأى العين .

وبعد ذلك اضطرب وجوه رجال خوارزم من الوقاحة التي أبدوها لولى النعمة ، وخافوا سوء عاقبة رفض طلب السلطان ، واهتم نياتكين (٩٢) قائد جيش خوارزم ورأس أهل الخسران بتدبير الأمر ، وذات يوم هجم مع جماعة من العصاة على المأمون ، وخرج بخبر قتله ، لم يعلم أحد قط بكيفية حدوث هذا الفعل الخطير ، وبعد هذه الحادثة بايعوا ابن المأمون ،

وعندما أدرك جماعة الفجور أن السلطان لن يدع سر هذه الجريمة يمر، وسيسل سيف الانتقام من غمده، ويجزى كل منهم جزاء فعلته، لذا تعاهدوا إذا جاء محمود للانتقام منهم، يردون عليه جميعاً.

وعندما علم يمين الدولة بغدر هؤلاء الأخصاء، أعد الجيش بعد مشورة القواد، وتوجه صوب خوارزم، وهجم نياتكين وجماعة من أتباعه وقاتل ببسالة مقدمة السلطان وكاد أن يصاب في عينه، وعلم سلطان البر والبحر بخبر المقدمة، فتحركت راية الفتح، وقام الجيشان بالقتال مع طلوع الشمس حتى استوائها، وأفضى خلق لا حصر لهم من هجمة خيول وأفيال محمود في هذه المعركة وحتى وقت الزوال، وأسر قرابة خمسة آلاف رجل، وسلك من تبقى طريق الفرار، وركب نياتكين مركباً ليعبر نهر جيحون، وأثناء ذلك ولسبب من الأسباب تشاجر مع واحد من راكبي المركب، المهم أدى الشجار إلى أن قام بالقبض على نياتكين، واستولى على زمام المركب والمبلاح حتى أرسله إلى معسكر السلطان، وسأل السلطان نياتكين وعدداً آخر من أهل البغي والفساد، لماذا صدر هذا الفعل الشنيع منكم؟ ولما كان نياتكين يعلم أنه لا نجاة له، رد رداً غليظاً، وأحنى باقى الأسرى رؤسهم خجلاً من فعلتهم، فأصدر السلطان أمره أن يقيموا على قبر خوارزمشاه المقاصل، وأمر أن يعدموا نياتكين مع من كانوا لهم دور في هذه الفتنة، وأمر أن يكتبوا على قبر خوارزمشاه «هذا قبر مأمون بن مأمون بغى عليه حشمه، وتجراً على دمه خدمه، فقيض الله السلطان يمين الدولة وأمين الملة حتى اقتص منهم وصلبهم على الجذوع عبرة للناظرين وآية للعالمين».

وسلم أمر حكومة خوارزم للحاجب الكبير التوتناش (٩٣) وأرسل جمعاً كبيراً من الأسرى إلى غزني، وحبسهم، وبعد فترة من الزمن أنعم عليهم جميعاً، وأدخلهم ضمن الجنود المتوجه إلى الهند.



فتح مهرة وقنوج

عندما انتهى السلطان من أمر خوارزم، قضى الشتاء في بست وتكناباد، واستراح الجيش من مشاق السفر وعندما حل الربيع، واستوى الليل والنهار، انتظر الجيش الخاص وعشرون ألف رجل آخرون من المتطوعين المسلمين الذين كانوا قد جاءوا من أقصى بلاد ما وراء النهر بنية مثوبة الغزو، انتظروا تحرك السلطان صوب مهرة وقنوج. (٩٤)

ومشهورين أرباب التواريخ أنه لم يستول على قنوج سلطان أجنبي من قبل ما عدا
گشتاسب الذى كان زعيم ملوك عصره ، والطريق من غزنين حتى هذه الولاية ثلاثة شهور ،
وعموماً عندما وصل السلطان محمود إلى نواحى كشمير، التحق إليها ، وسار على طليعة
الجيش وقطع المسلمون الصحارى والمسالك ، وعبروا الوديان والأنهار العظيمة حتى وصلوا
إلى قلعة من القلاع المنيعة التى كانت لمملك ذى شوكة نافذة هناك ، وعندما رأى
حاكم (١٥) القلعة كثرة رجال الدين نزل مع أتباعه وملازميه ، ونطقوا بكلمة التوحيد ،
وسعدوا بالهداية ، وتوجه السلطان من هناك إلى القلعة التى كانت تحت سيطرة
كلخند (١٦) ، وكان كلخند هذا مغروراً بكثرة ماله واتساع ملكه ، وكان مشاهير ملوك الهند
عاجزين عن مقاومته وبسبب مناعة وحصانة القلاع التى ظلت محفوظة من حوادث الأيام
ومصائب الأزمان ، ولم تصل يد منازع قط إلى ذيل حشمته وابهته ، وتحصن بغابة لا يرضوه
الشمس من تشابك أشجارها ، كما أن الرياح لا يمكنها الهبوب من كثرة أغصانها وأوراقها .

وعندما وصل السلطان إلى هناك أمر الجنود أن يختفوا فى هذه الغابة ، وشق ممرا ، وهجم
على الكفار ، وقام قتال شديد ، وتنسم السلطان نسيم النصر ، وقتل بعض جنود كلخند
بالسيف ، ورمى بعضهم بالنهر ، وغرقوا فى بحر الضلالة ، وسقط قرابة خمسة آلاف رجل من
هؤلاء الملاعين فى بحر الفناء وورطة العناء ، وسل كلخند خنجرا وضرب زوجته أولا ، ومزق
صدره ، وذهب إلى جهنم ، وسقط مائة وخمسة وثمانون فيل وغنائم أخرى فى يد
السلطان . (١٧)

وعندما انتهى يمين الدولة محمود من أمر كلخند ، توجه إلى مدينة كانت بعيدة وهى معبد
لأهالى الهند ، وعندما وصل المسلمون إلى هناك ، تعجبوا من غرائب مبانيها ، ومن جملتها
ألف قصر بُنيت من الحجر الرخام والمرمر ، والمعابد لا يمكن حصرها لكثرتها ، وكتب
السلطان محمود رسالة إلى أشرف غزنين ، ذكر فيها : « لو أن شخصا أراد أن يبدع مثل هذه
المباني ، لا يمكنه أن يتمها ، وإن أنفق مائة ألف حمل — ألف ألف دينار خلال مائتى سنة —
وبسعى البنائين المهرة » ، ووجدوا من جملة الأصنام خمسة أصنام ، مصنوعة من الذهب
الأحمر ملأوا مكان عين كل واحد منها ببياقوتين لو أن أحدا عرض مثلها على السلطان
لاشترها مسرورا بمبلغ خمسين ألف دينار .

وكان على ضم آخر قطعة ياقوت زرقاء لامعة ، بوزن أربعمائة مثقال ذهب ، وكانت
الأصنام الفضية تزيد عن مائة ، وأمر السلطان بأن يشعلوا النار فى المعابد ، وتوجه إلى قنوج ،
وترك الجيش خلفه حتى إذا رأى جيبال رأى قنوج قلة أعوانه وأنصاره ، يثبت ولا يفر عاراً
لأنه كان على رهوس ملوك الهند ، وكان السلطان يخرب كل بقعة وقلعة يصل إليها بمسكوه ،

وعلم جيبال بخبر توجه السلطان انزوى بناحية دون قتال وجدال ، ووصل السلطان في الثامن عشر من شعبان سنة سبع وأربعمائة ، ورأى على شاطئ نهر الكنگك سبع قلاع تساوى كل منها في رفعتها الأفلاك ، ووجد في هذه القلاع عشرة آلاف معبد أصنام ، وكان الهنود يعتقدون اعتقاداً راسخاً انه قد مر على تاريخ بناء هذه المعابد ثلاثمائة أو أربعمائة ألف سنة ، وسخر السلطان في يوم واحد السبع قلاع لأن معظم القوم فروا خوفاً من جيش الاسلام ، وتوجه السلطان بعد نهب قنوج إلى قلعة منج ، وأغلق أهل القلعة الأبواب ، وأبدوا تمرداً ، وعندما رأوا انه ليس لديهم طاقة للمقاومة ، ألقى بعضهم نفسه من الشرفات ، وطعن بعضهم نفسه بالخنجر والسيف ، وذهبوا إلى دار البوار ، وتوجه محمود من هناك إلى قلعة « جندبال بهور » التي تمتاز باتساع الملك وكثرة الجنود ، وقاد زاي قنوج الجيش إليه أكثر من مرة وكان يعود عاجزاً ، وعندما رأى جندبال صولة جيش الاسلام ، ترك القلعة وفر هارباً وتعقبه جيش السلطان ، ووقع في يد المسلمين كثير من الأموال والأفيال ، وعندما استقرت قلعة جندبال في يد أتباع السلطان ، توجه السلطان إلى جندزاي وكان متهوراً مغروراً بنفسه وترك أيضاً ولايته على الرغم من كثرة عدده وخزائنه ، وفر إلى غابات الهند ، وتوجه السلطان إلى مكن جندزاي ، وبعد قطع أحد عشر فرسخاً وصل إليه فألقى الأعداء أحماهم وأثقالهم ، ليفروا بأرواحهم من هذا الموت ، ولم يهتم الغزاة بهذه الأحمال وتعقبوهم ثلاثة أيام بلياليها ، وقتلوا الكفار ، واستولوا على أموالهم وأسلحتهم ، وأخذوا بعض الأفيال قسراً ، وتوجه عدد من الأفيال برغبتهم إلى « فيل خانه » السلطان ، وأطلقوا عليهم اسم « خدای آورد » أي هبة الله ، وقدموا مبلغ ثلاثة أحمال - ألف ألف دينار - إلى السلطان من خزانة جندزاي ، ووصل عدد الأسرى كثيرة إلى درجة أن ثمن الواحد لم يزد عن عشرة دراهم ، ووصل خبر هذا النصر إلى أقصى حدود الشرق وأقصى الغرب . (٩٨)

وعندما عاد السلطان من بلاد الهندوستان ، وبني جامعاً كبيراً وسط غزنين ، ونقل من نواحي الهند والسند الأشجار ، وأحضروا من المعادن ما هو مناسب ومن الأحجار المرمر والرخام المربع والمسدس والمثمن ، وأنشأوا مسجداً مزيناً بألوان وأصباغ مثل حديقة وزينوه بالنقوش مثل روضة الربيع ، وبني جوار هذا المسجد مدرسة ، ملاًها بنفائس الكتب وغرائب النسخ ، وأوقف عليها القرى والضياع ، وسعى كل واحد من الأمراء والأعيان ببناء مباني البر ، وبقاع الخير في هذه الديار تزيد عن الحصر (٩٩) .



توجه السلطان محمود إلى سومنات وعودته بعناية واهب العطايا

يقول أرباب التواريخ أن سومنات (١٠٠) كما يقولون صنماً ، وبزعم أهل الهند أعظم أصنامهم ، ولكن من كلام الشيخ فريد الدين العطار قدس سره يعرف أن سومنات اسم مكان ولات اسم صنم هذا المكان ، ولهذا يقول :
« وجدوا هذا الصنم الذي كان اسمه لات »
« وجده جيش محمود في سومنات » (١٠١)

كما يقول أمله الشعراء مصلح الدين سعدى رضى الله عنه :
« رأيت صنماً من العاج في سومنات »
« مرصع مثل مناة في الجاهلية » (١٠٢) .

عموماً قال المؤرخون أنهم كانوا قد وضعوا سومنات في معبد أصنام على شاطئ البحر ، وكان أهل الهند يزورون هذا الصنم في ليلة الخسوف ، وفي تلك الليلة يجتمع أكثر من مائة ألف شخص حول هذا المعبد ، وكان الهنود يعتقدون أن الأرواح تأتي لخدمة سومنات بعد مفارقة الأجساد ، ويقوم بتحويل الأرواح المجتمعة إلى الأبدان المتفرقة على سبيل التناسخ ، وهكذا اعتقد أهل الهند أن البحر يعبد سومنات والمد والجزر هو عبادتها (١٠٣) ، وكانوا يحضرون النذور إلى هذا المعبد من أقصى مملكة الهند ، وكان هناك قرابة عشرة آلاف قرية عامرة وفقاً لسدنة هذا المعبد ، وكان يجتمع كثير من الجواهر القيمة التي لا يوجد بخزانة أى ملك قط عشرينها ، في هذا المعبد وكانوا يعلقون جنزيراً من الذهب بوزن مائتى من الأجراس وكان خدام المعبد يحركون هذا الجنزير في أوقات معينة ، وتصدر الأجراس صوتاً ، وكان البراهمة مشغولين بالعبادة وكان مقرراً له ثلاثمائة حجام وثلاثين مغن وخمسمائة جارية من الراقصات اللاتى كن يلازم المعبد ، وكانوا يدفعون لهذه الجماعة من النذور والأوقاف ، ونهر الگنگ نهر يقع في شرقى قنوج ودهلى و يزعم الهنود أن هذا النهر ينبع من عين الخلد وعندما يحرقون موتاهم الهنود ينثرون رمادهم على صفحة هذا النهر ، ويعتبرون هذا الأمر مزيلاً لسيئاته ، والبراهمة يلقون بأنفسهم في هذا النهر ، ويعتبرون أن هذا سبباً في نجاتهم ورفع درجاتهم ، وبين هذا النهر وسومنات مسافة بعيدة (١٠٤) .

الهدف من هذه المقدمة هي أن ملوك الهند كانوا قد اعتادوا أن يرد الخلق تبعاً لهذا النهر ، ويفسلون سومنات يوماً بهذا الماء ، المهم عندما قاد السلطان محمود الجيش إلى بلاد الهند في سنة ست عشرة وأربعمائة ، حطم المعابد ، وكسر الأصنام قال المعتقدون في

سومنات : إن سومنات من الأصنام التي تلحق الضرر بمن يعتدى عليها ، والاقضى عليها الأعداء (١٠٥) ، وعندما علم يمين الدولة بهذا القول اللغو، صمم التوجه إلى هذه الناحية وقال : « عندما يتأكد للهنود بطلان صنم سومنات من الممكن أن يميلوا إلى الاسلام » .

وفي العاشر من شعبان من السنة المذكورة (١٠٦) ، توجه السلطان إلى الملتان بثلاثين ألف فارس غير المتطوعين الذين جاءوا بلازاد من أجل إحراز ثواب الغزو، ووصل إلى وسط الملتان ، ولما كانت الصحراء بلا ماء وعلف ، جمع الماء والعلف عدة أيام ، ويذكرون بالاضافة إلى ما كان لدى كل واحد من الجنود من زاد وراحلة ، كان السلطان يحمل عشرين ألف جمل آخرين أيضا بالماء والعلف ، وعندما عبروا من هذه الصحراء المهلكة ، رأوا عدة قلاع على أطراف الصحراء مملوءة بالمحاربين المسلمين ، فألقى الحق سبحانه وتعالى الرعب في قلوب الكفار حتى سلموا جميع القلاع ، وقتل الجنود بموجب الفرمان رجالهم ، وأسروا أولادهم وزوجاتهم ، وحطموا المعابد .

وبعد الانتهاء من هذه الأمور، وصل جيش الاسلام الى بهواره فترك حاكمها المدينة ، وسلك طريق الفرار، واستولى محمود على هذه المدينة ، وأعد ما كان الجيش في حاجة اليه ، وتوجه إلى سومنات ، وكلما رأوا معبدا خربوه ، ولم يقصروا في السلب والنهب وقتل الأعداء ، حتى وصلوا إلى سومنات في ذى القعدة من السنة المذكورة ، ورأوا قلعة كبيرة على شاطئ البحر، وبينما كان موج البحر يصل إلى فواصل القلعة ، كان الناس يرتقون الأسوار، ويتفرجون على المسلمين ، وكانوا جميعا على ثقة من أن معبودهم سيهلك الذين يقصدون هذه البلاد ، وفي اليوم التالي وصل جيش الاسلام إلى سفح القلعة ، وقاموا بالقتال ، ورأى الهنود الحرب التي لم تكن إلا في خيالهم ، ولاجرم أن أدخلوا الجدران خوفا من السهام ، واغتتم الغزاة هذه الفرصة ، وفردوا السلام ، وصعدوا على جدار القلعة ، وكبروا بصوت عال .

وعندما سمع الهنود صوت التكبير، بدأوا حربا ضروسا ، وتقدم جماعة منهم إلى سومنات ، ومرغوا وجوههم في التراب ، وطلبوا متضرعين من هذا الصنم النصر والظفر، وعندما حل المساء ، عاد الغزاة إلى مسكرهم .

وفي اليوم التالي حيث قضى الهنود ليلتهم خجلا ، توجه المسلمون لمحاربتهم وكلما تقدم هندي أطاحوا برأسه ، وقذفوه إلى أهله وادخلوه المعبد ، وقام الهنود بالقتال على باب المعبد ، وأخذ الهنود يتناوبون على باب المعبد ويحتضنون سومنات ، وبيكون ويخرجون ويقاتلون ويقتلون حتى قُتل كثير من الهنود ، وركب من بقى من للسيف مركبا ، وفر هاربا ، وأعد السلطان محمود عدة مراكب أركب فيها الرجال ليسدوا طريق البحر .

ومعبد سومنات الذى كان هناك كان طويلا وعريضا لدرجة أن كان هناك ست وخمسون عمودا يرفعون سقفه ، وكان سومنات صنم من حجر منحوت طوله خمسة أزرع ظاهرة وزراغان تحت الأرض ، ودخل بين الدولة إلى المعبد وحطم بدبوس كبير حجر سومنات وأمر أن يحملوا مقدارا من هذا الحجر المكسر إلى غزنين ، ويضعوه في عتبة المسجد الجامع وجملة ماوصل من معبد سومنات إلى خزانة السلطان كانت زيادة عن عشرين ألف دينار أحمر ، وجميع ماكان في هذا المعبد ، وست وخمسون عمودا مرصعا بالياقوت والزمرد ، وكان كل واحد من هذه الأعمدة ينسب إلى ملك من عظماء ملوك الهند ، وقتل أكثر من خمسين ألف مشرك حول المعبد ونفس القلعة .

وإثناء ذلك وصل الخبر أن صاحب بهواره (١٠٧) الذى كان قد فر أثناء توجه الجيش الظافر ، متحصنا حينئذ في القلعة ، وكانت هذه القلعة على بعد أربعين فرسخا وأبدى السلطان استعدادا لفتح هذه القلعة ، وتوجه هناك ، وعندما وصلوا إلى هذه النواحي رأوا قلعة يحيط بها نهر عظيم من أطرافها ، وقبضوا على غواصين فأستفسروا منها عن عمق هذا النهر ، قالوا : أنه من الممكن العبور من المكان الفلانى ، لكن أثناء العبور لوماج النهر سيهلك الجميع وتوكل محمود بعناية الله بعد الاستخارة ، وقفز في النهر بفرسه مع الجنود ، ووصل إلى سفح القلعة سالما ، وعندما رأى صاحب القلعة هذا الحال ، فر هاربا ، وسقطت غنائم كثيرة في أيدي الجيش من هذه القلعة وقتلوا أهالى القلعة .

وعندما فرغ خاطر السلطان محمود من أمر القلعة ، قاد الجيش إلى بهاطيه ودخل أهالى هذه البلاد في طاعته ، وقبلوا دفع الأموال ، وعاد السلطان ظافرا منتصرا إلى دار الملك غزنين (١٠٨) .

يقول الكاتب (١٠٩) أنه عندما وصل الكلام إلى هذا الحد ، فليس بعيدا أن نذكر حكاية وردت في بعض الرسائل في هذه الأوراق ، وهى أنه عندما تيسر للسلطان محمود فتح سومنات أراد أن يقيم هناك عدة سنوات نظرا لطول وعرض المملكة ، ومن غرائبها الكثيرة كان هناك مناجم في هذه الولاية تنتج الذهب الخالص ، وكان ياقوت مملكة الهند كلها من معادن سرانديب التى كانت من توابع هذه المملكة ، فقال أركان الدولة : ان ترك خراسان التى استوليت عليها بعد حروب كثيرة وجعل سومنات دارا للملك أمر مستحيل .

عموما عزموا على العودة وأمر السلطان بأن يعين شخصا لحمايتها وضبطها ، قال الأعيان : ان الشخص المختار على هذه الولاية وعلى تلك المملكة لن ينال امتيازاً أكثر ومن المناسب أن تفوض واحدا من نفس أهالى المملكة ، فاستشار السلطان في هذا الأمر المستشارين واتبع الدولة ، قال بعضهم : انه لا ترقى طائفة قط على سلاطين هذه الأسر

البلاد من نسب وحسب دابشليم ، وقد بقي واحد من هذه الأسرة حتى الآن ، وهو مشغول بالحكمة والرياضة على هيئة البراهمة ، فلوا أعطى السلطان هذه المملكة له ، فهو أهل لها وأنكر آخرون هذا الكلام وقالوا : ان هناك شخصا هو دابشليم مرتاض ، كافر وكفره ليس باختياريه بل أنه أسر أكثر من مرة بيد اخوته ، وطلب الأمان ولجأ إلى هذا المكان ، ولكن هناك دابشليم آخر من أقاربه عاقل وعالم تماما ، والبراهمة يعتقدون في حكمته ، وهو الآن ملك في ولاية فلان فلو أصدر السلطان مرسوما يجعل هذه المملكة له ، وارسل منشورا باسمه ، فانه سيأتي إلى هنا ، ويعمر ويحكم هذه الممالك طبقا لحقه فيها ، وطالما هو صادق القول وصحيح العهد سيرسل الجزية والخراج الذي يأخذه من الذميين على الرغم من بعد المسافة ، إلى خزانة غزني سنويا .

قال السلطان إنه لوجاء اليه سيحقق هذه الرغبة ، ولكن الشخص الذي يكون له السلطنة في الهند ولا يؤدي الخدمة كاملة ، ويخرج عن الطاعة ، فلماذا يسلم اليه ملكا بهذه العظمة ؟ المهم استدعى دابشليم مرتاض وأعطاه المملكة ، واخذ الخراج منه وقال : اننى لن أخالف أمركم ما دمت حيا ، وسأرسل الذهب والياقوت ومعادن الهند إلى خزانة غزني ، ولكنه بينى وبين دابشليم الآخر عداوة مستحكمة ، ووقعت معارك بينى وبينه عدة مرات ، ولا شك انه عندما يعلم بعودة السلطان سيقصدنى ، ولما لم أزل ليس لدى عدد وعدة فسأغلب ، وسيستولى على مملكتى ، والآن لوتوجه السلطان اليه ودفع شره عنى فاننى سوف ارسل إلى خزانة غزني سنويا ما يعادل خراج زابلستان وكابلستان .

قال السلطان : طالما كنا قد خرجنا بنية الغزو ، وقد مرت ثلاث سنوات لم نعد إلى غزني فلتكن ثلاث سنوات وستة أشهر ، وتوجه إلى هذه الولاية ، قال أهالى ولاية سومنات لدابشليم مرتاض إنك لم تفعل خيرا لأنك حرصت السلطان على قصده ، والشخص الذى أعزه الله جل وعلا وجعله أهلا للعزة ، لن يذل بسعيك ووشايتك ، ووصل هذا القول إلى السلطان ، فتردد كثيرا ، ولكن لما كان قد أمر بالتوجه ، فلم يرض بنقض ماسبق وعلى كل حال توجه إلى هذه المملكة ، وفتح ولاية دابشليم ، وأسره ، وسلمها إلى دابشليم مرتاض ، وقال له : إن قتل الملوك فى ديننا ومذهبنا عيب عظيم وعار متين وجميع الجيش ينفرو ويتمرد على الملك الذى يرضى بدم ملك ، وقانون سلاطين هذا الاقليم هى انه طالما تمكنت من عدوك ، ابن تحت عرشك غرفة مظلمة ، واجعلها وراء مسندك وسد أبوابها ومدخلها ماعدا فتحة يدخلون منها الطعام يوميا إلى هذه الغرفة ويحكمونها جيدا ، وهكذا يكون النهج طول مدة حياة الملك الذى يكون على العرش ، وعندما لا يكون لديك طاقة لذلك فاننى احبسه على هذه الصورة ، ولا تبعده عن كرمك حتى تحمله معك إلى غزني ، وطالما تم ضبط هذه المملكة فيمكننى أن أحمله معى حتى اعذبه بهذه الصورة .

المهم بعد أن أقر السلطان هذه المهام ، دق طبل الرحيل ، وجلس دابشليم مرتاض على عرش السلطنة في سومنات وارسل التحف والهدايا متواليه عقب السلطان ، وأنعم على أركان الدولة بالخدمات الجليلة ، حتى تمكن من الملك ، وأعد خزائنه الجواهر وارسلها إلى السلطان وطلب عدوه ، وتردد السلطان في ارساله ولم يرد أن يترك هذا البريء لعدوه ، لكن لما كان دابشليم مرتاض بذل الأموال على أعيان البلاط ، قالوا جميعا لماذا تترحم على كافر ومشارك ؟ كما انه لن يخالف ايضا وعد السلطان ، وربما هذا الأمر يدفع دابشليم مرتاض إلى المخالفة ، وتخرج المملكة من يده وسلم السلطان هذا الفتى بناء على أمر الأمراء إلى اتباع دابشليم مرتاض وأرسل الرسل إلى ملوك الهند لكي يحددوا له سومنات ، وعندما أرسلوا إليه حدودها أمر دابشليم أن يهيا الحبس الذي كان قد أقر له تحت عرشه .

كانت عادة ملوك سومنات هي أنه عندما يستقرون على عرش العدو ، يخرجون لمسافة ويضعون على رأسه طستا وابريقا خاصا ، ويجريانه حافيا أمام جواده حتى البلاط ، وبعد ذلك يجلسونه على عرشه ، ويحملون العدو إلى حبسه المعهود ، ويتكأون على الكرسي ، ويخرج دابشليم مرتاض عن هذه القاعدة ، وحدث تأخير في وصول العدو ، وكان مشغولا بالصيد ، وانتشر السلطان والجنود في كل ناحية حتى التهب الجو ، ونزل كل جيش في ناحية ، ونزل دابشليم ايضا في ظل شجرة ، وغطى وجهه بمنديل أحمر ، ونام وفي الهندوستان حيوانات صيد غابية ذات منقار حاد جدا ، كان أحدها يطير ، وظن أن المنديل الأحمر لحما فهبط من الجو فقبض بمخلبة المنديل ونقر بمنقاره فأعمى عين دابشليم من ضربه منقار هذا الحيوان ، وقامت جلبة بين الجنود ، وفي اثناء هذا الأمر وصلوا بهذا الشاب ، وعندما رأى أعيان الدولة أن دابشليم صار معيوباً ، وبدا شكله عجيباً ، ولم يكن هناك شخص أهلاً وجديراً بالسلطنة من هذا الشاب ، سلموه السلطنة وقضوا على عدد من مخالفيه ، ووضعوا الطست والأبريق الذين كانا قد أحضرها لهذا الشاب على رأس دابشليم مرتاض واسرعوا به إلى بلاط السلطنة ، وأرسلوه إلى سجنه المعهود .



توجه السلطان محمود بن سبكتكين إلى الري وعودته من هناك إلى غزني ووفاته في هذه البلاد

توجه يمين الدولة في آواخر أيامه إلى ناحية الري ، وأسر سلطانها مجد الدولة بن فخر الدين الديلمي (١١٠) ، وقيده ، وارسله إلى غزني ، وسوف أعرض هذه القضية ضمن أمور الديلمة بالتفصيل إن شاء الله تعالى .

لما كان السلطان محمود قد ترك ابنه مسعود في الري وأصفهان فقد عاد من معسكر العراق إلى غزني في سنة احدى وعشرين وأربعمائة ولحق برحمة الملكة المغفور، وكان قد ابتلى خلال العامين السابقين بمرض السل أو سوء الهضم أو الاسهال على اختلاف الأقوال (١١١)، وكان يتحرك أيام المرض بنفس أيام الصحة، وكلما كان الأطباء يمنعونه عن الركوب، كان يرفض، ويقولون: ان السلطان أصدر أمرا قبل وفاته بيومين بأن يحضروا من الخزينة صرر الذهب الأحمر والأسباب وأنواع الجواهر النفيسة والهدايا التي كان قد جمعها في عهد السلطنة، ويفردونها جميعا في الساحة على شكل بساط عريض يبدو في نظر الناظر بستانا مزينا بالورود الملونة من الأحمر والأصفر والبنفسج وغير ذلك، وكان السلطان ينظر اليها متحصرا، ويبكى متألما، وبعد البكاء المرير أمر أن يحملوها جميعا إلى الخزانة ولم يعط مقدار فلس من هذه الأموال لمستحق (١١٢) مع انه كان يدرك أنه خلال عدة أيام ستصيب روحه الطيبة مرارة حتى أن كاتب هذه الأوراق كان يستاء جدا عند الاطلاع على هذه الحكاية في التواريخ عن هذا السلطان الغازي ويتمنى ألا يصدقها أحد قط، وألا تكون هذه القصة معبرة عن هذا السلطان رفيع الشأن.

على كل حال بعدما شاهد محمود نفائس خزائنه، جلس على المحفة، وحُمل إلى الميدان الأخضر وهناك عرضوا عليه جميع ممتلكاته الخاصة، وأنواع الدواب من جياذ عربية وبغال قيمة وغير ذلك، وبعد أن أمعن النظر فيها، ناح، وندب، وتأسف، وتحسر وعاد إلى قصره. يقول أبو الحسن الميمندي أن السلطان محمود سأل يوما أبا طاهر الساماني: ما مقدار ما كان آل سامان قد جمعه من جواهر قيمة؟ فأجابه: انه كان لدى الأمير الرضا نوح بن منصور سبعة أرتال جواهر في خزينته، فوضع محمود وجهه على الثرى وقال: الحمد لله أن الحق عز وعلا قد أكرمني بأكثر من مائة رطل.

يروون أن يمين الدولة محمود في أوائل مرضه سأل ابنه محمد: إذا واجهني مالا مفر منه فما هو الأمر الذي ستهتم به من بعدى؟ قال محمد: « الصلاة والصوم والتصدق وملازمة قبر الأب وقراءة القرآن على روح أبي »، ثم سأل ابنه الآخر مسعود نفس السؤال، فأجاب: ما سأفعله هو ما فعلته مع أخيك اسماعيل.

اضطرب السلطان من هذا الجواب لأن أمر محمود من أخيه اسماعيل كان على هذا النحو، وهو أنه عندما أخرج السلطان من قلعة غزني بالعهود والمواثيق، سأله في جلسة من جلسات الأُنس من أنه لو كنت قد وقعت في ايديك أسيرا ماذا كنت ستفعل بي؟ قال اسماعيل بطيبة وسذاجة، نيتي كانت أنه لو ظفرت بك، أرسلك إلى قلعة، وأعد لك ما ترغبه نفسك من غلام وجارية ومتطلبات الحياة، وبعد فترة من الزمن ولسبب من الأسباب التي

ذكرها تاريخ يميني ، سجن اسماعيل عند والي جوزجان ، وفعل ما كان يفكر فيه ، وأمر أن يرعوه في قلعة من قلاعها ، وأمر الوكيل أن يعد ما يحتاج اليه اسماعيل من أسباب الحياة طبقا لارادته ورغبته ، ولا يجوز أن يهمل في أداء ما يتمناه .

ويروون أن هدف محمود من التوجه إلى الري هو أن يشغل مسعود بحكومة هذه البلاد ، ويقر محمد علي ملك خراسان وغزني والهندوستان ، ويذكرون أنه عندما استولى محمود على العراق ، وأخذ أموالها ، عرض هذه الممالك بعد ذلك على مسعود ، فقال مسعود : الآن وقد عاقبت هذه الولاية وجعلتهم فقراء تجعلني حاكما عليهم ، انني مستاء من حكومة هذه البلاد ، وسأحضر معك إلى خراسان ، فاستمال محمود اسماعيل ، وجعل سبعة عشر ألف شخص من جيش غزني وخراسان في خدمته ، وقبل أن يجعل الري دارا للملك حينئذ قال له محمود : يجب أن تقسم بالألتعرض لأخيك محمد ، قال مسعود : هل اذا قسمت هذا القسم سترضى عنه ، قال مسعود : يابني لماذا تقول هذا الكلام ، قال مسعود اذا كنت ابنك أليس لي حق في أموالك وأملاكك ؟ قال محمود : ان اخيك سيرسل لك حقوقك فأقسم الآن بالألتحاربه وتعاديه ، قال مسعود : لوجاء وأقسم بأن يرسل الي حتى أقسم أنا ايضا ، أقسم على أن يكون هو في غزني وأنا في الري ، كان مسعود جبارا ، فكان يحاور اباه بمثل هذه المحاورات ، وكان يسمع ويرد على هذه الأسئلة بجرأة .

ويروى عن أبي بكر علي بن حسن الذي كان كاتباً لمحمد بن محمود بن سبكتكين انه قال : انتقل السلطان محمود يوم الخميس الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة احدى وعشرين واربعمائة من دار الفناء إلى دار البقاء ، وكان عمره ثلاث وستين سنة (١١٣) وكان يجلس في أيام مرضه على العرش ، ويصدر الأوامر ، ودفنوه في قصر « فيروزه » بغزني في ليلة مظلمة ممطرة .

كان السلطان محمود رجلا متعصبا في دينه ومذهبه ، وقد صنف العلماء المصنفات باسمه ، وقد غزا غزوات كثيرة في بلاد الهند طبقا لما هو مسطور في هذه الأوراق ، وكان عيبه هو أنه كان يحرص على الأستيلاء على أموال الأغنياء ، وذات مرة أخبروه أن شخصا في نيشابور لديه أموالا كثيرة ، فأستدعى هذا الشخص إلى غزني ، وقال له : لما كان قد وصل إلى سمعنا أنك على مذهب القرامطة ، فأجاب الرجل الغني : أنا لست قرمطيا ولكن الله تعالى قد أغناني من متاع الدنيا الدنية ، وكل مالدي خذه ، ولا تلقبني بهذا اللقب فأخذ السلطان أمواله ، وأمر أن يعلنوا حسن عقيدته .

إن أول شخص وزره السلطان محمود كان أبو العباس فضل بن أحمد وكان هذا الوزير ظالما قاسيا جدا ، وبسبب ما استاء منه السلطان فعزله من منصبه ، وصادره ، وقتل على يد

جماعة من الأمراء كان قد ظلمهم ، وبعد أبى العباس ، وزرخواجه أحمد بن حسن الميمندى ، وقد قام بهذه المهمة الخطيرة كما يجب مدة ثمان عشرة سنة ، وأخيرا استاء منه السلطان وعزله ، وارسله إلى خادمه بقلعة من قلاع الهندوستان ليحبسه فيها ، وجعل الأمير حسنك ميكال وزيرا له ، وكان حسنك رجلا مهذبا ومؤدبا ، وكان ملازما للسلطان منذ عهد الطفولة ، وظل وزيرا له حتى آخر عهد السلطان ، مع أنه كان ضعيفا وعاجزا عن الفصل فى القضايا وتنفيذ أمور الوزارة .

وأوردوا أنه عندما استدعى الأمير نوح بن منصور السلطان لمحاربة أبى على سيمجور بخراسان ، قالوا له فى منزل من الأماكن : انه بالقرب من هذا المكان شخص يقولون انه مشغول بالعبادة ومنقطع عن الدنيا وزاهد ، ولما كان السلطان يميل إلى المتصوفة وال دراو يش ميلا عظيما ، فقد مال إلى رؤيته ، ولم يكن حسنك ميكال صافى الاعتقاد بهذه الطائفة ، وكان ملازما للسلطان فى هذه الرحلة ، وقال له السلطان : لما كنت أعلم أنك لاتألف المشايخ والمتصوفة وارباب الرياضة ، فانى أريد أن تذهب معى إلى صومعة الزاهد ، وتوجه الأمير حسنك فى ركاب السلطان ، زار السلطان الزاهد وهو متواضع تمام التواضع ، وعند توديع الزاهد وقال له : ماذا تريد من أموال لكى يقدمها لك الخازن ، رفع الزاهد يده فى الهواء ، ووضع قبضة ذهب مسكوكة فى كف السلطان ، وقال : لايمكن لأى شخص أن يأخذ من خزانة الغيب مثل هذه النقود ، فما الحاجة إلى مال الخلق ؟ فوضع السلطان هذا الذهب فى يد حسنك ميكال ، وعندما رأى حسنك هذا الذهب ، وجده مسكوكا بسكة أبى على سيمجور ، وعندما خرج السلطان من صومعة الزاهد نظر الى الأمير حسنك وقال : ماذا تقول فى هذه الكرامة ؟ وهل تنكر مثل هذه العادات الخارقة ؟ فأجابه حسنك : مايقوله السلطان عين الصواب وصدق محض ، ولايمكن لأى شخص أن يتكلم فى هذا المجال ، لكن لايجوز للسلطان أن يذهب لمحاربة شخص يكون العملة باسمه فى الغيب ، فسأل السلطان عن تفسير هذا القول ، فأظهر حسنك للسلطان الذهب المسكوك ، فسكت خدمه المتعصبون .

و يروون أنه ذات يوم كان السلطان محمود جالسا فى قصره ، وكان ينظر يمينه ويسرة من نافذة ، وفجأة وقع نظره على قدم بلا رأس تمسك زوجين من الطير ، وعندما رأى هذا الشخص السلطان متوجها اليه ، فأشار ليركه السلطان ، فقال لنفسه طالما يقدر فليكن العفو ومرة أخرى رمقه محمود ، فأشار اليه ثانية ، واغفله السلطان ايضا ، وبعد الإشارة الثالثة ، طلبه وسأله من أنت ؟ وما هذان الزوجان من الطيور ؟ قال هذا الشخص : أنا رجل مقامر ، واليوم شاركت السلطان القمار ، وأحمل هذين الزوجين من الطيور وأقدم زوجا إلى السلطان ، فأمر السلطان بأن يأخذوا الطائر من منه ، وفى اليوم التالى جاء المقامر ، وأحضر طائرين آخرين فقال السلطان : هل هذا حق الشريك وفى اليوم الثالث جاء على نفس

النظام المعهود إلى السلطان ، وفي اليوم الرابع خلت يد هذا الشخص فجاء حزينا أمام نافذة السلطان ، ووقف ، وعندما رآه السلطان فقال : إن حادثا قد أصاب شريكنا ، لأننى أفهم آثار ما على وجهه من حزن فاستدعاه واستفسر منه وقال : ما سبب حزنك ؟ فأجاب اننى شاركت السلطان فى لعب القمار اليوم ، فأخذ الندماء منى ألف درهم ، فابتسم السلطان وأمر أن يعطوه خمسمائة درهم ، وقال : لا تشركنى لعب القمار ثانية مالم أكن حاضرا .

ويروون عن السلطان محمود حكايات ونكات كثيرة ولكن ايرادها ليس مناسباً لسياق التاريخ .



الأمير نصر بن ناصر الدين سبكتكين وما حدث له

عندما أسر السلطان محمود ملك خراسان ، قام الأمير نصر بخدمته لكبر سنه ، وعينه السلطان على إمارة جيش خراسان وولاية نيشابور ، وظهرت الآثار الطيبة والمساعي الحميدة للأمير نصر بن ناصر الدين خلال سنوات حكم هذه المنطقة ، وسعى جديا فى صد المعتدين ثم استدعاه السلطان لخدمته ، وأنس برؤيته ، ولازمه فى الحل والترحال ، ولم يسمع له بالابتعاد ، وبنى الأمير نصر مدرسة ، وجعل التدريس فيها خاص باصحاب أبى حنيفة ، وأوقف الضياع والعقارات الكثيرة عليها ، وكان متحملا بمكارم الأخلاق إلى درجة أنه لم تجر كلمة فحش على لسانه طوال العمر ولم يظلم أو يجور أو يعتد على أحد قط ، وودع الدنيا الفانية وهو فى شبابه ، وحزن احبابه ورفاقه حزنا شديدا على فراقه (١١٤) .



سلطنة محمد بن محمود سبكتكين وأسرته بعد خروجه من دار الملك غزنين

عندما توفى يمين الدولة محمود ، جلس ابنه محمد على عرش السلطنة بناء على وصية الأب (١١٥) ، وبإيعاز اركان الدولة وأهالى المملكة ، واثناء ذلك كان أخوه مسعود حاكما للعراق العجمى (١١٦) ، وعندما وصل خبر موت محمود توجه من همدان إلى خراسان ، وعين العمال والنواب فى هذه الولاية ، وعندما علم الأصفهانيون بسفره ، أبدوا العصيان ، وقتلوا عماله ونائبه ، وانعطف مسعود إلى هناك ، وحاصر الأصفهانيون ، وبعد عدة أيام استولى على المدينة بالقوة ، وقضى على أهل الفتنة ، وترك أحد نوابه على حكومتها وتوجه إلى خراسان وكتب رسالة إلى اخيه ، وجاء بالرسالة : اننى لا أطمع فى هذه الولاية التى أوصى بها الأب

لك ، ولما كنت قد استوليت على بلاد الجبال وطبرستان بسيفي ، فهي تكفيني ، ولكن التمس أن تقدمني في الخطبة ، فرد محمد بلهجة قاسية وانشغل باعداد ادوات الحرب ، وكلما سعى أهل الخير لكي يصلح مسعود يأبى ، وأرسل عمه يوسف بن سبكتكين في المقدمة ، وخرج من غزني ، ووصل تنكناباد (١١٧) في غرة رمضان ، وتوقف هناك شهر رمضان كله ، وفي ليلة الثلاثين من شوال حاصر الجنود خيمة محمد ، وأخرجوه من حجرة نومه ، وحبسوه في قلعة تنكناباد ، واتهموا واحدا من هذه الجماعة التي سعت في حبس محمد وهو الأمير على خويشاوند (١١٨) ، من اقرباء السلطان محمود ، وكان السلطان محمود يحب عليا حبا جما لدرجة أنه لقبه بلفظ خويشاوند ، وايضا اتهموا يوسف سبكتكين بهذا الفعل ، وبعد سجن محمد أسرع أركان دولته لاستقبال مسعود (١١٩) ، وكان منهم الأمير حسنك ميكال ، وكان يثير العداة في أيام دولة السلطان محمود مع مسعود ، وقد توجه في نفس ذلك الحين إلى حتفه ، ووصل إلى موكب مسعود في نيشابور ، وعندما وقعت عينا مسعود على خويشاوند و يوسف ابن سبكتكين ، سجن مسعود يوسف ، وقل على خويشاوند وتوجه إلى غزني ، وسمل عينا أخيه السجين (١٢٠) .



سلطنة مسعود بن بيمين الدولة محمود ابن ناصر الدين سبكتكين

ارسل السلطان مسعود أبا سهل الحمداني (١٢١) ، لحكم ممالك العراق في شهر سنة اثنتى وعشرين واربعمائة ، وكتب منشورا بأن يحكم علاء الدولة بن كاكويه اصفهان لكي يكون ابن كاكويه (١٢٢) مساعدا ومعاوناً لأبي سهل ، وكان علاء الدولة هذا ابن خال مجد الدولة بن فخر الدولة الديلمي وكاكويه بلغة الديلم تعنى خال .

في ذلك الوقت الذي كان فيه السلطان مسعود حاكماً مستقلاً على العراق ، تزوج ابنة كاكويه ، وتدخل ابن كاكويه في بداية الأمر نيابة عن مسعود في حكومة العراق وقد انتهى الأمر باستبداده واستغلاله .

وعندما تمكن السلطان مسعود من عرش غزني ، استدعى أحمد بن حسن الميمندي — الذي كان أبوه قد عزله من الوزارة ، وارسله إلى قلعة من قلاع الهند — ووضع زمام تنظيم الأمور ومصالح الجمهور في يد كفاءته ، واستقل صاحب التدبير مرة أخرى بالوزارة في غزني وخراسان (١٢٣) .

وفي سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة أصدر مسعود أمراً بأن يتوجه التونتاش حاجب بجيوش خوارزم إلى ماوراء النهر ، ويحد من سيطرة راي تكين في سمرقند وبخارا ، وعندما

وصل التونتاش إلى حدود بلغ التحق خمسة عشر ألف رجل من جيش مسعود به بموجب الأمر وعبر التونتاش نهر آمويه (١٢٤) ، وتوجه إلى بخارا ، وعندما وصلت جيوش خوارزم وخراسان إلى هناك ، استولوا على المدينة في هجوم واحد وتوجهوا إلى سمرقند ، وعبا على تگين جيشه ، وأقام معسكرا كان على أحد أطرافه نهر وأشجار كثيفة ، ومن طرف آخر جبل ، ووصل الطرفان إلى بعضهما ، ووقعت معركة حامية الوطيس وعندما التهبت الحرب خرجت طائفة — كان على تگين قد اعدّها في كمين — من مكنها وهجموا على جيش خوارزم لكن التونتاش أبدى شجاعة وجلدا ، وهزم الأعداء ، ولما كانت الغابة والأشجار قريبة فلم يجد على تگين مفرا من الهزيمة النكراء ، وعندما حل المساء ، ونزل التونتاش حاجب بمعسكره ، دخل على تگين بجيشه الغابة ، ويقولون أنه في اثناء القتال أصابوا يد التونتاش — التي أصيبت من قبل بجرا اثناء محاصرة قلعة من قلاع الهند — بجرح ، فشلت حركته ، وقد أخفى التونتاش هذا الأمر على الجيش ، وأمر بعض غلمانه الخواص ليربطوها ، وعندما نزل بمكان ليلا استدعى أمراء وأعيان الجيش ، وقال لقد جرحت جرحا كبيرا ، ولا سبيل مطلقا ، فأنقذوا أنتم أرواحكم ، وارسل الأمراء بعد المشورة رسلا إلى على تگين ليحدثوه عن الصلح ، ولما كان قد قُتل وجُرح كثير من جيشه ، انتهى الأمر بأن يعود الجيشان كل إلى وطنه في نفس هذه الليلة وتوفى التونتاش في اليوم التالي ، وعلم مسعود بهذا الخبر ، فنصب ابنه هارون مكانه (١٢٥) .

وفي سنة أربع وعشرين وأربعمائة أبدى أهل الري والجبال عصياناً ، وأظهر نائب مسعود في الهندوستان مخالفة (١٢٦) ، وفي نفس هذه السنة أيضاً توفى خواجه أحمد بن حسن الميمندى ، وبعد ذلك استدعى أبا نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد الذي كان في خوارزم نائباً ووزيراً لهارون بن التونتاش ، ونصبه مسعود مكان خواجه أحمد حسن .

وفي سنة ست وعشرين وأربعمائة ، قاد الجيش إلى طبرستان وجرجان وقوى من عضد عماله في العراق ، وأرسل أبو السعد حمدانى الذى كان في انزى من قبل مسعود الجيوش ليعيد أهل قم وساوّه — الذين سلکوا طريق العصيان — إلى جادة الطاعة والولاء ، وكان السلاجقة قد أثاروا الفتنة في خراسان ، وتوجه مسعود من جرجان إلى غزني وأراد أن يتوجه من هناك إلى الهند فقال له الأمراء وأركان الدولة : المصلحة هي أن نتوجه أولاً إلى خراسان ونصد السلاجقة ، فقال مسعود : اننى نذرت في مرضى أن أفتح القلعة الفلانية التى لجأ إليها جماعة من كفرة الهند — بعد استرداد صحتى ، وكلما منعه أهل الخير ، لافائدة وتوجه إلى هذه الناحية ، وفي غيبته قوى شأن التركمان في خراسان ، وطرده علاء الدولة بن كاكوية أبا سهل الحمدانى من الري أيضاً ، واستولى على هذه الديار ، وقوى أمر « أبى كالجار » الذى كان مخالفاً لمسعود في طبرستان . (١٢٧)

وعاد السلطان مسعود من رحلة الهند في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة نادماً ، وبعد ذلك استولى طغرل بيك وجقربيك السلجوقي على أكثر بلاد خراسان ، وخرج السلطان مسعود في محرم سنة ثلاثين وأربعمائة من غزنین ، وقطع المراحل والمنازل حتى وصل إلى جوزجان وفي تلك الأيام جمع شخص جرىء جماعة من الأرازل والأوباش ، وقطع الطريق واستولى على قلعة قرب جوزجان ، وجعلها مقر قوته ومكان حشمه ، وعندما وصل مسعود إلى تلك النواحي ، تحصن كبير اللصوص في القلعة ، وأخرجه مسعود من القلعة بخدعة ، وهجم على هذه القلعة بشمانين شخصاً ، ثم توجه إلى بلخ ، وعرض أهالي هذه البلاد أن نور تگین قد تجرأ وتجاسر في غيبة الحاكم ، وعبر النهر أكثر من مرة ، وأطلق يد القتل والسلب ، فقال مسعود : سأدفعه في هذا الشتاء ، وعندما يأتي الربيع سأستأصل السلاجقة فصاح الأمراء والنواب وقالوا : ان السلاحقة يأخذون المال من خراسان منذ سنتين والناس قد انصاعوا لحكمهم ، فيجب دفع هؤلاء أولاً ، ولم يهتم مسعود لنحس طالعة بهذا الكلام وعبر النهر ، وتوجه إلى نور تگین وفي هذا الشتاء سقطت الثلوج الكثيرة على جيوش مسعود ، ووصل إلى غزنین بصعوبة بالغة لا يمكن وصفها . (١٢٨)

وأثناء ذلك سمع مسعود أن داود السلجوقي متوجه من سرخس إلى بلخ ، فاضطر للعودة ، وعلم نور تگین بخبر عودته ، فتعقبه وسلب بعض جياده وإبله الخاصة ، واضطرب حال مسعود تماماً ، ولم يكن لديه مجالاً إلا لصدده ، وبعد عودة مسعود من خلف نور تگین وقعت بينه وبين السلاجقة حروب كثيرة ، وأخيراً فر مسعود من مقاتلتهم ، وتوجه إلى غزنین ، وسوف أعرض جملة من هذه الأمور في تاريخ السلاجقة إن شاء الله تعالى .



وصول السلطان مسعود إلى غزنین وتوجه خدمه من هناك إلى الهندوستان ونهاية أمره في تلك الفترة

عندما وصل السلطان مسعود إلى غزنین بحال سيئة ، قبض على أمراء الدولة ، وقتل بعضهم بحجة أن بعضهم قد قصر في قتال السلاجقة ، وأرسل ابنه مودود مع جيش من جيوش أبي نصر أحمد بن محمد بن عبد الصمد الوزير إلى بلخ ، وتوجه مع أخيه محمد المسلم عيينه وأبنائه أحمد وعبد الرحمن وعبد الرحيم وجمع الأقارب والعشائر إلى الهندوستان ، على أمل أن يعسكر الشتاء هناك ، ويعود في موسم الربيع بجيش لا حصر له لدفع السلاجقة عن خراسان ، وعندما عبر مسعود نهر السند ، ولم تنزل معظم خزائنه في الطرف الآخر حيث كان نوشتگین قد اتفق مع غلمانه الخواص بأن يستولوا على الخزينة و يتوجهوا إلى محمد المسلم

العينين ، و يسلمونه السلطنة ، وامتنع محمد عن قبول هذا الأمر ، فقال الغلمان : لقد أظهرنا العصيان من أجلك ، فلو أبيت سنقتلك ونبايع آخر ، وعبر الغلمان النهر في ركاب محمد ، وتقاتلوا مع مسعود ، وانهزم جيش مسعود الذي كان قليلاً للغاية ، ولجأ مسعود إلى رباط ، كان في تلك الناحية ، وقبضوا عليه في النهاية ، وأحضروه إلى أخيه محمد ، فقال محمد : اننى لأقصد قتلك ، فاختر الآن مكاناً لسكناك ليصحبك حرمك وأبناؤك ، فذكر مسعود قلعة كبرى (١٢٩) ، فأرسله محمد مع جميع متعلقاته إلى هناك ، وأصدر مرسوماً بالجماعة القائمة على حراسته .

ويذكرون أن مسعود طلب من أخيه أثناء توجهه إلى القلعة مالاً لينفق منه على مصالحه ، فأرسل محمد الضعيف خمسمائة درهم فبكى مسعود ، وقال : بالأمس كنت أملك ثلاثة آلاف حمل ، والآن ليس لدى درهم واحد ، وقد أعطى الشخص الذي حمل الخمسمائة درهم إلى مسعود ألف دينار من ماله الخاص ، وكان هذا الكرم سبباً في سعادته ، وقد ظهر أثره في أيام دولة مودود بن مسعود عليه .

ولما لم يكن لدى عين محمد نور من نور البصيرة ، فقد ترك السلطنة لابنه أحمد ولم يبق له من أمر الحكومة سوى الاسم ، وكان أحمد فيه خبط وهوج ، فقد اتفق مع ابن يوسف سبكتكين وابن على خويشاوند بأن يتوجهوا دون رضا محمد ، و يقتلون مسعود ، وكان هذا الأمر بغيضاً على محمد ، وقد قال البعض بأنهم توجهوا دون رضا محمد ، وقال البعض بأن أحمد قد أغوى الأب بأن يرسل شخصاً وقتل مسعود (١٣٠) ، وكانت مدة سلطنة مسعود تسع سنين واثني عشر شهراً . (١٣١)

كان السلطان محمود شجاعاً وكرام الخلق مفرطاً في الكرم يجالس العلماء والفضلاء ويصاحبهم ، ويصلهم بجميع ألوان الاحسان والاكرام ، وقد كتب جماعة من الأفاضل كتباً باسمه ، وكان يجزل العطاء متصدقاً ، ويروى أنه ذات مرة في رمضان أمر أن يرسلوا ألف ألف درهم إلى المستحقين ، وأنه قد بنى في عهده وفي ممالكه المحروسة بقاع خير من مدارس ومساجد وغير ذلك مما يعجز اللسان عن تعدادها ، وعموماً عندما قُتل مسعود ، أرسل محمد المسمل العينين رسالة إلى مودود بن مسعود ، مضمونها أن فلان وفلان قد أراقوا دم أبيك مسعود ، ولم يكن هذا برغبتى فأجابه مودود : أطال الله بقاء الأمير لقد حدد معاشا لهذا الابن المجنون ، لجنونه ، وقد ارتكب أمراً عظيماً ، وأراق دم سلطان يسمى « أمير المؤمنين سيد الملوك والسلاطين » ، وسيصله جزاؤه سريعاً وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون .

وبعد مقتل مسعود ، خربت الولاية ، ولم يهتم محمد وأبناؤه بالنظر في أمر الجيش والرعية ، وسلبت جميع أموال وممالك أهل پرشاور وكانت بلاداً واسعة وكبيرة ، وكانوا يبيعون الغلام بدينار واحد ، بل كان شراء الخمرز يادة عن شراء الغلام . (١٣٢)

مخاربة مودود بن مسعود مع عمه محمد بن محمود

وانتقال دولته وملكه إلى مودود

عندما وصل خبر قتل مسعود إلى ابنه مودود ، رحل من ظاهر بلخ ، وتوجه إلى غزنین ، وصفوا الجيشين ، وانتصر مودود ، وأسر محمد (١٣٣) وأبناءه ونوشتكين البلخي الذي كان أسا لهذا الفساد والفتنة وابن علي خويشا وند وقتلهم جميعا ، ولم يجد شخص قط خلاصا إلا عبد الرحيم بن محمد ، وسبب نجاته أنه كان في ذلك الوقت الذي كانوا قد حبسوا فيه مسعود كان هو وأبناء أخيه عبد الرحمن وعبد الرحيم يذهبون لزيارته ، وقد أطلق عبد الرحمن يده ، ورفع تاج مسعود عن رأسه فأخذه عبد الرحيم من يد أخيه ، ووضع على رأس عمه ، وأنب عبد الرحمن ، ولامه كثيرا ، وبذلك تخلص من القتل ، وأهلك عبد الرحمن مع الآخرين المتورطين .

« قليل الأدب لا يسيء إلى نفسه فقط »

« بل إنه يشعل النار في الآفاق » (١٣٤)

وعموماً بعد أن قتل أهل الفتنة جزاء عملهم ، بنى مودود في هذا المكان الذي وقعت فيه الحرب ، قرية ورباطا ، وسمى القرية « فتح آباد » (١٣٥) وبعد ذلك دخل غزنین ، وجلس على سرير الحكم ، وأقر منصب الوزارة لأبي نصر أحمد بن محمد عبد الصمد (١٣٦) وسلك طريق العدل والانصاف مع الرعايا ، ونهج نهج الرحمة والعطف ولم يفكر قط إلا في أخيه مجدود الذي كان قد أرسله مسعود إلى الهندوستان ، واستولى على المولتان وعدة ولايات أخرى وقوى جيشه ، وعندما سمع مجدود خبر قتل أبيه ، دعا دعوة الاستقلال والاستعلاء ، وبلغ هذا الخبر مسامع مودود ، فأعد جيشا ، وقبل أن يشعل مجدود نار الحرب ، أرسله لصدده ، وتحرك مجدود من مكانه أيضاً بجيش جرار ، وبلغ هاور ، وهناك قام برسوم عيد الأضحى وفي صباح اليوم الثالث وجدوه ميتاً في الخيمة ، ولم يعرف كيف تم ذلك ، وبعد وقوع هذا الأمر تبعت تلك البلاد التي كانت تابعة لمجدود إلى مودود ، وأطاعه ملوك ما وراء النهر أيضاً .

ولكن السلاجقة كانوا دائماً في مقام العداة ، وقد أعد مودود في سنة خمس وثلاثين وأربعمائة الجيوش ، وأرسل قائد جيشه إلى خراسان ، فأرسل جقربك (١٣٧) بن الب أرسلان لمواجهة ، وانتصر عليهم الب أرسلان ، وانهمز الغزنويون ، وتوجهوا إلى بلادهم .

وفي هذه السنة أيضاً توجه جيش من التركمان السلاجقة إلى گرمسير وقندهار ، وسلبوا هذه الولاية ، وأرسل مودود جيشا من غزنین لدفعهم ، والتقى الفريقان في بست ، ووقعت معركة حامية وتقهقر التركمان ، وقتل كثير منهم .

وفي هذه السنة اتفق عدة ملوك من ملوك الهند ، وجمعوا جيشاً قويا ، وحاصروا لهاور (١٣٨) ، وأرسل مودود جيشاً لمساعدتهم ، وقبيل وصول جيش غزنين وقع خلاف بين ملوك الهند المحاصرين ، وأرسل جيش الاسلام في في لهاور رسلاً إلى غزنين ، ودخل بعضهم في طاعة مودود ، واتفقوا مع أهل المدينة ، وتوجه البعض إلى بلادهم ، وقوى أهل لهاور بمساعدة الذين كانوا قد أطاعوا مودود ، وتعقبوا الأعداء ، وتحصن الهنود الذين كانوا خمسة آلاف فارس وخمسة وسبعين ألفاً من المشاة بقلعة منيعة وجبل حصين ، وأحاطهم المسلمون من كل جانب ، وظلوا يحاربونهم ليل نهار ، وقتل جماعة كبيرة من مشايخ الهنود ، وطلب من بقى من السيف الأمان ، وقبلوا أن يسلموا القلعة ، فقال أهل الاسلام : إذا أردتم أن نعطيكم الأمان ، دعوا القلاع التي تحت سيطرتكم كلها ، فسلم الهنود جميع القلاع لضعفهم وخوفهم ، وعندما علم جميع ملوك الهند بهذا النصر المبين ، قدموا الولاء ، وعاد إلى لهاور المسلمون بغنائم لا حصر لها وخمسة آلاف مسلم كانوا محبوسين في قلاع الكفار .



وفاة مودود بن مسعود ابن السلطان محمود

توفى صاحب غزنين مودود بن مسعود في العشرين من رجب سنة احدى وأربعين وأربعمائة وفي هذه السنة كان ملوك النواحي قد قبلوا أن يمدوا مودود بجيش ومال ليسترد خراسان من السلاجقة وفي منتصف رجب من السنة المذكورة خرج مودود بجيش جرار من غزنين فأصيب في أول منزل بمرض القولنج (١٣٩) ، فعاد إلى غزنين ، وأرسل وزيره عبدالرازق بن أحمد الميمندي إلى سيستان حيث كان السلاجقة قد توجهوا بجيوشهم إلى هذه الناحية وكانوا قد استولوا على هذه الولاية ، وعندما نزل مودود بغزنين ، اشتد عليه المرض ، وتوفى (١٤٠) ، وجلس ابنه عليّ على الحكم .

وبعد خمسة أيام أحضر أركان الدولة عليّ بن مسعود ، وبايعوه وكان مودود قد حبس عبدالرشيد بن مسعود في أول حكومته بقلعة بين بست وغزنين ، وفي ذلك الحين توفى مودود ، وعلم وزير مودود بهذا الخبر ، وكان قد نزل قرب هذه القلعة ، فأخرج عبدالرشيد من حبسه ، ودعا الجيش لطاعته ، وتبعه الجيش ، وتوجه الوزير في صحبه عبدالرشيد إلى غزنين ، وعندما اقترب عبدالرشيد من دار الملك ، فرّ عليّ بن مسعود ودخل عبدالرشيد المدينة ، وحكم ، وكان رجلاً ضعيف الرأي والهمة ، ولم يكن يقضى أمر سلطنته بما يجب .

قتل طغرل كافر النعمة لعبد الرشيد (١١١) وأكثر أولاد

يمين الدولة محمود ، وبيان قتله

كان طغرل حاجباً من ربائب دولة مودود بن مسعود ، وكان مودود قد تزوج اخته ، وكان طغرل دائماً يحرصه لكي يقود الجيش إلى خراسان لدفع السلاجقة ، وعندما وصلت النوبة إلى عبد الرشيد أعطى طغرل ألف فارس لكثرة الحاجة لكي يسترد سيستان من السلاجقة ، وكان أبو الفضل حاكماً في سيستان من قبل داود السلجوقي ، وكان يقيم في قلعة «طاق» ، ودخل طغرل سيستان ، وحاصر أبا الفضل ودعا له لطاقعة عبد الرشيد ، وأبدى أبو الفضل امتناعه ، وطالت مدة الحصار ، وتوجه طغرل إلى مدينة سيستان دون فتح ، وكمن على مسافة فرسخ من المدينة ليفتح المدينة على غرة ، وفي أثناء ذلك وصل بيغو السلجوقي الذي كان أبو الفضل قد طلب منه المساعدة ، عقب طغرل ، وتشاور مع جيشه بصدد الحرب ، قالوا جميعاً ، انه لا مناص لنا من الموت في هذا البلاء الذي أوقعنا أنفسنا فيه ، وموت بالسيف في عزة ، وليس هناك تدبير آخر ، لأن غزني بعيدة ونحن قلة والعدو في كثرة ، ووضعوا قلوبهم على الموت ، وهجموا على بيغو وهزم بيغو ، وتعقب طغرل الفارين قرابة فرسخين ، وعاد واستولى على المدينة ، وعرض الأمر على عبد الرشيد ، وطلب المساعدة لكي يتوجه إلى خراسان ، وأرسل عبد الرشيد فرسانه لمساعدة طغرل .

وعندما استقل طغرل بسيستان ، وضبط أطراف ونواحي هذه الولاية وشاور خاصته في مجال دفع عبد الرشيد ، فأثنوا جميعاً على رأيه ، وتوجه طغرل على أمل القضاء على عبد الرشيد ، وعندما وصل على مسافة خمسة فراسخ من المدينة ، أخبروا عبد الرشيد بمكره وغدره ، فدخل مع أتباعه قلعة غزني ، واستولى طغرل على المدينة ، وأرسل إلى حكام القلع رسلاً ، ليعدهم ويتوعددهم لكي يسلموا عبد الرشيد وقتل طغرل كافر النعمة عبد الرشيد وجميع أولاد محمود الذين وقعوا بيده ، وكان من بينهم ثلاثة أشخاص محبوبين في قلعة من القلاع لم يتمكن طغرل من قتلهم ، استدعى كافر النعمة هذا أخت مسعود بن محمود بالإكراه ، وجلس على عرش السلطنة ، وأرسل رسالة إلى خرخيز وأطلع على حادثة عبد الرشيد ، وطلب منه أن يأتي لمبايعته ، وكان خرخيز يبجل سلاطين الغزنوية السابقين ، وكان عبد الرشيد قد أرسله بجيش جرار إلى الهندوستان وعموماً عندما وصلت رسالة طغرل كافر النعمة إلى خرخيز ، وأطلع على حادثة عبد الرشيد أنكر ذلك إنكاراً شديداً ، وكتب رسالة شديدة اللهجة وأرسل إلى أخت مسعود بأنه يجب القضاء على طغرل ، وأرسل رسائل إلى القواد أيضاً يلومهم على تقصيرهم في الأمور القبيحة التي ارتكبها طغرل ، وشجع جماعة كانوا مخالفين لطغرل ، واتفق مع جماعة من الشجعان وذات يوم كان هذا الغدار كافر النعمة يجلس على العرش ويصدر الأوامر فتقدموا نحوه ، وطعنوه بالسيف ، وقامت جلبة عظيمة ، ولما قتل طغرل وصل خرخيز إلى غزني بعد

عدة أيام ، وجمع أكابر وأشرف هذه الولاية ، وشاورهم حول من هو جدير بالسلطنة من بقى من آل سبكتكين ، ووقعت القرعة على فرخ زاد بن مسعود (١٤٢) وكان محبوباً في قلعة من القلاع .



سلطنة فرخ زاد ابن السلطان مسعود

ابن السلطان محمود

عندما قُتل طغرل ، دخل خرخيز (١٤٤) غزني ، وأطلق سراح فرخ زاد من القلعة ، وأجلسه على عرش السلطنة ، وقام خرخيز بتدبير أمور المملكة ، وتتبع كل من سعى في قتل عبد الرشيد وقبض عليهم وقتلهم جميعاً .

وعندما علم داود السلجوقي بخبر انقلاب ملك ودولة الغزنويين قاد الجيش إلى غزني ، واستقبله خرخيز بالجيوش ، وتقاتل الفريقان وهزم داود ، وسقطت أحوال وأمتعة التركمان قى يد الغزنويين ، وعندما استقر فرخ زاد على الحكم ، جمع جيشاً عظيماً توجه إلى خراسان ، وأرسل السلاجقة كلسارق - وكان من أعظم أمرائهم - بجيش قوى لمواجهةهم وهزم أصحاب كلسارق في هذه المعركة ، وأسر كلسارق مع عدد آخر من الأمراء ، وبعد ذلك قاد ألب ارسلان جيشاً بموجب أمر أبيه ، وحارب الغزنويين ، وأسر عدداً من أعيانهم وعندما رأى فرخ زاد الأمر على هذا المنوال ، أطلق سراح كلسارق وخلع عليه الخلع ، وأطلق السلاجقة أيضاً أسرى غزني .

ولما مرت ست سنوات من حكم فرخ زاد ودع الدنيا الفانية في ريعان شبابه وجلس أخوه محله . (١٤٥)



سلطنة ابراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين

كان سلطاناً عادلاً زاهداً صاحب دولة ، وكان يصوم شعبان مع رمضان ، وكان يصوم ثلاثة أشهر في العام (١٤٦) ، تصالح مع السلاجقة على أساس ألا يتعرض أى منها لولاية الآخر ، وكتبوا بذلك معاهدة أثبتوا عليها أسماء أشرفهم ، وبعد تمام أمر الصلح ، قاد إبراهيم بن مسعود الجيش إلى الهندوستان ، وفتح أماكن كثيرة لم يكن قد تيسر لأجداده وآبائه

فتحتها ، كان من بينها قلعة في أقصى بلاد الهند على قمة جبل عال ، وكان على أحد جوانبها بحراً واسعاً لا يمكن للسفينة أن تعبره ، وعلى جانبها الآخر غابة لا ينفذ من كثرة أوراقها شعاع الشمس ، مملوءة بالأفيال الضخمة ، والهنود الشياطين المدججين بالعدد ، وقد امتازت هذه البقعة عن سائر البقاع بالحصانة والمتانة ، ولم يكن هناك مجال للوقوف والقتال حول هذه البقعة ، قاد السلطان ابراهيم الجيش صوبها وفتح القلعة الحصينة بتوفيق الله ، وعاد بغنائم لاحصر لها إلى دار الملك غزني .

وفتح مكاناً آخر في آخر بلاد الهند المعمورة (١٤٧) كان أحفاد وذرية الخراسانيين قد استوطنوا به - حيث كانوا قد طردوا في الأزمنة القديمة أيام افراسياب (١٤٨) ، من خراسان ، وبنوا مدينة حصينة جداً كان قطر حوضها نصف فرسخ ، وكلما كان الناس والحيوانات تشرب من مائه ، فلا يحس بنقص في هذا الماء ، وعندما علم ملوك الهند أن الاستيلاء على هذه القلعة ضرب من المستحيل ، فلم يتعرضوا لهم وتوجه السلطان ابراهيم بنية الغزو إلى هناك ، ووقعت بين الطرفين حرب ، وانتصر ابراهيم ، وقتل طائفة كبيرة من هؤلاء ، وتفرق بعضهم وأسرقابة مائة ألف شخص من نساء وأبناء الكفرة وعاد .

وفي مرة أخرى أخبروه أن هناك جماعة بين خليجين من خلجان بلاد الهند قد اعتادوا عبادة الأصنام والفسق على الدوام ، فتوجه السلطان بالجيوش الجحراة إلى هناك ، وواجه في طريقه عقبات لاتعد ولا تحصى منها الأشجار المتشابكة ، ووصل السلطان بعد أن قطع عدة منازل ومراحل ، وتوقف ثلاثة أشهر في مكان قريب من مقر الكفار وعانى أهالي غزني من كثرة الأمطار ، وأخيراً نصره الله جل وعلا على أعداء الدين .

وفاة السلطان أبي المظفر ابراهيم بن مسعود

وحكومة ابن مسعود

توفى السلطان ابراهيم في سنة احدى وثمانين وأربعمائة وقد حكم ثلاثين سنة برواية ، ويقول صاحب تاريخ گزیده (١٤٩) ومؤلف تاريخ بناکتی كانت مدة سلطنته اثنين وأربعين عاماً .

كان ابراهيم سلطاناً عادلاً مجاهداً صاحب رأى ، ويروون أنه قبل المصالحة بين الغزنوية والسلجوقية كان السلطان ملكشاه السلجوقى قد عزم أن يتوجه بمسكركه إلى غزني ، وبلغ هذا الخبر ابراهيم ، فكتب رسائل إلى أمراء ملكشاه ، مضمونها « انه يستحسن أن تأتوا

بملكشاه إلى هنا لكي يتوجه إلى هذه الناحية ، والهدف من سعيكم أن تدخلوه بسرعة إلى هذه الولاية لنتخلص منه جميعاً ، وطالما قد قبلتم فأننا سنضعف لكم ، ونبذل في حقكم الاكرامات الكثيرة» ، وسلم هذه الرسائل إلى أمير وقال : لما كان ملكشاه مشغولاً أكثر أوقاته بالصيد ، فأنتهز الفرصة لكي يحمولك إليه في المصطاد وكان هدف السلطان ابراهيم أن تظهر الرسائل في مكان لا يكون الأمراء في ملازمة ملكشاه ، وكان ملكشاه في ذلك الوقت قد نزل في قسبة اسفرار ، وتوجه للصيد ، ووصل الرسول إلى هذه النواحي ، فأخذوه ، وحملوه إلى السلطان ، فأستفسر ملكشاه عن أحواله ، فجرت كلمات ضجر على لسان الأمير ، فأمر السلطان بأن يضربوه بالسياط لكي يقر ، وبموجب الأمر وعندما ضربوا الأمير أظهر الرسائل ، وعندما أطلع ملكشاه على هذا الأمر ، لم يعتب على الأمراء ، وبهذا التدبير أثنى السلطان عن عزيمته .

ويروون أن السلطان ابراهيم كان يكتب خطاً جميلاً جداً ، وكان يتم كتابة مصحف كل سنة ، ويرسله بأموال كثيرة إلى مكة . (١٥٠)

وعندما توفي ، حل محله ابنه مسعود ، ولقب بجلال الدولة (١٥١) وكان السلطان ابراهيم قد خطب أيام دولته ، وبعد الصلح — اخت السلطان ملكشاه لمسعود ، وسعى خواجه نظام الملك في هذا المجال مساعى جميلة ، وكانت أسس الصداقة بينها وطيدة ، وحتى وفاة مسعود كانت مدة سلطنة مسعود ست عشرة سنة (١٥٢) ، وغير معلوم عن أحواله أكثر مما جاء في هذا الكتاب .



سلطنة ارسلان شاه بن مسعود بن ابراهيم

ابن مسعود بن محمود سبكتكين

عندما جلس ارسلان شاه على عرش السلطنة ، قبض على اخوته وسجنهم ، وفر بهرامشاه أحد اخوته ، وذهب إلى خراسان عند السلطان سنجر (١٥٣) ، وكان والياً على هذه الولاية من قبل أخيه محمد بن ملكشاه آنذاك ، وأرسل السلطان سنجر رسولاً إلى ارسلان شاه ، ولكن منعه عن عداة اخوته ، وألح عليه في أمر بهرامشاه ، ولكن ارسلان شاه لم يلتفت لهذا القول ، فأمر السلطان سنجر باعداد الجيش لكي يتوجه إلى غزني ، وعلم ارسلان شاه بهذا الأمر ، فأرسل سفارة إلى العراق عند محمد بن ملكشاه وشكا السلطان سنجر ، فأرسل

السلطان محمد رسولاً إلى خراسان، ليمنع أخاه من هذه الحرب، وقال للرسول إذا كان أخى سنجر قد توجه فعلاً، فلا تبلغه هذه الرسالة، وعندما وصل السلطان إلى بست التحق به أبو الفضل والى سيستان بجيشه، وعندما سمع ارسلان شاه بخبر توجه سنجر، جمع جيشاً كبيراً، وأرسله لمواجهة، والتقى الجيشان ببعضهما، ووقعت معركة حامية، وقتل بعض الغزنويين، وهزم البعض الآخر ومن بقى حياً عاد بحال سيء إلى غزني، ودخل ارسلان خاضعاً خاشعاً، وأرسل أمه أخت السلطان سنجر مع مائة ألف دينار أحمر وغير ذلك من التحف والهدايا إليه، فطلب منها سنجر أن تعود إليه، لكن بهرامشاه استاء من ظلم ارسلان شاه، وسهل أمر تسخير غزني في نظره، وتوجه سنجر بالرأي الصائب لبهرامشاه إليه، وعندما وصل غزني على مقربة من فرسخ، تقدم ارسلان شاه بثلاثين ألف فارس ومشاة ومائة وستين فيلاً لمواجهة السلطان سنجر، وأعد كل منها السيوف والرمح، وأبدى صاحب سيستان أبو الفضل في هذه المعركة شجاعة نادرة، واستولى على عدة أفيال من أفيال الأعداء، وهبت نسائم الظفر على راية السلطان سنجر، وسلك ارسلان شاه طريق الفرار، ودخل السلطان سنجر غزني في العشرين من شوال سنة عشر وخمسمائة، ومنع الجميع عن السلب والنهب، ووقعت أموال لا حصر لها من خزينة غزني بيد السلطان سنجر، من جملتها خمسة تيجان قيمة الواحد منها ضعف ألف ألف دينار، ووجدوا من أسلحة ومنطقة مرصعة بالجواهر اللامعة، فحول إلى الخازن ألف وثلاثمائة منها.

وخرج السلطان من غزني بعد أربعين يوماً، وسلم هذه المملكة لبهرامشاه، وعندما علم ارسلان شاه بعودة السلطان سنجر جمع جيشاً جراراً من بلاد الهند، وتوجه إلى غزني ولم يكن لدى بهرامشاه طاقة للمقاومة، فتوجه إلى باميان، وطلب المساعدة من السلطان سنجر، فتوجه مسرعاً إلى دار الملك، فأخلى ارسلان شاه عاصمة البلاد خوفاً وفرعاً، وانزوى بناحية، وجد جيش سنجر في طلب ارسلان شاه، وقبضوا عليه، وأراد أمير جيش خراسان أن يحمل ارسلان شاه إلى السلطان سنجر فخاف بهرامشاه، وقدم له أموالاً كثيرة ليسلمه له، وقتل بهرامشاه أخاه، وكانت مدة سلطنة ارسلان شاه برواية ثلاث سنوات (١٠٤).



سلطنة بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود

كان معز الدولة بهرامشاه سلطاناً صاحب شوكة، وكان دائماً يجلس مع العلماء والفضلاء والحكماء ويحادثهم، وقد ألف الأفاضل في أيامه كتاباً باسمه الشريف، منها كتاب كليله

ودمنة وهو مزين باسمه العالى ، وارتاح خاطر الرعايا فى عهد سلطنته وقضوا أياماً سعيدة فى
عيشة رغدة ، وفى يوم جلوسه نظم سيد حسن غزنوى قصيدة مطلعها :
« جاء النداء من السماء السابعة »
« أن بهرامشاه هو ملك العالم » (١٥٥)

وبعد ذلك تمكن من عرش السلطنة ، وقاد الجيش إلى بلاد الهند ، وفتح من تلك البلاد
أماكن لم يكن أسلافه قد وصلوا إليها ، وعاد ظافراً منتصراً ، وترك واحداً من أمرائه لضبط
ممالك الهند ، وبعد طول المدة سلك هذا الكافر للنعمة طريق التمرد والعصيان ، وقاد بهرامشاه
الجيش لصد ودفع شره وقتنته ، والتقى مع هذا المتمرد فى نواحي المولتان ، وقد شمل الشؤم
حال هذا الكافر للنعمة ، وسقط هو وأبناؤه وأتباعه فى ورطة الهلاك والبوار ، وسخر بهرامشاه
ديار الهند مرة ثانية ، وعندما عاد من الهندوستان وقعت بينه وبين ملوك الغوريين (١٥٦)
معارك كثيرة ، وشرح هذه الأمور يمكن التماسه فى تاريخ الغوريين ، وقد أورد بعض أصحاب
الأخبار أنه فى سنة سبع وأربعين وخمسمائة توفى بهرامشاه (١٥٧) ، وبناء على هذا رأى فإن
مدة سلطنته بعد قتل أخيه أرسلان شاه يكون ثلاث وخمسون سنة ، حيث واروه فى سنة اثنى
عشر وخمسمائة فى سجن النسيان (١٥٨) .



سلطنة خسروشاه بن بهرامشاه بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمود سبكتكين

بعد وفاة الأب ، صار سلطاناً ، وعندما توجه علاء الدين حسين جهانسوز إلى غزني ،
فر ، وتوجه إلى الهندوستان ، وانشغل بحكومته فى هاور ، ويقول بعض المؤرخين « عندما عاد
علاء الدين جهانسوز من غزني ولم يكن لدى خسروشاه طاقة لمقاومتهم ، فاضطر العودة إلى
هاور ، وحل محله ابنه ، وكانت مدة سلطنته ثمانى سنوات (١٥٩) .



خسرو ملك بن خسروشاه آخر ملوك الغزنويين

بعد وفاة أبيه فى هاور جلس على عرش السلطنة ، كان سلطاناً يتصف بالحلم والحياء ،
وكان مفرطاً فى المرح والطرب ، ولذلك سرى ضعف تام فى جميع أمور الملك ، واستاء أمراء
وأركان الدولة منه ، ووصل النساء والخدم فى عهده إلى درجة اصدار الأوامر ، وفى تلك
الأيام اتخذ السلطان غياث الدين محمد سام غورى غزني حاضرة له ، وكان يقود الجيوش

سنوياً إلى حدود الهندوستان حتى وصل إلى لهاور في شهر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ،
واستولى على هذا الملك ، وجاء خسرو ملك إليه آمناً وأرسل غياث الدين سام خسرو ملك
إلى غزنين (١٦٠) .

وعندما سقط جميع الغزنويين في يد الغوريين ، أفنوهم جميعاً واندرست أسرة سبكتكين ،
ولم يبق من هؤلاء الملوك الأقوياء من شيء سوى حكايات ، فاعتبروا يا أولى الأبصار .



حاشية الدولة الفزنوية

- (١) أربعة عشر ملكا، مدة ملكهم ١٥٥ سنة (حمد الله المستوفى ٦٦) من ٣٦٧ هـ حتى سنة ٥٨٢ هـ (مائتان وخمس عشرة سنة خمسة عشر ملكا) نظام الدين أحمد - طبقات أكبرى ٤٣/١ الترجمة العربية للمترجم) كان بداية أمر الفزنوية ٣٦٦ هـ (ابن الاثير - الكامل ٨٥/٧).
- (٢) كان من غللمان ابن اسحق بن الپتگين (ابن الأثير ٨٦/٧) كان غلاما لألپتگين مملوك السامانيين (حمد الله المستوفى في تاريخ گزیده ٦٦) كان مملوكا لالپتگين غلام منصور بن نوح (ابن كثير في البداية والنهاية ٢٨٦/١١ - نظام الدين أحمد في طبقات أكبرى الترجمة العربية د. أحمد الشاذلى ٥/١).
- (٣) منصور بن نوح كورديزى في زين الأخبار النسخة الفارسية ٤٧ - نظام الدين أحمد ٥/١ والأصوب نوح بن منصور.
- (٤) حكم من ٣٥٠ - ٣٦٥ هـ (تاريخ بخارى فامبرى ترجمة د. الساداتى ١١٧).
- (٥) ابواسحق بن الپتگين (ابن الأثير ٨٦/٧ - نظام الدين أحمد ٥/١).
- (٦) استولى سبكتگين على غزنه وگرديز و پروان وكابل وبست وتلك هى الولايات التى كانت مع غلمان قرانگين (گرديزى النسخة الفارسية ٥٤ والترجمة العربية عفاف زيدان ٣٧١).
- (٧) لقب الأمير نوح سبكتگين بلقب ناصر الدين والدولة بعد نصره على أبى على (گرديزى ٥٦ - النسخة العربية ٢٧٣).
- (٨) لم يكن له وريث (نظام الدين أحمد ٥/١) لم يخلف من أهله وأقاربه من يصلح للتقدم (ابن الاثير ٨٦/٧) ولما مات لم يترك أحداً يصلح للملك من بعده لا من ولده ولا من قومه (ابن كثير ٢٨٦/١١).
- (٩) سنة ٣٦٦ هـ (ابن الأثير ٨٦/٧ - ابن كثير ٢٨٦/١١ - نظام الدين أحمد ٥/٢).
- (١٠) بلاد الهند

- (١١) قال لهم : انى استصحبت لنفسى شيئاً من السويق استظهاراً وأنا أقسمه بينهم قسمة عادلة على السواء إلى أن يمن الله بالفرج فكان يعطى كل انسان منهم ملء قدح معه و يأخذ مثله ... فرزقهم الله النصر (ابن الاثير ٨٦/٧) .
- (١٢) انظر ابن الاثير ٨٦/٧ - حمد الله المستوفى ٦٦ - ابن كثير ٢٨٦/١١ .
- (١٣) بابى تود (ابن الاثير ٨٦/٧) بايتود (نظام الدين أحمد ٥/١) .
- (١٤) انظر ابن الاثير ٥٦/٧ - نظام الدين أحمد ٥/١ .
- (١٥) نظام الدين : سبكتكين وطفان .
- (١٦) وتركها لثائبه (تاريخ يمينى للعتبى ١٧/١) .
- (١٧) قال : ان همة مثلنى من أرباب هذه الصناعة لا ترتقى إلى أكثر مما زانى أهلاً له من اختصاصه واستخلاصه ، وتقريره واختياره لمهمات أموره وأسراره ، غير أن حداثة عهدى بخدمة من كنت به موسوماً واهتمام الأمير مابقى من شأنه يقتضيان أن أسأله الاعتزال فى بعض أطراف مملكته ريثما يستقر هذا الأمر فى نصابه فيكون ماأليه من هذه الصناعة ، أسلم من التهمة وأقرب إلى السداد وأبعد من كيد الحساد (تاريخ يمينى للعتبى ٥٧/١) .
- (١٨) رنج : كوره من نواحى كابل (معجم البلدان ٣٨/٣) .
- (١٩) انظر ابن الاثير ٨٦/٧ - حمد الله المستوفى ٦٦ نظام الدين أحمد ٥/١ .
- (٢٠) قصدار : احدى مدن السند (المسالك والممالك لابن خرداذبه ٥٧) قردار : ناحية بأرض الهند (اثار البلاد ١٠٤) .
- (٢١) جيبال بن هيثال (حمد الله المستوفى ٦٦) اجيبال (گرديزى ٦٦) .
- (٢٢) كانت هذه العين تغور اذا ألقى فيها نجاسة حتى تتطهر وكلما تطهرت يلقون بأخرى (ابن الاثير ٨٧/٧ - نظام الدين أحمد ٦/١ - ابن كثير ٢٨٦/١١) .
- (٢٣) قرر أن يرسل خمسين فيلاً ومبلغاً كبيراً من المال وترك عدة أشخاص رهينة (ابن الاثير ٨٧/٧ - نظام الدين أحمد ٦/١ - ابن كثير ٢٨٦/١١) .
- (٢٤) « جوزنهار خواهند زنهاده كه زنهاردادن ز بيكاربه »
« برايشاب مياورد ز بيچارگى كه جانرا بكوشند بيكارگى »
(روضة الصفا ٢٩)
- (٢٥) تعرف هذه الطريقة باسم « جوهر » وهى عادة هندية قديمة .
- (٢٦) لمغان : بفتح أوله وسكون ثانيه وعين معجمه بعدها ألف ونون وتسمى أيضاً لامغان (ابن الاثير ٨٧/٧) .
- (٢٧) سنة ٣٨٧ هـ (تاريخ گزیده ٦٦ - طبقات اكبرى ٦/١) .
- (٢٨) كثرت كوران (النسخة المطبوعة من ١٦) كثرت صيد (المخطوط ص ٢٩) .
- (٢٩) الخلاج أو الخلاج يسلمهم الأتراك قلاج و ينسبهم الكشغرى إلى الغزو ويذكر أن قسماً منهم فقد لغته وذاب فى الشعب الأفغانى ، ومازال بعض الخلاج فى ايران يتكلمون التركى (تاريخ الترك فى آسيا الوسطى لبارتولد ترجمة د . احمد السعيد سليمان ص ٩٩) ومن المعروف أن هؤلاء الخلاج قد أسسوا دولة لهم فى الهند وهم برواية سلجوقنامه انهم نسبة إلى خلاج بن ترك بن يافت وقيل انهم أحفاد قالج خان صهر جنكيزخان (طبقات اكبرى ٦٧/١) .
- (٣٠) انظر زين الأخبار ٥٨ - الكامل فى التاريخ ١٨٤/٧ - تاريخ گزیده ٦٨ طبقات اكبرى ٦/١ .
- (٣١) مع انه كان أصغر من أخيه محمود (ابن الاثير ١٨٤/٧) .
- (٣٢) استضعفه الجند ولم يهتم بأخيه سيف الدولة محمود (ابن الاثير ١٨٤/٧ - حمد الله المستوفى ٦٨) .
- (٣٣) طالبه محمود بالوفاق وانفاذ ما يخصه من تركة أبيه (ابن الاثير ١٨٥/٧) .

- (٣٤) مثل عربي وهو «آخر الداء الكى» .
- (٣٥) فى هراة (ابن الأثير ٧/١٨٥) .
- (٣٦) فى بست (ابن الأثير ٧/١٨٥) .
- (٣٧) شحنة أو شحنة كى بمعنى صاحب الشرطة وبمعنى حاكم أو والى .
- (٣٨) ملك اسماعيل سبعة أشهر (ابن الأثير ٧/١٨٥) وقد أهل كوردبرى ذكر أخبار اسماعيل وركز على محمود .
- (٣٩) سنة ٣٩٠ هـ (تاريخ كرىده ٧٢) .
- (٤٠) لقبه القادر بالله «بين الدولة وأمين الملة أبا القاسم محمود ولى أمير المؤمنين» (زين الأخبار ٦٢ - الترجمة العربية ٢٨١) أمين الملة وبين الدولة (طبقات اكبرى ٦/١) .
- (٤١) ايليك أو ايلك لفظ ايغورى بمعنى أمير أو وصى (تاريخ بخارى لفا مبرى ١٢٠) .
- (٤٢) على سمرقند (زين الأخبار ٦٤) .
- (٤٣) اتفقا على أن تكون ما وراء النهر لايلك خان والباقى للسلطان (طبقات اكبرى ٦/١) .
- (٤٤) أنظر تاريخ يمينى للعتبى .
- (٤٥) غزا السلطان محمود برشور ، وهزم محمود عساكر جيبال ثم سار إلى وىند ففتحها قهرا (ابن الأثير ٧/٢١٣ - ٢١٤ - ابن كثر ١١/٣٣٠) برشاور ففتحها ٣٩٣ هـ ثم فتح وىند (زين الأخبار ٦٦ - طبقات اكبرى ٧/١) .
- (٤٦) بهت وىتيان : قبائل تعيش فى السند العليا ومعربها بها طيه (زين الاخبار تعليق حبيبي ص ٢٨٦) .
- (٤٧) بيجرا (ابن الأثير ٧/٢٢٦) (طبقات اكبرى ٧/١) بيجراو (زين الأخبار ٦٧) بيجرا (تاريخ يمينى للعتبى) .
- (٤٨) ضمن أحداث سنة ٣٩٥ هـ (ابن الأثير ٧/٢٢٦) .
- (٤٩) استولى على مائتى وثمانين فيلا (زين الأخبار ٦٧ - طبقات اكبرى ٧/١) مائة وعشرين رأساً من الفيلة (ابن الأثير ٧/٢٢٦) .
- (٥٠) الملتان : أو المولتان (تقوم البلدان للعماد بن اسماعيل بن أيوب الحموى) وجاء فى القانون الملتان فى السند وأهلها يقولون الملطان ، وقال ابن حوقل الملتان أصغر من المنصورة وبها صنم تعظمه ويحجون إليه .
- (٥١) أبو الفتوح ، وهو من بقايا غراة توطنوا هناك ، وكان ينتحل مذهب الباطنية ويدعو الناس إليه (ابن الأثير - حاشية ٧/٢٢٧ - ٢٢٨) وهو داود بن نصر من غلاة الاسماعيلية (زين الأخبار ٦٨) .
- (٥٢) آندبال بن جيبال (كردبى ٦٧ - نظام الدين أحمد ٧/١) اندبال (ابن الأثير ٧/٢٢٨) .
- (٥٣) سرنديب : بفتح أوله وثانيه وسكون النون والذال مهملة مكسورة و باء و باء ، وفى سرنديب الجبل الذى هبط عليه آدم (حاشية ابن الأثير ٧/٢٢٨) .
- (٥٤) صالحهم على عشرين ألف ألف درهم (زين الأخبار ٦٨) وأيضاً تاريخ يمينى للعتبى أزم أهلها عشرين ألف درهم عقوبة لعصيانهم (ابن الأثير ٧/٢٢٨ - نظام الدين أحمد ٧/١) .
- (٥٥) سنة ٣٩٦ هـ (ابن الأثير ٧/٢٢٨ - نظام الدين أحمد ٧/١) .
- (٥٦) سباش تگين ترك (زين الأخبار ٦٨) سباش تگين (ابن الأثير ٧/٢٢٨) .
- (٥٧) أمره إذا ظهر عليه مخالف أن ينحاز إلى غزنه (ابن الأثير ٧/٢٢٩) .
- (٥٨) فرايلك خان وتصلح معه مرة أخرى ، وأقام فى ما وراء النهر (تاريخ كرىده ٧٦) .
- (٥٩) انظر تاريخ يمينى للعتبى وابن الاثير ٧/٢٣٣) .
- (٦٠) كان هذا ضمن أحداث سنة ٣٩٨ (زين الأخبار ٦٩ - الكامل ٧/٢٣٢ تاريخ كرىده ٧٦) .

- (٦١) نواسه صاحب الملتان (ابن الاثير ٧ / ٢٣٢) .
- (٦٢) قتل السلطان محمود صاحب الملتان وجماعة من جيشه (تاريخ گزیده ٧٨) .
- (٦٣) توجه إلى بهيم نگر (نگر) (ابن الاثير ٧ / ٢٣٨) إلى وسط و هند (العتبي) سنة ٣٩٨ هـ (ابن الاثير ٧ / ٢٣٨) .
- (٦٤) ابراهن بال بن اندبال (ابن الاثير ٧ / ٢٣٨) آندبال (زين الأخبار ٦٩) .
- (٦٥) انظر زين الاخبار ٦٩ - الكامل ٧ / ٢٣٩ - تاريخ گزیده ٧٨ طبقات اكبرى ٨ / ١ .
- (٦٦) من الدراهم تسعين ألف درهم شاهيه ومن الأواني الذهبيات والفضيات سبعمائة ألف وأربعمائة منا (ابن الاثير ٧ / ٢٣٩) .
- (٦٧) انظر زين الاخبار ٧٠ - تاريخ گزیده ٧٨ - طبقات اكبرى ٨ / ١ .
- (٦٨) كان هذا ضمن أحداث سنة ٤٠١ هـ (زين الأخبار ٧٠) وعند ابن الاثير ضمن أحداث سنة ٣٩٨ هـ (الكامل ٧ / ٢٣٩) وعند نظام الدين أحمد سنة ٤٠٠ هـ (طبقات اكبرى ٨ / ١) .
- (٦٩) انظر ابن الاثير ضمن أحداث سنة ٤٠٠ هـ (٧ / ٢٤٧) ولم ترد عند مؤرخي الفارسية .
- (٧٠) كان حكام الغور من الكفار و يسمونهم سوري ، وقتل سوري وأسر ابنه ، وقد لعق خاتمه المسمم ودخلت ولاية غور في الاسلام (تاريخ گزیده ٦٨) .
- (٧١) محمد سوري لم يظهر إلا في أواخر الدولة الغزنوية .
- (٧٢) انظر : تاريخ يميني للعتبي .
- (٧٣) كان أهل الغور على غير دين الاسلام ، وقد حرص محمود بن سبكتگين على نشر الاسلام بينهم (حبيب السير - خواندمير ٢ / ٢٢) .
- (٧٤)

در اسلام درهيچ منبر نماند
که برآل ياسين بلفظ قبيح
ديار بلندش ازا آن بدمصون
ازاين جنس هرگز دروکس نگفت
نرفت اندرو لعنت خاندان
هين پادشاهان بسايسن و داد

که بروی خطيبی همی خطبه خواند
نکردند لعنت بروجہ صريح
که از دست آن ناکسان بد برون
نه در آشکار ونه اندر نهفت
بسديش برمه عالش فخر دان
بسديش فخر دارند برمه نژاد

- (٧٥) سنة ٤٠١ هـ .
- (٧٦) انظر : تاريخ يميني للعتبي ، ابن الاثير ٧ / ٢٥٥ .
- (٧٧) « برهان عهد و وفايم که بستيم بدوست » .
- (٧٨) كان سبب حرب ايلك خان مع أخيه أنه اعتذر ليمين الدولة وتنصل من قصد أخيه ايلك خان إلى بلاد خراسان (ابن الاثير ٧ / ٣٥٣) .
- (٧٩) ولاية مشهورة عند غزنة (ابن الاثير ٧ / ٢٥٩) وذكر ياقوت في معجمه انها من نواحي السند ، وذكر القرويني انها ناحية بأرض الهند (اثار البلاد ١٠٤) وذكر ابن خرداذبه انها إحدى مدن السند (الممالك والمسالك ٥٧) .
- (٨٠) خمسة عشر ألف ألف درهم (تاريخ يميني للعتبي) أخذ منه المال الذي كان قد اجتمع عنده (ابن الاثير ٧ / ٢٥٩) .
- (٨١) سنة ٤٠٣ هـ (طبقات اكبرى ٨ / ١) .
- (٨٢) انظر : زين الأخبار ٧١ - تاريخ گزیده ٧٨ - طبقات اكبرى ٨ / ١ .

(٨٣) رأى بمعنى ملك أو حاكم وهو مرادف لكلمة راجه أوراجا أورانا ومؤنت راي هوراني وراجي، وهي ألفاظ هندية تطلق على حكام الهند فكلمة شار تستخدم عند الأويغور وخان وبيگت عند الترك وميرزا وشاه عند الفرس .

(٨٤) اسم المكان تانيسر (زين الأخبار ٧١) وقيل ناردين (ابن الأثير ٧ / ٢٧٠) وماردين (تاريخ كزیده ٧٨) .

(٨٥) كان هذا في خريف سنة ٤٠٤ هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٧١) .

(٨٦) انظر : العتبي في تاريخ يميني .

(٨٧) انظر : تاريخ كزیده ٨٠ .

(٨٨) تانيسر (ابن الأثير ٧ / ٢٧٢) .

(٨٩) فيلة الصيلمان (ابن الأثير ٧ / ٢٧٢) وقد وردت في روضة الصفا « افيال مسلمانات » .

(٩٠) كان هذا سنة ٤٠٥ هـ (زين الأخبار ٧١) .

(٩١) كان هذا سنة ٤٠٧ هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٨٢ - نظام الدين أحمد ١ / ٩) .

(٩٢) الپتگين (ابن الأثير ٧ / ٢٨٢) .

(٩٣) انظر : ابن الأثير ٧ / ٢٨٢ .

(٩٤) في سنة ٤٠٧ هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٨٢) سنة ٤٠٩ هـ (تاريخ كزیده ٨٠) .

(٩٥) كوره (نظام الدين أحمد ١ / ٩) بكوره (زين الأخبار ٧٥) .

(٩٦) كلجند (ابن الأثير ٧ / ٢٨٢ - زين الأخبار ٧٥) .

(٩٧) انظر : زين الاخبار ٧٥ - ابن الأثير ٧ / ٢٨٣ - طبقات اكبرى ١ / ١٠ .

(٩٨) انظر المصادر السابقة نفس الصفحات .

(٩٩) كان هذا ضمن أحداث سنة ٤٠٧ هـ (ابن الأثير ٧ / ٢٨٣) ٤٠٩ هـ (نظام الدين أحمد ١ / ١٠) ولم يحدد كرديزي سنة بعينها .

(١٠٠) سومنات : ببلاد اللاروهي في ناحية داخله في البحر، وهي بلدة مشهورة في بلاد الهند على ساحل البحر بحيث تغلبه أمواجه، من عجائبها هيكل فيه صنم اسمه سومناة، كان الصنم واقفاً في وسط هذا البيت لا بقائمة من أسفله تدعمه ولا بمعلقة من أعلاه تمسكه، وكان أمر هذا الصنم عظيماً عند الهند، من رآه واقفاً في الهواء تعجب مسلماً كان أو كافراً، وكان الهنود يحجون إليه كل ليلة خسوف يجتمع عنده ما يزيد عن مائة ألف إنسان وترجم الهند أن الأرواح إذا فارقت الأجساد اجتمعت إليه وهوينشأها في من شاء كما هو مذهب التناسخ وأن المد والجزر عبادة البحر له، وكانوا يحملون إليه من الهدايا كل شيء نفيس، وكان له من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية (آثار البلاد ٩٥ / ٩٦) .

(١٠١) « يافتند آن بت كه نامش بودلات لشكر محمود اندر سومنات . »

(١٠٢) « بتى ديدم از عاج در سومنات مرصع چو در جاهليت منات . »

(١٠٣) انظر آثار البلاد وأخبار العباد لذكر يا بن محمد القزويني ص ٩٥ - ٩٦ .

(١٠٤) مازالت هذه العادات باقية في الهند حتى الآن .

(١٠٥) يقول الهنود : إن هذه الأصنام قد سقط عليها، سومنات ولو انه راض عنها لأهلك من قصدها بسوء (ابن الأثير ٧ / ٣٢٠)

(١٠٦) سنة ٤١٦ هـ (ابن الأثير ٧ / ٣٢ - ٣٢١) .

(١٠٧) انهلواره (ابن الأثير ٧ / ٣٢١) .

- (١٠٨) سنة ٤١٦ هـ (طبقات اكبرى ١/١٢) .
- (١٠٩) محمد خاوند شاه .
- (١١٠) ذكرها حمد الله المستوفى سنة ٤١٦ هـ (تاريخ گزیده ٨٢) .
- (١١١) مرض الربو (گردیزی ٩٢) السل (طبقات اكبرى ١/١٣) سوء مزاج واسهال (ابن الأثير) .
- (١١٢) لم يعط أحداً دانقاً (طبقات اكبرى ١/١٣) .
- (١١٣) احدى وستون سنة (تاريخ گزیده ٨٦) .
- (١١٤) لم يذكره گردیزی وابن الاثير وحمد الله المستوفى وابن كثير ونظام الدين أحمد والعتبي .
- (١١٥) كان الأمير محمد نجل السلطان محمود وأصغر أبنائه (تاريخ بيهي ترجمه د . يحيى الخشاب وصادق نشات ص ١) .
- (١١٦) كان مسعود باصهبان (گردیزی ٩٢ - بيهي ١ - ابن الاثير ٧/٣٤٧) .
- (١١٧) قلعة كوتيز بتكيننا باد (تاريخ بيهي ٢) تكنا باد (ابن الاثير ٧/٣٤٧) .
- (١١٨) على خو يشاوند - وخو يشاوند بمعنى قريب ولهذا وردت في ترجمة تاريخ بيهي على قريب (١١) .
- (١١٩) كان على رأس هؤلاء الأمير اياز بن ايماق (زين الأخبار ٩٣ - طبقات اكبرى ١/١٤) .
- (١٢٠) ظل حبساً تسع سنوات (تاريخ گزیده ٨٨) .
- (١٢١) أبوسهل الحمدوني (تاريخ بيهي ١٧) .
- (١٢٢) ابن كاكو (تاريخ بيهي ١٦) ابن كاكويه (ابن الاثير ٧/٣٤٨) .
- (١٢٣) انظر: زين الأخبار ٩٦ - ابن الاثير ٧/٣٤٧ - طبقات اكبرى ١/١٣ .
- (١٢٤) نهر آموى (تاريخ بيهي ٢٥٣) .
- (١٢٥) انظر: ابن الاثير ٨/٣٠٢ .
- (١٢٦) هاجم قلعة سرستى (زين الأخبار ٩٩ - ابن الاثير ٨/٥ - طبقات اكبرى ١/١٥) .
- (١٢٧) انظر زين الأخبار ١٠٨ - ١٠٩ - ابن الاثير ٨/١٧ - طبقات اكبرى ١/١٥ .
- (١٢٨) انظر زين الأخبار ١٠٨ - ١٠٩ - ابن الاثير ٨/١٧ - طبقات اكبرى ١/١٨ .
- (١٢٩) قلعة كرى (طبقات اكبرى ١/١٨) .
- (١٣٠) طلب أحمد من السلطان محمد أن يعطيه خاتمة ليختم به بعض الخزائن فأعطاه ، فسار بها إلى القلعة ، وأعطوا الخاتم لمستحفظها وقالوا معنا رسالة إلى مسعود فأدخلهم إليه فقتلوه (ابن الاثير ٨/٢٧) .
- (١٣١) قتلوه سنة ٤٣٢ هـ (تاريخ گزیده ٩٠ - طبقات اكبرى ١/١٨) .
- (١٣٢) انظر: ابن الاثير ٨/٢٧ .
- (١٣٣) حكم محمد بن محمود أربعة أعوام في حياته مسعود وعاماً آخر بعد قتل مسعود وقتل بيد ابن أخيه سنة ٤٣٤ هـ (تاريخ گزیده ٩٠) .
- (١٣٤) « بي ادب تنهانه خود را داشت بد بلکه آتش در همه آفاق زد »
- (١٣٥) انظر: طبقات اكبرى ١/١٩ .
- (١٣٦) انظر: ابن الاثير ٨/٢٨ .
- (١٣٧) جفر بگ (تاريخ گزیده ٩٢) .

- (۱۳۸) انظر: طبقات اكبرى ۱ / ۲۱ .
- (۱۳۹) انظر: تاريخ گزیده ۹۰ .
- (۱۴۰) في العشرين من رجب سنة ۴۴۱ هـ (ابن الأثير ۸ / ۵۲) .
- (۱۴۱) ذكر نظام الدين أحمد علي بن مسعود قبل عبد الرشيد ولكنه لم يحكم سوى ثلاثة أشهر (طبقات اكبرى ۲۱ / ۱) .
- (۱۴۲) ذكر حمد الله المستوفى مسعود بن مودود ثم بهاء الدولة علي بن مسعود ثم مجد الدولة عبد الرشيد على التوالي قبل فرخ زاد (تاريخ گزیده ۹۶ / ۹۲) .
- (۱۴۳) فرخ زاد بن عبد الرشيد محمود (تاريخ گزیده ۹۸) وقد ذكر نظام الدين أحمد عبد الرشيد بن مسعود (طبقات اكبرى ۲۱ / ۱) .
- (۱۴۴) ححرر (طبقات اكبرى ۲۱ / ۱) .
- (۱۴۵) سنة ۴۵۰ هـ (تاريخ گزیده ۹۸) سنة ۴۵۱ هـ (ابن الاثير ۸ / ۸۷) .
- (۱۴۶) كان يصوم رجب وشعبان ورمضان (ابن الأثير ۸ / ۸۸) .
- (۱۴۷) انظر: طبقات اكبرى ۱ / ۲۲ .
- (۱۴۸) افراسياب : بطل أسطوري توراني حارب رستم حروباً طويلة وأخيراً قُتل على يديه .
- (۱۴۹) مات سنة ۴۹۲ هـ (تاريخ گزیده ۱۰۰) .
- (۱۵۰) انظر ابن الاثير ۸ / ۱۴۷ - ۱۴۸ .
- (۱۵۱) علاء الدولة مسعود بن ابراهيم (تاريخ گزیده ۱۰۰) .
- (۱۵۲) مات سنة ۵۰۸ هـ (تاريخ گزیده ۱۰۰ - ابن الاثير ۸ / ۲۶۹) .
- (۱۵۳) انظر: طبقات اكبرى ۱ / ۲۲ - ابن الاثير ۸ / ۲۷۰ .
- (۱۵۴) انظر: تاريخ گزیده ۱۰۲ - طبقات اكبرى ۱ / ۲۳ .
- (۱۵۵) « ندای برق زهفت اسمان كه بهرامشاهت شاه جهان .
- (۱۵۶) علاء الدين حسين فوري (طبقات اكبرى ۱ / ۲۳) علاء الدين حسن بن حسين غوري (تاريخ گزیده ۱۰۴) .
- (۱۵۷) مات سنة ۵۴۴ هـ (حمد الله المستوفى ۱۰۴) مات سنة ۵۴۷ هـ (ابن الاثير ۹ / ۳۱ - نظام الدين أحمد ۱ / ۲۳) .
- (۱۵۸) كانت سنة ۵۱۲ هـ وهي سنة وفاة ارسلان شاه .
- (۱۵۹) توفي سنة ۵۵ هـ (تاريخ گزیده ۲۰۶ - طبقات اكبرى ۱ / ۲۳) .
- (۱۶۰) انظر: طبقات اكبرى ۱ / ۲۳ وقد أهمل صاحب تاريخ گزیده ذكره .



فصل

في أحوال آل بويه الذين يسمونهم سلاطين الديلمة

ورد في كتاب التاجي (١) أن نسب بويه ينتهي بهرام گور (٢) ، وقد ذكر اسم آبائه وأجداده حتى بهرام ، وقد أورد بعض الديلمة أن بويه من نسل ديلم بن ضبة (٣) ، وذكر أبوعلی بن مسكويه في كتاب تجارب الأمم أن ملوك الديلمة يزعمون أنهم أبناء يزدجرد شهر يار آخر ملوك العجم (٤) ، وقد قرئ في بداية ظهور الاسلام بعض أولاد يزدجرد الذين ينسبون إليهم هذه الجماعة إلى گیلان ، وسكنوا هناك ، وأكد صاحب كامل التواريخ (٥) القول الأول ، ويروون عن أبي نصر ما كولا أنهم يعتبرون آل بويه من الديلمة الذين أقاموا بينهم مدة طويلة .

ويقولون أن أبا شجاع كان رجلاً متوسط الحال (٦) له ثلاثة أبناء : علي وحسن وأحمد (٧) ، عندما توفيت أمهم كاد بويه أن يهلك حزناً على وفاة زوجته ، ويقول شهر يارين رستم الديلمی ، انسى كنت صديقاً لأبي شجاع ، وذهبت إليه ولتته على كثرة حزنه على مصابه ، وقلت : لقد تحملت وصبرت على الشدائد والمصائب من قبل ، فلما كل هذا الجزع والفرع ؟ ! عليك بالصبر واشكر الله على سلامة أبنائك ، فلو أصاب أحدهما والعياذ بالله ما حدث لنسيت أم الأولاد ، قال شهر يار : جرى مثل هذا الكلام بيننا ، وواسيت بويه ، ورافقتة حتى قل الحزن والأسى الذان أصاباه (٨) ،

وفي الأثناء هذه التقى بنا رجل يدعى معرفة النجوم وتفسير الأحلام ، قال له : لقد رأيت في منامي أنى أبول فخرج من ذكرى شعلة نار هائلة تضيء بعض البلدان ، وتزداد كل لحظة حتى وصل ضوءها عنان السماء ، وبعد ذلك تشعبت الشعلة ثلاث شعب ورأيت أهل البلاد يخضعون أمام هذه الشعب ، قال المنجم : لن أفسر هذا المنام إلا إذا أعطيتنى جواداً ولباساً ، قال أبوشجاع بويه ، ليس لدى إلا هذه الحلة التى أرتديها ، إذا أعطيتها لك ظللت عر يانا ، فطلب المنجم عشرة دنانير ، فأبدى بويه عجزاً ، قال المنجم : لك ثلاثة أبناء سيحكمون البلاد التى تضيء من هذه الشعلة ، ويرتفع ذكرهم فى الآفاق تبعاً لارتفاع هذه الشعلة ، قال بويه : لعلك تستهزئ بى ، فأنا رجل فقير ، وأبنائى كما ترى بأى استعداد سيحكمون ؟ قال المنجم : إذا كنت تعرف أوقات ولادة أبنائك ، فقل لى عليها ، فذكر بويه كل واحد والساعة والشهر والسنة التى ولد فيها ، فقبل المنجم يد الابن الأكبر عماد الدولة على بعد أن حسب درجات طالع وفحص كوكبه وقال : ستصل السلطنة لابنك الأول هكذا ، وبعد ذلك ستكون لأخويه الآخرين وقبل يد معز الدولة وركن الدولة أيضاً ، فقال الأولاد للآب : اعطه شيئاً للحكم ، وقال بويه غاضباً : هذا الرجل يستهزئ بكم (٩) ، قال المنجم : إذا لم تصدق كلامى فعاهدنى انه عندما تصل إلى هذه الدرجة الرفيعة أن تقدم لى واجب العطف ، فأعطاه أبوشجاع بويه عشرة دراهم .

وعندما استولى ما كان بن كاكى (١٠) على طبرستان ، سلك بويه فى سلك خدامه ، ولازم أبناؤه أيضاً بأسفار شيرويه ومرداو بيج بن زياد (١١) وأخيه وشمگیر ازتخم ارغش الذى — كان سلطاناً لگیلان — بتفويض كيخسرو ، وكانوا فى خدمة ما كان ، حتى خرج اسفارين شيرويه على ما كان ، واستولى على ملك الديلمة (١٢) ، ولما قتل اسفار بعد عام ، حل محله مرداو بيج ، واستولى على رستمدر ومازندران والرى وقزو بن وابهر وزنجان وطارمين ، وسعى لاستخلاص ... ، وأعمد القتل العام فى همدان ، وطبقاً لروايتهم انه قتل الفين من التجار ، وأرسل مرداو بيج على بويه وأخويه إلى الكرخ (١٣) ، وتوجه إلى اصفهان ، وحارب المظفر... الذى كان حاكماً لأصفهان فى تلك الفترة — مرداو بيج ، وهزم ، وتوجه إلى فارس عند والده ، وتوجه ياقوت (١٤) بجيوش فارس إلى مرداو بيج ، وبعد الحرب هزم ياقوت .

وكان على بن بويه مع أخويه فى لرستان ، وتوجه ياقوت بعد هزيمته بألفين من الرجال اليهم ، ولحسن حظ آل بويه أحدهما : انه عندما توجه ياقوت اليهم التحق به عدة أشخاص من آل بويه فأطاح ياقوت بأعناقهم جميعاً فاستبسل باقى جيش الديلمة ، وحاربوا محاربة شديدة وثانيهما : انه عند اعداد الصفوف أمر ياقوت أن يتقدم المشاة ويلقون القارورات النفطية ، وحسب الاتفاق هبت ریح عاصفة أمامهم ، فاشتعلت النيران فى ثياب المشاه

فعادوا ، وعند العودة تبعهم الفرسان ، وقتلوا ، وفرّ ياقوت إلى ناحية ، وقوى آل بويه بأموال ياقوت وجيشه ، وتوجهوا إلى فارس ، واستولى عماد الدولة واخوته على شيراز وحكم هذه البلاد ، وارتفعت راية اقبالهم ، وسعوا لتسخير بلاد أخرى . (١٥)



سلطنة عماد الدولة على بن بويه

بعهد هزيمة ياقوت توجه عماد الدولة إلى فارس ، ونزل بقصر ياقوت ومنع الجيش من السلب والنهب ، ونفذ الجنود الأمر ، ولم يجد في الخزانة شيئاً ، وفكر عماد الدولة في بيت ياقوت ، وسقطت عينيه على سقف البيت ، فرأى حية تخرج رأسها من فتحة ، فخاف عماد الدولة من المنزل وأمر أن يفتح النجار هذه الفتحة من فوق السقف ، ويقتل الحية ، وعندما هدم السقف ظهر مبلغ من المال والنفائس وأمتعة ، فقسم عماد الدولة النقود على الجنود (١٦) ، واستدعى خياطاً ليحيك لباساً من تلك الأقمشة ، وعندما أجلسوا الخياط جرى على لسان عماد الدولة لفظ « عصاة » وكان في بد الخياط عصاة ، وظن انه يطلب العصا ليضربه بها فقال : مولاي ما الحاجة للعصاة ؟ ليس عندي من مال ياقوت سوى سبعين صندوقاً من القماش ، فضحك عماد الدولة وتعجب الخواص ، واستولى عماد الدولة على أموال ياقوت (١٧) ، واهتم بالحكم .

وفي أثناء ذلك أراد مرداو بيج أن ينتزع شيراز من عماد الدولة ، ولكن لم يمهله الأجل ، وقتله غلماناً في نفس هذه الفترة في الحمام (١٨) ، وعندما حدث هذا الأمر أرسل عماد الدولة أخاه ركن الدولة حسن لضبط ولاية العراق ، وأرسل أخاه معز الدولة أحمد إلى كرمان وبعد تسخير كرمان توجه معز الدولة إلى بغداد ، واستولى على دولة الخليفة (١٩) ، وفي عهد سلطنة عماد الدولة ، حارب أخواه ركن الدولة ومعز الدولة المعاندين ، وفتح ولايات كثيرة (٢٠) ، وفي أواخر سنة ٣٣٧ هـ ظهر المرض على عماد الدولة ، وطال هذا المرض ، فأرسل رسولاً إلى ركن الدولة ليرسل ابنه الأكبر عضد الدولة ليحكم ولاية فارس من قبله ، وكان لركن الدولة ثلاثة أولاد كان ثلاثهم أهلاً للسلطنة .

عموماً عندما وصل عضد الدولة إلى نواحي شيراز استقبله عماد الدولة ، وجميع الأكابر وأهالي فارس ، وعندما اقترب خرج أيضاً ملازمه لملاقة ابن أخيه ، فأنزل عضد الدولة في قصر الإمارة ، وأجلسه على العرش ، وأمر جميع أشرف وأعيان المملكة أن يسلموا عليه سلام السلطنة ، وأقام الديبالة في ذلك اليوم حفلاً عظيماً ، وعندما أصبح عضد الدولة صاحب الأمر ، قبض بإشارة عمه عماد الدولة على عدة أشخاص من أمراء الديلم — الذين بدت

منهم آثار الفتنة - من هؤلاء شخص كانوا يسمونه شيرنجبين (٢١) تشفع بعض خواص وأعيان المملكة لخلصه ، قال عماد الدولة : اننى سأعرض عليكم حكاية واحدة عنه ، وبعدها سأفعل ما تقولونه ، قال : عندما كنا فى خدمة نصر بن أحمد وكنا فى ملازمته مع جماعة قليلة من الديالمة وأكثر من عشرة آلاف من خواص ممالك نصر وأبيه غير جيوش الأطراف ، رأيت شيرنجبين يحمل سكيناً حادة يلفها فى قطعة قماش خشنة ، ويلبس حذاءً بساق ، فسألته : لم كل هذا ؟ قال : أريد أن أقتل هذا الإبن يعنى نصرا ، فأستولى على رعب من هذا القول ، ولم أرد أن يذهب إلى نصر وأخرجته من بين الجميع على أساس انه لم يحدث بينى وبينه كلام ، وحملته إلى ناحية ، وأحضرت جماعة من الديالمة ، وعرضت الأمر عليهم ، فقالت هذه الجماعة : طالما حدث منه هذه الفعلة فلا ندعه حياً فى هذه البلاد (٢٢) ، وبعد ذلك قال عماد الدولة والآن ماقولكم ، لقد رأيت منه هذا التهور ويمكن ان أسلمه لابن أخى . ، فصمت المتشفعون وظل شيرنجبين فى الحبس حتى مات ، ورحل عماد الدولة فى سنة ٣٣٨ (٢٣) عن هذه الدنيا ، وكان رجلاً عظيماً حليماً كريماً عاقلاً عادلاً ، امتدت فترة سلطنته ست عشرة سنة ونصف السنة (٢٤) ، وتنعم الناس فى عهده بالراحة والرفاهية .



حكومة ركن الدولة بن بويه

عندما سمع ركن الدولة خبر وفاة عماد الدولة ، توجه إلى فارس ، وفى البداية اتجه إلى اصطخر ليزور أخاه ثم يتوجه إلى شيراز ، وعندما وقعت عيننا ركن الدولة على قبر عماد الدولة ، ترجل حافياً ، وبكى على قبر أخيه وفعل الجيش مثلما فعل ، وأقام فى هذا المكان ثلثة أيام ، وبعد ذلك توجه إلى شيراز بناء على رأى الأمراء ، وتوقف هناك تسعة أشهر ، وأرسل مبلغاً كبيراً من أموال فارس إلى معز الدولة فى بغداد (٢٥) ، وبعث مقداراً كبيراً من أسلحة وأدوات الحرب إليه ، وبعد ذلك توجه ركن الدولة إلى ولاية العراق ، ووقعت بينه وبين أمراء السامانيين معارك كما وقع بينه وبين وشمگیر حروب طبقاً لما ذكرته ضمن أمور السامانيين .

وعلى كل فإنه حين كان وشمگیر ينازع ركن الدولة ، وذات يوم كان يعياً جياده (٦) ، ووقع نظره على جواد أبيض ، فأمر أن يسرجوه ، وركبه ، وذهب للمصطاد ، وفى مكان الصيد ، وجد خنزيراً برياً ، وأصاب هذا الخنزير جواد وشمگیر بجرح ، وسقط وشمگیر عن جواده ، ومات وكانت هذه السنة هى السنة التاسعة (٢٧) وفى هذه السنة مات عدة ملوك وهم معز الدولة بن بويه فى بغداد وحسن فيروزان فى طبرستان وكافور الاخشيدى (٢٨) فى

مصر وقيصر الروم (٢٩) وأبو علي بن محمد العباس - الذي كان يحكم في بخارا - وسيف الدولة بن حمدان في ديار بكر وأبو ثعلبة بن حمدان في الشام .

وبعد وفاة وشمكير أحسن ركن الدولة إلى أبنائه احساناً لا حصر له ، وساعده أحياناً بالمال وأخرى بالجيش ، و يروون انه ذات مرة كتب وشمكير رسالة إلى ركن الدولة مغروراً بما لديه من جيش ، مضمونها « أننى لدى جيش كبير وقد أعددتهم جميعاً للحرب والنزال ، واعتزم أن انتزع المملكة والولاية منك ، وأصيبك بالذلة ، وعندما يمكننى الله منك سأفعل بك ما لم يفعله قط عدو بعدو » ، وأورد كلمات بذية في تلك الرسالة ، وعندما وصلت هذه الرسائل إلى مجلس ركن الدولة ، أشار على كاتبه أن يقرأ فنظر الكاتب في الرسالة ، وصمت لأنه لم يألّف ما جاء في الرسالة من مساوئ ، فأخذ ركن الدولة الرسالة من يد الكاتب وقراها ، ورد عليها : « لانهم بجيشك الكبير أبدا طالما أن الظفر والنصر معلق بعنابة الحق الأكبر ، وإذا فكرت فتى تفكيرا سيئا والله إذا وقعت في يدى فلن ترى منى إلا الاعزاز والاكرام ، وسأقدم لك ما يكون واجبا انسانياً وما تحتمه المروءة » ، وفي أقرب فرصة ظهرت آثارنية كل واحد في شأن صاحبه .

وفي المحرم سنة ٣٦٦ هـ (٣٠) استولت الأمراض النفسية على ركن الدولة ، وسبب ذلك هو أنه سمع في أواخر أيام حياته أن ابنه عضد الدولة قد قاد الجيش من فارس إلى بغداد ، وقبض على ابن عمه عز الدولة بختيار بن معز الدولة ، وسيطر عليه الغضب إلى درجة انه صار مهموماً ، وتوجه وهو مريض من الري إلى اصفهان ، وعندما وصل خبر غضب ومرض ركن الدولة إلى عضد الدولة ، اضطرب خشية أن يموت الأب وهو عنه غير راض ، وبعد تدبر ، أرسل رسالة إلى أبى الفتح بن العميد وزير ركن الدولة ، لكى يسعى من أجل أن يطلبه الأب لأن الذهاب إليه دون استدعاء أمر بعيد عن حدود الأدب ، وسعى أبو الفتح في هذا المجال ليطلبه ركن الدولة ، وجاء عضد الدولة إلى أبيه باصفهان ، واستدعى ركن الدولة باقى أولاده ، حضروا جميعاً إلى اصفهان ، وأعد أبو الفتح ابن العميد مأدبة فخمة (٣١) ، ودعا إليها ركن الدولة وأولاده والأكابر واشراف العراقيين وفارس ، وعندما انتهوا من الطعام نظر ركن الدولة إلى أولاده ، فأعطى جميع ولاية فارس وكرمان والأهواز حتى نواحي بغداد إلى عضد الدولة (٣٢) ، وعين فخر الدولة على حكومة همدان وأعمال الجبال والري وطبرستان ، وولى مؤيد الدولة على اصفهان وقراها (٣٣) ، وأمر الأخوين ألابيخيدا عن أوامر عضد الدولة ، وأوصاهم بالاتفاق وترك الخلاف ، وبعد اتمام هذه الأمور خلع الخلع على أعيان الديالة الآخرين طبقاً لمكانتهم ، وتوفى ركن الدولة بعد عدة أيام ، ومكتوب في بعض التواريخ أن مدة حكومته كانت أربعة وثلاثون عاماً ست عشرة سنة ونصف في أيام عماد

الدولة وسبع عشرة سنة ونصف بعد ذلك (٣٤) ، كان ركن الدولة ملكا طيب السيرة نقي السربة ، عادلا ، وكان يكرم ويحترم السادات والعلماء والفضلاء .



حكومة معز الدولة أحمد بن بويه

في سنة ٣٢٢ هـ أرسل عماد الدولة أخاه معز الدولة مع شجعان الديلمة لتسخير ولاية كرمان (٣٥) ، فذهب أولاً إلى سيرجان ، واستولى عليها ، وفي ذلك الحين كان ابراهيم سيمجور يحاصر محمد بن الياس في كرمان (٣٦) ، وعندما سمع بتوجه معز الدولة ، ترك هذه المهمة وتوجه إلى خراسان ، وترك محمد بن الياس أيضا ولاية كرمان خوفاً من معز الدولة ، وتوجه إلى سيستان ، ووقعت معارك بين معز الدولة وعلي بن كلويه ومحمد بن الياس الذي كان قد توجه إلى كرمان بعد فراره وأخيراً انتصر معز الدولة على الأعداء ، وطهر ساحة مملكة كرمان من معارضة المعارضين ، ثم توجه إلى الأهواز ، وبعد معارك عديدة وقعت بينه وبين ولاية الخليفة استولى على هذه البلاد .

وفي سنة ٣٣٢ هـ توجه معز الدولة بجيش جرار من بلاد الأهواز إلى لاهور ، وجاء توزون أمير أمراء الخليفة بجيش عظيم لمواجهة ، وتحاربوا اثنا عشر يوماً متتاليات ، وفي النهاية هزم توزون وتعبه معز الدولة عدة فراسخ ، وعاد إلى الأهواز (٣٧) ، وفي سنة ٣٣٣ هـ قاد الجيش مرة أخرى إلى واسط واستقبله المستكفي وتوزون بالجيوش العربية ، فلم ير معز الدولة صلاحاً في الحرب ، فعاد إلى الأهواز (٣٨) ، وفي سنة ٣٣٤ هـ توجه إلى واسط مرة ثالثة ومن هناك سار إلى بغداد (٣٩) ، وقبل وصوله إلى بغداد مات توزون وحل محله ابن شيرزاد ونزل معز الدولة في الحادي عشر من جمادى الأولى من السنة المذكورة بباب الشماسية ببغداد ، فاختم ابن شيرزاد ، وفي اليوم التالي دخل معز الدولة مجلس المكتفى وبايعه ، وعقد الخليفة مع معز الدولة ميثاقاً ، واطلق على أحمد معز الدولة وأخويه علي وحسن عماد الدولة وركن الدولة ، وضربت القابهم على السكة ، وقرأت أسماؤهم على المنابر على النحو المقرر ، وأنزل معز الدولة في قصر مؤنس الخادم ، ونزل جيشه في قصر أهل بغداد ، ولهذا السبب أصاب أهالي دار السلام المحنة ، وصار معز الدولة «صاحب اختيار بغداد» وقد حدد للمكتفى مبلغ خمسة آلاف درهم يومياً (٤٠) .

وفي جمادى الآخرة من نفس السنة خلع المكتفى من الخلافة ، وأجلس المطيع (٤١) مكانه وأيضاً في نفس السنة جاء ناصر الدولة من الموصل لحرب معز الدولة ، وتبعه ابن

شيرزاد ، واستولى ناصر الدولة على نصف بغداد وكانت الحرب سجالاً بينه وبين معز الدولة حتى تصالحا في المحرم سنة ٣٣٥ هـ ، وذهب ناصر الدولة إلى الموصل ، وأقام معز الدولة في بغداد (٤٢) ، وفي سنة ٣٣٦ هـ قاد معز الدولة الجيش إلى البصرة ، واستولى عليها (٤٣) ، وفي سنة ٣٣٧ هـ توجه إلى الموصل ، وذهب ناصر الدولة إلى نصيبين ، وقام معز الدولة بمظالم كثيرة في الموصل ، وأراد أن يقضى على حياة ناصر الدولة تماماً ، وفي أثناء ذلك وصل رسول من عند ركن الدولة وأخبره أن جيش خراسان متوجه إلى اليرى وجرجان ، ويجب ألا تهمل أخاك في العودة ، ولهذا السبب تصالح معز الدولة مع ناصر الدولة ، وتقرر أن يرسل ناصر الدولة سنوياً ثمانية آلاف درهم من انتاج ممالكة إلى الخزانة ، وعاد معز الدولة إلى بغداد (٤٤) .

وفي سنة ٣٤٤ هـ مرض مرضاً خطيراً (٤٥) ، ولم يخرج من بيته عدة أيام ، وظهرت الأراجيف بين الناس ، واضطربت الأمور في دار السلام ، واضطر معز الدولة الركوب على مافيه من أوجاع وآلام ، وسكن هذه الفتنة ، وفي سنة ٣٤٥ هـ أظهر روزبهان ديلمى وأخوته العصيان على معز الدولة ، وانتصر معز الدولة عليهم بعد محاربتهم ، وفي أثناء انشغال معز الدولة بمحاربة روزبهان (٤٦) ، أرسل ناصر الدولة جيشاً إلى بغداد ، وطمع في إمارة هذه البلاد ، وعندما انتهى معز الدولة من تلك المهمة ، توجه صوب الموصل ، وسار ناصر الدولة إلى نصيبين ، واستولى معز الدولة على الموصل ، ثم تعقب ناصر الدولة ، ومنذ أن دخل ناصر الدولة الشام ، مرض معز الدولة ثم عاد إلى بغداد وأمر أن يحفروا على أعتاب مسجد دار السلام (٤٧) « لعن الله معاوية بن أبي سفيان ولعن الله من غصب عن فاطمة عليها السلام فدكا (٤٨) ، ولكل من منع أن يدفن الحسن (٤٩) عند قبر جده صلى الله عليه وسلم ، ومن نفى أبا ذر الغفاري (٥٠) ومن أخرج العباس عن الشورى (٥١) » ، ولما لم يستطع الخليفة المحكوم الحاكم أن يفعل ذلك ، ظهر استياء في بغداد ، وحك البعض هذه المنقوشات ، وأمر معز الدولة ليعيدوا نقرها ، وظلت الفتنة قائمة حتى رأى محمد بن المهدي الوزير ان المصلحة هي ألا يلعنوا أحداً إلا معاوية ، وكتبوا بدلاً من هذه الكلمات : « لعن الظالمين لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، وسكنت هذه الفتنة بصواب رأى الوزير ، ومات معز الدولة في سنة ٣٥٦ هـ ، وجلس مكانه ابنه عز الدولة ، وظل معز الدولة لمدة إحدى وعشرين سنة في بغداد أمير الأمراء ، وقد تصدق بصدقات لا تعد ولا تحصى في فترة مرضه ، وأطلق سراح ممالكة (٥٢) .



حكومة عضد الدولة بن ركن الدولة

جلس عضد الدولة أبو شجاع فنا خسرو بن ركن الدولة حسن بن بويه في سنة ٣٣٨ هـ بحكم وصية عمه عماد الدولة على كرسى حكومة فارس وكريمان (٣٠٣)، يقول صاحب تاريخ قوامي انه في بداية سلطنة عضد الدولة كانت احدى جوارى حريمه تحب أحد جنوده، وكانا يتلاقيان كلما سنحت الفرصة، وذات يوم توجه هذا الجندي للصيد، وفي المساء قطع الصحراء رأى ثعلباً يدخل جحراً، فأخذ يتحسس هذا الجحر، حتى خرج الثعلب، وفي أثناء ذلك عثر على درجات فصعد عليها ووجد بيتاً وفي هذا البيت رأى عدة منحنيات مملوءة ذهباً وجواهر، فأخذ مقداراً منها، ووضع عليه علامة، وسد هذه الفتحة، وجاء إلى المدينة، وبعد ذلك لم يهمل لحظة في الانفاق على هذه الجارية، ولما رأت الجارية هدايا ونفقات الجندي أكثر من درجته، عقدت العزم على أن تعرف الحقيقة، وعندما ثمل الجندي سألته الجارية من أين لك بكل هذا المال، قال: لاشأن لك بمثل هذا الأمر، فلو أنفقت الآلاف مثل هذا فلن ينقص من أموالى شيئاً قط، وحذر الجارية أكثر من هذا القول، وفي لحظة سكر سألته مرة أخرى، فحكى طريقة إيجاد الكنز للمعشوقة، وأدركت الجارية أن هذا الأمر سيوجب مزيداً من التقرب لعضد الدولة، فذهبت إليه، وعرضت عليه: اننى ارتكبت ذنباً في حرمك يوجب قتلى فلو أعطاني الملك خاتم الأمان، سأخبره على كزيفى النفقات عدة سنوات، فأعطاه عضد الدولة خاتم الأمان، فذكرت له الأمر من أوله إلى آخره، فطلب عضد الدولة أن تلتمس من هذا الشخص ليظهر لها الكنز، وعندما يرضى أخبريني، وقالت الجارية للجندي في لحظة مناسبة، لقد هيأت لى في هذه الفترة كل ما أريد، ولم تدع رغبة لى قط، وليس لى أمنية إلا رؤية الكنز الذى وجدته، والآن التمس منك أن ترنى مكان الكنز لأظل طوال العمر رهين منتك، وحقق الجندي رغبتها، وذات يوم قرر أن يصحبها إلى موضع الكنز، وأطلعت الجارية عضد الدولة على هذا الأمر، فأعطاه عضد الدولة منديلاً ورقياً مقطعا، لتشره على الطريق في أثناء الذهاب حتى لا يعرف الجندي أننى أسير على أثركما، وتوجهت الجارية في اليوم المحدد مع ذلك الشخص إلى موضع الكنز، ونثرت قصاصات منديل الورق طبقاً للاتفاق وهى تسير، وسار عضد الدولة مع عدد معدود على أثرهما، حتى وصل إلى مكان الكنز، وعندما رأى الجندي عضد الدولة، اضطرب فهدأه عضد الدولة، وقال: لك جرة من هذا الذهب، وسأزوجك هذه الجارية، فسر هذا الرجل، ونقل عضد الدولة الكنز كله إلى الخزانة، وبنى بناية عالية في النجف على قبر أمير المؤمنين وامام المتقين على بن أبى طالب عليه الصلاة والسلام من هذا المال

ويقول مؤلف تاريخ قوامي أيضاً: انه في أيام سلطنته طلب أنه طالما كانوا يرسلون لهم في أيام دولة ملوك العجم التحف والهدايا من الروم، فليرسلوها أيضاً إليه، ولما رسخ هذا

المعنى في نفسه استدعى تاجراً من المعروفين وقال : يجب أن تذهب إلى الروم وتفعل ما أطلبه منك ، وعرض على التاجر ما يريد ، وعموماً أعطى عضد الدولة التاجر أموالاً كثيرة ، وأرسله إلى هذه البلاد ، وعندما وصل التاجر إلى الروم ، قابله أركان دولة القيصر وتبركوا به ، وذهب معهم إلى الملك ، وقدم هدايا بديعة من الجواهر وغير ذلك على سبيل الهدية ، وانتظر عطف القيصر ، ولما أبدى انتظامه في سلك النصارى — وكان كل من يزور القيصر يقدم له التحف والهدايا — حتى صار عن عداد المقربين والمعتبرين ، وبعد فترة أبدى محبة للاسلام والمسلمين ، وسلك في سلك السعداء والفرقة الناجية ، وبعد أن مرت فترة على هذا الأمر عرض على القيصر انه بالقرب من منزلي خرابة يمكن بناؤها ، وأريد أن أبني مسجداً في هذا المكان ، ليجلب لى الذكر الجميل في الدنيا والأجر الجزيل في الآخرة ، فسمح له القيصر ، وأمر التاجر بحفر هذا المكان ليؤسسوا المسجد بالحجارة والأجر ، ووجد العمال في أثناء الحفر صندوقاً مقفولاً مصنوعاً من الفولاذ القديم والزنك ، فحملوه إلى التاجر ، وبعد ذلك أرسلهم به مقفلاً إلى مجلس القيصر ، فأمر القيصر أن يفتحوا القفل ، ورأى فيه طوماراً من أوراق قديمة كانت ممزقة ، فظن الملك وأركان الدولة أنها خريطة كنز ، وعندما نظروا فيها رأوا عدة أسطر مضمونها : « إنه في التاريخ الفلاني الموافق لجلوس عضد الدولة على عرش سلطنة شيراز ظهر ملك موصوف بصفات كذا وكذا واسمه ولقبه كذا وكذا وهو مثل الاسكندر الذى استولى على الربع المسكون وهو أيضا سيستولى على العالم المعمور وكل من يطيعه ويقدم الجزية والخراج يأمن ضربات جيشه ، وكل من يتمرد ويعصى سيبتلى بالخسران والخزى » ، فتعجب القيصر وأركان الدولة من هذا القول الخطير ، واستدعى القيصر التاجر وسأله : هل وصلت إلى ولاية فارس ورأيت حاكمها ؟ قال : نعم ، فقال ما صفات هذا الملك وكيف حاله ؟ وما اسمه ولقبه ؟ فذكر التاجر الأمور جميعها كما هى ، ووجد القيصر مقولة التاجر موافقة لما هو مثبت في الطومار ، قال القيصر : هل تعرفه ؟ قال : بلى لقد تبركت به عدة مرات ، ويعرفنى ، قال القيصر : أريد أن أرسل إليه مع رسول لبق تحفاً وهدايا كثيرة ، وأن أسلك معه سلوك المحبة والمودة ، وأدعوك لترافق رسولى إلى هذه الناحية ، وكان مطلب التاجر هذا أيضا ، وعندما وصل التاجر ورسول قيصر إلى حدود شيراز ، أرسل التاجر شخصاً إلى عضد الدولة ، ليخبره بوصوله ، فأرسل عضد الدولة إليه برسالة من اننى سأخرج من المدينة للصيد ، ومن المقرر أن يحدث اللقاء في المساء في « سربند » ووصل إلى سربند عند صلاة العشاء عضد الدولة مع الرسول ، ارتفع نعيق الضفدع ويسمونه أيضا « مكل » فأبدى عضد الدولة ضيقاً ، فقال لأحد ملازميه : اذهب وقل للضفدع الملك بأمركم الليلة أن تصمتوا ، وبناء على ذلك خاض الشخص في الماء ، وصمت الضفدع وفي أثناء الخوض كان يلحن ما قاله عضد الدولة ، ويقول بصوت عال فصمت الضفدع وتعجب

الرسول ، وهذا العجب من أن الملك عظيم الشأن لأن الحيوانات في قعر النهر لا تخالف أمره ، فأمره مثل سليمان ينفذ في البر والبحر ، وعندما عاد الرسول إلى الروم وأبلغ قيصر بحال المجلس ، تأكد من أن ما كتب في الطومار عن حال عضد الدولة مطابق للواقع فلا مانع من السعي لزيادة المحبة والمودة ، واعتاد ارسال النفائس والغرائب ..

وفي سنة ٣٥٦ هـ (٤٠٤) جلس عضد الدولة على كرسى السلطنة ، ولم ينازعه أحد نظراً لأن ولاية أصفهان ونواحيها كانت لأبيه ركن الدولة ، وكانت مملكة الأهواز وخوزستان وبغداد تحت تصرف عمه معز الدولة ، وكان محمد بن الياس والي كرمان يقدم للديلمة الخدمات اللاتقة ، وفي سنة ٣٥٧ هـ أرسل عضد الدولة ابنه أبا الفوارس إلى حكومة كرمان ، وسبب هذا هو أنه لما كانت ولاية كرمان متعلقة لليسع بن محمد بن اسماعيل ، أرسل جيشاً من سيرجان (٤٠٥) إلى حدود ولاية عضد الدولة ، فتوجه إليه عضد الدولة غاضباً ، وانتزعها من اليسع ، ودخلت مملكة عمان تحت تصرف عضد الدولة في ذلك الوقت (٤٠٦) ، وفي سنة ٣٦٤ هـ قاد عضد الدولة الجيش إلى بغداد .



ذكر توجه عضد الدولة إلى دار السلام - بغداد - وبيان بعض

الأحداث التي وقعت بعد وفاة معز الدولة

قال معز الدولة لابنه عز الدولة بختيار حين الوفاة (٤٠٧) : « إذا أردت أن تكون دولتك قوية ، فلا تخالف حكم عمك ركن الدولة ، وشاوره في كل أمر يسئ لك ، وقدم عضد الدولة على نفسك ، واسع لتكريمه وتعظيمه ، لأنه أكبر منك وأعلم بأمر الملك عنك ، وأيضاً سلم الوزارة لأبى الفضل عباس بن الحسين وأبى الفرج محمد بن عباس لأن كلاهما يتميز بالكفاءة والأمانة ، وأيضاً خص جنود الترك والديلم بالانعامات السلطانية ، ودائماً اسع في استمالة سبكتكين حاجب » ، ولكن عز الدولة لم ينفذ أى وصية من هذه الوصايا ، وانشغل باللعب واللهو ، وشرع في مجالسة ومصاحبة النساء العاهرات والمغنيات (٤٠٨) ، وخاف سبكتكين من بختيار ، فترك ملازمته ، وفي نهاية الأمر وصل درجة أن أعلن سبكتكين العصيان ، واختار الأتراك جانب سبكتكين والديلمة جانب بختيار ، وطال النزاع بين الجانبين وإيراد ذلك على سبيل التفصيل يوجب الملل والسأم .

وعندما توفي سبكتكين ، اختار الأتراك البكتين لحكمهم ، وعسكروا في نواحي واسط قرب معسكر بختيار ، وتحاربوا خمسين يوماً ، وكان الظفر حليفاً للأتراك في أغلب الأحيان ،

رفعة مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

وفي تلك الأيام كان يرسل إلى عضد الدولة بأنه يجب أن يسرع ويتوجه صوب العراق العربي ، وعندما سمع عضد الدولة بخبر سيطرة الأتراك ، توجه بجيش فارس ، والتحق في واسط بغز الدولة بختيار ، وجاء الأتراك لمواجهة ، ووقعت حرب ضروس حتى هزموا ، ولم يستقروا في مكان قط إلا ببغداد ، وتعقبهم عضد الدولة ، ونزل على الجانب الشرقي لبغداد ، وأمر بختيار أن ينزل على الجانب الغربي ، وحارب الأتراك عدة أيام ، ولم يتقدموا ، وأخيراً عجزوا ، فذهبوا إلى تكريت في ركاب الخليفة الطائع ، واستولى عضد الدولة على بغداد ، واستدعى الخليفة ، فانفصل الخليفة عن الأتراك ، وجاء إلى دار السلام فأرسل عضد الدولة للخليفة الفرش والأواني ، وقدم له مراسم التبجيل والتعظيم .

وبعد هذا قبض عضد الدولة على بختيار واخوته ، وسمع ركن الدولة هذا الخبر ، فصعق ، وحدث اضطراب عظيم ، وعزم على أن يتوجه إلى بغداد ، وأطلق عضد الدولة سراح بختيار استرضاء للأب ، فترك أمر المملكة وعاد من بغداد ، وبعد وفاة ركن الدولة جمع عضد الدولة الجيوش ، وتوجه إلى العراق العربي ، وعندما وصل خوزستان ، التقى هناك بغز الدولة بختيار ، و يوم الوغى التحقت طائفة من جيش بختيار بعضد الدولة ، ولهذا السبب فر بختيار من المعركة ، وعندما وصل نواحي الموصل (٥٩) ، التحق به أبو ثعلب (٦٠) بعشرين ألف شخص ، وبلغ هذا الخبر عضد الدولة ، فتوجه إلى هناك ، والتقى في نواحي تكريت ، واشتعلت نيران الحرب ، وفر أبو ثعلب ، وأسروا بختيار ، وعندما حملوه إلى عضد الدولة ، أمر بأن يقطعوا رقبتة في الحال ، وكان عمره ستاً وثلاثين سنة ومدة حكمته إحدى عشرة سنة وبضعة شهور .

وأقام عضد الدولة في الموصل ، وقال هذه المملكة أفضل لي من العراق العجمي ، وجمع الجيوش المتناثرة وسخر ديار بكر وأكثر قلاعها ، وفتح ديار بنى مضر وقلاعهم أيضاً ، وأبدى سعد الدولة بن سيف الدولة الحمداني صاحب حلب طاعته .

وفي سنة ٣٦٨ هـ اهتم عضد الدولة بخرابات بغداد ، فأقام المساجد عليها ، وعين الأئمة والمؤذنين ، واستدعى الأيتام والفقراء والضعفاء وقرر لهم مرتباً شهرياً ، وعمر الأسواق ، وألزم أصحاب الأملاك الخربة عمارتها ، وأجرى نهراً بكل مكان بور ، وأسقط النفقات التي كانت تؤخذ من الحجاج في هذه الفترة ، وأعاد الآبار التي كانت محفورة من بغداد إلى مكة إلى حالتها الأولى ، وأرسل الصدقات لمجاوري مكة والمدينة ومشهد حضرة إمام المتقين على أمير المؤمنين والحسين أمير المؤمنين عليها الصلاة والسلام ، وأجرى الجرايات على الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين والشعراء والأطباء والمحاسبين والمهندسين (٦٢) ، وسمح لوزيره نصر بن هارون النصراني ببناء البيع والكنائس ، وأن يرعى أيضاً فقراء هذه الطائفة من أموال سيده . (٦٣)

وفي سنة ٣٧١ هـ (٦٤) أتم بناء دار الشفاء بغربي بغداد، وهياً لها كل ما تحتاجه من أطباء وأدوية وأشربة (٦٥)، وفي سنة ٣٧٢ هـ استولى مرض الصرع على عضد الدولة، وضعف حاله، وتوفي في الثامن من شوال من السنة المذكورة، ودفن في النجف بموجب الوصية التي كان قد أوصى بها، وكانت حكومته أربعاً وثلاثين سنة، وعمره سبع وأربعون سنة، وفي يوم وفاته لم يتفوه قط بكلمة إلا هذه الآية « ما أغنى عنى ماليه، هلك عنى سلطانيه » (٦٦)، وحضر الخليفة الطائع مجلس عزائه، كان أفضل سلاطين الديلم، كتبت مآثره ومناقبه في مجلدات منها، الصابى الذى كتب باسمه كتاب « تاجى فى أخبار آل بويه » (٦٧)، وقد عاش الناس فى عهد عضد الدولة فى مهاد الأمن والأمان، هنا الناس فى أيام حكومته (٦٨)، وبنى سبعة أحواض، يشرب من كل حوض يوماً ألف شخص يكفيهم عام كامل، وأيضاً أقام بناية على نهر قرب شيراز تسمى « بند أمير » (٦٩) وهذه البناية لا مثيل لها فى العالم، ويكفى فى وصف هذه البناية أن الماء يدور حولها، وفوقها معبر يمر الخلائق عليه، ويمر القوافل والجيش أيضاً عليه، وبنى أيضاً فى شيراز دار الشفاء يعجز اللسان عن وصفها، وفى آخر عمره أحدث بعضاً ليدع منها انه خصص مساحة من الأرض يبيعون عليها الدواب، وعين جماعة لعمل الثلج خصيصاً للديوان العالى وبناء على ذلك كان رجاله يحضرون الثلج من الجبل و يبيعونه للخمارين .



حكومة مؤيد الدولة بن ركن الدولة

ورد آنفاً أن ركن الدولة قد قسم ممالكه على أولاده عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة حتى لا يتعرض أحدهما للآخر، وعندما توفي لم يكن مؤيد الدولة يفعل شيئاً بالمملكة التى أعطاهما له أبوه دون اذن من عضد الدولة، وقد أرسل رسولاً إليه أن أمر ملكه وماله موكول له، فوافق هذا القول مزاج عضد الدولة، وسعى لرفع درجته، بينما لم يهتم فخر الدولة بعد موت ركن الدولة بأخيه الأكبر، وتصدى لحكومته دون مشورته، ولهذا السبب استاء عضد الدولة من فخر الدولة، وجاء لتأديبه، وتنازع مؤيد الدولة برأى عضد الدولة مع فخر الدولة، وذهب فخر الدولة إلى جرجان، ومن هناك توجه إلى خراسان، وطلب المساعدة من نوح بن منصور، وتحارب مع مؤيد الدولة، وهزم طبقاً لما ذكرناه ضمن وقائع السامانيين، وحكم مؤيد الدولة حكومته حتى توفي سنة ٣٧٣ هـ (٧٠)، ووصل خبر وفاته لابن أخيه صمصام الدولة فى بغداد، فقام بواجب العزاء، وحضر الخليفة الطائع مجلس العزاء .

وبعد وفاة مؤيد الدولة تشاور أركان دولته حول من يفوضونه السلطنة من آل بويه قال اسماعيل بن عباد صاحب الكافي : يجب أن نستدعى فخر الدولة من خراسان لأنه أفضل وأعظم ملوك الديلم كما ان هذه البلاد كانت تتعلق به قبل مؤيد الدولة بموجب وصية الأب ، وعندما استقرت الآراء على أن يعينوا خسرو فيروز بن ركن الدولة الاخ الأصغر لفخر الدولة نيابة عنه ، وارسلوا الرسل إلى نيشابور ، واستدعوه ، فتوجه فخر الدولة مسرعا إلى الري في رمضان من السنة المذكورة ، واستولى على مملكته الموروثة دون منة من أحد ، وقام الصاحب بن عباد (٧١) بوزارته وصار صاحب اختيار الممالك .



حكومة فخر الدولة بن ركن الدولة بن بويه

عندما جلس فخر الدولة على الحكم ، ارسل الخليفة صمصام الدولة بن عضد الدولة اليه من بغداد بخلعة ، ليوطد أسس المحبة بينها (٧٢) ، وفي شهر سنة ٣٧٤ هـ قرأ ابوالحسين بن عضد الدولة الخطبة وسك السكة في الأهواز باسم فخر الدولة (٧٣) ، وفي سنة ٣٧٥ هـ توجه شريف الدولة من فارس إلى الاهواز ، ففر ابوالحسين من أخيه والتحق بفخر الدولة ، وجهر ابن أخيه ، وارسله إلى اصفهان ، وبعد فترة أبدى ابوالحسين مخالفة لفخر الدولة وتبع شريف الدولة ، فقبض عليه جنوده ، وارسلوه إلى فخر الدولة ، فحبسه فخر الدولة ، وظل بالحبس حتى مرض وفاة فخر الدولة ، فأطلق سراحه من هذا الحبس بموجب فرمان عمه .

وفي سنة ٣٧٧ هـ أرسل فخر الدولة الصاحب الكافي اسماعيل بن عباد لضبط أموال طبرستان ، فأحسن ضبط هذه الولاية ، ومنع سعيًا حميدا في دفع أهل الفتنة ، وفتح عدة قلاع ، وعاد في نفس السنة (٧٤) .

وفي سنة ٣٧٨ هـ أمر الصاحب بن عباد أن يضربوا عدة عملات في جرجان بوزن ألف مثقال ذهباً ، وكانت اذا وقع منها واحد في يد مفلس ، يغتنى ، ونقشوا على أحد جانبيها سبعة أبيات أولها :

« وأحرى يحكى الشمس شكلا وصورة فاوصافه مشتقة من صفاتها » (٧٥)

وعلى الناحية الأخرى سورة الإخلاص (٧٦) ولقب فخر الدولة (٧٧) ولفظ جرجان ، وفي سنة ٣٧٩ هـ توجه فخر الدولة إلى العراق العربي ، وسبب ذلك هو أنه عندما توفي شريف الدولة بن عضد الدولة جلس مكانه ابنه بهاء الدولة ، فاستولى هوى تسخير بغداد على نفس الصاحب بن عباد ، فعرض فخر الدولة على أن يقود الجيش إلى هناك ، وجمع فخر الدولة جيشا جازا ، وتوجه إلى همدان ، وقد لحق به بدر بن حسنويه من كردستان ، وقرر أن يتوجه

اسماعيل بن عباد وبدر بن حسويه من طريق بغداد ، وتحرك فخر الدولة من طريق كردستان ، وعندما سمع بهاء الدولة بن عضد الدولة خبر توجه فخر الدولة ، جمع الجيوش ، واسرع لاستقباله ، وتقابل الجيشان في الأهواز ، وتوجها ، وتصادف أن فاض نهر الأهواز في هذه السنة (٧٨) ، ووصل إلى معسكر فخر الدولة ، فاعتقد جنوده أن هناك مكيدة ، فانهزموا دون قتال ، واستاء فخر الدولة من هذا ، فكتب إلى الصاحب بن عباد ، ليتدبر الأمر ، فرد عليه الصاحب بأنه يجب انفاق المال وأنا أضمن ان كل ما تنفقه اليوم ، سأحصل لك ضعفه في العام التالي ، وصعب على فخر الدولة جمع المال (٧٩) ، لأنه لا يمكن الحرب دون استعمال السيف والسنان وبعد ذلك جاء فخر الدولة إلى الري ، ومن هناك توجه إلى همدان .

وفي سنة ٣٨٥ هـ توفي الصاحب بن عباد (٨٠) ، وكان الصاحب الكافي ، وحيد زمانه وفريد عصره في الفضل والأدب ، يفوق الوزراء في الرأي والتدبير ، آثاره من الرقاع والرسائل مشهورة بين أرباب الفضائل ، جمع من نفائس الكتب ما لم يجمعه أي وزير قط بل أي سلطان (٨١) ، ويروون أنه في إحدى سفرياته كان يحمل كتبه أربعمائة جمل ، ويقولون أنه عندما مرض الصاحب بن عباد ، ذهب فخر الدولة لعيادته ، قال له الصاحب : لقد خدمتك خدمة استفرغت فيها وسعي ، وسرت سيرة جلبت لك حسن الذكر ، والآن أنا أشرف على الموت فإن أجريت الأمور على ما كانت عليه نسب ذلك الجميل إليك وتركت أنا ، وان عدلت عنه كنت أنا المشكور (٨٢) ، وإذا فعلت خلاف ذلك سيسرى الفساد في الدولة وتتولد الفتن وآمل أن تعرض عن قول أصحاب الفتن وألا تنحرف عن الصواب ، قال فخر الدولة : سأفعل لكن لا أعد بالوفاء .

وعندما حملوا نعش الصاحب بن عباد إلى المصلى ، قبل أعيان الديلم الأرض أمام تابوته لما كان له من إجلال ، ثم رفعوا النعش إلى السقف ، وبعد فترة حملوه إلى اصفهان (٨٣) ، وواروا جسده في هذه الأرض ، وكان قد تحمل عبء الوزارة كما يجب مدة سبع عشرة سنة ، وبعد وفاة الصاحب بن عباد وزع فخر الدولة خزائنه ، وحرم أبناءه ، وصادر أمواله وممتلكاته ، وجمع أموالاً كثيرة .

وكان الصاحب بن عباد يحسن إلى القاضي عبد الجبار الذي كان يعمل بفروع المذهب الشافعي وفي الأصول بالمعتزلة ، حبا مفرطاً ويرعاه بقدر الإمكان ، وعندما توفي الصاحب قال القاضي : لا أعرف انه أهل للرحمة ، فسألوه لماذا تقول أن توبته غير معروفة ، ولهذا يعتبرون عبد الجبار رجلاً جاحداً ، وقد رصادر فخر الدولة القاضي (٨٤) ، وأخذ منه ثلاثة آلاف درهم ، وورد في تاريخ گزیده (٨٥) مع أنه كان على مذهب القاضي عبد الجبار ، فقد أخذ أمواله بدون وجه ، وأبقاه مخلداً في النار بتهمة أخذ الرشوة من الأهالي ، وعزل القاضي بعد مصادرته .

وفي شهور سنة ٣٨٧ هـ وذات يوم وهو في قلعة طبرك طلب لحم بقرة مشوى ، فأمر ان يذبحوا بقرة في حضوره و يصنعوا كبابا من لحمها ، ليأكل ، وأكل بعد الكباب عدة عناقيد عنب ، فأصابه ألم عظيم في معدته ، ووضح هذا المثل « مائة روح فداء بطن » وتوفى في الحال ، وكان مفتاح الخزائن في البري عند ابنه مجد الدولة ، ولما طلبوا كفنأ لم يجدوا ، وكان الذهاب إلى المدينة متعذراً بسبب اضطراب وشغب الديالمة ، واشتروا كفنأ من قيم الجامع ، وظل فخر الدولة فترة في البيت بسبب اضطراب جنود الديلم حتى نتن (٨٧) ، ويقولون انه وجدوا في خزائنه أموالاً وأجناساً لاحصر لها ، من جملةا ثلاثة آلاف حمل قماش والباقي على هذا النحو. (٨٨)



حكومة شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل بن عضد الدولة

كان شيرزيل بن عضد الدولة في كرمان عندما توفى والده ، وعندما وصله خبيته ، أسرع بالتوجه إلى فارس ، وأدخل هذه البلاد في حوزته ، وقتل نصر بن هارون النصراني وزير أبيه ، ذلك لأنه كان يكرهه ، وأطلق سراح جميع من حبسهم عضد الدولة ، وأبدي عصياناً لأخيه صمصام الدولة وقرأ الخطبة باسمه ، ووزع الخزائن والأموال وجمع جيشاً عظيماً ، فأرسل صمصام الدولة من بغداد أبا الحسن حاجب بجيش جرار لصدده ، وأرسل شرف الدين أيضاً أحد أمرائه الكبار مع جماعة من الشجعان لمواجهةهم ، وتحارب الجيشان ، وهزم جيش صمصام الدولة ، وأسر أبو الحسن حاجب. (٨٩)

وفي أثناء ذلك أرسل شرف الدولة رسولاً إلى القرامطة ، وعندما عاد الرسول ، عرض على شرف الدولة ان القرامطة سألوه عن أخلاق الملك ، وجادلوه ، وقالوا : إنه عزل ثلاثة وزراء في سنة واحدة ، ونصب ثلاثة أشخاص آخرين على الوزارة ، ولم يعزل أحد قط حتى آخر عمره ، وفي أوائل سنة ٣٧٥ هـ ، قاد شرف الدولة الجيش إلى الأهواز ، بحجة أن أخا صمصام الدولة قد قبض على أخ آخر يدعى أبو نصر بهاء الدولة وحبسه ، فخاف صمصام الدولة ، وطلب الصلح وتوجه شرف الدولة من الأهواز إلى البصرة واستولى عليها ، وأخرج صمصام الدولة بهاء الدولة من الحبس ، وأرسله إلى شرف الدولة ، وتصالحا على أساس أن شرف الدولة يكون أميراً للأمراء و يقدم اسم شرف الدولة على اسم صمصام الدولة في الخطبة في بلاد العراق. (٩٠)

وخلال هذه الأحوال ، وعندما أدرك شرف الدولة أن بعض أعيان وأشراف العراق العربي يميلون إليه ، أبدى تضرراً من الصلح ، وقاد الجيش إلى بغداد ، واستشار صمصام

الدولة أصحاب التجربة ، وتحدث كل واحد ، ومن مجموع ما عرضوه ، ركب زورقاً مع عدد من خواصه ، وذهب إلى شرف الدولة ، فقدم له شرف الدولة التعظيم والتبجيل ، وعندما خرج صمصام الدولة من المجلس ، أمر شرف الدولة بحبسه (٩١) ، واستولى على بغداد ، وسنعرض حكومة صمصام الدولة ونهاية حالها قريباً إن شاء الله تعالى .

ومريض شرف الدولة في شهر سنة ٣٧٩ هـ ، وعندما يئس أصحابه من حياته قالوا : إن الأمير أبا علي هو ملك فارس الآن ، ومن الصواب أن نخله ملكاً مكانه ، قال : اننى مشغول بحالى وأنتم تعلمون ، قالوا : لو استصوبت رأى فليكن أبو نصر بهاء الدولة محله ، حتى لا تحدث الفتنة ، فأقرهم شرف الدولة على ذلك ، وعموماً عندما توفى شرف الدولة قام بهاء الدولة بالعزاء ، وعندما عاد إلى دار الخليفة ، أرسل الخليفة الخلة السلطانية إلى بهاء الدولة . (٩٢)



صمصام الدولة بن عضد الدولة

جلس صمصام الدولة أبو كالجار مرزبان بن عضد الدولة بعد وفاة أبيه ببغداد ، وخلع على أخويه أبى الحسين أحمد وأبى طاهر فيروزان شاه ، وتوجه إلى فارس ، وقال لهما : أسرعا في الذهاب قبل وصول شرف الدولة إلى شيراز قبلكما ، ووصلا إلى ازجان وسمعا أن شرف الدولة قد سبقهما ، واستولى على هذه الديار ، فعادا إلى الأهواز .

وفي سنة ٣٧٥ هـ خاف اسفار بن شيرويه أحد أمراء الديلم من صمصام الدولة وبايع هو وأخوته بهاء الدولة بن عضد الدولة ، وتابعهم طائفة من الجنود ، فضعف صمصام الدولة وطلب من ماندار أحد قادة الديلم الذين يمتازون بالهيبه المساعدة ، وأجابه ماندار على طلبه ، وهزمهم وقبض على أبى نصر بهاء الدولة ، وأحضره إلى أخيه ، فأمر صمصام الدولة بحبس بهاء الدولة ، وحكم صمصام الدولة إمارة بغداد قرابة أربع سنوات ، وأخيراً قبض عليه أخوه شرف الدولة ، فقال جماعة من الأمراء لشرف الدولة : يجب أن تسلمه ولايته أو تقتله فلم يفعل شرف الدولة بقولهم وبناء على مصلحة الدولة أرسله إلى شيراز ، وأمر أن يحبسوه في إحدى قلاعها ، وعندما مرض شرف الدولة ، أرسل بعض أركان الدولة مجد الدين لفراس الشيرازى في فارس ، ليسلم عينى صمصام الدولة ، وعندما شاع خبر وفاة شرف الدولة ، أخرج حراس القلعة صمصام الدولة من حبسه ، واجتمع جيش كبير في ظل رايته ، وسمع بهاء الدولة هذا الخبر ، فتوجه بجيش جرار إلى صمصام الدولة ، وحدث الصلح بينها بعد الحرب على شرط على أن تتعلق بلاد فارس وازجان بصمصام الدولة ، وتعلق خوزستان

والعراق العربي بهاء الدولة ، وعاد بهاء الدولة إلى بغداد ، وسعى لتسكين الفتنة التي ظهرت في هذه البلاد من الأعيان في أثناء غيبته ، وقضى على أهل الفتنة .

وفي سنة ٣٨٠ هـ فر أولاد عز الدولة بختيارين معز الدولة الديلمي الذين كانوا محبوسين في قلعة من قلاع فارس من يد حراس القلعة ، واستولوا على القلعة ، وأسرع جماعة من الديلمية إليهم وعلم صمصام الدولة بهذه الحكاية ، فأرسل أبا علي استاد هرمز لحربهم وحاصر أبوعلى هذه الجماعة ، وطلب أولاد عز الدولة وكانوا ستة أفراد الأمان لعجزهم ، وأخرجهم أبوعلى من القلعة آمنين ، وأرسلهم إلى صمصام الدولة ، فقتل صمصام الدولة رجلين من أولاد بختيار ، وحبس الأربعة الآخرين ، وبعد هذا تزلزلت أسس الصلح بين بهاء الدولة وصمصام الدولة ، وأرسل صمصام الدولة أبا علي على استاد هرمز القائد القوي لدفع فتنة بهاء الدولة ، ووقعت معارك بين أبي علي وجيش بهاء الدولة ، وانتصر أبوعلى في جميع المعارك ، فتوجه بهاء الدولة بنفسه إلى أبي علي ، وتحاربا عدة مرات ، وخلال هذه الحروب كان أبوعلى يحقق النصر ، وعندما أوشك القضاء على بهاء الدولة تماما ، انتشر خبر قتل صمصام الدولة ، وسبب ذلك هو انه عندما استعرض جيشه ، وعفى اسم كل من فيهم شبهه في صحة نسبه للدليم ولما ضجر بعض الجنود من عدم وجود راتب ، وخاف حراس أولاد بختيار ، فأطلقوا سراحهم والتحق بخدمتهم جمع غفير من الأرازل والأوباش .

ولما كان جيش صمصام الدولة قد ذهب كله لمحاربة بهاء الدولة ، واضطر إلى أن يتحصن في قلعة من قلاع فارس ، فلم يسمح الكوتوال لصمصام الدولة ، ووصل مع ثلاثمائة رجل مفلس إلى أسرة كانت في هذا المكان على بعد فرسخين من شيراز ، فقبض طاهر حاكم هذا المكان عليه ، وحمله إلى أبي نصر بن بختيار ، وقتل صمصام الدولة في ذي الحجة من السنة المذكورة وقد حكم فارس تسع سنوات وثمانية شهور وكان صمصام حليماً كريماً ، لأحد لكرمه ، وقتلوا أيضاً أمه بعد قتله وواروا الأم والابن في مقبرتين على باب قصر الامارة ، وعندما جاء بهاء الدولة إلى فارس أخرجها من القبر ودفنها بمقابر آل بويه . (١٣)



حكومة بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة

بعد وفاة شرف الدولة استقرت اماره بغداد في يد بهاء الدولة ، وفي سنة ٣٨١ هـ خلع بهاء الدولة الخليفة العباسي الطائع من الخلافة ، وسبب ذلك هو أن الجنود طلبوا من بهاء الدولة أموالاً ، ولم يكن بالخزانه نقداً ، فصادر بهاء الدولة وزيره ، ولم يحصل منه على شيء كثير يفي حاجة الجيش ، فقال له ابن معلم — الذي كان صاحب اختيار في عهد دولة بهاء الدولة :

إن الخليفة الطائع لديه أموال كثيرة ، اقبض عليه وقسم أمواله على الجنود ، وأجلس آخر على كرسى الخلافة مكانه » ، وبدا هذا سهلاً في نظر بهاء الدولة فخلع الطائع من الخلافة (٩٤) ، وبإيعام الأمير القادر ، وبعد ذلك قبض على ابن معلم بسبب سوء علاقته بالناس ، وطلب الجنود ابن معلم لما سببه لهم من إساءة ، وكلما قال لهم بهاء الدولة ، دعوه لى ، رفضوا ، واضطربها الدولة تسليمهم ابن معلم ، وقدموا له السم مرتين ، فلم يأت بشيء ، فضغطوا على حلقه حتى لا يتنفس .

وفى أيام حكومة بهاء الدولة ، قتل أولاد بختيار صمصام الدولة (٩٥) ، وأرسلوا رسالة إلى أبى على هرمز من : « اننا نعتمد عليك ، ومهمتك أن تأخذ البيعة لنا من الجيش ، وتسعى سعياً جيداً لدفع بهاء الدولة » ، ولما كان أبو على يخشى أبناء بختيار لأنهم يعرفون أن قتل ولدى بختيار على يد صمصام الدولة كان بإشارة منه ، لاجرم انه أعرض عنهم ، وأرسل رسولاً إلى بهاء الدولة ، وطلب الأمان له وللديلمة ، فسر بهاء الدولة ، وأمنه وسائر الأمناء ، وأرسل إليهم انه لا ذنب عليكم طالما كان أخى وولى نعمتكم كان قد أرسلكم لمحاربتى ، والآن فإن طلب دمه واجب على الجميع ، وأمن الديلمة ، ووضعوا سره على خط فرمانه ، وأرسلوا جماعة من أعيانهم إلى بهاء الدولة ، ليؤكدوا بنيان العهد بالإيمان ، وأرسلوا الخبر إلى جماعة من الديلمة — الذين كانوا فى مدينة سوسن — ، من اننا تصالحنا مع الأمير بهاء الدولة ، فأخرجوا من المدينة أيضاً ، فقالوا طالما قبل الملك فنحن نشرف بالطاعة ، وفى اليوم التالى وصل بهاء الدولة بجيشه بظاهر سوسن ، وخرج الديلمة من المدينة ، وبدأت حرب ضروس ، واستاء بهاء الدولة ، وألقى الديلمة سلاحهم . وقالوا : « إن من عادة الديلمة انه بعد الصلح يتقاتلون قتالاً صعباً حتى لا يظن الناس عجزهم »

ولما لم يبق منازع لبهاء الدولة فى الأهواز ، أرسل أبى على استاد هرمز لتسخير فارس ، وتوجه أبو على إلى هناك ، وانتزع هذه الولاية من يد أولاد عز الدين بختيار ، وعندما سمع بهاء الدولة بهذا النصر ، توجه إلى شيراز ، وعندما تمكن من عرش فارس ، أمر أن يقتلوا أهل قرية دودمان بالجرعة — التى ارتكبتها أبناء بختيار فى حق صمصام الدولة — واشعل النار فى هذه القرية ، وارتفع دخان دودمان . (٩٦)

وفى تلك الأثناء توجه أبو نصر بن عز الدولة بختيار — الذى كان قد فر من أبى على بن استاد هرمز — ودخل الديلم ، مع جماعة من تلك الطائفة إلى كيمان ، وحاربه أبو جعفر وهزم ، ولاذ بسيرجان ، وتوجه أبو نصر إلى جيرفت ، وأرسل عماله وقواده إلى گرمسیرات كرمان وأدخلوا تلك النواحي جميعاً فى طاعته ، وعندما علم بهاء الدولة بهذه الحادثة ، أرسل الموفق بن اسماعيل بجيش لدفع هذه الفتنة ، وقاد الموفق الجيش إلى جيرفت ، ولم يجد

أبا نصر بن بختيار هناك ، فسأل أهل جيرفت عنه ، فقالوا : من هنا إلى معسكره ثمانية فراسخ ، فاختار الموفق ثلاثمائة رجل من جيشه ، وسار ، وعندما وصل إلى هذا المكان الذى حددوه ، لم ير أثراً لابن بختيار ، فرحل قبيل طلوع الفجر من هناك أيضاً ، وبعد قطع المنازل وطى المراحل وصل إليه ، وأعمد كلا الفريقين السيف والخنجر فى الآخر ، وفى النهاية فر ابن بختيار ، وفى أثناء الفرار ضربه شخص من ملازميه ، وذهب ليخبر الموفق ، ووصل آخر ، وفصل رأس ابن بختيار ، وحملها للموفق ، وقتل الموفق خلقا كثيرين من المهزمين ، وطهر مملكة كرمان كلها .

ومن غرائب الصدف أن منجماً كان قد قال للموفق قبيل قتل أبى نصر بن بختيار : انه فى الاثنين الفلانى سيقتل أبونصر ، ولما كان قد بقى خمسة أيام على الاثنين ، قال الموفق للمنجم اقترب وعدك ، وليس لدينا خبر عن أبى نصر ، قال المنجم : إذا لم يقتل فى ذلك اليوم اقتلنى ، وإذا قتل يجب أن تقدم لى واجب الاحسان والامتنان ، وقتل أبونصر فى يوم الاثنين الذى حدده المنجم ، وأعطى الموفق المنجم مالا كثيرا ، فصار من جملة الأغنياء .

وبعد هذا الفتح ترك الموفق نائبا فى كرمان ، وتوجه إلى بهاء الدولة ، وقدم بهاء الدولة جميع أنواع الاكرام ، وأحله محل التعظيم والتكريم ، ولكن فى نفس هذه الأيام أراد أن يعفيه من خدمته ، وكلما منعه بهاء الدولة ، رفض ، فقبض عليه بهاء الدولة وسجنه ، وبعد فترة أمر بقتله ، وفى سنة ٤٠١ هـ توفى عميد الجيوش أبوعلى فى بغداد ، وكان عمره تسعاً واربعين سنة ، وكانت إمارة بغداد متعلقة به ، كان يحسن لأهل الله ، ولم يكن فى دولة بهاء الدولة أى شخص ذات اعتبار مثله ، وفى سنة ٤٠٣ هـ توفى بهاء الدولة بمرض الصرع (٩٧) ، وحملوا تابوته إلى مشهد ... عليه السلام (٩٨) ، ودفنوه هناك ، وكانت مدة حياته اثنتين وأربعين سنة وتسعة أشهر ، ومدة سلطنته أربع وعشرون سنة .



حكومة مجد الدولة بن فخر الدولة بن بويه

اجلس أركان الدولة بعد وفاة فخر الدولة ابنه مجد الدولة (٩٩) وكان لا يزال طفلاً ، وتضلعت أمه سيده ؛ وكانت امرأة عاقلة ، بتدبير شئون الملك (١٠٠) ؛ وكانت تحكم ولا يقدر أحد قط أن يتدخل فى صغيرة أو كبيرة (١٠١) ، وفى سنة ٣٧٠ هـ (١٠٢) ، قبضت سيده على مجد الدولة ، وسبب ذلك هو انه عندما بلغ سن الرشد ، نازع أمه فى الحكم ، ووزر أباعلى دون رضا من أمه ، فاستاءت سيده من الابن ، وذهبت إلى قلعة طبرك ، وأرسل أبوعلی

الحراس على سيده حتى لا تهرب ، وفرت سيده في جوف الليل من القلعة ، وتوجهت إلى خوزستان ، ولما كان حاكم هذه البلاد بدرين حسويه قد علم بتوجه سيده ، أسرع إلى حدود خوزستان لاستقبالها ، وقدم الطاعة ، ولم يهمل لحظة في خدمتها ، وجمع الجيوش ، وتوجه في ركاب سيده إلى الري ، وحارب مجد الدولة وأسره مع وزيره ، وتمكنت سيده من المملكة ، وخلعت على بدرين حسويه الخلع الفاخرة والعطايا الوافرة ، وسارت سيرة عادلة ، وأسست قواعد الحكم . (١٠٣)

وذات يوم جلست في البلاط وراء حجاب رقيق ، وتحدثت مع الوزير والعارض من أن رسولا من الأطراف قال قولاً مناسباً ، يقول ان السلطان محمود الغزنوي قد أرسل إليه رسالة بأن يسك السكة ويخطب الخطبة باسمه ، وإلا يعد نفسه للحرب ، وقد ردت سيده عليه كنت أفكر حين كان زوجي حياً من أنه لو طلب السلطان هذا فما العمل ؟ الآن لا أحمل هملاً لأن السلطان محمود سلطان عاقل ، وأمر الحرب غيب فلو انتصر على فلن يشتر أكثر من ذلك لو انتصر على أرملة ، وإذا هُزم منى فلن يستطيع أن يمحي هذا العار من صفحة الزمان :

« إما أن يكون صادقا و يدع المعوج ، وإما أن يكون رجلاً و يدع النساء » (١٠٤)

وهذا الرد الصواب ترك السلطان العداوة .

وكانت سيده تسرى عن ابنها أحيانا ، حتى صار مجد الدولة أهلاً للملك ، وكان زمام المملكة في كف سيده القوية ، وأرسلت سيده شمس الدولة أخا مجد الدولة إلى همدان ، وعينت أبا جعفر كاكوية على حكومة اصفهان طوال حياتها ، وازدهر ملك مجد الدولة ، وعندما ماتت سري المهرج والمرج في مملكة مجد الدولة .

وفي أوائل سنة ٤٢٠ هـ خرج السلطان محمود من غزني متوجهاً إلى العراق ، وبعد قطع المنازل ، وصل إلى مازندران ، والتحق به منوچهر بن شمس المعالي قابوس بن شمگیر ، وقدم التحف الغالية ، وبعد عدة أيام توجه إلى ولايته دون استئذان لتخوفه ، ولكنه أرسل أربعمئة ألف دينار وما يحتاج إليه جيش السلطان ، واعتذر وعفا السلطان عن زلته . (١٠٥)

وفي أثناء ذلك أرسل مجد الدولة رسالة إلى السلطان ، واشتكى من جيشه ، وكان دائماً مشغولاً بمطالعة الكتب ، وعلم السلطان بأحواله ، فسير جيشاً جباراً إلى الري ، وقال لأمر الجيوش ، حاول أن تقبض على مجد الدولة ، وعندما دخل رجال السلطان الري ، التحق بهم مجد الدولة ، وقبض حاجب السلطان أمير للجيش على مجد الدولة وأبى دلف ابنه ، وعلم السلطان بهذا الخبر ، فلم يتوقف بمكان حتى وصل ولاية الري ، واحضروا له من خزانة الري مبلغ ألف ألف دينار وما يوازي خمسمئة ألف دينار جواهر ، وستة آلاف ثوب صوفى وأدوات ذهبية وفضية ، واستدعى السلطان محمود مجد الدولة وسأله : هل رأيت

الشاهنامه (١٠٦) وهى تاريخ ملوك الفرس وتاريخ الطبرى (١٠٧) الذى يتضمن وقائع أرباب الاسلام أيضا؟ قال : بلى ، فسأله السلطان هل تلعب الشطرنج ، قال : نعم قال السلطان : غير مكتوب فى هذه الكتب ان حكم ملكان فى مملكة واحدة ، ولا يجتمع ملكان فى الشطرنج فى مكان واحد وقالوا : قال السلطان : عليك ان تختار شخصاً أقوى منك ، ثم حبس مجد الدولة وابنه ونوابه ، وأرسله إلى غزني ، وأرسل رسالة إلى الخليفة القادر كتب فيها : جئنا إلى الري ، وقبضنا على مجد الدولة ، ووجدنا فى قصره خمسين امرأة حرة ، من جملتهم ثلاثين امرأة وزيادة أمهات لمن أبناء ، سألتنا عنه على أى مذهب يسير ، أجاب : كانت عادة اسلافنا كذلك ، وقتلنا جماعة من الباطنية الذين كانوا يلزمونه ، ونفينا المعتزلة الذين كانوا يقيمون فى الري ، وأرسلناهم إلى خراسان (١٠٨) ، ويذكرون أنه كان فى مكتبة مجد الدولة كتباً كثيرة كانت تشتمل على كلام أهل الاعتزال ، وقد أحرقت ، وحملنا الباقي إلى خراسان ، وترك ابنه مسعود فى الري ، وعاد إلى غزني كما ذكر من قبل .



حكومة سلطان الدولة (١٠٩) بن بهاء الدولة

عندما توفى بهاء الدولة فى أرجان ، حل محله سلطان لدولة (١١٠) ، وتوجه من أرجان إلى شيراز ، وأرسل أخاه جلال الدولة إلى البصرة ، وسير أخاه الثانى أبا الفوارس إلى كرمان ، وعندما تمكن أبو الفوارس من كرمان ، تحالف جماعة من الديلمة ، وثاروا مع الأخ ، وجمع جيشاً كبيراً ، وتوجه إلى شيراز ، ولما لم يكن سلطان الدولة فى فارس فقد استولى على هذه البلاد فى سهولة ، وعلم سلطان الدولة بالأمر ، فجمع جيشاً ، وتوجه إلى أخيه وخرج أبو الفوارس من شيراز ، وحارب سلطان الدولة (١١١) ، وعاد مهزوماً إلى كرمان ، وتعقبه سلطان الدولة ، فترك أبو الفوارس كرمان ، وتوجه إلى خراسان ، وعندما التحق بيمين الدولة محمود ، وبالغ محمود فى اكرامه ، وكان يقدمه فى المجلس الذى يجلس فيه الأمراء على داراء بن شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، واستاء داراء من هذا الأمر ، فقال فى المجلس : إن اباءه كانوا يخدمون آبائى ، ويعنى من هذا القول ، إن عماد الدولة واخوته كانوا يلزمون فى عهد سابق مرداويج بن زياد عم قابوس ، قال السلطان محمود : انه يسمو عليك لأن آباه قد استولوا على المملكة بضرب السيف ، وهدفه السلطان من هذا هو أنه انتزع الملك بمحاربة السامانيين .

وعموماً لقد رعى يمين الدولة محمود حال أبى الفوارس ، وبعد فترة وجيزة ، أرسل أبا سعيد الطائى — الذى كان ضمن الأمراء العظام — بجيش جرار برفقته إلى العراق ، وتوجهوا

أولاً إلى كرمان ، واستولوا عليها ، وتوجهوا من هناك إلى فارس ، فاستولوا على شيراز أيضاً ، وفي ذلك الحين كان سلطان الدولة في بغداد ، وأهمل أبو الفوارس رعاية أبي سعيد الطائي فاستاء خاطره ، وعاد ، واشتكى في مجلس السلطان من أبي الفوارس ، وبعد عودة أبي سعيد الطائي ، سار سلطان الدولة من بغداد ، وتوجه إلى شيراز ، فترك أبو الفوارس فارس ، وتوجه إلى كرمان ، فأرسل سلطان الدولة جيشاً خلفه ، ولما كان أبو الفوارس قد أساء إلى السلطان محمود توجه إلى همدان ، والتحق بشمس الدولة بن فخر الدولة ، وتوجه من هناك إلى مطابج ، وسعى مهذب الدولة صاحب مطابج لأكرامه ، وقدم إليه تحفاً لائقة (١١٢) ، وفي أثناء ذلك أرسل جلال الدولة أخو أبو الفوارس من البصرة إليه أقمشة قيمة ، وجياداً عربية وفضة كثيرة ، وبعث إليه برسالة من أنك لو اتجهت إلى هنا ، سأقدم لك مراسم الطاعة ، وتبذلت الرسل بين الأخوين ، وقررا أن يترك سلطان الدولة كرمان لأبي الفوارس كما كان من قبل ، وعليه لا يجوز أن يخالف أخاه بعد ذلك .

وفي سنة ٤٠٩ هـ حكم أبو الفوارس كرمان ، وفي سنة ٤١١ هـ مال أغلب جيش العراق لأبي علي حسن بن بهاء الدولة الذي كان يسمونه شرف الدولة ، وقال له نواب سلطان الدولة : يجب أن تقبض على أبي علي وإلا حدثت الفتنة ، وتوجه سلطان الدولة للقبض عليه ، ولكن لم يتيسر ، ولما كان أغلبية الجيش بخدمة شرف الدولة ، خاف سلطان الدولة ، وذهب إلى واسط وقام النزاع بين الأخوين ، وأخيراً قررا ألا يوزر ابن سهلان ، ويقوم شرف الدولة بالإنبابة عن أخيه في العراق العربي ، ويقم سلطان الدولة في فارس والاهواز ، وبناء على هذا القرار ، توجه سلطان الدولة من واسط إلى الأهواز ، وعندما وصل تستر وزير ابن سهلان ، واستاء شرف الدولة من هذا التصرف لما كان قد قرراه من قبل بالأدخول له بأمر المملكة ، وأعد سلطان الدولة جيشاً ، وأرسله بصحبة ابن سهلان ، ليطرد شرف الدولة من العراق العربي ، وتوجه شرف الدولة لاستقباله بما تيسر له من جيش ، وبعد الحرب هزم ابن سهلان ، ولاذ بقلعة واسط ، وحاصره شرف الدولة ، وأصاب قحط شديد قلعة الربي ، وبلغت الأزمة درجة أنه لم يبق أثر لكلب أوقطة ، ولما طال الأمر على أهل واسط ، أخذوا لابن سهلان العهد والأمان والولاء لشرف الدولة . (١٣)

وفي ذي الحجة سنة ٤١١ هـ لقب شرف الدولة بملك الملوك « شاهنشاه » وأسقطوا اسم سلطان الدولة من الخطبة ، وفي سنة ٤١٢ هـ تبعه أخوه جلال الدولة حاكم البصرة (١١٤) ، وسمل عيني ابن سهلان ، ولهذا بدت آثار الضعف والانكسار على وجنات سلطان الدولة ، وحاربوا الترك الذين كانوا في الأهواز مع اتباع سلطان الدولة ، وسلبوا أموالهم .



حكومة أبي على شرف الدولة بن بهاء الدولة

في بداية سنة ٤١٢ هـ قرأت الخطبة في بغداد باسم شرف الدولة ، وأسقطوا اسم سلطان الدولة ، واستأذن جماعة من الديلمة — الذين كان اتباعهم في الأهواز — من شرف الدولة ، بأن يتوجهوا إلى تلك البلاد و يزوروا أهلهم وعيالهم ، و يعودوا ، فأذن لهم وصحبهم ، وزيره أبوغالب ، وعندما وصل الديلمة إلى الأهواز ، تغلبوا على أبي غالب وقتلوه ، وفتر الأتراك — الذين كانوا في ولاء لشرف الدولة — ولجأوا بخيريرئيس ، وعندما وصل خبر قتل الوزير إلى سلطان الدولة سُري ، لأنه كان يخشاه كثيراً ، وأرسل ابنه أبا كالتجار إلى الأهواز وفي سنة ٤١٣ هـ حدث صلح بين سلطان الدولة وشرف الدولة على أساس أن يكون العراق العجمي لشرف الدولة وفارس وكرمان لسلطان الدولة ، وأقسما بالأل يقصد أحدهما ولاية الآخر. (١١٥)

وفي سنة ٤١٥ هـ توفي سلطان الدولة في شيراز (١١٦) ، وكان ابنه أبو كالتجار في الأهواز ، فأرسل ابن مكيم الرسل من شيراز لاستدعائه ، وأرسل الأتراك — الذين كانوا في فارس — رسالة إلى كرممان ، واستدعوا أبا الفوارس ، وخرج أبو الفوارس من كرممان ، ووصل قبيل وصول أبي كالتجار إلى شيراز ، وقبض على ابن مكيم ، وحرص أبو القاسم بن مكيم الذي كان في خدمة أبي كالتجار على الذهاب إلى شيراز ، وأعد أبو كالتجار جيشاً جراراً من الأهواز وخوزستان وتوجه إلى فارس ، ولما لم يجد أبو الفوارس طاقة للمقاومة ، عاد إلى كرممان. (١١٧)



حكومة أبي كالتجار بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة

عندما توجه عمه أبو الفوارس إلى كرممان ، دخل أبو كالتجار (١١٨) شيراز ، واستقر على عرشها ، وتكون الديلمة فرقة له ، قال بعضهم : يجب أن تطرد أبا الفوارس من كرممان ، وذكر بعضهم كلمة الصلح خير ، وفي أثناء ذلك ثار الجنود ، وطلبوا راتبهم ، ولم يكن بالخزانة نقداً ، وعجز أبو كالتجار عن ضبط وإدارة الجيش لصغرسنه ، واضطر للخروج من شيراز ، وذهب إلى نوبندجان ، وبسبب حرارة الجو مرض أكثر الجنود هناك ، ومن هناك توجه إلى شعب بوان ، وأرسل جماعة من الديلمة — الذين كانوا في شيراز — رسولاً إلى أبي الفوارس ، وأرسلوا رسالة من ان المدينة خالية ، وقاد الجيش إلى هناك ، وسلمه الديلمة المدينة ، وتوجه أبو الفوارس إلى شعب بوان بعد الاستيلاء على شيراز ، وعندما وصل إلى هذه النواحي ، توسط المصلحون وقالوا : الصلاح في أن تكون شيراز وكرمان لأبي الفوارس ، و يرضى

أبو كالنجار بحكومة الأهواز، وعاد أبو الفوارس إلى شيراز، وتوجه أبو كالنجار إلى ارجان، وصادر أبو الفوارس الأهالي، فاستاء الجماعة - الذين كانوا قد استدعوه - من فعلته، وفر جماعة منهم، والتحقوا بأبي كالنجار، وعاد النزاع والعداء بين العم وابن أخيه ثانية، وتوجه أبو كالنجار إلى فارس، واستعد أبو الفوارس بالجيش وخرج من المدينة لاستقباله، وبعد الحرب هُزم، وفر إلى دارابجرد، وتمكن أبو كالتجار من عرش فارس (١١٩)، وسنذكر باقي حالاته قريباً إن شاء الله العزيز.



حكومة جلال الدولة بن بهاء الدولة

في ربيع الأول سنة ٤١٦ هـ مات شرف الدولة، وكان عمره ثلاثاً وعشرين سنة، وثلاثة أشهر، وأيام حكومته خمس سنوات وخمسة أيام، وحين أدركته الوفاة كان أخوه أبو طاهر جلال الدولة في البصرة، وكانوا يردفون اسم جلال الدولة عقب اسم الخليفة، وأرسلوا الرسل لطلبه، وتأخر أتباعه في التوجه إلى دار السلام عدة أيام حتى أسقطوا اسمه من الخطبة، وعلم جلال الدولة بهذا الأمر (٢٠)، فتوجه إلى بغداد، وعندما وصل إلى هذه النواحي تقدمت جماعة من جيش الخليفة لمنعه، ولم يمتنع، وسلك طريق الحرب، وانتهب البعض خزائن جلال الدين، فاضطر العودة إلى البصرة.

وفي سنة ٤١٧ هـ سيطر الأتراك على بغداد، وسعوا المصادرة وتأديب الرعية، ووقعت معارك بينهم وبين العامة، وانتصر الأتراك، ونهبوا كثيراً من الأغنياء، وأحرقوا دروب وأسواق بغداد، وعلى الرغم من غلبة الجنود إلا أنهم أرسلوا إلى جلال الدولة، خشية أن يقصد دار السلام الأكراد والعرب من الأطراف ولا يستطيعوا صددهم، وفي جمادى الأولى سنة ٤١٨ هـ خطبوا في بغداد باسمه مرة أخرى، وفي رمضان من السنة المذكورة أسرع جلال الدولة من البصرة إلى بغداد، وذهب إلى دار الخلافة، وقبل الأرض، وأبدى الخليفة تكريماً له، وبعد ذلك ترك جلال الدولة في قصر الامارة، وأمر أن يضربوا الطبول على باب دار الامارة خمس مرات، ومنعه الخليفة من ذلك، وأدرك جلال الدين غضب الترك من هذا المنع، وبناء على مصلحة الملك ندم لهذا المنع وسمح أن يضربوا الطبول على باب قصره خمس مرات. (١٢١)

وفي سنة ٤١٩ هـ ثار الأتراك على جلال الدولة، وطلبوا من أبي علي بن ماكولا وزيره الرواتب، ونهبوا بيته وحاصروا جلال الدولة في قصره، وتوسط الخليفة، وباع جلال الدولة فرشه وثيابه، وسلمه لهم ليسكن الفتن، وفي هذه السنة وقع نزاع بين الأتراك والديلمة في البصرة، واتخذ ملك عزيز أبو منصورين جلال الدولة جانب الأتراك، وتوجه الديلمة إلى الأبله، وامتد الخلاف

بين الفريقين ، وانتهاز أبو كالتجار الفرصة ، وكان في الأهواز ، وأرسل جيشاً ليستولى على البصرة ، ومن هناك قصد واسط (١٢٢) ، وعندما وصل إلى هناك ، انتهب جماعة من اتباع جلال الدولة — كانوا في تلك البلدة ، وأراد جلال الدولة أن يتوجه إلى واسط لدفعهم ، ولم يوافق الجيش ، وطلبوا منه الرواتب ، ولما لم يكن لديه مال ، بدأ بالمصادرة ، ولهذا نفر أهالي بغداد منه وقتلوه . (١٢٣)



قوام الدولة أبو الفوارس بن بهاء الدولة وتتمة أحوال أبي كالتجار

وجلال الدولة ونهاية أمرهما

ان أكثر أحوال أبي الفوارس مسطورة ضمن حكايات أخوته ، إنه في سنة ٤١٩ هـ جمع جيشاً جراراً وتوجه إلى فارس ، ومات حين كان متوجهاً إلى ولاية أخرى وكان أمراء وأعيان كرمان قد استدعوا أبا كالتجار من الأهواز ، وصار حاكماً مطلقاً في فارس وكرمان دون استعمال السيف والسنان ، وتحمرر الناس من ظلم أبي الفوارس .

وكان أبو الفوارس عندما يشرب يضرب ندماء مجلسه ، وذات مرة أمر وهو ثمل ان يضربوا الوزير مائتي سوط ، وعندما فاق ، أقسم بالطلاق انه لم يقل لأحد (١٢٤) ، وعموماً عندما استقل أبو كالتجار بالحكم ، قاد الجيش وتوجه إلى واسط ، وخرج جلال الدولة أيضاً من بغداد بجيش جرار أثناء ذلك علم أبو كالتجار أن السلطان محمود قد استولى على الري ، وبصدد استخلاص سائر ولايات العراق ، فأرسل رسولاً إلى جلال الدولة وقال له : « إذا كنا قد تنازعنا من قبل فالآن دخل مملكتنا غريب ، ومن المناسب أن نترك هذا النزاع ، ونطرد سوياً العدو من ملكنا الموروث ، ولم يهتم جلال الدولة بهذا القول ، وقاد الجيش إلى الأهواز ، وانتهبها ووقع مال كثير من دار الامارة في يده ، وفي آخر ربيع الأول سنة ٤٢١ هـ تلاقيا بجيوشها ، وتحارباً ثلاثة أيام بلياليها وانهمز أبو كالتجار ، وقتل ألفان من الجيشين ، وتوجه أبو كالتجار بحال سيئة إلى الأهواز ، وسار جلال الدولة بعد النصر إلى واسط ، وأسرع إلى بغداد .

وفي سنة ٤٢٢ هـ توفي القادر بالله ، وحل محله القائم بأمر الله ، ومرة ثانية أثار الأتراك الفتنة في بغداد (١٢٥) ، وانتهبوا قصر وزير جلال الدولة ، فخرج من دار السلام ، وذهب إلى أعكبرا ، وقرأوا الخطبة في بغداد باسم أبي كالتجار ، وطلبوه من الأهواز ، ومنع عادل بن ياقته أبا كالتجار من التوجه إلى بغداد ، وعندما يشس البغداديون من وصوله ، أعادوا تلاوة الخطبة باسم جلال الدولة ، وذهب بعض الأتراك إليه ، واعتذروا ، وأحضره إلى بغداد .

وفي سنة ٤٢٦ هـ ضعفت الخلافة والسلطان في بغداد ، وتناول العيارون ، وجاء الأكراد والأعراب قرب دار السلام ، وانتهبوها ، ولم يكن لدى الخليفة ولا السلطان قوة لمنعهم ، ووصل

تسلط العيارين درجة انهم كانوا يهاجمون القصور نهاراً (١٢٦) ، و يشعلون نار النهب والسلب وفي سنة ٤٢٧ هـ خرج الأتراك من بغداد ، وأرادوا أن يخرجوا جلال الدولة من دار السلام ، واشتعلت الحرب .

وفي سنة ٤٢٨ هـ قُتل قائد الترك ، ولهذا طرأ ضعف على حال أعداء جلال الدولة ، وحدث أيضاً تصالح بين أبي كالنجار و جلال الدولة ، وأقسماً ألا يخالفا بعضهما (١٢٧) ، وخلع الخليفة القائم خلعة على أبي كالنجار وفي سنة ٤٢٩ هـ لقبوا جلال الدولة بملك الملوك ، وفي البداية امتنع عن هذا اللقب ، ولكن عندما أفتى الفقهاء بجوازه ، رضى (١٢٨) ، وفي سنة ٤٣٠ هـ وفي الثالث والعشرين كانون الآخر سقط في بغداد ثلج لدرجة أن ماء دجلة ظل ستة أيام متجمداً وفي سنة ٤٣١ هـ ، وقع نزاع بين أتراك بغداد و جلال الدولة ، فرحل جلال الدولة من الجانب الشرقي إلى الجانب الغربي ، وأرسل إلى الأطراف واستدعى الجيوش ، وكان الأتراك يعتدون و يسلبون الناس أموالهم . (١٢٩)

وفي سنة ٤٣٤ هـ دخل إبراهيم نبال سلجوقي العراق ، واستولى على همدان ، وبعده نزل طغرل بك في الري ، وفي شعبان سنة ٤٣٥ هـ توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بمرض ظهر في كبده ، وتصادف أنه ولد في سنة ٣٣٣ هـ وامتدت فترة إمارته ببغداد إلى ست عشرة سنة وأحد عشر شهراً ، ودفنوه في قصره ، وكل شخص يعلم سيرة جلال الدولة وضعفه وجبنه وسيطرة الجيش والنائب عليه ، ودوام ملكه حتى هذا الوقت ، يدرك أن الشقاء والسعادة من عداد الأمور التي تدخل في حكم إرادة الحق وكفى (١٣١) «توتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء» . (١٣٢)

وعندما توفي ذهب خاصته وأقرباؤه خوفاً من الترك إلى دار الخلافة ، وأرسل الخليفة أشخاصاً ليحمي منازلهم من النهب والسلب ، وفي ذلك الوقت كان أبو منصور ابنه الأكبر في واسط ، فأرسل بعض أعيان بغداد رسولاً إليه ، وأظهروا الطاعة ، ومال بعضهم إلى صف أبي كالنجار ، واستدعوه ، وكان ملك عزيز أبو منصور قد توجه إلى هناك قبيل وصول رسول بغداد إلى واسط ، وعندما اقترب من دار السلام بمنزلة ، وبسبب غدر الجنود أعاقوا امارته وتوالت الرسائل بين البغداديين وأبي كالنجار ، وفي رمضان سنة ٤٣٦ هـ استقر على امارة العراق العربي . (١٣٣)

وفي سنة ٤٣٧ هـ أخذ والي اصفهان من طغرل بك الخراج ، وفي سنة ٤٣٩ هـ حدث صلح بين أبي كالنجار والسلطان ركن الدين طغرل بك ، وكتب طغرل بك إلى إبراهيم نبال بأن يحافظ على ما استولى عليه من بلاد الديلمة ، وألا يتعرض أحدها لأننا تصالحنا معهم ، وتزوج طغرل بك ابنة كالنجار ، وتوفي أبو كالنجار مرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة في نواحي كرمان (١٣٤) ، وسبب موته بعد ارادة الباريء سبحانه وتعالى هو انه ذهب للصيد في يوم من الأيام

بنواحي كرمان ، وأمر أن يشووا له أكباد غزلان ، فظهر في حلقة التهاب ، وحم ، وبعد عدة أيام ودع الدنيا الفانية ، كان عمره أربعين سنة ونصف ، كانت مدة إمارته في بغداد بعد وفاة جلال الدولة أربع سنوات وثلاثة أشهر ، وفي يوم وفاته انطلق الأتراك في النهب وسلب الخزائن والأسلحة والدواب ، وذهب ابنه أبو منصور فولادستون (١٣٥) إلى خيمة الوزير ، فتوجه الأتراك إلى منزل الوزير لينهبوه ، فتجمع الديلمة ، وثبتوا فاضطروا الأتراك إلى العودة ، ورحل الديلمة وتوجهوا إلى شيراز ، وحل أبو منصور في فارس محل أبيه .

حكومة خسرو بن فيروز بن أبي كالنجان مرزبان بن سلطان الدولة

ابن بهاء الدولة

عندما وصل خبر وفاة أبي كالنجان إلى بغداد جمع ابنه خسرو وفيروز الأمراء ، وبايعوه وعاهدوه ، ولقبوه بالملك الرحيم (١٣٦) ، وأرسل الملك الرحيم جيشاً بصحبة أخيه إلى شيراز ، ليستولى على هذه البلاد من يد أبي منصور فولادستون ، وكان أخوه أيضاً وتوجه أبو سعيد بموجب الأمر إلى فارس ، واستولى على شيراز .

وفي هذه السنة توجه الملك الرحيم إلى خوزستان ، ومن هناك توجه إلى شيراز ، وعندما اقترب من المدينة مال جماعة من أتراك شيراز وجماعة من الديلمة إلى أخيه فولادستون — الذي كان في قلعة اصطخر — وخلف الملك الرحيم ، وعاد مع البغداديين إلى الأهواز ، واجتمع جمع غفير تحت راية فولادستون ، واستولى فولادستون على شيراز ، وتوجه إلى الأهواز ، فتوجه الملك الرحيم إلى رامهرمز ، وأسرع منصور فولادستون عقب أخيه ، وتلاقى الفريقان في وادي نمك ، وفي يوم الوغى توجه جماعة من جيش الملك الرحيم إلى أبي منصور ، وهزم الملك الرحيم مع بقية الجيش وأخويه أبي طاهر وأبي سعيد (١٣٧) ، ولم يتوقفوا بمكان قط حتى واسط وبعد هذه المعركة ، وقعت حروب أيضاً بين الملك الرحيم وأخيه أبي منصور ، وكان الملك الرحيم وفي سنة ٤٤٧ هـ قاد الملك الرحيم الجيش إلى شيراز ، وكان أخوه منصور ، قد استولى على شيراز ، بمساعدة طغرل بك السلجوقي ، وكان يقرأ الخطبة في هذه الولاية باسم طغرل بك ، وعندما علم بخبر توجه الملك الرحيم ، ترك شيراز ، وتوجه إلى فيروز آباد ، واستولى الملك الرحيم على بلاد فارس ، وعاد إلى واسط ، وفي تلك الأثناء تبودلت الرسائل بين الخليفة القائم وطغرل بك ، ومد بساط الصداقة ، وأمر الخليفة أن يذكر واسم طغرل قبل ذكر الملك الرحيم ، وأرسل طغرل بك الهدايا إلى الخليفة ، وعرض عليه « إنني أريد أن أزرع بيت الله عن طريق بغداد على ألا ينقص ولو

مَنْ واحد للرعايا ، وسمح له الخليفة وتوجه طغرل بك إلى بغداد (١٣٨) ، وعندما سمع الملك الرحيم بخبر توجه طغرل بك سبقة إلى دار السلام ، ووصل طغرل بك إلى نواحي بغداد ، وأرسل جماعة من أركان دولته إلى دار الخلافة وقال إن هدى اعتبار الخلافة ، ويجب ألا يتحرك أحد قط من مكانه لأننى لأحمل عداة لأحد .

وفى الخامس والعشرين من رمضان توجه طغرل بك إلى بغداد ، وتوجه إليه رئيس الرؤساء وهو صاحب رأى الوحيد فى المملكة ، فقدم طغرل مراسم التكريم والاجلال ، وفى اليوم الأول تعامل التركمان مع عوام بغداد بطريقة طيبة ، وفى اليوم التالى طلب تركمانى من بغدادى شيئاً وألح عليه ، ولم يفهم هذا الرجل اللغة التركية ، المهم وصل الأمر إلى أن استغاث هذا الرجل ، وجمع جماعة من عوام المدينة ، فضربوا هذا التركى كثيراً ، واعتقد سائر الناس أن التركمان يتحاربون مع جيش الملك الرحيم ، ولما كانوا غير راضين بمجىء الملك الرحيم ، فكانوا كلما وجدوا تركمانياً قبضوا عليه ، ولو سمح الملك الرحيم لجيشه بالقتال فى ذلك اليوم ، ما بقى أثر للتركمان (١٣٩) ، على الرغم من أن الخليفة يعظم و يبجل طغرل بك .

وتوجه الملك الرحيم إلى دار الخلافة وبرأ ذمته من هذه الفتنة ، وتجمع أهل بغداد لقتال جيش طغرل بك ما عدا أهل الكرخ ، وحدثت فتنة عظيمة ، وقتل خلق كثير من الطرفين ، وفى النهاية هُزم البغداديون ، وأطلق التركمان يد السلب والنهب ، وكان طغرل بك وأعيان دولته يعتقدون أن هذه الفتنة من تدبير الملك الرحيم ، وأسر التركمان كثيراً من أهل بغداد ، وأشعلوا النيران فى المحلات خارج المدينة ، واستولى على الشوارع والحارات ووصلوا إلى قصور رئيس الرؤساء ، ولم يدعوه لحظة دون تخريب ، وكل من كان يقدم لمنعهم كانوا يقتلونه ، حتى وصلوا إلى مدافن الخلفاء ، ومن هناك أخرجوا ما لاحصر له ، وكان الناس يتصورون أن التركمان يرعون الخلفاء ولن يسيثوا لهم ، وصار باقى أهل المدينة فى وجل ورعب .

وأرسل طغرل بك رسلاً إلى الخليفة ، وأرسل له رسالة من اننا نعلم بأن الملك الرحيم لا دخل له فى هذه الفتنة ، ولو لم يأت لما بقى لأحد أدنى شك من انه سبب اثاره هذه الفتنة ، وأرسل بصحبة رسله رسالة أمان إلى الملك الرحيم وأصحابه ، وأرسل الخليفة القائم جماعة مع الملك الرحيم ، وأرسل إلى طغرل بك ، وأعتذر من أن لا جريمة للملك الرحيم وخواصه ونوابه ، ولكن عندما وصلت هذه الجماعة إلى معسكر طغرل ، انتهب التركمان أولاً رسل الخليفة ، وقبضوا على الملك الرحيم وأتباعه ، وحبسوه بموجب الأمر ، وأرسل الخليفة رسلاً إلى السلطان وأنكر عليه هذه الأفعال ، وقال : هؤلاء القوم جاءوا بطلب منى ، وقد وثقت فى قولك ، فاذا تركته فيها وألا أترك لك بغداد ، وأرحل لأنك فى البداية قدمت التعظيم

لدار الخلافة ، والآن يحدث خلاف ذلك ، فرد عليه طغرل بك : ان ما كنا نعتقده في الخليفة
مازال كما هو ، وما فعله جماعة الأتراك في هذه الفترة بمقتضى طبيعتهم ، وهم لا يؤدبون
إلا بالصلاح .

وبعد ذلك استولى طغرل بك على أموال الجنود والأتراك المدين كانوا في بغداد ، وأعاد
إليهم اقطاعاتهم ، وأخذ أموالاً كثيرة من الملك الرحيم وأتباعه ، وحبس الملك الرحيم في قلعة
من القلاع حتى مات ، وتفرق التركمان في سواد بغداد ، وأخذوا في السلب والنهب لدرجة
أن الشور كان يباع في بغداد بخمسة قرار يط والحمار بثلاثة قرار يط ، وخربت جميع أعمال
وتوابع دار السلام إلا الكرخ التي لم يتعرض لها التركمان بسوء واهتموا بها .



سلطنة أبي منصور فولادستون الذي ختمت سلطنة الديلم به

بعد أسر الملك الرحيم ، تصارع أبو منصور وأبوسعيد ولدا عز الملوك أبو كالنجار مرزبان بن
سلطان الدولة بهاء الدولة بن عضد الدولة ، ووقعت بينها الحروب ، وآخر الأمر قُتل أبوسعيد
غذرا ، واستقر أمر فارس لأبي منصور ، وخرجت الأم على أبي منصور حتى مات صاحب
العادل وكان وزير أبيه ، وخرج أيضا الفضل بن حسن قائد قواد صاحب وكان يشتهر بين
أرباب الشوار يخ «بفضلو به» ، خرج على أبي منصور ، وقبض عليه ، وحبسه بقلعة من
القلاع حتى مات . (١٤٠)

وفي سنة ٤٤٨ هـ استولى الفضل بن حسن على مملكة فارس ، وعند توجه الملك القادر
السلجوقي من كرمان إلى فارس ، فرفضلويه ، وأسرع إلى ألب ارسلان ، وأخذ مملكة فارس
منه مقاطعة ، وعندما استقل بها أبدى عصيانا ، فسار إليه خواجه نظام الملك بموجب الأمر
بجيش وبعد القتال أسره ، فأرسله إلى قلعة اصطخر ، وظل حبيساً هناك حتى مات . (١٤١)



ذكر أبي علي كيوخسرو بن عز الملوك أبي كالنجار

توجه أبو علي لخدمة ألب ارسلان ، فأقطعه السلطان نوبندجان ، وكلما كان يأتي إلى
السلطان ، كان السلطان يقدم له الاحترام ، ويجلسه إلى جواره ، وأكرم جميع آل سلجوق
كيوخسرو ، وعاش بعد اخوته قرابة أربعين سنة حتى لحق بجوار الحق سنة ٤٨٧ هـ وبعده لم

يبقى من هذه الطبقة إلا الاسم ، « وتلك الأيام نداؤها بين الناس » (١٤٣) « وما يعقلها
إلا العالمون » (١٤٤) . — ()

وليحفظ الباريء سبحانه وتعالى حامى المملكة ومنفذ شريعة الله مقرب الحضرة
السلطانية ومعز الدولة الخاقانية من تصارييف الزمان حتى آخر الأيام ، وليبلغه نيل المساعى
والأمانى الدنيوية والأخروية ، وليكرمه فى الأولى بالذكر الجميل وفى الآخرة بالثواب
الجزيل .



حاشية دولة آل بويه (الديلم)

- (١) لأبى اسحق ابراهيم بن هلال الصابى الحرانى المتوفى ٣٨٤ هـ واسم الكتاب المنتزع من كتاب التاجى فى أخبار الدولة الديلمية - نسخة مصورة بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة ١٢٦٢ .
- (٢) بويه بن فنا خسرو بن تمام كوهى بن شيرزىل الأصفر بن شيركنده بن شيرزىل الأكبر ابن شيران شاه بن شيرويه بن سيستان شاه بن سيس فيروز بن سباد بن بهرام جور الملك بن يزدجر الملك بن هرمز الملك بن شابور الملك بن شابور ذى الأكتاف (ابن الأثير ٧ / ٢٣٠) ويرى بعضهم أن هذا النسب مشكوك فيه (ابن خكان وفيات الاعيان ١ / ١٠٩) وينسبه البيرونى إلى العرب فقال : بهرام بن بهرام بن الضحاك بن الأبيض بن معاوية بن الديلم بن باسل ن آدم (الآثار الباقية عن القرون الخالية ٣٨) .
- (٣) انظر البيرونى فى الآثار الباقية عن القرون الخالية ٣٨ - ابن الأثير ٧ / ٢٣٠ .
- (٤) تجارب الأمم لابن مسكويه ٦ / ٢٧٩ .
- (٥) ابن الأثير ٧ / ٢٣٠ .
- (٦) كان فقيراً يصطاد السمك ويحتطب بنوه الحطب على رؤسهم (ابن كثير ١١ / ١٧٣) .
- (٧) عماد الدولة أبو الحسن على ، وركن الدولة أبو على الحسن وممزر الدولة أو الحسن أحمد (ابن الأثير ٧ / ٢٣٠ - ابن كثير ١١ / ١٧٣ - ابن طباطبا : الفخرى فى الآداب السلطانية ٢٠٤) .
- (٨) وردت نفس الرواية عند ابن الأثير ٧ / ٢٣٠ .
- (٩) طلب أبو شجاع من أولاده أن يصفوه (ابن الأثير ٧ / ٢٣١ - ابن كثير ١١ / ١٧٣) .
- (١٠) ما كان بن كالى (ابن الأثير ٧ / ١٣١) ما كان بن كانى (ابن كثير ١١ / ١٧٤) .

- (١١) مرداويج بن زياد (الروضة ص ٤٤) رينارز ابن الاثير ٢٣١/٧ ابن كثير ١٠٨/١١) مرداويج بن زياد الديلمي (الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق خلال القرن الخامس الهجري ص ٣) مرداويج بن زياد الديلمي (تكملة تاريخ الطبري ٢٩١/١١) .
- (١٢) نتيجة لضعف ما كان قالوا : نحن في جماعة وقد صرنا ثقلاً عليك ، وأنت مضيق والأصلح لك أن تفارقك لنخفف عنك مؤنتنا ، فإذا صلح أمرنا عدنا إليك (ابن مسكويه - تجارب الأمم ٢٧٧/١ - ابن الاثير ٢٣١/٧) .
- (١٣) عندما أرسله إلى الكرخ أحب الناس فحسده مرداويج وبعث إليه بعزله (ابن كثير ١٧٤/١١) وردت عند ابن الاثير الكرخ (٢٣٢/٧) تكملة تاريخ الطبري ٢٩١/١١ .
- (١٤) المظفر بن ياقوت والي الخليفة العباسي على فارس - تجارب الأمم ٢٩٦/٥ - ابن الاثير ٣٢١/٧ - ابن كثير ١٧٤/١١ .
- (١٥) انظر تجارب الأمم وتكملة تاريخ الطبري والكامل والبداية والنهاية .
- (١٦) كان عماد الدولة مملقا ، فاستلقى على ظهره في مجلس من دار ياقوت وخلا فيه مفكراً ، فرأى حية قد خرجت من سقف منه إلى سقف ، فخاف ان تسقط عليه إذا نام فوجدوا خمسمائة ألف دينار فقيوت نفسه (تكملة تاريخ الطبري لمحمد بن عبد الملك الممذاني ٢٩٢/١١) وثبت أمره بعد أن اشفى على الأغلال (تجارب الأمم ٢٩٩/١) وجدوا عشرة صناديق مملوءة مالا (ابن الاثير ٢٣٥/٧) .
- (١٧) انظر القصة في تكملة تاريخ الطبري ١١ / ٢٩٢ - ابن الاثير ٢٣٥/٧ .
- (١٨) ربيع الأول سنة ٣٢٣ هـ (تكملة تاريخ الطبري ٢٩٣) وسبب قتله كثرة اساءته للأتراك (ابن الاثير ٢٤٤/٧) لأنه كان سبيء المعاملة لجنده ومحتقرهم غاية الاحتقار (ابن كثير ١٨٢/١١) قتله غلام تركي هو يحكم بتمر يض ابن ياقوت (انظر أخبار الراضي والمنفى ص ٢٠ للصولي) .
- (١٩) استولى على بغداد سنة ٣٣٤ هـ في عهد المستكفي بالله (ابن الاثير ٣١٤/٧ ابن مسكويه ٨٥/٢ ، ابن طباطبا ٢١٠ - ابن كثير ٢١٢/١١) .
- (٢٠) فتحها اصهبان والري وهمدان والعراق العجمي بالاضافة فارس والأهواز (انظر تكملة تاريخ الطبري ح ١١ ، ابن الاثير ح ٧ ، ابن كثير ح ١١ والفضري لابن طباطبا والمنتظم لابن الجوزي ح ٦٠ وتجارب الأمم لابن مسكويه ح ٥ أماكن متفرقة) .
- (٢١) شيرنجين (بن جليس) ابن الاثير ٧ / ٣٣٢ .
- (٢٢) أورد ابن الاثير القصة كاملة (الكامل ٧ / ٣٣٢) .
- (٢٣) ورد التاريخ ٣٨٠ هـ (روضة الصفا ص ٤٥) والصواب انه مات في جمادى الآخرة سنة ٣٣٨ هـ (ابن الاثير ٣٣٢/٧) .
- (٢٤) ست عشرة سنة (ابن كثير ١١ / ٢٢١) .
- (٢٥) كان معز الدولة قد توجه إلى بغداد وأحسن الخليفة المستكفي بالله استقباله ونزل في قطيعة أم جعفر وذلك في عام ٣٣٤ هـ (ابن كثير ١١ / ٢١٢ - تكملة تاريخ الطبري ١١ / ٣٥٦) ابن الاثير ٧ / ٣١٤) .
- (٢٦) كان يستعرض هدايا وصلة صاحب خراسان من جملتها خيل فاختر أحدها وركبه للصيد واعترضه خنزير يبرى ، حمل على وشمكير وهو غافل فألقاه أرضاً .. (ابن الاثير ٧ / ٢٣) وخرج الدم من أذنيه فمات من ساعته (ابن كثير ٢٦٣/١١) .
- (٢٧) ورد بالخطوط « درآسال سال نهم بود » روضة الصفا ص ٤٥ ، وقد ورد عند ابن الاثير انه مات في المحرم ٣٥٦ هـ (البداية والنهاية ١١ / ٢٦٣) .
- (٢٨) كافور الأخشيدي هو أبوالمسك كافور الحبشي الأسود الخادم الأخشيدي اشتراه الأخشيدي في مصر وتقدم عنده حتى صار من أكبر قواده لعقله ورأيه وشجاعته وصار اتابك ولد من بعده ، وقام بالملك بعد وفاة ابن الأخشيدي سنة ٣٥٥ هـ (حاشية الكامل ٧ / ٢٤) .

- (٢٩) نقضور ملك الروم ويدعى الدمستق وكان من أغلظ الملوك قلباً وأشدّهم كفراً وأقواهم بأساً ، وأحدهم شوكة وأكثرهم قتلاً وقتلاً لا للمسلمين في زمانه (ابن الأثير ٢٤/٧) .
- (٣٠) مات في المحرم سنة ٣٦٦ هـ (تاريخ غزيبه ص ١٤٢) انظر ابن الأثير الكامل ٣٦٦/٨ يتيمة الدهر للثعالبي ٢١١/٤ تكملة تاريخ الطبري ٤٥٠ ابن كثير ٢٨٥/١١ .
- (٣١) انظر ابن الأثير ٣٦٦/٧ - ابن كثير ١١/٣٨٥ .
- (٣٢) ملك فارس (حمد الله المستوفى ١٤٢) .
- (٣٣) يزد وأصفهان قم وكاشان ونظر وجربا دقان لمؤيد الدولة (حمد الله المستوفى ١٤٢) .
- (٣٤) كانت أيام ولايته نيفا وأربعين سنة (ابن كثير ١١/٢٨٥) .
- (٣٥) ورد ضمن أحداث ٣٢٢ هـ أن نصر بن أحمد هو الذي استولى على كرمان سنة ٣٢٢ هـ (ابن الأثير ٧/٢٣٦) .
- (٣٦) أبو علي بن العباس (حمد الله المستوفى ص ١٤٤) أبو علي محمد بن العباس (ابن الأثير ٦/٢٣٦) .
- (٣٧) ذكر صاحب الروضة عكس ما ذكره المؤرخون تماماً فقد أورد محمد بن عبد الملك الهمداني وابن الأثير وابن مسكويه وابن كثير أن توزون قد هزم معز الدولة وقتل وأسر من جيشه الكثير (تكملة تاريخ الطبري ١١/٣٤٤ - تجارب الأمم ٢/٥٠ - الكامل ٦/٢٩٥ - ٢٩٦ - البداية والنهاية ١١/٢٠٩ - ٢١٠) .
- (٣٨) انظر (ابن الأثير ٦/٣١٢ - ابن كثير ١١/٢١١) .
- (٣٩) استدعاه المستكفي ، فذهب إليه سنة ٣٣٥ هـ (حمد الله المستوفى ١٤٤) .
- (٤٠) انظر تكملة تاريخ الطبري ٣٥٤ / ابن الأثير ٦/٣١٤ - حمد الله المستوفى ١٤٤ - ابن كثير ١١/٢١١ .
- (٤١) انظر تكملة تاريخ الطبري ٣٥٥ - تجارب الأمم ٢/٨٨ - ابن الأثير ٦/٣١٥ - ابن كثير ١١/٢١٢ .
- (٤٢) تكملة تاريخ الطبري ٣٦٤ - ابن الأثير ٦/٣١٦ - ابن كثير ١١/٣١٦ .
- (٤٣) انظر تكملة تاريخ الطبري ٣٦٦ / ابن الأثير ٦/٣٢٥ - ابن كثير ١١/٢١٩ .
- (٤٤) تكملة تاريخ الطبري ٣٦٧ - ابن الأثير ٦/٣٢٩ - ابن كثير ١١/٢٢٠ .
- (٤٥) مرض بمرض يسمى فر يا فسمى وهو دوام الانعاط مع وجع شديد في ذكره مع توتر أعصابه (ابن الأثير ٦/٣٤٧ - ٣٤٨)
- (٤٦) انظر تكملة تاريخ الطبري ٣٨١ - ابن الأثير ٦/٣٥٠ - ابن كثير ١١/٢٣٠ .
- (٤٧) كتبها عامة الشيعة ببغداد بأمر معز الدولة على المساجد انظر ابن الأثير ٧/٤ كتبها العامة من الروافض على أبواب المساجد وابن كثير ١١/٣٤٠ - ٣٤١ .
- (٤٨) يعني أبا بكر الصديق .
- (٤٩) يعني مروان بن الحكم .
- (٥٠) يعني عثمان بن عفان :
- (٥١) يعني عمر بن الخطاب .
- (٥٢) انظر تكملة تاريخ الطبري ٤٠٧ - ابن الأثير ٧/٢١ - ابن كثير ١١/٢٦٢ .
- (٥٣) حكم فارس بوصية عمه سنة ٣٣٨ هـ (حمد الله المستوفى ١٤٦) .
- (٥٤) وردت بالخطوط ٣٣٨ هـ (روضة الصفا ٤٨) والصواب ٣٥٦ هـ نظراً لأن معز الدولة قد مات في هذه السنة .
- (٥٥) وردت سيرجون (روضة الصفا ٤٨) .
- (٥٦) انظر ابن الأثير ٧/٢٧ .

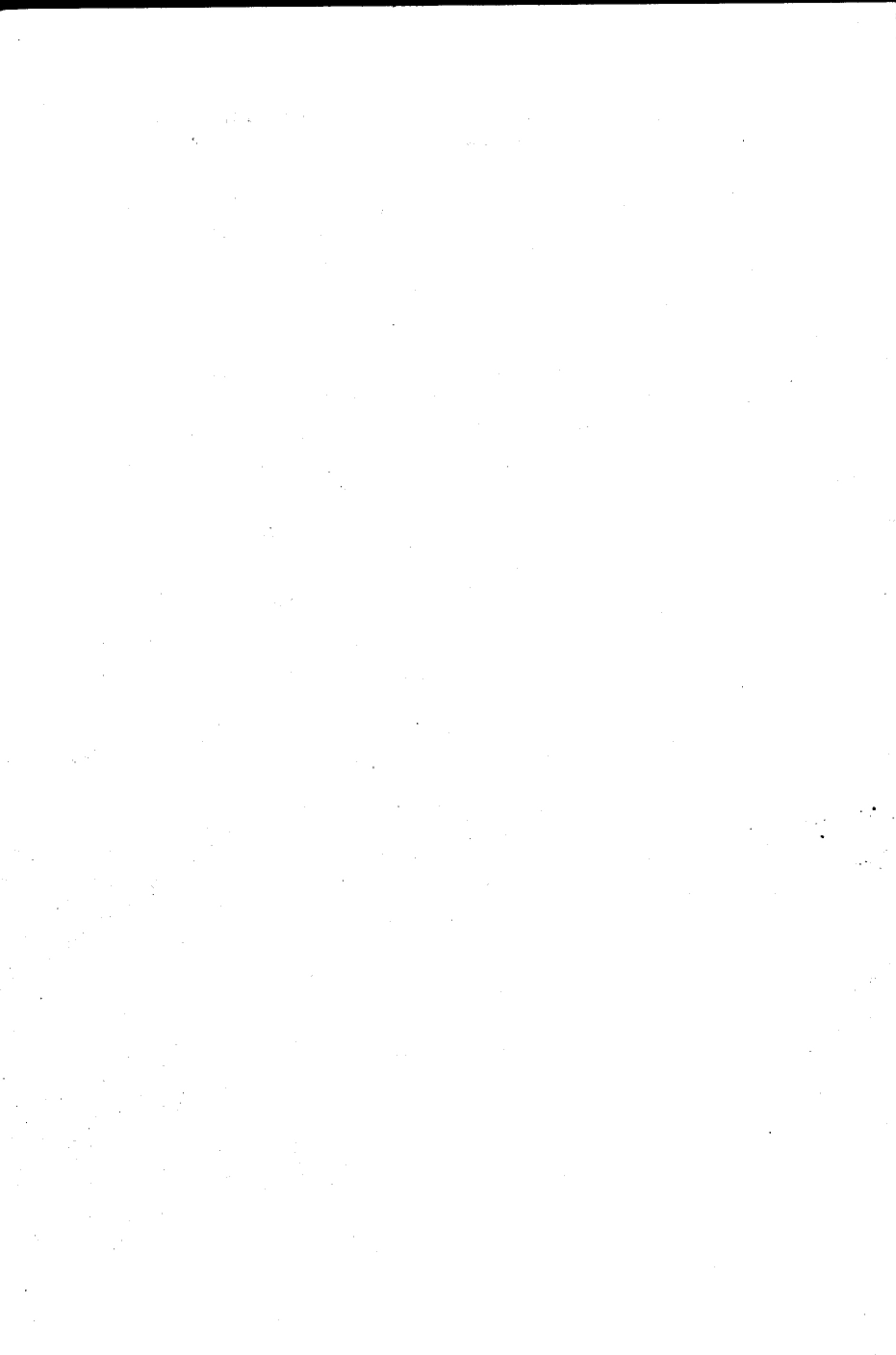
- (٥٧) ربيع الآخر سنة ٣٥٦ هـ تكملة تاريخ الطبري ٤٠٧ .
- (٥٨) خالف عز الدولة هذه الوصايا جميعها ، واشتغل باللهو واللعب وعشرة نساء والمساخر والمغنين ابن الأثير ٢٢/٧ - ابن مسكويه ٣٠٠/٢ - ابن كثير ٢٦٣/١١ .
- (٥٩) سنة ٣٦٣ هـ ابن الأثير ٥١/٧ - ٥٢ .
- (٦٠) أبو ثعلب بن حمدان - ابن الأثير ٥١/٧ .
- (٦١) وردت الأحداث ضمن سنة ٣٦٩ هـ (انظر الكامل ١٠٠/٧ - ابن كثير ٢٩٥/١١) .
- (٦٢) عمر المساجد واسواقها وأدر الأموال على الأئمة والمؤذنين والعلماء والقراء والغرباء والضعفاء الذين يأوون إلى المساجد وألزم أصحاب الأملاك الخراب بعمارتها وجدد مادثر من الأنهار وأعاد حفرها وتسويتها وأطلق مكوس الحجاج وأصلح الطريق من العراق إلى مكة شرفها الله تعالى وأطلق الصلوات لأهل البيوتات والشرف وأجرى الجريبات على الفقهاء والمتحدثين والمتكلمين والمفسرين والنحاة والشعراء والنسايين والأطباء والحساب والمهندسين (ابن الأثير ٧/١٠٠ - ١٠١) .
- (٦٣) اذن لنصر بن هارون وكان نصرانياً بعمارة البيع والأديرة وأطلق الأموال للفقراء (ابن كثير ٢٩٥/١١) .
- (٦٤) .. وفيها فتح المارستان العضدي غربي بغداد ، ونقل إليه جميع ما يحتاج إليه من الأدوية (الكامل ٧/١١١) وقد ورد الحدث ضمن أحداث سنة ٣٧٢ هـ عند ابن كثير ٢٩٩/١١ وورد عند ابن الجوزي في المنتظم ضمن أحداث سنة ٣٧٢ هـ) .
- (٦٥) . أوقف عضد الدولة على دار الشفاء مائة ألف دينار (حمد الله المستوفى ١٥٢) .
- (٦٦) الحاقة الجزء ٢٩ آية ٢٨ ، ٢٩ .
- (٦٧) هو أبو إسحق إبراهيم بن هلال بن الحسن الصابي صاحب تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء - نشره آمدروز سنة ١٩٠٤ م وله كتاب التاريخ نشره آمدروز سنة ١٩٠٤ م وله أيضاً رسوم دار الخلافة نشره ميخائيل عواد وأقسام ضائعة من تاريخ الوزراء نشره ميخائيل عواد ١٩٤٨ .
- (٦٨) أنظر الكامل ٧/١١٣ - ١١٤ - ابن كثير ٢٩٩/١١ - ٣٠٦ .
- (٦٩) من آثار عضدي بندامير في فارس ، لا مثيل لهذه العمارة في الدنيا (انظر حمد الله المستوفى ص ١٥٢) .
- (٧٠) وكانت علته الخوانيق (ابن الأثير ٧/١١٧ - ابن كثير ١١/٣٠٢ حمد الله المستوفى ص ١٥٨) .
- (٧١) لهذا يقول أبو سعيد رستمى سنجرى في مدح الصاحب بن عباد :
- | | |
|-----------------------------|------------------------|
| ورث السوزارة كإبراً عن كإبر | موصلة الاسناد بالاسناد |
| يروى عن العباس عباد وزا | رته اسماعيل عن عباد |
- (حمد الله المستوفى ص ١٥٨)
- (٧٢) صار فخر للدولة وصمصام الدولة بدأ واحدة (ابن الأثير ٧/١١٨) .
- (٧٣) ... وخطب له أبو طاهر بن عضد الدولة بالبصرة ونقش اسمه على السكة (ابن الأثير ٧/١٢٣) .
- (٧٤) أنظر ابن الأثير ٧/١٣٤ .
- (٧٥) « واحمر يحكى الشمس شكلاً وصورة
« فان قيل دينار فقد صدق اسمه
« بديع ولم يطبع على الدهر مثله
« فقد أبرزته دولة فلكية
« وصار إلى شاهانشاه انتسابه
« يخبر أن يسبقى سنين كوزنه
« تسأنق فيه عبده وابن عبده
فأوصافه مشتقة من صفاته
« وان قيل ألف كان بعض سماته
« ولا ضربت اضرابه لسرته
« أقام بها الاقبال صدر قناته
« على أنه مستصغر لعفاته
« لتستبشر الدنيا بطول حياته
« وخرس أباديه وكافى كفاته
(ابن الأثير ٧/١٣٦)

- (٧٦) « قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد » .
- (٧٧) ورد عنه ابن الأثير أنه ضرب على الجانب الآخر سورة الاخلاص ولقب الخليفة الطائع لله ولقب فخر الدولة واسم جرجان لأنه ضرب بها قول : دولة فلكية يعني أن لقب فخر الدولة كان فلك الأمة ، وقوله ، كافي كفايته فإن الصحاح كان لقبه كافي الكفاة» (الكامل ١٣٦/٧) .
- (٧٨) استولى فخر الدولة على خوزستان وتوجه إلى البصرة (حمد الله المستوفى ١٦٠) ابن الأثير ١٤٠/٧ .
- (٧٩) قال له الصحاح : ان الرأي في مثل هذه الأوقات إخراج المال وترك مضايقة الجند فإن أطلقت المال ضمنت لك حصول أضعافه بحد سنة فلم يفعل ذلك ، وتفرق عنه كثير من عسكر الأهواز واتسع الخرق عليه (الكامل ١٤٠/٧) .
- (٨٠) انظر تاريخ مزيده لحمد الله المستوفى ١٦٠ .
- (٨١) من آثاره كتاب « المحيط في اللغة : عشرة مجلدات ، ديوان رسائله : عشرة مجلدات كتاب الكافي : كتاب الزيدية ، كتاب الأعياد وفضائل النوروز ، كتاب الأمانة كتاب الوزراء ، كتاب عنوان المعارف في التاريخ ، كتاب الكشف عن مساوي شعر المتنبى ، كتاب مختصر أسماء الله تعالى وصفاته ، كتاب العروض ، وتاريخ الملك واختلاف الدول ، كتاب جوهرة الجمهرة ، كتاب نهج السبيل ، وأخبار أبي العيناء ونقض العروض ، الزيديين ، وديوان شعره ، والروزنجامه ، والوقف والابتداء ، (انظر معجم الأدباء ٢٦٠/٦ ، وفيات الأعيان ٢٢٥/٢ ، يتيمه الدهر للشعالي ١١٥/٣ — نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٤٠٠ ، انظر ابن كثير ٣١٥/١١) .
- (٨٢) انظر ابن الأثير ١٧٠ / ٧ .
- (٨٣) انظر حمد الله المستوفى ١٦٢ .
- (٨٤) انظر ابن الأثير ١٧٠ / ٧ .
- (٨٥) حمد الله المستوفى ص ١٦٤ .
- (٨٦) قلعة طبرق (ابن الأثير ١٨٥ / ٧) .
- (٨٧) انظر ابن الأثير ١٨٥ / ٧ — ١٨٦ .
- (٨٨) وثلاثة آلاف ألف دينار ذهب ومن الجواهر نحو من خمسة عشر ألف قطعة يقارب قيمتها ثلاثة آلاف ألف دينار ذهباً وغير ذلك من أواني الذهب زنته ألف ألف دينار ومن الفضة زنته ثلاثة آلاف ألف درهم كلها آنية ، ومن الشيايب ثلاثة آلاف حمل ، وخزانة السلاح ألف حمل ومن الفرش ألف وخمسمائة حمل (ابن كثير ٣٢٣/١١ انظر تاريخ كزیده ١٦٦) .
- (٨٩) انظر ابن الأثير ١٣٠ / ٧ حمد الله المستوفى ١٧٢ .
- (٩٠) انظر ابن الأثير ١٣٠ / ٧ حمد الله المستوفى ١٧٤ .
- (٩١) استدعى شرف الدولة فراشا ليكحل صمصام الدولة فاتفق موته فأكحله بعد موته (ابن كثير ٣٠٥/١١) (ابن الأثير ١٣٨/٧) مات سنة ٣٨٨ هـ حمد الله المستوفى ١٧٤ .
- (٩٢) انظر ابن الأثير ١٣٨ / ٧ — ابن كثير ٣٠٧ / ١١ .
- (٩٣) قتل أبناؤه سنة ٣٨٨ هـ (حمد الله المستوفى ١٧٤) .
- (٩٤) انظر ابن الأثير ١٤٧ / ٧ — ١٤٨ / ابن كثير ٣٠٨ / ١١ .
- (٩٥) حمد الله المستوفى ١٧٤ .
- (٩٦) ابن الأثير ١٩٨ / ٧ .
- (٩٧) توفي ربيع الآخر سنة ٤٠٤ هـ في أرجان فارس (تاريخ مزيده ١٧٦) .
- (٩٨) وحمل إلى مشهد أمير المؤمنين علي عليه السلام (ابن الأثير ٢٦٨ / ٧) .

- (٩٩) أبوطالب رستم (تاريخ كزیده ١٦٦)، وعمره أربع سنين (ابن الأثير ٧/١٨٦).
- (١٠٠) انظر تاريخ كزیده ١٦٦.
- (١٠١) توفي فخر الدولة سنة ٣٨٧ هـ وخلفه مجد الدولة في نفس السنة (ابن كثير ١١/٣٢٠).
- (١٠٢) هذا التاريخ خطأ لأن مجد الدولة تولى الحكم سنة ٣٨٧ هـ وبجوز سنة ٣٩٠ هـ إلا أنني لم أجد ذلك عند المصادر الأخرى.
- (١٠٣) انظر تاريخ كزیده ١٦٨.
- (١٠٤) چه از راستی بگذری خم بود چه مردي بود كز زنی كم بود (الروضة ص ٥٢)
- چواز راستی بگذرد خم بود چه مردي بود كز زنی كم بود (تاريخ كزیده ١٧٠)
- (١٠٥) زوج السلطان عمود ابنته لمنوچهر (تاريخ كزیده ١٦٨).
- (١٠٦) الأشاهنامه «كتاب الملوك» نظمها الشاعر الفريدوسي وقدمها محمود الغزنوي.
- (١٠٧) تاريخ الطبري لمحمد بن جرير الطبري يقع في عشرة أجزاء.
- (١٠٨) ذكر ابن الأثير أن سبب توجه عمود الغزنوي إلى مجد الدولة هو تشاغله بالنساء ومطالعة الكتب ونسخها، وإن والدته كانت تدبر الملك وعندما ماتت طمع جنده فيه واختلت أحواله (الكامل ٧/٣٣٥).
- (١٠٩) سلطان الدولة أبو شجاع بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن ركن الدولة (تاريخ كزیده ١٧٦).
- (١١٠) سنة ٤١٣ هـ (ابن الأثير ٧/٢٦٨ - ابن كثير ١١/٣٤٨).
- (١١١) في سنة ٤١٣ هـ (ابن الأثير ٧/٢٩٤).
- (١١٢) انظر الأحداث ابن الأثير ٧/٢٩٤.
- (١١٣) انظر ابن الأثير ٧/٣٠٦.
- (١١٤) انظر الكامل لابن الأثير ٧/٣٠٦.
- (١١٥) انظر الكامل ٧/٣١١.
- (١١٦) توفي في شعبان سنة ٤١٦ هـ (تاريخ كزیده لحمد الله المستوفى ١٧٨).
- (١١٧) انظر الكامل لابن الأثير ٧/٧١٧ - ٣٧٨.
- (١١٨) عماد الدين عز الملوك أبو كاليبجار مرزبان بن سلطان الدولة (تاريخ كزیده ١٨٠).
- (١١٩) انظر الكامل لابن الأثير ٧/٣٢٨.
- (١٢٠) انظر الكامل لابن الأثير ٧/٣٢٩ - ابن كثير ١٢/٢٢.
- (١٢١) انظر ابن كثير ١٢/٢٢.
- (١٢٢) انظر ابن الأثير ٧/٣٣٢ - ٣٣٣.
- (١٢٣) قتل سنة ٤١٩ هـ - ابن الأثير ٧/٣٣٣.
- (١٢٤) انظر ابن كثير ١٢/٢٥.
- (١٢٥) تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة (ابن الأثير ٧/٣٥٥) وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض (ابن كثير ١٢/٣١).

- (١٢٦) صاروا يأخذون الأموال ليلاً ونهاراً ولا مانع لهم (ابن الأثير ٨/٨) قال ابن الأثير إن المتطاولين هم العيارون والعرب وذكر ابن كثير لفظ الأعراب مثل محمد خاوندشاه (ابن كثير ٣٦/١٢) .
- (١٢٧) انظر ابن الأثير ٨/١٤ - ابن كثير ٤٠/١٢ .
- (١٢٨) أفتى الفقيه ماعدا قاضي القضاة أبو الحسن الماوردي (ابن الأثير ٨/١٦) خطب له بلقب شاهنشاه الأعظم ملك الملوك بأمر الخليفة (ابن كثير ٤٣/١٢) .
- (١٢٩) انظر ابن الأثير ٨/٢٠ .
- (١٣٠) استولى على خوارزم ودهستان وطيس والري وبلاد الري الجبل وكرمان وأعمالها وقزوين (ابن كثير ٥٠/١٢) .
- (١٣١) ملك ببغداد ست عشرة سنة - ابن الأثير ٨/٢٧) .
- (١٣٢) قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تَوْتَى الْمُلْكِ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعِ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزْ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . (آل عمران جزء ٣ آية ٢٦) .
- (١٣٣) سنة ٤٤٠ هـ (ابن كثير ٥٧/١٢ - ابن الأثير ٤٨/٨) تاريخ گزیده ١٨٢ .
- (١٣٥) أبو منصور فلاستون (ابن الأثير ٨/٤٨) .
- (١٣٦) انظر تاريخ گزیده ١٨٤ .
- (١٣٧) انظر ابن الأثير ٨/٥٨ .
- (١٣٨) انظر ابن الأثير ٨/٧٠ / ابن كثير ٦٦/١٢ .
- (١٣٩) انظر ابن الأثير ٨/٧١ / ٧٢ .
- (١٤٠) انظر تاريخ گزیده ١٨٤ - ١٨٦ .
- (١٤١) ابن الأثير أحداث سنة ٤٤٨ - ٨/٤٤٨ - ابن كثير ٦٧/١٢ - ٦٨ .
- (١٤٢) تاريخ گزیده ١٨٦ .
- (١٤٣) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نَدَاوَاهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (آل عمران الجزء ٤ آية ١٤٠) .
- (١٤٤) مير علي شیرنوائی وزیر حسین بایقرا .





فصل

طبقة أولاد إسماعيل ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذين حكموا في المغرب ومملكة مصر

كان أول من حكم منهم هو أبو القاسم محمد بن عبد الله الملقب بالمهدى (١) ، وزعم الإسماعيلية (٢) أنه المهدي ، كما ورد في الأخبار أنه ظهر في سنة ٢٩٦ هـ في إفريقية بمساعدة وتأيد أبي عبد الله الصوفي (٣) ، وقد روى مریدو المهدي أن المصطفى صلوات الله عليه قال : إنه على رأس ثلاثمائة تطلع الشمس من مغربها (٤) ، وقالوا : إن المراد من لفظ « الشمس » الوارد في الحديث هو المهدي ، وأنه انتصر وظفر على كل من حاربه ، وقد بنى قلعة في نواحي القيروان في غاية الحصانة والمتانة ، أسموها « بالمهدية » ، وفي سنة ٢٩٩ هـ ثار أهالي بعض بلاد المغرب (٥) ، فأرسل المهدي ابنه لصددهم ، فحاصر هذه الجماعة ، وظل فترة في حصارهم ، حتى انتهى قوت المحصورين ، وفي النهاية خرجوا بالسيف والكفن ، فنشر ابن المهدي ظل احسانه ورحمته على رأس الضعفاء ، وأمن الجميع من القتل ، وقنع بأخذ القليل من أموالهم .

وأرسل المهدي في أيام دولته الجيش إلى أطراف وأنحاء بلاد المغرب (٦) ، وأدخلها جميعاً تحت سيطرته ، وأسقط الأسر القديمة ، وعندما فرغ من ضبط الأندلس والقيروان وطرابلس وأمثالهم ، أرسل ابنه القائم بجيش جرار لتسخير بلاد مصر ، فأرسل المقتدر العباسي مؤنس الخادم بجيش كبير لمواجهة ، ووقعت المعارك بينها وأبدى مؤنس في هذه المعارك شجاعة ،

ولقب بالمظفر، وورد في بعض التواريخ ان مؤسس قد حارب القائم عشر مرات ، وكان يفر أمامه ، واستخلص ديار مصر وأعلى الصعيد(٧) ، ولما مرت خمس وعشرون سنة من خلافة المهدي ، انتقل من حصار مهديه إلى العالم الآخر. (٨)

وقد أوردوا أن العباسيين قد طعنوا في نسب المهدي ، وكتبوا محضراً ، وأمروا أن يقرأه الخطباء على المنابر، وقال الوزير للمقتدر: « إذا فعلتم ذلك ، فإن العلويين سيطعون أيضاً في نسب العباسيين ، ويكتبون محضراً و يأمرّون الخطباء بأن يقرأوه على رؤوس المنابر في بلاد المغرب ، وبذلك لا يُقدر كم أنتم ولا هم شخص قط من الأمة ، فترك المقتدر هذا الأمر، وكانت فترة حياة المهدي اثنين وستين عاماً ، وتفصيل خروج المهدي وكيفية مذهب الأسماعيلية مسطور في التواريخ المشهورة ولا تحتاج للتكرار في هذا المقام .



خلافة القائم بأمر الله

كان أبوه ؛ المهدي ، قد أخذ له البيعة أيام خلافته من أهالي المغرب والبربر، وعندما توفي المهدي ، جلس القائم على العرش ، وفي سنة ٣٢٥ هـ أعلن أهل صقلية (٩) العصيان ، وسبب ذلك هو أن نائبه - سالم بن راشد - كان يسىء للرعايا ، وعندما رأى سالم علامات العصيان من أهالي صقلية ، عرض بعضها على القائم ، وأرسل القائم خليل بن اسحق مع جماعة من الجنود لمساعدته ، وأخبر أهالي صقلية خليل أن سبب عصياننا هو ظلم وجور سالم فقط ، وعرض خليل هذا المعنى على الخليفة ، فعزل القائم سالم ، وعين آخر محله ، ومن عموم الوقائع في عصر القائم هو أن شخصاً يدعى أبو يزيد (١٠) وكان يعمل بتعليم الصبية ، قد ثار عليه ، واجتمع تحت رايته عدد كبير وجمع غفير ، ولم يكن مذهبه عفو أو صفح ، وطبقا لما روه انه عندما حاصر أبو يزيد واستولى على القيروان ، أطلق أمر القتل والسلب ، وخرج المشايخ والسادات والأعيان والأشراف من المدينة ، وتشفعوا ، فقال أبو يزيد بعد المماطلة : « القيرون ليست أشرف من بيت المقدس » ، وخربت هذه المدينة بالقتل والنهب ، وطالما خربت القيروان ، فلن يصبح هناك خوف .

ويروون انه قد وقعت حروب بينه وبين القائم ، وأخيراً هُزم القائم وتعقب أبو يزيد القائم ، وحاصره في المهديّة ، وأطلق الاسماعيلية على أبي يزيد اسم الدجال (١١) ، وأشاعوا الحديث الذي مضمونه أن الدجال سيخرج على المهدي أو القائم ، وفي أثناء الحصار مريض القائم ومات ، وجلس ابنه المنصور بالله محله ، وكانت مدة خلافة القائم اثنتا عشرة سنة وسبعة أشهر. (١٢)

خلافة المنصور بالله

عندما توفى القائم ، بايع أشراف قلعة مهدية المنصور ، وكان شجاعاً مقداماً وعاقلاً رزيناً ، ولما كان أبوزيد الثائر على أبواب القلعة بجيش جرار في أثناء وفاة أبيه ، أخفى موت القائم (١٣) ، وأجبر أباً يزيد على الرحيل من ظاهر مهدية بحسن تدبيره وشجاعته ، وجعله يفر ، وتعقبه المنصور إلى أن وصل إلى مكان لا يمكن السير فيه لصعوبة مسالكه ، وهرب أبوزيد حتى وصل إلى بلاد السودان (١٤) ، وعلم المنصور بهذا الخبر ، فأرسل جماعة من الشجعان لدفع شره ، فأسرعوا عقب أبي يزيد بموجب أمره ، وبعد القتال ، أسروه وأحضروه إلى المنصور ، فأصدر أمره بأن يضعوا أبازيد وقيدة في قفص حديدي (١٥) ، وبعد فترة وبناء على أمر المنصور ، سلخوا جلد أبي اليزيد وملأوه قشا ، واستولى على جميع بلاده ، وأرسل رسائل نصر إلى جميع نواحي بلاد الاسلام ، وذكر أفعاله المشينة .

وقد أرسل المنصور أيام دولته حسن بن علي بن أبي الحسين الكلبى - وكان من عظماء الدين ومشهور بالعدل والانصاف - إلى حكومة صقلية ، واستقرت قلوب الناس في هذه الناحية على محبته ، واهتم بضبط وربط الأمور ، وخلال تلك الأحوال توجه الرومان لمحاربتة ، وعندما التقى الطرفان اشتعلت نار الحرب ، وانهمز حسن ، وفي نفس الوقت وصل فرسخ غلام المنصور مع جماعة من الشجعان لمساعدة حسن ، وتصادف أن واجه جيش الروم ، وتحاربا ، ومنى أهل الروم بهزيمة نكراء ، ولحق من تبقى من السيف بالقيصر (١٦) ، وقد أنشد أبو جعفر المرورودى شعراً كثيراً للتهنئة بهذا الفتح المبين ، وقدمه للمنصور ، وقال له « اننى آمل ان يتحلى و يتزين باسم همايون قررة العين الخليفة المعز لدين الله ولى العهد على رعوس المنابر في مكة والمدينة وعلى وجوه الدنانير باسم ولقب الإمام وقد حدث ما أراه على لسان أبى جعفر ، ولما مرت سبع سنين من خلافة المنصور ، ودع العالم الفانى ، وكانت فترة حياته تسعاً وثلاثين سنة . (١٧)



خلافة المعز لدين الله

كان ملكاً شجاعاً صاحب رأى ، كان يدرك دقائق أمور الملك وقوانين الدين إدراكاً حسناً ، وسار على مراسم الحكم والسياسة كما ينبغي ، وفي يوم وفاة أبيه في آخر شوال من سنة ٣٤١ هـ ، جددوا له البيعة ، وفي سنة ٣٤٧ هـ أنعم على خادمه جوهر بالانعامات العظيمة ، وأرسله بجيش جراز إلى أقصى بلاد المغرب ، فوصل إلى ساحل البحر المحيط وجزائر

الخالدات (١٨) ، وصاد أسماكاً كانت تنسب لهذا البحر ومعروفة في هذه الممالك ، وأرسلها إلى البلاط . (١٩)

قاد المعز لدين الله جيشاً إلى سلجماسه ، وفتحها ، وأسر واليها — الذي كان ظالماً ، وأطلق على نفسه الشاكر بالله ، وكانوا يدعونه أمير المؤمنين ، وبعد هذا الفتح أرسل جيشاً كبيراً إلى جزر الروم ، ووقعت حرب ضروس بينه وبين الروم ، وانتصر المعزيون على الأعداء واستولى على أموال كثيرة . (٢٠)

وفي أثناء ذلك وصل خبر وفاة كافور الاخشيدى (٢١) الذي كان يحكم مصر من قبل الخلفاء العباسيين إلى سمع المعز ، واضطر الأشراف وأعيان المملكة إرسال الرسل والرسائل بسبب القحط والغلاء — اللذين أعجزا المصريين ، واتمسوا من المعز أن يتوجه بنفسه ، ويرسل إلى هذه الولاية شخصاً من أمراء الدولة يكون أهلاً للرياسة ، وعندما اطلع المعز على هذا الأمر أقصر همه على تسخير مصر ، فأرسل جوهراً بجنود وأرباب سلاح وسفن مملوءة بأنواع الأطعمة وأصناف الأغذية ، ليتصدق بها على أهالي تلك البلاد ، ووصل جوهرة سنة ٣٥٧ هـ بامكانياته بعد قطع المسالك والمفاوز إلى مصر (٢٢) ، وأشرقت عيون الأهالي برؤيته ، واستراحوا بصداقات المعز لدين الله ، ونزل جوهرة بمديقة الاخشيدى ، وسعى لبناء مدينة بين الفسطاط ومصر وعين شمس ، وأسماها « قاهرة المعز » (٢٣) وسعى جوهرة الخادم خرجت مصر واسكندرية وديار صعيلاء وبمياط (٢٤) ومكة والمدينة من تحت سيطرة العباسيين ، ودخلت تحت سيطرة العلويين .

وفي أثناء ذلك أرسل جوهرة أحد القواد بجيش كبير إلى فلسطين وفتح هذا القائد فلسطين ، وتوجه إلى دمشق ، واستولى أيضاً عليها ، وسيطر على كل بلاد الشام ، وأرسل بعض القرامطة — الذين قاموا بأفعال قبيحة مثل قلع الحجر الأسود وغير ذلك — إلى جوهرة في مصر لمعاقتهم ، وفرت بقية هذه الجماعة ، واختفوا في بلاد الشام ، ويتضح من سياق هذا الكلام ان القرامطة طائفة مختلفة عن الاسماعيلية وقد اعتبر العباسيون وأتباعهم القرامطة ضمن الاسماعيلية ، وذلك لعنايتهم للاسماعيلية .

وفي سنة ٣٦١ هـ هاجر المعز لدين الله من المغرب إلى مصر ، ورافقه أولاده وحرمة وحمل معه الأموال — التي كانت تفوق الحصر ، وقد سطر في بعض التواريخ ، والعهد على الراوى ، أنه حمل في هذه الرحلة خمسة عشر ألف حمل محملين بالذهب المعزى المسكوك من الأحمر والأبيض (٢٥) ، وقد أسرع لاستقبال المعز لدين الله أعيان وأشراف مصر حتى الاسكندرية ، وتشرفوا ببلقائه في هذه البلاد ، وعرضوا شدة شوقهم له ، فاخصمهم بكرمه ، واکرمهم الخليفة العلوى بعدائه واحسانه وانصافه وامتنانه ، وعندما نزل بالمحروسة المعزية ، سعى لوضع أساس العدل والانصاف إلى درجة

أكثر من المستحيل ، ويقولون : أنه أمر أن يضعوا عدة صناديق مملوءة ذهباً أمام البلاط وسمح للمحتاجين بالمجيء يومياً ، ويملاؤن أكفهم بقدر ما يسع من تلك النقود ، ولا يوجد كرم أفضل من ذلك .

وعندما استقرت أمور المملكة سلم الروح لقابض الأرواح في يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الآخر سنة ٣٦٥ هـ ، و يروون أن سبب مرضه أنه في الأيام السابقة وحين كان جالساً على عرش الحكومة في مهدية جاء إليه رسول من عند القيصر ، وفي هذه الأيام التي كان يقيم فيها بمصر وصل نفس الرسول بموجب أمر ملك الروم إلى المعز ، قال له في الخلوّة : تذكر أنني قلت لك في المهديّة : أنك ستأتي إليّ برسالة في مصر والشام ذات يوم ، قال الرسول : بلى ، قال المعز : وما أنت تأتي إليّ مرة أخرى برسالة ، وسأتمكن من عرش الخلافة ببغداد ، فقال الرسول : إذا أمتنى من قهرك وسطوتك سأقول لك كلمة ، فقال المعز : قل ما تريده لأنك آمن ، فقال الرسول : « لقد قدمت لك الطاعة في تلك المرة ببلاد المغرب واستولت عظمتك وابهتك وقوتك عليّ لدرجة أن نسيت نفسي ، وكان نور وجهك يضيء العالم إلى درجة أنني اعتقدت أنك خالقاً للوجود تعالى الله عن ذلك ، والآن لا أرى شيئاً من ذلك » وتأثر المعز من هذا القول ، وحم في الحال ، وتوفى بهذا المرض . (٢٦)

و يروون أن المعز لدين الله كان منجماً ، وكان يطالع طالعه كل يوم ، وذات يوم رأى نكبة ، فعرض هذا على أحد أرباب النجوم وتشاور معه ، فقال المنجم : يجب أن يختفى الخليفة عدة أيام في سرادب حتى تمر هذه النكبة ، ففعل المعز ، وجمع أعيان دولته ، وقال : اقترب أجلى ، وأدع لكم ابني ، فهو ولي عهدي ، استخلفه عليكم ، فيجب أن تطيعوه ، ولا تنفروا منه ، ولقبه بالعزيز بالله ، وسلم الروح لقابضها ، وكانت مدة حياته خمساً وأربعين سنة ، ومدة خلافته ثلاث وعشرون سنة وخمسة أشهر ، وقد أخفوا موته لمدة سبعة أشهر من أجل إصلاح الأمور إلى أن بايعوا ابنه العزيز بالله وشاعت هذه القضية . (٢٧)



خلافة العزيز بالله

بعد انقضاء سبعة أشهر من وفاة أبيه المعز لدين الله ، (٢٨) بايعه أهل المغرب ومصر ، وكان من جملة المبايعين عمه حيدرو عم أبيه أبو الفرات وأيضاً عم جده ، ولم يحدث من قبل من هذا الأمر لأحد إلا في خلافة هارون الرشيد .

و يروون أن العزيز كان حليماً وصبوراً وحسن الأخلاق ، وقد أنشأ خطبة فصيحة وبليغة ، اشتملت الوعظ والنصيحة يوم بيعته ، وقد أحسن إلى الحاضرين بمجلسه ، وبعد ذلك اهتم بأمور

المملكة ، وأدخل جميع بلاد المغرب والشام والحجاز تحت سيطرته ، وفي عهده جاء الهگتین (٢٩) مولى بنى بويه من بغداد إلى الشام بجيش ، وانضم إليه حسن بن أحمد القرمطى وأبدى مخالفة للعزیز ، فتوجه قائده بجيش جرار من مصر إلى الشام ، وعندما اقترب الفريقان وقعت عين الهگتین (٢٩) مولى بنى بويه من بغداد إلى الشام بجيش ، وانضم إليه حسن بن أحمد القرمطى وأبدى مخالفة للعزیز ، فتوجه قائده بجيش جرار من مصر إلى الشام ، وعندما اقترب الفريقان وقعت عين الهگتین على راية العزیز ، استولى عليه الخوف والفرع ، فترجل عن فرسه ، وتقدم خاشعاً خائفاً ، وقبل ركاب العزیز ، وعفا العزیز عن جريرة الهگتین ، وأحسن إليه وأنعم على بعض آل بويه - الذين كانوا برفقة جيش البتکین بالخلع الفاخرة ، وبعد ذلك فتحت أبواب الرسائل والمراسلات بين العزیز بالله وعضد الدولة الديلمى ، وأثناء تلك الأحوال كان يؤدب كل من يخالف العزیز بالله ، وبعد ذلك فاز العزیز على أعدائه ، وعاد إلى مصر .

و يقولون أن العزیز يزقدين على حكومة الشام منشأ اليهودى وعلى مصر عيسى النصرانى ، فظلم أهل الاسلام أيما ظلم ، وذات يوم أعطت امرأة رقعة للعزیز مضمونها « أيها الأمير لقد أكرمت اليهود بمنشأ والمسيحيين بعيسى وأسأت أنت إلى المسلمين فانظر لحالنا (٣٠) ، فتأثر العزیز من هذه الرقعة ، فعزلها في الحال ، وأخذ منها أموالاً كثيرة ، ورد المظالم ومات العزیز بالله بعد واحد وعشرين سنة قضاها بالعدل والانصاف وذلك في رمضان سنة ٣٨٦ هـ وسعد بالآخرة .



خلافة الحاکم بالله

ولد في القاهرة في السادس والعشرين من ربيع الأول سنة ٣٧٥ هـ (٣٢) ، وهو أول خليفة من الخلفاء العلويين الذين ولدوا في مصر ، وفي عهده خرج عليه شخص ، نسب نفسه بهشام بن عبد الملك بن مروان ، ووقعت معارك بين جيش الحاکم وهذا الخارجى ، وأسره أحد أمراء العرب ممن يميلون إلى الاسماعيلية ، وأرسله إلى الفضل بن صالح الذى كان ركناً من أركان دولة الاسماعيلية ، فأرسل الفضل هذا الشخص إلى الحاکم ، فأمر الحاکم أن يضعوا قلنسوة حمراء على رأس الخارجى ، ويقيدوا يده وقدمه ، ويجلسوه على جمل ، ويرد فوه بقردة تضربه على قفاه كل لحظة ، وأبدى أهل مصر الفرح والسرور ، وعندما أرادوا انزال هذا الخارجى عن الجمل ، وجدوه ميتاً وبعد موته علقوا جثته ، وكانت مدة دولة هذا الخارجى سنتين .

وفي سنة ٣٨٨ هـ (٣٣) صدر حكم بالأغلاق أبواب مصر ليلاً ، وان تفتح أبواب الدكاكين للبيع والشراء ، وان تشعل المشاعل أيضا على أبواب الدكاكين للبيع والشراء ، وان تشعل المشاعل

أيضاً على أبواب المنازل والحارات ، فكان الناس يسرون في الأسواق والطرق ليلاً ، وكان الحاكم يسير مع خواصه بين العامة ومخاطبه الناس .

وفي سنة ٣٩٢ هـ بنى الحاكم في القاهرة المعزية جامع الأزهر (الأتور) ، وأمر في نفس هذه السنة ألا تباع الخمر وسائر المسكرات ، وكسروا أواني الحانات ، وسكبوا الشراب ، وأبطل « المصطبة » وسائر أماكن الفسق والفجور ، ومنع اللطم خلف الجنائز وغير ذلك على النساء .

ومسطور في بعض التواريخ يخبر أنه عندما جلس الحاكم بأمر الله أبو علي منصور بن العزيز بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي محل أبيه على الحكومة ، ركب هماراً ، وكان يظهر على الناس ، لأنه كان يخشى الله ، وكان يتردد على الأسواق دون حشم ، وكان يردد أنني مثل موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام ، الذي ناجى ربه في جبل الطور ، وأنا أيضاً أناجيه « ، وكان يتشدد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، إلى درجة أنه عندما لم ينزجر الناس عن تناول الشراب أمر أن يخرّبوا أغلب الحدائق ، وأمر ألا يخيطوا أحذية للنساء حتى لا يخرجن من المنزل ، وأيضاً أمر ألا يركب اليهودي أو النصراني جواداً ، وأن يركبوا هماراً أو بغلاً ، وألا يستخدموا ركاباً حديدياً ، وأن يرتدوا خارج الحمام قلادة ملونة ، ويدخلوا الحمام بالخلخال حتى يميزهم المسلمون ، وبعد فترة أعفاهم من هذه التكليفات . (٣٤)

وفي أيام خلافته أمر ببناء المدارس ، وعين الفقهاء والعلماء ، وأوقف الأملاك والأوقاف الكثيرة ، وذات مرة أمر أن يصبوا الزيت والعسل وما يصنع منها في النيل ، وفي ذلك اليوم الذي نفذ هذا الحكم كسرت أواني لا حصر لها ، وبموجب أمر الحاكم قتلوا جميع كلاب البلاد ما عدا كلاب الصيد ، ويروون أنه على الرغم من ذلك فقد كان الحاكم يظهر الزهد والورع ولم يكن يرد الظلم والفجور والفسق الذي يحدث من اتباعه على النساء في الخفاء ، حتى سقطت ذات يوم رقعة في يد تمثال على شكل امرأة جعلوه في طريقه ، فأمر أن يأخذوا هذه الرقعة من يد التمثال ، وعندما وقع عليها نظره ، رأى أساءة وسباً له ولآبائه وأجداده فاغتاظ من هذا الأمر ، وأمر أن ينيبوا مصر ، وحرّقوها ، فخربت نصف مصر من هذا . (٣٥)

وكان من عادة الحاكم أن يكتب رقاعاً ، وينثرها في يوم ذي رباح ، وتتضمن بعض الرقاع خيراً وتتضمن بعضها عقوبة ، وكل أمير تقترب منه رقعة يعمل بما هو مكتوب فيها ، وقد ذكر القاضي أحمد الدمغاني في كتابه أن الحاكم قد أرسل جماعة من مصر إلى أحد العلويين الذين كانوا يقيمون في المدينة ليحدثوا ثقباً يصل إلى روضة الرسول صلى الله عليه وسلم ويخرجوا أبا بكر وعمر ، وفي تلك الأيام أظلمت الدنيا وحدثت صاعقة قوية ، وخاف الناس وتعلقت أيديهم بالتوبة ، ولاذوا بالفرار بحرم رسول الله صلوات الله وسلامه عليه ، ولم يهدأ هذا الطوفان قط حتى أخبر العلوي صورة الأمر وما حدث مع الحاكم فقبض والي المدينة على جماعة المصريين ، وقتلهم فهدأ الجو كما كان .

مذكور في بعض كتب التواريخ أحكام الحاكم بالتفصيل ، يطول شرحها ، ولا مانع من اختصار بعضها ، يروون انه في أيامه اتهموا اخته في أمير الجيوش ، فأراد أن يتخلص منها وعلم أمير الجيوش بهذا الأمر ، فأجمع جماعة على أن يقتلوه وكان الحاكم في كل فجر يركب حماراً ، ويطوف بجبل كان قرب مصر ، وكان يعرف علم النجوم جيداً ، وكان يردد دائماً إذالم يصيبني أذى في الليلة الفلانية فإن عمرى سيتجاوز الثمانين ، وعندما حلت الليلة الموعودة ، أراد الحاكم أن يخرج للطواف كما هو معتاد ، فتضرعت أمه ، والتمست ألا يفعل شيئاً هذه الليلة ، ونفذ الحاكم أمر أمه ، وبعد ذلك حدث اضطراب ، فقال لأمه طالما رفضتني أن أخرج فإن روحى ستفارق جسدى ، وخرج من قصر الخلافة ، وعندما وصل إلى المكان المعهود كفاه جماعة — كانوا له في كمين — أمره ، وحملوا جثته إلى اخته ، فقامت أخته بدفنه في قصر الخلافة ، ولم يعرف قط من أعيان المملكة هذا السر ما عدا الوزير ، وبعد أسبوع أعلن قاضى مصر أمر الحاكم وقال : انتهى حكم الحاكم ، لحق بجوار الحق ، ووصلت الخلافة بعده إلى ابنه ، وكانت مدة خلافة الحاكم خمسة وعشرين عاماً ، وكان قد عمراً أكثر من سبعين سنة .



خلافة الظاهر لدين الله

عندما قُتل الحاكم بأمر الله (٣٧) ، وشاع أمره ، دعا قاضى القضاة أركان الدولة وأعيان الملة مبايعة الظاهر (٣٨) ، وهو مثل جده العزيز حسن السيرة طاهر السيرة ، ومن فرط سياسته وكمال كياسته هدأت الفتن ، واستقام أمر الدين والدولة ، وعندما آل أمر الخلافة إليه ، جعل في بداية الأمر إمارة الجيوش لقاتل الحاكم (٣٩) ، وبعد أن أمن أمير الجيوش ، أمر أن يقتلوه بقصاص أبيه ، وجعل عمه أميراً للجيوش من بعده .

وفي سنة ٤١٥ هـ حدث قحط وغلاء عظيم في مصر ، لدرجة أنهم كانوا يشترون رطل الخبز بدرهم ، واستمرت الأزمة عامين ، وفي سنة ٤٢٠ هـ أضاعت عين الظاهر برؤية المستنصر بالله أبى تميم سعد ، وعقدت الأفراح في مصر يوم مولده ، وأبدى الناس سروراً وفرحاً ، وانهمكوا في اللهو والمرح ، وتصادف أن وقع في مصر والرملة زلزال شديد في نفس السنة ، لدرجة أن تقاربت جبال هذه البلاد ، وسقطت مطارات ومباني الرملة ، وحدث خراب كبير في هذه الولاية ، وفي هذه السنة عاد حجاج خراسان عن طريق مصر والشام ، وأكرمهم الظاهر ايما إكرام ، وخلع عليهم خلعاً سنياً .

وفي هذه الأيام وصل رسول السلطان محمود سبكتكين إلى الخليفة القادر في بغداد بينما كان الحجاج في بغداد ، عرض عليه أن السلطان يقول : لا أعرف لماذا يأخذ الحجاج خلع حاكم مصر السوء المذهب ؟ فأمر القادر أن يأخذوا هذه الثياب من الحجاج ، ويحرقوها .

وفي سنة ٤٢١ هـ جمع قيصر الروم من ممالিকে ستمائة ألف رجل وتوجه إلى الشام ،
وعندما وصل إلى حدود حلب ، كان الجو حاراً ، فغلب على جماعته العطش ، وأغار عليهم
أهل حلب ليلاً ، فانهزم الروم ، وتحقق بعناية الله لأهل الاسلام نصراً مؤزراً ، فسجدوا لله
شاكرين وقدموا النذور والصدقات للمستحقين .

وفي منتصف شوال ٤٢٧ هـ أصيب الظاهر بمرض الاستسقاء ومات ، وحزن أهالي المملكة من
هذه الحادثة ، ومدة خلافة الظاهر ست عشرة سنة وقد عمر ثلاث وثلاثين سنة . (٤٠)



خلافة المستنصر بالله

تصدى لأمر السلطنة ولم يتجاوز سنه السابعة من عمره (٤١) ، وكان يركب وهو في سن الحادية
عشرة ومعه الجيش ، ويذهب للتنزه على النيل ، وفي ذلك اليوم الذي وضعوا على رأسه التاج المرصع
لم يتمكن من حمله بأي شكل ، وقد أضاء بطلعته عيون المصريين .

ومن فتوحاته التي وقعت في عصره انه أرسل جيشاً إلى حلب ، وأخذ هذه الولاية من نصريين
صالح بن مرداس الذي طغى ، وقتله ، وعادت هذه المملكة مرة أخرى تحت سيطرة العلويين ،
وأرسل أيضاً الجيوش إلى أطراف الولايات العربية والمغرب وديار بكر وديار ربيعة ، وانتصر على
الأعداء جملة ، ولم يبق له منازع في هذه الممالك .

وفي سنة ٤٣٥ هـ أسقط والي إفريقية (٤٢) اسم المستنصر من الخطبة ، وأعلن ولاءه للقائم بأمر
الله العباسي ، فأرسل إليه القائم خلعاً ومنشوراً ، وأمر ان يسلم له كل الولايات التي استولى عليها .

وفي سنة ٤٤٤ هـ أبدى أهالي حلب عصياناً ، وسيطروا على المدينة ، فأرسل المستنصر جيشاً إلى
هذه الناحية لدفع المخالفين ، وعندما نزل المصريون بظاهر حلب أمطرت السماء سيولاً ففرق
أكثرهم ، وآب من نجا من الفرق ، واستعدوا مرة أخرى للحرب ، وتوجهوا إلى حلب وفي هذه المرة
انهزم واليها ، واستولى المصريون على هذه المملكة ، وفي خلال هذه الأحوال استولى جماعة من أمراء
العرب على إفريقية ، وأسقطوا اسم القائم العباسي من الخطبة والسكة ، وقرأوا الخطبة وسكوا
السكة باسم المستنصر العلوي .

وفي سنة ٤٤٦ هـ بدأ كوكب من كواكب الشؤم ، أضاء شعاعه المدينة ، واستمر اشعاعه فترة
طويلة ، وأدى هذا إلى ظهور عسر شديد ، بناء على هذا كان يموت في اليوم الواحد مائة شخص
جوعاً (٤٣) ، وفي الثاني عشر من جمادى الأولى سنة ٤٤٦ هـ وقع في مصر وسائر ممالك المستنصر زلزال
عظيم ، وصلت شدته إلى أن اضطربت الحيتان في قعر النهر ، وأنفق المستنصر أموالاً لا حصر لها على
المستحقين ، حتى سكن هذا البلاء .

وفي هذه السنة كتبوا محضراً بأشارة الخليفة العباسي مضمونه إن العلويين الذين يحكمون مصر والمغرب كاذبون في دعواهم وأن نسبهم ينتهي بالمجوس ، وأثبتوا في المحضر شهادة جماعة من محبي ومقربى آل عباس ، وأرادوا أن يرسلوا نسخاً إلى أطراف الممالك ليقرأوها في المحافل وعلى المنابر ، ومنع رئيس الرؤساء والوزير الخليفة ، طبقاً لما سبق أن ذكرناه ، وعموماً أخذت دولة المستنصر تزداد كل يوم حتى وصلت إلى درجة أن قبض بسا سيرى على القائم العباسي وحبسه لمدة عام ، وأمر أن يقرأوا الخطبة في مدينة السلام باسم المستنصر .

ومكتوب في بعض كتب التواريخ أن المستنصر كان مجنوناً لدرجة أنه ألقى الجواهر النفسية في النهر ، وكان بخيلاً ، وذات مرة استولى على رواتب ودخول الجنود ، فتوجه الجيش إلى دار الخلافة ، وقبضوا عليه ، واستدعوا أركانهم وأخيراً عقد الصلح بينهم ، فأطلقوا سراحه . (٤٤)

وفي عهد المستنصر توجه ناصر خسرو من خراسان إلى مصر على صيته ، وأقام في مصر سبع سنوات ، وكان يحج سنوياً ، ويعود إلى مصر ، وفي آخر حجة وعند عودته توجه إلى العراق وخراسان من طريق البصرة ، ووصل إلى بلخ بعد أن قطع المسافات ، بدأ يدعو للعلويين ، فتصيده الأعداء وسيطر عليه الخوف ، فتواري في جبل من جبال تلك النواحي ، وقنع بالماء والعشب ، وظل متوارياً لمدة عشرين عاماً ، مثلها كان الحسن الصباح الحميري — الذي عاش مختفياً — خوفاً من السلطان ملكشاه ، وتوجه إلى مصر ، وظل سنة فيها ، وبعد انتهاء إقامته استأذن المستنصر وعاد إلى بلاد العجم ، وتصدى للدعوة ، وسوف يسجل القلم قريباً إن شاء الله أحوال الحسن وبعد مرور (ستين) سنة من حكومة المستنصر لبي دعوة الحق في القاهرة المحروسة (٤٥) ، ولم يحكم شخص قط مثله في إسلامه ، وبعد ذلك ظهر فتور في الخلافة العلوية حتى تفرق كل شيء .



خلافة المستعلي بالله

كان المستنصر في بداية الأمر قد جعل ابنه الأكبر المصطفى لدين الله نزار ولياً للعهد ، وبعد ذلك استاء منه ، فأوصى ألا يقلدوا نزاراً هذا المنصب ، وأن يحمل محله ابنه الآخر المستعلي بالله أحمد ، وعندما مات المستنصر ، انقسم الاسماعيلية فرقتين ؛ بايعت احداها المستعلي ، وأجلسته على العرش ، ودعت جماعة — طبقاً لإعتقادها من أن النص ينص على الأول — لنزار ، وكان الحسن بن الصباح الحميري من جملة أتباع الفرقة الثانية (٤٦) ، وانتظم نزارى القهستاني أيضاً في سلك مؤيدي المصطفى لدين الله نزار ، وتخلصه بنزار ، دال على صدق دعوته .

ويروون أن الإمام جعفر الصادق عليه الصلاة والسلام ، كان قد ولي ابنه اسماعيل ولياً للعهد في أول الأمر ، وعندما عرف أن اسماعيل يداوم على الشراب ، عزله ، وأمر أن يكون موسى

الكاظم عليه السلام إماماً بعده ، ولما كان الاسماعيلية يعتقدون أن النص ينص على الأول ، فانهم بعد وفاة الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، اعتبروا اسماعيل إماماً ، وليس موسى وعندما جلس المستعلى على مسند الخلافة ، أراد أن يتخلص من أخيه نزار ، وفر نزار إلى الاسكندرية خائفاً ، واحتسب بوالها مملوك أبيه ، الذي كان قد خلع المستعلى ، وأجلس نزار على الخلافة ، فأرسل المستعلى جيشاً جراراً إلى الاسكندرية ، لكي يقبض على حاكم هذه الولاية ، الذي تبع نزار ، ويقتله ، ويأسر نزار ، وأحضره مع ولديه عند المستعلى فأمر المستعلى أن يحبسوه في القاهرة حتى مات ، ويقولون ان المستعلى قد حكم سبع سنوات (٤٧) ، وقتل بطعنة أحد أتباع نزار ، وكان عمره ثمان وعشرين سنة .

خلافة الأمر بأحكام الله

بايعه أشرف المملكة في يوم وفاة أبيه المستعلى بالله ، وفي عهده دخل أهل الفرنج إلى حدود ممالكة ، فأرسل الأمر أمير الجيوش بجيش جرار لصددهم ، فتوجه أمير الجيوش بموجب أمره إلى الأعداء ونزل في مواجهتهم ، وضيق الخناق على الفرنجة فمالوا إلى الصلح ، فلم يستجب أمير الجيوش للمصالحة ، وتراجع الفرنجة ، وتوجهوا إلى عسقلان ، فاتفق والى هذه الولاية شمس الخلافة مع هذه الجماعة على مخالفة الأمر ، وأمر الأمر أمير الجيوش بدفع هؤلاء ، فقاد أمير الجيوش الجيش إلى عسقلان ، وقتل شمس الخلافة ، وانهزم الفرنجة . (٤٩)

وفي عهد خلافة الأمر بأحكام الله ، قتل جماعة النزارية أمير الجيوش (٥٠) ، وظلوا أربعين يوماً بقصر الأمر ، وكان صهراً لأمير الجيوش وحملوا النقود والأجناس ، وقتل فدائيو النزارية أيضاً أقسنقر - وكان من أركان دولة الخليفة - في جامع الموصل بخنجر ، وفي عهد خلافة الأمر شاعت دعوة النزارية في بلاد الشام ، وسقطت بعض قلاع تلك البلاد في أيديهم .

وفي الرابع من ذي القعدة سنة ٥٢٤ هـ طعن جماعة من الباطنية وغلاة مذهب النزارية الأمر بأحكام الله طعنة قاتلة اقتصاصاً لنزار ، ولما لم يكن له ابن ، جعل الحافظ لدين الله أبا ميمون عبد الحميد - وكان من أولاد المستنصر - ولياً للعهد (٥١) ، وكانت مدة سلطنة الأمر برواية حافظ أبروتسماً وعشرين سنة .



خلافة الحافظ لدين الله

بعد وفاة الأمر، بايعه الأمراء والوزراء والأعيان المصريون، فوزر الحافظ أبا علي أحمد بن فضل ابن أمير الجيوش رفع درجته، وفي البداية قتل الفدائيون النزاريون أبا علي (٥٢)، فحل محله آخر (٥٣)، وممرت عدة أيام دامية، فوزر الحافظ ابنه حسن محل الوزير الثاني، وكان حسن قاسيا طائشا، يقولون إنه عندما قتل أربعين أميراً في ليلة واحدة، خاف أبوه من حدة وطيش الابن، وذهب جماعة إلى حسن، فقتلهم حسن أيضا، فعرض بقية الأمراء والجنود على الخليفة «إن لم يحسن ابنك لنا، سننقضي عليك معه»، فتحير الحافظ من هذا الأمر، وفي النهاية أمر أحد الأطباء اليهود ليسقى حسن سما، وفي جمادى الآخرة سنة ٥٤٤ هـ توفي الحافظ لدين الله (٥٤)، وكانت مدة خلافته عشرين سنة، وعمره سبعون سنة.



سلطنة الظافر بالله

عندما مات الحافظ بايع الناس ابنه، وفي عهده أراد صاحب طبرية أن يقرأ الخطبة باسم العباسيين، فتضرع جماعة النزارية إلى السماء، وضربوا الخطيب، وأحرقوا المسجد، وفي سنة ٥٤٦ هـ، قُتل الظافر، وسبب هذا هو أنه كان لعباس وزير الظافر ابن يدعى نصر في غاية الحسن والجمال، ولم يكن الظافر يفارقه لحظة، ولا كت الأفواه هذا الأمر، فاتهموا الظافر بالابن، وفي هذه الأيام منح الظافر قرية عامرة (٥٥) لنصر، فقال الناس: إن مهر نصر أكثر من ذلك، فتحركت عرق حمية عباس من هذا القول، وأدخل الظافر وخواصه إلى منزله لضياقتهم، وخرج جماعة من كمين، وقتلوا الخليفة والمقربين منه ودفن عباس القتلى في بيته (٥٦)، وكانت مدة خلافته خمس سنوات وستة أشهر (٥٧).



خلافة الفايز بنصر الله

بايعوه يوم مقتل أبيه، وكان في سن الخامسة من عمره آنذاك، وعندما صار خليفة، وزر ملك صالح، وأمر أن يقبض على عباس، فأراد عباس أن يهاجر من مصر، وطلب أن يتجه إلى الساحل، وفي الطريق وصل إليه الفريجة، فقبضوا عليه وسلبوا أمواله، وعندما استقر ملك صالح على الوزارة، أمر أن يخرجوا جثة الظافر من بيت عباس، ودفنها بكل اجلال واكبار في مدفن آبائه وأجداده..

وفي عهد الفايز استولى عبد المؤمن على بلاد المغرب ، واستخلص أكثر الممالك التي كانت تحت سيطرة الفرنجة ، ويروون أن الفايز كان شاباً حسن الطبع فاضلاً ، ولكنه لم يكن محظوظاً في عمره وحكومته ، وبرواية أنه قد قام بأمر الخلافة ست سنوات وشهرين ، وفي صفر سنة ٥٥٥ هـ ودع الفايز الدنيا في ريعان شبابه ، والبعض قال إن عهد سلطنته أقل من ذلك. (٥٨)



خلافة العاضد لدين الله

بايعة أعيان المملكة في يوم وفاة أبيه الفائز بالله ، وهو آخر الخلفاء العلويين الإسماعيليين ، وفي عهده توجه الفرنجة إلى مصر (٥٩) ، وعندما اقتربوا من مصر ، استولى الخوف والرعب على المصريين ، فطلبوا الصلح ، وبعد الجدل ، تصالحوا على مبلغ ألف ألف دينار ، بشرط أن يطلقوا سراح من تعجل بالتسليم ، ودخل المحصلون الفرنجة المدينة للتحصيل ، واستاء أهل مصر جدا من هذا الأمر واتفقوا على ان يلجأوا إلى نورالدين محمود وإلى الشام ليبعد عنهم عار النصارى ، وسلم شاپور وزير العاضد مائة ألف دينار للأعداء ، وأخذ يماطل في أداء باقى المال ، وكتب رسالة إلى نورالدين محمود بناء على طلب العاضد ، واستغاث به من سيطرة الفرنجة ، وعندما اطلع نورالدين محمود على حقيقة الحال ، أرسل أسد الدين شيركوه بثمانين ألف فارس لصد الأعداء ، وعندما وصل شيركوه إلى حدود مصر ، وعلم أهل الفرنجة بقدومه ، عادوا خاسرين ، ووصل شيركوه في ربيع الآخر سنة ٥٥٩ إلى القاهرة (٦٠) ، فخلع العاضد عليه الخلع ، وكتب معاهدة بخطه ، وسلمه منصب الوزارة. (٦١)

وخلال هذه الأحوال استاء العاضد من سيطرة واستبداد الوزير شاپور (٦٢) ، ووثق بمشورة شيركوه في أمور المملكة ، وفي أثناء تلك الأحداث وصل صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب بن أنسى أسد الدين شيركوه ، مع جماعة من أمراء نورالدين محمود ، وقبضوا على شاپور وعندما وصل هذا الخبر إلى العاضد ، أرسل رسولا ، وطلب رأس الوزير ، وقام الشاميون بتحقيق طلبه .

وبعد قتل شاپور صار أسد الدين شيركوه وزيرا ، ولما مرت خمسة وستون يوما من قيامه بالوزارة ، مات ، وبعد وفاته جعل العاضد زمام الوزارة في يد صلاح الدين يوسف ، وقام بحل وعقد الأمور ، حتى أمر في يوم الجمعة الثاني من المحرم سنة ٥٥٧ هـ إسقاط اسم العاضد من

الخطبة ، وقراها باسم المستضىء بنور الله العباسى (٦٣) ، وانهى دولة خلفاء الاسماعيليه ،
وسبب ذلك هو انه عندما وصل صلاح الدين يوسف إلى منصب عمه بمساعدة بهاء الدين
قراقوش ، وكان من أمراء شيركوه الأقوياء ، أهمل أركان دولة العاضد ، وعندما وصل هذا
الخبر إلى نور الدين محمود ، أرسل رسالة إلى صلاح الدين يوسف أنه من المناسب أن تزين
وتنور رءوس المنابر ووجوه الدنانير باسم ولقب المستضىء ، فأجل صلاح الدين هذا الأمر ،
ورد عليه ان المصريين يتبعون العلويين منذ فترة طويلة ، فان ظهرت هذه الصورة يمكن أن
تحدث فتنة ، لا يمكن تداركها بسهولة ، وطالما أنا على حكومة المملكة فلا صلاح في أن
نتخلص من العاضد حتى يأتى نور الدين محمود إلى مصر ويعزله ، وعندما وصل رد صلاح
الدين إلى نور الدين محمود ، لم يأت على هواه ، فأرسل مرة أخرى رسالاً من أن أسد الدين
سعى كى لا يذكرون اسم العاضد فى الخطبة ولما لم يُرد صلاح الدين المخالفة مع الوالى اهتم ،
وتشاور مع خاصته ، قالوا جميعاً إذا أسقطنا اسم العاضد يحتمل أن يثور المصريون ، ولا تسير
الأمر ، وقررت جماعة انه طالما أرسلنا نور الدين محمود إلى هذه الولاية ، فكيف نخالفه ؟ وفى
أثناء ذلك مرض العاضد مرضاً شديداً ، فقال أحد الأعاجم (٦٤) : لماذا لا يتشجع أحد ،
اليوم يوم جمعة ، سأذهب وأقرأ الخطبة باسم المستضىء ، وتوجه هذا الشخص فى نفس اليوم
إلى المسجد الجامع ، ووقف على المنبر أمام الخطيب ، ودعا للمستضىء ، ولم ينكر ذلك عليه
أى شخص ، وبعده نخطب الخطيب على ما هو متبع من قبل ، وفى الجمعة التالية أمر صلاح
الدين يوسف الخطباء ليسقطوا اسم العاضد من الخطبة ، ويدرجوا اسم المستضىء .

وخلال ذلك ازداد مرض العاضد ، وأخفى أركان الدولة عليه هذا الأمر المحزن ، وقالوا
لأنفسهم : كيف نخبره بهذا الخبر السيء ؟ فلوصح سيسمعه ، وفى العاشر من محرم (٦٥)
انتقل العاضد إلى دار البقاء ، وقام صلاح الدين يوسف بمراسم التعزية ، واستولى على
خزائن ودفائن خلفاء الاسماعيليه ، فسبحان الحى الدائم من لا يزول ملكه ، ورووا أن
العاضد لدين الله كان متصفاً بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم ، وكان كريماً وسخياً سخاء
لا حدود له .

وكان مجموع خلفاء الاسماعيليه الذين حكموا فى المغرب وفى مصر من المهدي حتى
العاضد أربعة عشر شخصاً ، وقد قام المهدي وابنه القائم والمنصور بحكم افر يقية وبعض
البلاد العربية ، وعندما وصل الأمر إلى المعز استولى أيضا على مصر ، واتخذ هذا البلد العظيم
داراً للملك ، كما سبق أن ذكرنا فى هذه الأوراق ، وبعده حكم العزيز والحاكم والظاهر
والمستنصر والمستعلى والأمر والحافظ والظافر والعاضد على التوالي ، كما سجل القلم .

وكانت فترة الحكم من بداية ظهور المهدي حتى انتهاء أيام العاضد مائتين وثمانية وعشرين عاماً ، ان الزمان لا يعطى أبداً إلا واسترد ما أعطاه ، وكل حلاوة تتبعها مرارة ، وكل صفاء يعقبه كدر ، يقول افصح الشعراء :

« الكنز والحية والورد والشوك والغم والفرح سيان » . (٦٦) .

وصل خبر موت العاضد وانتهاء دولة الاسماعيلية في مصر إلى بغداد ، فأبدى الوضع والشريف والأمير والمأمور الفرح والسرور ، وعقدوا الأفراح في المدينة ، ورفعوا راية السرور إلى أوجها ، ودقوا طبول الفرح ، وأرسل الخليفة الخلع والهدايا القيمة إلى نور الدين محمود ، وأرسل إلى صلاح الدين أيضاً الهدايا القيمة من دار الخلافة ، وطالما نتحدث عن أولاد اسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، فن المناسب أن أكتب جملة أحوال الحسن الصباح وخلفائه الذين حكموا في بعض بلاد إيران ، ودعوا الناس لقبول مذهب الاسماعيلية ، ويجب أن نعرف أن كل من ادعى بنوة اسماعيل من خلفاء الحسن الصباح كاذب ومفتري ، وسوف يتضح هذا من سياق الكلام في هذه الأوراق إن شاء الله تعالى .





فصل

في ذكر بعض احوال الحسن الصباح

ذكر بعض المؤرخين أن نسب حسن يصل إلى محمد الصباح الحميري ، وقد ذم خواجه نظام الملك الطوسي (٦٧) هذا الأمر ، وطبقاً لحديثه الذي وصل إلى آذان سامعيه ، يقول خواجه المذكور أفاض الله عليه شأبيب الغفران (٦٨) : « إن الإمام الموفق النيشابوري روح الله روحه ، كان من كبار علماء خراسان ، وكان مباركا ، جاوز عمره الخامسة والثمانين ، ونال شهرة واسعة ، وكان كل ولد يقرأ على يديه القرآن والحديث يصل إلى الحكم ، ويحقق النجاح ، وبناء على ذلك ، أرسلني أبي مع الفقيه عبد الصمد من طوس إلى نيشابور ، لكي أتعلم ، وأستفيد من مجلس هذا العلامة ، وقد شملني بالعناية والرعاية الكاملة حتى قضيت أربعة أعوام في خدمته ، وكان الحكيم عمر الخيام والمخدول ابن الصباح قد جاءا حديثاً إلى هذا المجلس ، وكانا أصحاب فهم عال وطبع قوى ، واختلطوا بي ، وعندما كان ينتهي مجلس الإمام ، يأتيان لمراققتي ، ونسترجع الدرس سوياً ، وكان الحكيم عمر نيشابوري الأصل ، وكان علي والد الحسن الصباح شخصاً سيئ المذهب خبيث العقيدة ، يقيم في مملكة الري ، وكان أبو مسلم المروزي والي هذه الولاية متصفاً بصفاء السريرة وحسن العقيدة ، ولما كان من عادة أهل السنة إظهار العداء التام لهذا المفسد ، فكان دائماً يسعى لدى أبي مسلم ، ليبرأ

ساحته بقول كاذب وبمين فاجر، ولما كان الإمام الموفق النيشابوري قدوة أهل السنة والجماعة، لذا فقد أحضر هذا الماكر ابنه إلى نيشابور للاستفادة من مجلس الإمام لرفع التهمة، وسلك طريق الزهد، وأحياناً كانوا يرون عنه كلام المعتزلة والملاحدة، وعندما كانوا يتهمونهم بالكفر والزندقة، كان ينسب نفسه إلى العرب، وكان يقول: أنا من آل صباح حميري (٦٩)، أبي جاء من الكوفة إلى قم، ومن قم إلى الري ولكن أهالي خراسان، أنكروا هذا الكلام، وقالوا: إن آباءه كانوا من قري هذه الولاية».

«المهم قال هذا المخذول لى وللخيام: انه من الشائع أن تلاميذ الإمام الموفق يصلون إلى الحكم، والآن ليس هناك من شك انه إذا لم نصل جميعاً، فإن أحدنا سيصل، فلماذا لانعقد عهداً؟ قلت: علام؟ قال: نتعاهد على أنه من يصل إلى الحكم، يشاركنا على السواء، قلت ليكون هذا، وتعاهدنا على ذلك حتى مرزمن على هذا، وانتقلت من خراسان إلى ماوراء النهر وغزنيين وكابل، وعندما عدت، تقلدت الأمور».

«وفي عهد سلطنة ألب ارسلان جاء الحكيم عمر الخيام إلتي، وقدمت إليه كل ما يكون لازماً لحسن العهد وحفظ الوفاء، وتلقيت قدومه بالاعزاز والاكرام، وقلت له بعد ذلك: نظراً لأنك صاحب كمال وأهل لمجالسة السلطان طبقاً لمشاركتك لى مجلس الامام الموفق، فاننى سأشرح فضائلك للسلطان، حتى يستفيد من كفاءتك ودرايتك، وحتى تنال مثلى درجة طيبة قال الحكيم: إن أصلك الشريف ونفسك الكريمة، وطينتك الطاهرة، وهمتك العالية، تحفزك لإظهار هذه المكارم، لكن كيف لضعيف مثلى يتواضع معه وزير المشرق والمغرب إلى هذا الحد، وليس هناك من شك أن كرمك صادق لا تكلف فيه، ولكن حقوق إحسانك إلتي كثيرة، ولو قضيت عمري شاكرراً فلا أستطيع أن أوفيك حقك، وأملى ومطلبى هو أن أكون دائماً لك طائعا، وهذه الدرجة التى تأمر لى بها ليست كفراناً بالنعمة والعياذ بالله إذا لم تتحقق، والآن فإن كمال العناية فى أن أعيش فى كنف دولتك، واهتم بنشر الفوائد العلمية والدعاء لك بطول العمر، وأصر على هذا، وعندما أدركت أنه يقول ما فى ضميره دون تكلف، كتبت له معاشاً سنوياً ألف ومائتى تومان (٧٠) من أموال نيشابور، وعاد بعد ذلك واهتم بالعلوم خاصة علم الهيئة حتى ووصل إلى درجة رفيعة.» (٧١)

«وفي عهد السلطان ملكشاه جاء إلى مرو، واشتهر فى علم الحكمة، وأنعم عليه السلطان ووصل درجة كبار العلماء والحكام».

«ولكن هذا المخذول لم يكن له من ذكر فى أيام السلطان ألب ارسلان (٧٢)، وظهر فى عهد دولة السلطان ملكشاه، فى هذه السنة التى فرغ فيها السلطان من أمر قادرودشاه (٧٣)، وسكن مواطن الفساد (٧٤)، جاءنى هذا المخذول، فأبدت له ما فى وسعى من اعزازوا كرام، و يومياً كنت أكرم

خاطره وأنعم عليه (٧٠) ، وذات يوم قال : أيها السيد أنت أهل كمال وفضل ، وقد تحقق لديك أن متاع الدنيا قليل ، ويجوز أن تنقض العهد بسبب الوجاهة والمهبة ، وتدخل ضمن الذين ينقضون عهد الله ، قلت : حاشا لله ، قال : نعم : أنت تقدم إنعاماً لا حدود له وإكراماً لا حصر له ، ولكن أنت تعلم أن المعاهدة بيننا وبينك ليست كذلك ، قلت سمعاً وطاعة الجاه والمنصب بل وسائر الموروث والمكتسب قسمة بيننا . »

« وبعد هذا قدمته إلى مجلس السلطان ، وامتدحته بما هو مناسب ، وأبلغت السلطان الأحوال السابقة التي وقعت بيننا ، وتحدثت مع السلطان كثيراً عن علمه الوافر وأخلاقه الطيبة لدرجة أوصلته إلى درجة الشقة والاعتماد ، بينما كان مثل أبيه شخصاً مزوراً وسيئاً ، وألبس نفسه لباس الأمانة حتى سيطر على مزاج السلطان في أقل فترة ، ووصل إلى درجة أن كُلف بكثير من الأمور الخطيرة والأعمال الجلييلة التي هي من شئون أهل الصدق والتدين ، ووثق السلطان في قوله ، واقتدى به . »

« الهدف من هذا التمهيد هو أنني أوصلته إلى هذه الدرجات ، وفي النهاية ظهر قبح سريرته الفاسدة التي كانت شوماً لمدة سنوات والتي صارت هباءً منثوراً ، وبدأ منه في النهاية خبثاً ، وتولدت في نفسه أسوأ آثار الحسد في أفعاله وأقواله . »

« كان في البداية يبدي نفاقاً ، و يثير فساداً في الديوان ، بشتى الحيل حتى وصل إلى السلطان ما يثيره فسأله عن ذلك ، فأقر في نفس السلطان قولاً معقولاً لمفاسده . »

يقول خواجه نظام الملك : « من جملة مفاسدة تلك القضية ، يوجد في حلب نوع من الرخام يصنع منها الأواني ، وقد جرى على لسان السلطان أنه يجب أن يُحمل إلى اصفهان مقدار من هذا الرخام ، ولا يكون غالياً ، وكان هناك شخص من أهالي سوق العسكر خبيراً بذلك ، وبعد العودة ، قال السلطان لشخصين من العمال العرب إذا حضرتا خمسمائة من رخاماً إلى اصفهان سأعطيكما أجراً مضاعفاً ، وكان لكل واحد منها خمسمائة من حمل خاص به ، فقسما الخمسمائة من رخام على جملها ، وكان لواحد منها ستة جمال ، وللآخر أربعة جمال ، وجاء إلى اصفهان ، وعندما وصلا السوق ، ووصل الخبر ، سُر السلطان ، وأنعم عليها وأعطى العاملين ألف دينار ، وقال لي : قسها على التساوي ، فأعطيت صاحب الجمال الست ستمائة دينار ، وصاحب الأربعة جمال أربع مائة دينار ووصل هذا القول إلى ذلك المخدول فقال : لقد أخطأت في القسمة ، وأعطيت مال السلطان لمن لا يستحق ، ولم تدفع الحق للمستحق ، فيجب ان تعطى ثمانمائة دينار للمالك الجمال الست ، ومائتي لصاحب الأربعة جمال . »

« وفي نفس هذا اليوم أبلغوا السلطان بهذا الخبر ، فطلبني السلطان ، فذهبت إليه ، ووقف هذا المخدول ، وضحك السلطان ، وسأل عن الأمر فانبض المخدول ، وبدأ قوله : لقد أعطى مال

السلطان لمن لا يستحق وترك حق المستحق ، فقال أصحاب المجلس : أوضح ، قال : إن الحمل كله هو هذه العشرة جمال وهم ثلاثة أقسام ، كل قسم خمسمائة من ، وعدد الجمال عشرة ، ثلاثة × عشرة يساوي ثلاثين ، والأربعة × ثلاثة يساوي اثنتا عشرة ، وستة × ثلاثة يساوي ثمان عشرة ، ويكفى لكل قسم نصيبين ، والباقي لصاحب الثمانية عشرة وهو صاحب الجمال الستة ، ويبقى ثمانية ، وصاحب الاثنتا عشرة قسم هو مالك الأربعة جمال ، هذان القسمان وتلك الزيادة ، هي ضمن حصة رخام السلطان ، وعندما تنقسم الألف دينار على هذا تصل ثمانمائة بثمانية ، ومائتان إلى القسمين . »

« المهم عندما قدم كل هذا التمويه والألفاظ لعنادي وتعجيز الآخرين ، قال السلطان قل ما أفهمه ، قال : العشرة جمال وحمل ألف وخمسمائة من ، كل حمل يحمل مائة وخمسين من ، فيكون الأربعة جمال ستمائة من وكسر ، ولديه خمسمائة من خاصته بك ، وكان رخام السلطان مائة من ، والستة جمال الثانية تسعمائة من ، خمسمائة من حملها ولا زيادة ، وتكون أربع مائة من رخام سلطاني ، ومن الألف دينار يبقى مائتان ، فيجب أن ينال ستمائة دينار ومائتين للآخر ، وليس هناك قانون للحساب غير ذلك إلا الإنعام ، ويجب ألا نهمل مرة أخرى أنه يجب المناصفة . »

« قال هذا المخذول هذا القول ، ونظر إلى السلطان ليسرى عني ، لأنني تأثرت داخلياً تأثيراً كبيراً ، وقد صدر منه خبثاً كثيراً ، وكانت أعظم مفسده في دفاتر أموال الممالك التي أبدى يدا بيضاء فيها خلال المدة التي أمهلتها فيها ، وأنهى عمله في أقل وقت ممكن ، ولكنه لم ينل تأييداً من جميع الأمراء لما كان فيه من حقد وحسد ونقض للعهد والميثاق ، وعند عرض هذه الدفاتر لحقه خجل جسم ، ولم يجد مقاماً ببلاط غير هذا ، ولو أن هذا المخذول والعياذ بالله وجدتاً وناً من هذا المجلس لما تمكنا من تدارك أمره . »

و يقول كاتب هذه الكلمات أن حديث خواجه نظام الملك حول أمور الحسن التي أوردها في رسالة وصاياه قد أتت على أحواله تماماً ، وقد ذكر بعض المؤرخين أنه في ذلك الوقت الذي كان الحسن الصباح ملازماً لركاب ملكشاه ، وحدث ذات مرة أن أصاب خاطر السلطان قليل من سوء تجاهه خواجه نظام الملك ، فسأله كم يمكن اعداد دفتر منقح مشتمل على دخل وخرج المملكة ؟ فقال خواجه : في سنتين ، قال السلطان : كثير ، فتعهد حسن الصباح أمام السلطان أن يتمه في أربعين يوماً ، وبناء على التماسه أمر السلطان جماعة من الكتاب بأن يكونوا تحت إمرته ، وأحال إليه هذا الأمر الخطير ووعده حسن بالوفاء ، وفي أربعين يوماً نظم قري الخالصة ، وسمع خواجه هذا الخبر فاستاء . »

وفي رواية أن غلامه كان صديقاً لغلام حسن ، فقال له : لو تجايلت وجمعت أوراق دفتر حسن الممزقة ، سأمنحك ألف دينار ووزيادة وذهب غلام خواجه مع غلام حسن في ناحية وغافله ،

وأنقص الدفتر، فقال جماعة أنه قبل عرض دفتر خواجه نظام الملك ودفتر حسن قال نظام الملك : أرني هذه الأوراق لكي أرى كيف نظمها ، ومنع الحياء غلام حسن ألا يقدم الدفتر لخواجه ، وعندما اطلع خواجه على تنظيم هذا الدفتر، وضع فيه تلك الأوراق وأوقعه على الأرض ، وعندما تبعثرت الأوراق جمعها دون ترتيب ، وخاف الغلام أن يبلغ حسن هذا الأمر ، وعند العرض ظهر الدفتر ناقصا ، وتداخل مع بعضه فسأله السلطان عن الدخل والمنصرف ، ورد حسن بإجابات نعم ، صح ! فتغير السلطان ، وقال خواجه نظام الملك : « إن العلماء يحتاجون سنتين لإتمام هذا الأمر ، ولكنك دعوت جا هلا ليم هذا الأمر في أربعين يوماً فلا بد أن تكون اجاباته ليست إلا ذلك . »

يقول بعضهم إنه عندما وجد حسن الدفتر ناقصا ، سعى لتنظيمه ، وعجل لإطلاع السلطان عليه ، وكلما سأل حسن عن شيء تلكأ حسن في الرد حتى ضاق السلطان ذرعا ، وقال : ما علتك يا حسن ، قال حسن : إن الدفتر كان ناقصا ، وانتزع خواجه نظام الملك الفرصة وقال : لقد عرضت من قبل أن في طبيعته طيش تام ، ولا اعتبار لكلامه ، فاستاء السلطان وطلب أن يؤدب حسن ، ولكن مربيه وقف على هذا الأمر ، ولما لم يعرض أمر حسن الصباح في مجلس السلطان ملكشاه ، خرج مستاء ، وذهب إلى بلاد الري وفر من هناك ، وتوجه إلى اصفهان وهناك اختفى في منزل الرئيس أبي الفضل كي لا يطلبه تابعو خواجه نظام الملك ، ومال الرئيس لصحبته ، وقبل دعوته ، وقضى فترة معه .

وذات مرة جرى على لسان حسن أثناء الحوار شكوى من الوزير والسلطان وقال : إذا وافقتني (٧٦) سنخرب مملكة هذا الفلاح التركي ، وكان الرئيس أبو الفضل من عظماء وعقلاء عصره فاعتقد أن عقل حسن قد أصابه جنون واستولى عليه مرض اختلال العقل ، وإلا كيف يفكر شخص أن يثير اضطراباً بشخصين ضد السلطان ملكشاه - الذي يحكم من انطاكية بالشام إلى كاشغر ، ولم يظهر هذا المعنى أمام حسن ، وفي الليلة التالية ، قدم له وقت الطعام والإفطار شراباً وغذاء يقوى العقل ، وأدرك حسن لفطنته هذا الأمر ، فعزم الرحيل ، وكلما تشفع الرئيس كي لا يفارقه ، أبي .

وعندما عاد حسن من مصر استولى على قلعة الموت (٧٧) ، وبادر الرئيس أبو الفضل لخدمته ، وانتظم في سلك أصحابه وقال له الحسن : أيها الرئيس هل كان عقلي فيه تخبط أم عقلك ، وهل ترى أن الشراب المعطر والغذاء المزعفر مناسب لك أم لي : فطالما وجدت الرفيق فكيف أفي لكلامه .

يقولون : إن حسن الصباح قد خاطب الرئيس بهذا الحديث بعد قتل خواجه نظام الملك ، و وفاة السلطان ملكشاه ، وبعض المؤرخين أورد أن الحسن الصباح قد توارى في منزل الرئيس أبي الفضل بعد عودته من مصر وقد سعى الرئيس لعلاج عقله بناء على الكلام المذكور .

ومسطور في الكتب المشهورة أن تابعي حسن قد جمعوا اسمه وآبائه وأجداده على أنه الحسن بن علي بن جعفر بن محمد الصباح الحميري اليمنى ، وكتبوه على لوحة وقدموها له ، فأنكر هذا الفعل وأمر أن يمحو هذا المكتوب ، وقال : كوني العبد الخاص للإمام أفضل من هذا الأثنى ابنه بالتبني (٧٨) ، ومنقول عنه انه قال : من بداية طفولتي ومنذ كنت في السابعة من عمري ، وهى مقصور على تحصيل العلوم واكتساب الفضائل ، وانتظمت مثل آبائى في سلك الشيعة الإثنى عشرية (٧٩) ، وتصادف أن تلاقيت مع واحد من الرفاق (٨٠) يسمونه « اميرضراب » واستحكمت أواصر المحبة بينى وبينه ، وعقيدتى انه طالما أن الاسماعيلية مذهباً وسلوكاً يوافقون الفلاسفة فاننى أعتقد أن حاكم مصر رجل متفلسف ، وبسبب هذا فاننى كلما تحدثت الأمير فى تقوية مذهب الاسماعيلية تناقشت معه ، وجرت بينى وبينه مناظرات ومباحثات فى مسائل عقائدية ، وكلما قدح الأمير فى مذهبى ، لأسلم له ، ولكنه استقر فى قلبى ، وفى أثناء هذه الأوقات فارقنى ، فابتليت بمرض عضال ، وفكرت فى أثناء هذا المرض من أن مذهب الاسماعيلية حق ، ولكنى لا أصدق من شدة تعصبى ، وإذا جاء أجلى والعياذ بالله دون أن أصل إلى الحق فقد هلكت ، وفى النهاية شفيت من هذا المرض .

واختلطت مع شخص اسماعيلى آخر يلقب بأبى النجم السراج ، وسألته عن حقيقة مذهب الاسماعيلية ، فعرض على أبو النجم مذهب هذه الجماعة بالتفصيل ، واطلعت على غوامضهم وبعد ذلك التمسست من أحد أعيان الملة المذكورة و يدعى مؤمن التقى بالشيخ عبد الملك ابن عطاش (٨١) داعى مملكة العراق ، بأن أبايعه فى قبول الدعوة ، فقال : كيف يحدث هذا ودرجتك فوق درجتى ؟ وعندما تجاوز الحاحى حدا الاعتدال فيه رضى بقبول البيعة ، وصحبته حين كان الشيخ عبد الملك قد وصل إلى الرى ، ورضى بسلوكى ، وأحال إلى أمر الدعوة وقال : يجب أن تذهب إلى مصر حتى تسعد بخدمة المستنصر ، وكان المستنصر بالله العلوى يجلس فى ذلك الوقت على كرسى الخلافة والإمامة ، وعندما توجه الشيخ عبد الملك من الرى إلى اصفهان توجهت إلى مصر .

يقول كاتب الأوراق ، لا فائدة من تفصيل الأمور التى وقعت لحسن الصباح فى طريق مصر ، ولا مانع من ذكرها ، فعندما وصل الحسن إلى حدود مصر ، علم المستنصر ، فأمر أن يستقبله جماعة داعى الدعوة أبوداود وشرىف طاهر قزوينى وغيرهما ، وعندما دخل المدينة ، استقر فى منزل وأرسل إليه المقربين وخواصه ، فبدلوا له أنواع الإحسان والامتنان وبرواية أن حسن قد أقام سنة ونصف فى تلك البلاد ، ومع أنه لم يصل إلى مجلس المستنصر (٨٢) فى هذه المدة إلا أن المستنصر كان دائم الاستكشاف لأحواله ، ويمتدحه ، وكلما زاد فى مدحه ظن المقربون وأرباب الدولة أنه ربما فى بضعة أيام يضع زمام أمور هذه البلاد فى يده .

وفي تلك الأثناء ثارت غبار الوحشة والنزاع بين أمير الجيوش المسيطر على الدولة الاسماعيلية وابن الصباح ، ذلك لأن الحسن يعتبر النص الأول أصل مذهبه ، وكان المستنصر قد جعل ابنه نزار وليا للعهد في البداية ، وبايعه الناس ، وقد جعله أمير الجيوش عن ولاية العهد بسبب استياء الخليفة من نزار (٨٣) ، وفوض هذا الأمر لابن الآخر المستعلى ، ودعا الناس لمبايعته ، وعندما وصلت العداوة والخصام بينهما درجة عالية ، اتفق أمير الجيوش واتباعه على أن يطلبوا من المستنصر أن يرسل الحسن إلى قلعة دمياط ، ولم يوافق المستنصر وفي أثناء ذلك سقط برج قلعة دمياط الذي كان في غاية المتانة ، وتعجب المصريون من هذا وتفاءلوا وحملوا سقوط برج القلعة على أنه كرامات المستنصر وحسن طالع ابن الصباح ، وفي النهاية أركب أهل الحسد والكراهية الحسن مع جماعة من الفرنجة سفينة ، ونفوههم إلى المغرب وعندما توسط القوم المذكورون البحر ، هبت الرياح فتلاطمت الأمواج ، وبقي أهل السفينة في قلق واضطراب ، ورأوا الحسن هادئا مستريحا ، قال له أحد رجال السفينة : يا حسن أراك هادئا مستريحا جدا ، فرد عليه إن مولانا أخبرني أنه لن يصاب أهل السفينة بسوء ، وبعد لحظة تصادف أن هدأت ثورة البحر ، فاحتضن أهل السفينة حسن ، واعتقدوا فيه ، ومرة أخرى هبت الرياح فألقيت السفينة على مدينة من مدن النصارى ، وبعد الضيافة أعاد قاضي هذه البلدة حسن ورفاقه إلى السفينة ، وساروا ، وفي هذه المرة هبت رياح الهبوب العكسية ، وألقت بالسفينة على حدود الشام ، ونزل حسن من السفينة ، وترك سفر البحر ، وذهب إلى حلب ، وقام هناك فترة ، وتوجه إلى بغداد ومنها توجه إلى خوزستان ومن خوزستان سار إلى اصفهان وأقام هناك أربعة أشهر ، ثم عاد إلى خوزستان وأقام بها ، ورحل منها بعد ثلاثة أشهر ، وتوجه إلى دامغان ، وقضى ثلاث سنوات بدامغان ونواحيها ، وقبل دعوته عدد كبير ، وكان يرسل في تلك الأيام الدعاء العظاء إلى قلعة الموت وسائر القلاع والبقاع ، ثم توجه إلى جرجان ، وأراد أن يذهب إلى الديلمة لكن لم يستطع أن يعبر الحدود نظرا لأن نظام الملك رحمه الله كان قد كلف أبا مسلم بأن يقاتل حسن بأى شكل كان ، وألح أبو مسلم في طلبه ، فسار إلى جانب سارى ، ومن هناك توجه إلى دماوند ومن هناك توجه إلى الديلمة من طريق قزوين ، وذهب إلى قصبة قرب آلموت ، وانشغل بالعبادة والزهد في هذه القصبة ، وبعد ذلك صعد إلى قلعة آلموت بحسن تدبير بل بإرادة الملك القدير ، وارتقى معارج الرقى .



استيلاء الحسن على قلعة آلموت بإرادة حى لا يموت

أرسل الحسن الصباح الذى يدعوه الاسماعيلية « سيدنا » ، قبيل توجهه إلى ولاية رودبار الدعاء إلى آلموت ، ليدعوا أهالى القلعة لاتباع حاكم مصر ، وجد حسين قاينى أحد الدعاء فى دعوة

أهالى الموت ، و بايعه أكثر سكان آلموت ، وتبعوا دعوته ، وفي تلك الأيام كان أحد العلويين و يدعى مهدي يقوم بكتوالي القلعة بأمر السلطان ملكشاه فقال للاسماعيلية تبعاً للظاهر ومن أجل المصلحة : أنا واحد منكم ، وهذه الجماعة منكبة ، وفي النهاية وعندما رأى مهدي أن زمام أمر القلعة ، سيخرج من قبضته سلك طريق المكر والحيلة مع كل من يدعو دعوة الحق ، وأرسل إلى الشيخ ، وفتح الباب وقال : هو سلطان هذه القلعة ومن المناسب ألا يخالفه أحد ، وبعد جدال طويل دخلوا قلعة آلموت جميعاً . (٨٤)

وعندما دخل الاسماعيلية القلعة ، لم يلتفتوا لكلام المهدي ، وحل اسم مهدي في دفتر البلهاء ، وفي أثناء ذلك صعد اتباع ابن الصباح القلعة ، ولم يبق للمهدي من شيء أبداً ، وتصادف وقوع هذه الحادثة في رجب سنة ٤٨٣ هـ ، ومشهور أنهم كانوا يسمون هذه القلعة في القدم « إله اموت » « واله اموت » عبارة عن عش العقاب وعدد حروف هذه الكلمة بحسب الجمل هو تاريخ صعود ابن الصباح إلى هذه القلعة ، ولما كان أمير الحسن قائم على الزهد والتقوى قال للعلوي : بع لي مقدارا من الأرض يمكن أن يحيط به — جلد ثور من هذه القلعة بثلاثة آلاف دينار ، فأيده المهدي ، فأحاط حسن جلد ثور حول القلعة بألفي ذراع وحكمها ، وأحاله إلى حاكم كردكوه و يدعونه الرئيس المظفر ، وكان قد قبل دعوته خفية ، لقبض الثمن ، وأخرج مهدي من آلموت شاء أم أبى ، وخرج مهدي من القلعة ، واعتقد مهدي من ان الرئيس المظفر غني وعظيم الشأن ومن المحال أن يسلمنى المال برقعة هذا الرجل ، وبناء على ذلك تأخر في إيصال الرقعة ، وعندما مرت فترة وكان بدامغان ، واحتاج للمال ، أعطى رقعة حسن للرئيس مظفر وعلى الفور أعطاه ثلاثة آلاف دينار ذهباً أحمراً . (٨٥)

يروون أن الحسن الصباح قد كتب رسائل مختصرة وموجزة جدا ، وكانت عبارة الرقعة التي كتبها للعلوي « على الرئيس المظفر أن يسلم مبلغ ثلاثة آلاف دينار ثمن قلعة آلموت لمهدي العلوي ، على النبي المصطفى وآله السلام وحسبنا الله ونعم الوكيل » .

وعسوماً استولى ابن الصباح على الموت وأمر بحفر نهر يحضر الماء من أعلى إلى أسفل القلعة ، وأمر أن يشجروا خارج القلعة بالأشجار المثمرة ، وعمل الأهالي بزراعتها ، وكان هواء الموت قبل صعوده عفنأ جداً فصار طيباً ، وسعى بعد الاستقلال بالحكومة باستخلاص نواحي الموت والقرى القريبة منها ، وكان يستولى عليها باللين والشدة ، وأرسل حسين قاينى الذى سبق ذكره مع جماعة من رفاقه لدعوة أهل قهستان ، وذهبوا إلى هذه الولاية بموجب أمره ، ونشروا الدعوة وعملوا على ضبط وربط بلاد قهستان وأعمالها وقراها حسب طاقتهم . (٨٦)



رحيل سكان الموت بسبب تعرضهم للأعداء وظفر ابن الصباح والموتيون بهم

عندما أجبر الحسن الصباح بعض أهالي ولاية رودبار بتابعه بالقهر والتهديد والوعيد ، وبنى قلاعاً شامخة في أماكن مناسبة ، ووصلت دقات طبول دولته ودعوته إلى مسامع القريب والبعيد والترك والتاجيك ، تحرك عرق الحمية عند أحد أمراء ملكشاه ، وكانت أقطاعه نواحي الموت ، وهجم عدة مرات بمقدار من الجيش الذي لديه على نواحي القلعة ، ولما لم تكن القلعة حتى ذلك الوقت غير مستعدة بالذخائر ، بينما كان هذا الأمير دائم الهجوم على نواحي القلعة ، لهذا السبب ضاق الأمر بالاسماعيلية ، وأرادوا أن يسلموا القلعة لعدد من الرجال الشجعان و يتوجهوا إلى الجانب الآخر ، وعندما علم حسن بهذا الأمر قال لهذه الجماعة : وصل الخبر عن الإمام يعني المستنصر أن سكان الموت يجب ألا ينتقلوا من مكانهم لأن من المتوقع أن ينالوا في هذا المكان الإقبال ، فاستقر هذا القول في خاطر الاسماعيلية ، وقوى قلبهم ، وبمجرد أن جرت هذه الكلمة على لسان ابن الصباح ، سمو هذه القلعة « بلدة الاقبال » .

وعندما وصل صوت خروج ومخالفة الحسن إلى سمع الأقالبي والأداني ، وانتشر ضرره لأهل السنة والجماعة ، فأرسل السلطان ملكشاه في أوائل سنة ٤٨٥ هـ الأمير أرسلان تاش (٨٧) لقمع الحسن الصباح وتابعيه ، وتوجه المشار إليه بطائفة من الشجعان بموجب الأمر إلى الموت ، وقطع المنازل ، واهتم بمحاصرة القلعة ، وفي ذلك الوقت لم يكن في خدمة حسن من الرفاق أكثر من سبعين شخصاً ، وكان لديهم ذخيرة قليلة ، وكانوا يقضون وقتهم بسد الرمي ، واستعدوا للحرب والقتال ، وأثناء ذلك أرسل أبو علي - الذي كان يقيم في نواحي قزوین وقبل دعوة الحسن وتبعه جمع غفير - ثلاثمائة رجل بناء على التماسه للمساعدة ، وانتهز المرسلون الفرصة ، والتفوا حول القلعة وأغاروا على جيش أرسلان تاش بمساعدة جماعة من ولاية رودبار كانوا قد خرجوا من القلعة ، وهزموا هذه الجماعة ، ووقعت غنائم كثيرة في يد الاسماعيلية ، وعندما وصل الفارون إلى معسكر السلطان ، ففكر وأصدر أمراً بأن يتوجه قزل سارق (٨٨) أحد خواصه بجيش خراسان لمهاجمة حسين قاينى الذى كان قد أثار الفشننة في قهستان - وتوجه قزل سارق بقوة كبيرة لدفع ملاحدة قهستان ، وتحصن حسين قاينى مع رفاقه في قلعة من قلاع مؤمن آباد ، وسعى قزل سارق للتضييق على أهل القلعة ، وتحارب حرباً ضروساً إلا أنه وصله خبر وفاة السلطان ملكشاه فجأة ، فاضطر رفع الحصار ، وتفرق جيشه ، وأطلق ملاحدة قهستان بعد وفاة السلطان - مثل طغاة الموت - يد النهب في كل مكان ، وشرعوا في الظلم والتعدي . (٨٩)



الأمور التي وقعت بعد قتل خواجه نظام الملك و وفاة السلطان ملكشاه

للاسماعيلية ، و بيان استخلاص قلعة كرد كوه ولا ماستر

عندما قُتل خواجه نظام الملك على يد أحد الفدائية (٩٠) ، بأمر حسن الصباح كما سنوضحه ضمن أحوال خواجه المشار إليه ، توفي السلطان ملكشاه بعد قتله بعدة أيام ، أخرج فدائية الإسماعيلية يد النهب من جيب التهور ، فقتلوا الأمراء والمشاهير — الذي أبدوا عداوة لهم — بسبب التعصب الديني والمذهبي ، وهوى ولاية الأطراف في ورطة العناء والأسى حسب حب وكره حسن الصباح ، وكلما سعى سلاطين زمانه بقلع وقع رفاقه ، كلما غرس فدائيوه الخنجر والسكين في أعدائه ، وعندما وقع شقاق بين ولدي السلطان ملكشاه ، بركيارق والسلطان محمد من أجل الملك ، ظهر المهرج والمرج في بلاد العراق ، كان الرئيس المظفر — الذي كان من قبل أميرداو حبشي ونائبا له — قد وصل إلى درجة عالية في دولة بركيارق ، وكان يحكم دامغان ، وسعى لدى السلطان لكي يسلمه زمام حكم قلعة كرد كوه ، وعرض الأميرداو وهذا الأمر على بركيارق ، فحقق السلطان له رغبته ، وبعد جدال قتل كوتوال القلعة (٩١) ، ودخلت القلعة المذكورة تحت سيطرة الأميرداو ، وتوجه الرئيس المظفر على سبيل إنابة حبشي إلى كرد كوه ، وأنفق أموالاً كثيرة في عمارتها وتحصينها ، ونقل جميع خزائن الأميرداو من نقود وأجناس ، وعندما حصل على أموال كثيرة وذخائر عديدة ، أبدى طاعة وقبولاً لدعوة الحسن الصباح ، وحكم هذه القلعة فترة طويلة .

وفي أيام سيطرته أمر أن يحضروا في هذا الجبل بشرا عمقه ثلاثمائة ذراع ، وعندما لم يصل إلى الماء تركه ، وبعد وفاته حدث زلزال شديد ، وظهرت مياه عذبة من هذا البئر ، عموماً عندما قويت دعوة الحسن بتأييد الرئيس المظفر — الذي كان سداً منيعاً ، ارتقى نجمه ، فأرسل بركيارق بزرك أميرد مع جماعة من الرفاق إلى قلعة لامستر التي ثار أهلها (٩٢) ، فصعدوا إلى القلعة في ليلة العشرين من ذي القعدة سنة ٤٩٥ هـ وأعمدوا القتل في أهلها ، وقضى بزرك أميرد عشرين سنة في هذه القلعة ، حيث لم يطلبه الحسن ولم يخرج منها .

يقولون : في ذلك الوقت الذي توجه فيه السلطان سنجر من خراسان إلى العراق بادر الرئيس المظفر لخدمته ، فشمله بانعامه وإكرامه ولما كان السلطان عاجلاً لم يفحص القلعة ، ولم يتحدث أركان الدولة في هذا الأمر ، وعندما عاد السلطان من العراق ، ووصل إلى دامغان أعد الرئيس المظفر بآشارة حسن الصباح أسباب الضيافة ، وقدم للسلطان وأعيان دولته التحف والهدايا الثمينة ، وبسبب الضعف والشيخوخة حملوا الرئيس على محفة أمام السلطان ، فأكرمه السلطان ورفع درجته أعلى من درجة سائر أصحاب المناصب ، وعند الوداع قال الوزير للرئيس على سبيل التوبيخ : إنك لم تقصر حتى آخر عمرك في إطاعة الملاحدة ، وقد أعطيت خزينة الأميرداو لهم ، فقال الرئيس على الفور : لا تنقل هذا لأنسى رأيت الحق في جانبهم ، والمهدف من طاعتي لهم ليس المال ولا الحرمة

ولا الجاه ولا الحشمة ، انظر كيف كتبوا القايي في ديوان السلطان ، واذا كان هدفي المنصب والغنى ، فلا يجوز أن أفارق بلاط السلطان مطلقا ، إن الاسماعيلية يكتبون الرسائل التي بأن يزيد الله الرئيس المظفر خيرا لما يفعل وما يعرف ، وتعجب الوزير من هذا القول وقال : فتأخذ الفرمان في الحال ، ولتذهب وفي هذه المرة قال جماعة من النواب للسلطان : يجب ان تطلب الأميرد او من الرئيس ، وعلم الرئيس بهذا الأمر ، فقال للسلطان : اننى أنا وسكان القلعة عبيدك الخواص ، نسعد بانعامك واكرامك ، وننشأ في جوعنايتك ورعايتك ، فرفع السلطان الرئيس إلى درجة الخواص وعاد الرئيس محققا هدفه ، وتوفى سنة ٤٩٨ هـ وكان مدة حياته مائة سنة وستة وخمسة أشهر .



محاصرة قلعة رودبار وهزيمة الجيوش الجرارة

عندما ودع بركيارق الدنيا ، ووصل الملك إلى السلطان محمد بن ملكشاه ، أمر أحمد بن نظام الملك بالتوجه إلى ناحية ولاية رودبار بجيوش جرارة ، وشحذ همته لمحاربة وقلع الاسماعيلية ، وسعى أحمد في أول الأمر لمحاصرة قلعة الموت ، وعرض مزارع الباطنية للتلف ، واستاء أهل القلعة ، وأرسلوا أزواجهم وأبناءهم إلى قلاع أخرى (٩٣) ، وفي أول سنة ٥١١ هـ أرسل السلطان محمد الأتابك نوشتكين لتسخير الموت وسائر قلاع الاسماعيلية تبعاً لقدرته ، وتوجه الا تابتك نوشتكين إلى رودبار ، وسعى جدياً في محاصرة أهالي الموت ولا مستر ، وأمر ب نصب المجانيق ، وامتد الحزب والضرب والقتال والجهدال بين الفريقين قرابة عام ، وفي ذى الحجة من السنة المذكورة كاد فتح القلاع ، وفجأة وصل الخبر من أن السلطان محمد قد توفى ، ولذلك سعى الجنود للعمل بمضمون المثل « من نجا برأسه فقد نجا » ، وفروا ، وخرج الاسماعيلية من القلاع ، وأطلقوا يد الغارة والنهب ، وحملوا كل ما وقع في أيديهم من طعام وأسلحة وآلات حرب إلى القلعة . (٩٤)

وعندما استقر السلطان سنجر على كرسي الحكم ، عمل بكل قوته لاستئصال الاسماعيلية وأرسل الجيوش تترى إلى قهستان ، وظل النزاع قائماً فترة بين أهل السنة والجماعة وأرباب البدع والضلالة ، وفي أثناء ذلك أثار حسن الصباح مكيدة ، ليثير الرعب للسلطان فطلب من أحد ملازمي (٩٥) البلاط أن يدخل خيمة السلطان ذات ليلة ، وهونائهم ، و يعلق خنجر على رأسه ، وعندما استيقظ السلطان ، ورأى هذا الأمر ، خاف ، ولما لم يكن معلوماً من الذي فعل هذا ، سعى لإخفائه ، وبعد عدة أيام أرسل حسن رسالة إلى السلطان ، من انه لو لم يكن يرد خيرا للسلطان لكان هذا الخنجر قد استقر في صدرك ، وعندئذ شعر السلطان سنجر بالرضا عن المصالحة ، وقال : إن صلحي مع هذه الجماعة مشروط بثلاثة شروط ، أولها : ألا تجدد القلعة ، وثانيها : ألا يشتروا أسلحة وآلات حرب بعد ذلك ثالثها : ألا يدعوا الناس لقبول مذهبهم .

ولم يجز الفقهاء هذا الصلح ، واتهم الناس السلطان بحب هذه الطائفة ، وتوثقت المصالحة بين السلطان وحسن وترك السلطان مال قومه ونواحيها كدخل لهم سنويا ، وأرسل المناشير حتى يأخذ أهالي كردكوه من الذهب والآيب شيئا كضريبة ، ولهذا السبب قوى أمر الملاحدة .

وخلال تلك الأحوال قُتل حسين قاينى داعى قهستان بيد حسين دماوندى ، وأكد البعض قتله على يد أستاذ حسين بن حسن الصباح ، وبسبب هذه التهمة أمر حسن أن يقتلوا حسين واتهموا ابنه الآخر أيضاً بشرب الخمر ، فقتله حسن أيضا ، وهدفه من هذا هو أن يخبر الحكام أنه لا يقصد من دعوته ان يحكم أبناؤه من بعده .

و يروون أن حسن الصباح قد أقام خمسا وثلاثين سنة في الموت لم يصعد أعلى بيته أكثر من مرتين ، ولم يخرج قط من القلعة . ، كان مشغولاً خلالها دائما بتدبير أمور الملك وتلفيق العقائد التي توافق مذهبه ، وكان يتشدد في إبراز شريعته حتى أنه كان لا يسمح لأحد بالخروج من القلعة ، ولم يسمح لأحد بالمرور بالقلعة .

وفي أيام دولته قُتل كثير من أهل الاسلام — الذين نازعوا الاسماعيلية — بخنجر الفدائية ولو سجل القلم مقدار أعمالهم الحرام على سبيل التفصيل ، والتي وقعت في أيامهم ، لخرجنا عن المقصود ، وعموما ابتلى ابن صباح بمرض الموت في ربيع الآخر سنة ٥١٨ هـ ، وعندما أحس بدنو أجله أرسل رسولا إلى قلعة لامستر ، واستدعى كيا بزرگ اميد ، ونصبه مكانه ، وفوض أمر الدعوة وسير أمور الديوان لعلى ، وأوصى قائلاً « يقوم هذان الشخصان بالاتفاق مع صاحب الجيش حسن قصرانى بتنظيم أمور الرعية ، حتى يظهر الامام على رأس المملكة ، و يلتقى شعاعه على أحوال الرعية ، وأسرع حسن الصباح في السادس والعشرين من الشهر المذكور الى منزله ومركزه الأصلي الذي كان قد حدد له . (١٦)



حكومة كيا بزرگ اميد

حل بزرگ اميد محل حسن الصباح بعد وفاته ، وظل أربع سنوات مع جماعة الرفاق الذين قلدهم حسن ، وفي أيام دولته بنى قلاعاً قوية ، وأرسل الجيش إلى أطراف الولايات التي كانت قرية منه ، وأدخلها جميعا تحت سيطرته ، وأمر في سنة ٥٢٠ هـ بتجديد قلعة ميمون دژ ، ونصب عبد الملك على حكومتها ، وفي شعبان من نفس السنة قاد ابن أخيه الأتابك شير كير جيشا ، وتوجه إلى جانب رودبار ، وقد أرسل كيا بزرگ اميد جماعة لحربه ، وقد هزمت هذه الجماعة ، وسقطت في أيديهم أموال ودواب لا حصر لها .

وفي سنة ٥٢١ هـ وما بعدها حدث نزاع بين السلطان محمود السلجوقي وكيابزرگ أميد ، فقد أرسل السلطان محمود رسالة يطلب فيها شخصاً من آلوت ليحضر بصحبته إلى أصفهان ليتصالح ، وأرسل رسولاً برسالته إلى آلوت ، ليبلغ مضمون التماس السلطان محمود إلى كيابزرگ أميد ، وأرسل كياخواجه ناصحى شهرستانى إلى أصفهان ، وعندما قدم خواجه المذكور الطاعة ، تحدث في المصالحة ، وخرج خواجه من مجلس السلطان ، فقتله العوام ورفيقه فأرسل السلطان رسولاً إلى آلوت ، وأبدى اعتذاراً ، من انه ليس لنا فى ذلك دخل ، فقال كيابزرگ للرسول : عد وقل للسلطان « إن محمد ناصحى قد اعتقد فى كذبكم بالقسم والعهد ، وذهب إليكم ، فإذا كان مات قوله صدقا ، فاقتل القتلة والا انتظر القصاص » .

لم يهتم السلطان بهذا القول ، إلى ان توجه الرفاق فى غرة سنة ٥٢٣ هـ إلى قلعة قزوین ، فقتلوا أربع مائة رجل ، واستولوا على ثلاثين ألف رأس غنم ومائتى جواد وبغل ومائتى بقرة ، وتعقبهم أهالى قزوین ، و حاربوهم ، فقتل أجد أشرف قزوین ، وهزم من تبقى .

وفي الرابع من المحرم سنة ٥٢٤ هـ ، جاء ثلاثون ألف رجل من جيش العراق إلى قلعة لامستر ، وعندما علموا بتوجه أهالى قزوین ، فروادون قتال وإراقة دماء ، وفى أثناء ذلك مرض السلطان محمود السلجوقي ، وتوفى ، وهاجم الرفاق قزوین مرة أخرى ، واستولوا على مائتى وخمسين جوادا ، وأربعة آلاف رأس غنم وعشرين بغلا ، وقتلوا مائة تركمانى وعشرين قزوینيا .

وفي سنة ٥٢٦ هـ توجه جيش آلوت إلى أبى هاشم العلوى فى گیلان ، لأنه يدعى الامامة وأرسل الرسائل إلى الأطراف ، ودعا الناس لمبايعته ، وفى البداية أرسل رسالة نصح إلى كيابزرگ اميد وقال فى الرسالة : « إن مذهب الاسماعيلية مشتمل على الكفر والزندقة » ، وعموماً عندما وصل الرفاق إلى الديلمة ، حاربوا أبى هاشم ، وهزموا أتباعه ، وتفرقوا ، وتعقبهم الرفاق ، وقبضوا عليه ، وبعد مناظرات طويلة ، أحرقوا هذا المسكين .

ولما كان السلطان محمود قد توفى ، وصار السلطان مسعود حاكماً للعراق ، بادر خوارزمشاه لخدمته ، وقال : إن الهدف العام من هذا أن نقضى على الملاحدة ، فأقطعه السلطان اقطاع بازوار فرفض ، ولجأ إلى كيابزرگ اميد ، وأرسل أولاده وحرمه إلى درخوس التى كانت تحت سيطرة الاسماعيلية ، فقال كيابزرگ أميد : كثيرا ما أثار العداة معنا فى الأيام السابقة على هذه الاقطاعات ، وكان يعتذر ، والآن طالما لجأ إلينا ، فواجب علينا رعايته ، وبالتوالى قويت عرى الصداقة بين خوارزمشاه والاسماعيلية ، وأرسل بعد رفض الاقطاعات رسولاً إلى كيابزرگ أميد حاملاً رسالة من انه يبدو عليكم كثيرا من آثار العداة والخصومة على هذه الاقطاعات واننى أسعى دوماً لمحبتكم ومودتكم ، والآن شرفنى السلطان بهذه الاقطاعات ، وكان يذهب إلى ولايتكم ، فلو سلمنى اياها ، توثقت معكم الألفة والمحبة ، فرد عليه

كيا بزرگ أميد : أن خوارزمشاه يقول الحق ، واننا تركنا عداوته ، وعلى هذا جرت بين خوارزمشاه وكيا مناقشات يطول ذكرها .

وفي أيام حكومة كيا بزرگ أميد قتل الفدائيون جماعة من الأعيان والأشراف من القتلَى قاضى الشرق والغرب أبوسعيد الهروى (٩٨) ، وابن المستعلى الذى قُتل فى مصر بطعنة سبعة أشخاص من الرفاق (٩٩) ، وسيد دولتشاه رئيس اصفهان ، وأقسنقور حاكم مراغه ، والخليفة المسترشد (١٠٠) ورئيس تبريز وحسن بن أبى القاسم مفتى قزوین ، وقتل أيضاً على يد هؤلاء الفدائيين الملاعين جمع آخر من أعيان الدولة والدين .



حكومة محمد بن كيا بزرگ أميد

ولى كيا بزرگ أميد ابنه محمد ولياً للعهد قبل وقاته بثلاثة أيام ، وعندما توفى (١٠١) سُرد أعداؤه ، ولكن عندما استقل محمد بالحكومة ، وتبع سنة أبيه ، يشوا .

لما كانوا قد قتلوا الخليفة العباسى المسترشد فى أواخر أيام كيا بزرگ أميد ، وقتلوا أيضاً ابنه الراشد (١٠٢) وكان فى بداية دولته ، وتفصيل هذا الإجمال هو انه عندما تقلد الراشد أمر الخلافة ، مال بعضهم لخلعه ، وأطاعه بعضهم ، وقبل أن يستقر أمر الحكومة عزم الانتقام لدم أبيه ، وتحرك من دار السلام طبقاً لما ذكرناه فى المجلد الثالث ، وعموماً فقد عانى الراشد المصاعب ، ووصل اصفهان فى حالة ضعف (١٠٣) ، وفى أثناء ذلك اقتحم أربعة من الفدائيين خيمته ، وقتلوه بطعنة خنجر ، وواروه التراب فى نفس المكان ، وتفرق البغداديون ، ووصل هذا الخبر إلى الموت ، ودقت الطبول سبعة أيام بلياليها استبشاراً ، ومنذ ذلك الوقت عاد الخوف من النزارية يسيطر على نفوس خلفاء العباسيين ، واختفوا عن أعين الناس .

وفى عهد سلطنة كيا بزرگ أميد هاجم الاسماعيلية المسمون بالرفاق النواحي والأطراف ، ووقعت بينهم وبين المخالفين حروباً لاتعد ولا تحصى ، وانتصروا فى أكثر المعارك على الأعداء ، وسعى كيا محمد مثل أبيه وحسن الصباح فى إقامة رسول الإسلام واحياء سنن محمد صلى الله عليه وسلم حسب الظاهر ، وما يؤيد هذا القول هو أنه فى وقت سلطنة كيا محمد ، وصل السلطان سنجر ذات مرة إلى ولاية الرى ، وأرسل إلى الموت ، واستفسر عن معتقداتهم ، فأجابته هذه الجماعة (الاسماعيلية) « إن عقيدتنا هى أننا نؤمن بالله عز وجل ، ونعلم أن العقل والنظر يوافقان ويطابقان ما قاله رسوله ، وانه يجب أن نرعى أحكام الشريعة الغراء كما نطق بها كتاب الحق سبحانه وتعالى ، ونؤمن بما فى القرآن المجيد ، وما أخذ به رسوله من مبدأ ومعاد وثواب وعقاب وحشر ونشر ، ولا يجوز لأحد ان يغير حكماً من أحكامه » ، المهم انهم كشفوا جميع معتقداتهم ، وقالوا إن الأصول والفروع إذا قبلها السلطان فيها ، وإلا فيرسل أحد علماء الملة ليناظرنا فى هذا المجال .

وعندما عاد الرسل ، أبلغوا السلطان بهذا القول ، تعلق السلطان ، وكف يد الأذى عنهم ، وحكم كيا محمد خمساً وعشرين سنة (١٠٣) ، وودع الحياة بعد أن أقام عدة قلاع حصينة في أيام دولته ، وفي عهده قتل الفدائيون أيضاً جمعا غفيرا من الأعيان والأمراء والقضاة والعلماء الذين وقفوا منهم موقف العداء ، وأسماء القتلى مذكورة في بعض التواريخ .



بعض حالات وحكومة حسن بن محمد بن بزرك أمير المشهورين الأنام «على ذكره السلام» .

عندما وصل حسن بن محمد المسمى «على ذكره السلام» إلى سن الرشد ، انكب على دراسة العلوم ومبحث الآراء الدينية ومذهب الإسماعيلية ، وبعد ذلك شرع بتحصيل وتعلم المسائل العقلية ، وكان يستخدم معلوماته بحيطه وحذر ، وخاف الناس ، ولما كان أبوه خالياً من الفضل وعارياً من العلم ، فقد تصور الجهال والعوام انه عالماً متبحراً وظنوا انه الإمام الموعود الذي وعد بظهوره الحسن الصباح وهو حسن بن محمد ، وبالتدريج ازداد اعتقاد الرفاق به ، وبالغوا في طاعته ، وأراد حسن أن يكون إمام زمانه .

وعندما علم كيا محمد باعتقاد الناس في ابنه ، جمع الناس ، وأنكر ذلك على ابنه ، وقال على رؤوس الأشهاد : حسن ابني ، وأنا لست إماماً بل انني داع من دعائه ، وكل داع خلاف هذا كافراً وملحداً ، وقتل من تلك الجماعة التي صدقت إمامة ابنه قرابة مائتي وخمسين شخصاً ، وطرده مائتي وخمسين آخرين من القلعة ، وخاف حسن من هذه البيعة ومن تأديب أبيه وأطلق لسان الطعن واللعن في الجماعة التي اعتقدت ذلك ، وبالع في إبطال اعتقاد الفرقة المذكورة واثبات طريقة أبيه ، وكتب رسائل وألح في هذا الأمر إلى درجة انه محي هذه الصورة تماماً من ضمير محمد بزرك أمير .

وعندما انشغل حسن بالشرب خفية ، شربت الطائفة التي اعتقدت بامامته الخمر ، وارتكبت المحظور ، واعتبرت ذلك من علامات ظهور الإمام الموعود ، وترجع على كرسى الحكومة والسلطنة بعد وفاة أبيه ، وسعى لمحو الشريعة الغراء ، ولم يحاسب أحداً قط على ارتكابه المحرمات والمحظورات ، وبالتدريج ظهرت آثار الحاد وسوء اعتقاده ، ووصل الأمر درجة أن توجه أهالي ولاية رودبار إلى الموت سنة ٥٥٩ هـ بموجب أمره ، وبعد ذلك أمر أن ينصبوا منبراً في المصلى جهة القبلة ، ووضعوا أربع رايات كبيرة ملونة بأربعة ألوان هي الأحمر والأبيض والأصفر والأخضر على أطراف المنبر الأربعة ، وأمر أن يسرع الناس إلى المصلى يوم السابع عشر من رمضان من السنة

المذكورة ، وكانت هذه المصلى ساحة واسعة عريضة تقع أسفل الموت وبعد اجتماع القوم صعد حسن المنبر ، وسعى لإضلال سامعيه وغوايتهم ، من أن الإمام المختفى قد جاء إليه ، وبعبارتهم جاءه برسالة أساسها تأكيد وتعميق قواعد مذهب هذه الجماعة ، وفتح أبواب الرحمة والرفقة على تابعيه وطائعيه ، واختار هذه الطبقة - الذين يدعوهم عبيده الخواص ، واعفاهم من تكاليف الشرع ، وأراح خاطر عباده الخواص من إفعال ولا تفعل وأوصلهم إلى القيامة ، ثم قرأ خطبة باللغة العربية ، وقال : « هذه الكلمات أيضاً من كلام الإمام » ، وأقام شخصاً أسفل المنبر لترجمتها في حضور المجلس ، وكان مضمون الخطبة « ان حسن بن محمد أمير خليفتنا وداعيتنا وحجتنا ، يجب على شيعتنا اطاعته في الأمور الدينية والدنيوية ، ويعتقدون في حكمه المحكم وقوله المفصل ، ولا يجوز لهم تجاوز أمره ، وانكار حكمه لأنه أمرنا ، واعلموا أن مولانا قادر رحمهم ، ورفعهم إلى الله عز وجل » .

قال حسن بن محمد هذه الخرافات والهذيان ، ونزل عن المنبر ، وصلى ركعتين ، ومد الموائد ، وأمر القوم ليفطروا ، وأمر أصحاب المقاهي وأرباب الملاهي أن يحيوا الأعياد بالطرب والفرح والسرور ، وقال : إن اليوم عيد القيامة ، ومنذ ذلك الحين اعتبر الملاحدة السابع عشر من رمضان عيد القيامة (١٠٥) ، وفي ذلك اليوم أقدم على الله والمرح ، واستمع الكاتب من مولانا يوسف شاه قال : روى واحد من الثقات : وصلت ذات يوم إلى الموت ، ورأت البيت مكتوباً :

« رفع مخدوم الزمان «على ذكره للسلام» قيود الشرع بتأييد الهى » . (١٠٦)

وعموماً عندما صدر هذا الفعل الشنيع والحركة القبيحة من حسن ، وظهرت رسوم الإلحاد في ولاية رودبار وقهستان ، وأطلق لفظ الملاحدة على الاسماعيلية ، ولطخوا أسماء الحكام السابقين الذين كانوا يراعون قواعد الشريعة كما ينبغى أيضاً .

وقد رووا انه على الرغم من أن حسن في خطبة السابع عشر من رمضان قد أعلن أنه ابن محمد بؤرگ أمير لكنه كان يذكر في رسائله التي كان يرسلها إلى أطراف الولايات أحياناً تصريحاً وأخرى تلميحاً من أنه من أولاد نزار بن المستنصر ، ومن جملة رسائله التي توضح هذا القول ، انه أرسل ذات مرة رسالة إلى الرئيس مظفر ، الذي كان نائباً من قبله في قهستان مضمونها « انسى حسن ، أقول : إننى اليوم خليفة الله على وجه الأرض ، وخليفتى قهستان هو الرئيس مظفر ، يجب على أهل هذه الديار أن يطيعوا فرمانه ، ويعتبرون قوله قولى » .

وقد أمر هذا الرئيس الملحد أن يقيموا منبراً في قلعة مؤمن آباد ، وقد صعد على هذا المنبر ، وقرأ رسالة حسن على الناس ، وأبدى الملحدون سرورا ، وضربوا الدف حول المنبر وعزفوا بالنادى وشربوا الشراب ، وأظهروا الإلحاد والزندقة والفساد ، وتحرك عرق الاسلام عند جماعة من أهالي هذه المملكة ، ورحلوا عن وطنهم اختيارياً ، وبقي بعضهم ممن لا يستطيع الذهاب مستائين ، وظلوا بمساكنهم .

ذكر طائفة من الملاحدة الكفرة واعتقادهم في مجال نسب « على ذكره السلام »

رفع جماعة من الاسماعيلية في رودبار وقهستان راية الكفر والعصيان ، وقالوا : إنه في عهد « سيدنا » (١٠٧) جاء شخص من الثقة وأهل الرأي للمستنصر بالله ، يسمى و يلقب بأبي الحسن الصعيدي بعد وفاة المستنصر بسنة من مصر الى آلوت ، وأحضر برفقته غلاما من أولاد نزار — كانوا يزعمون أنه مستقر أمر الامامة — ولم يكشف أبو الحسن هذا سرا لا للحسن الصباح ، وقدم سيدنا لأبي الحسن الاحترام ، وسمح له بالانصراف بعد ستة أشهر ، وجعلوا مقر الإمام بقلعة — كانت في نهاية آلوت — وجعلوا الإمام المذكور « كدخدا » (١٠٨) حاكماً لهذه القرية .

وفي عهد محمد بن بزرك أمير سعد برؤية الابن وهو « على ذكره السلام » وتصادف أن ولد في هذا اليوم ولد من زوجة محمد ابن بزرك أمير ، ودخلت زوجة على ذكره السلام الخيمة — عندما لم يكن هناك من أحد قط بالمنزل سوى ابن محمد وحملته ، ووضعت على ذكره السلام مكان ابن محمد ، وحملت هذا الطفل خارج القلعة .

وفي رواية حول نسب حسن بن محمد بن بزرك أمير ، يهزيء العقل منها ، وهي ان امرأة دخلت منزل ملك ، وسرقت ابنه ، وتركت طفلاً آخر محمله ، ولم يطلع أحد على هذا الأمر .

ولما كان الاسماعيلية يزعمون أن كل فعل صدر عن الإمام جاثريل حسن ، ولهذا روى جماعة منهم على سبيل الاعلان أن الإمام الذي أحضره القاضي أبو الحسن ، قد باشر زوجة محمد بزرك أمير ، وحملت هذه المرأة « بعلى ذكره السلام » ، وعموماً فإن النزارية يذكرون كثيراً من المزخرفات حول نسب حسن ومذهبه ، ومنها أنهم يعتبرونه قائم القيامة ، ودعوته دعوة القيامة ، ذلك لأن عقيدتهم الفاسدة هي أن القيامة تقوم حين يصل الناس إلى الله ، وترفع تكاليف الشرع ، ولما كان الناس قد وصلوا إلى الخالق في عهد امامته ، لهذا قام على ذكره السلام برفع رسوم الشريعة ، ونعوذ بالله من الكفر والخذلان . (١٠٩)

وعندما تجاوزت فضائح وقبائح على ذكره السلام حيز الحصر ، طعنه صهره ، وكان من بقايا آل بويه ، ويتسم بالايان والايقان — بخنجر في قلعة لا مسترف سنة ٥٦١ هـ (١١٠) ، وعندما أسرع على ذكره السلام إلى جهنم ، حل ابنه الفاسد محله .



حكومة محمد بن حسن بن محمد بن كيا بزرك أمير

عندما قُتل حسن ، استقل محمد بن حسن بالحكومة (١١١) ، قتل حسن نامور وجميع أقربائه من ذكر وأنثى انتقاماً لدماء أبيه ، وكان محمد هذا أطول باعا من أبيه في اظهار

مذهب الضلالة ، وأصر على دعوة الامامة — ادعاء بالحكمة والفلسفة ، بل انه ظن في نفسه التفرد في هذا الفن وسائر فنونه ، ورووا عنه كثيراً في علم المعقول والمنقول والفروع والأصول ، ولما كانت هذه الكلمات لا تتناسب مع سياق التاريخ فلا داعي لايرادها ، وقد ذكروا أن الامام الفخر الرازي عليه الرحمة والبرصوان وهو غنى عن التعريف أنه في أيام دولة محمد بن حسن ، توجه إلى آذربيجان ، وعاد من هناك وأقام في الري ، وقام بالدرس ، فقال الحاسدون : إن الإمام قبل دعوة الملاحدة ، بل انه صار داعية لهم ، ووصل هذا القول إلى مسمعه ، فاستاء جدا ، وصعد المنبر لإبراء ساحته ورفع تهمة الناس ، وانطلق في لعن الاسماعيلية ، ووصل هذا الخبر إلى أموت ، فأرسل محمد بن الحسن فدائيا إلى الري ، ليقابل الإمام ، ويعرض على الامام بعض الكلمات حين تحين الفرصة ، وتوجه الفدائي إلى هذه الولاية بناء على الأمر ، وسعد بشرف المثول أمام الإمام فخر الدين ، وقال له : اننى فقيه أريد أن أتعلم وأتلمذ على يدك ، وظل سبعة أشهر في مقام الاستفادة ، ولم يجد فرصة قط إلى أن رأى ذات يوم خادم الإمام وهو خارج من الخانقاه ، فسأله : من بمجلس الامام ؟ قال : لأحد ، قال الفدائي ، أين أنت ذاهب ؟ أجابه : اننى سأحضر الطعام لمولانا ، قال : انتظر لحظة لأن لدى عدة مسائل معقدة وأريد أن أعرضها على مولانا ، فقبل الخادم ، دخل الفدائي حجرة الامام ، وأوصد الباب ، وسل خنجرا ، وألقى الامام على الأرض ، وجلس على صدره ، فقال الإمام : يا فلان ما غرضك ؟ قال : أشق من الصرة إلى الصدر ، فسأله الامام : لماذا ؟ قال الفدائي : لأنك لعنتنا على المنبر ، فخاف الإمام منه ، وقال : تبت ولن أطلق لسانى بلعنكم ثانية ، وأقسم ، فقال الفدائي : طالما تخلصت من قبضتى ، فاهتم بنفسك وأول القسم ، وذكر الامام القسم ... فهض الفدائي من فوق صدره ، وقال : لم أكن مأمورا بقتلك ولكن لم أجز التقصير والتأخير ، والآن يبلغك محمد بن حسن السلام ، ويطلب أن تزور القلعة لتصبح حاكما مطلقا ، لنصبح مخلصين في طاعتك ، وقال أيضا : إننا نخاف مطلقا من كلام العوام ، لأننا نعتبرهم غائبين ، ويجب ألا تطلق لسانك بلامتنا لأن كلامك ينقش في القلوب كالنقش على الحجر ، قال الامام : إن ذهابى للقلعة غير ميسر ، لكن لن يصدر منى قط بعد هذا ما يخالف مزاج حاكم أموت ، وعندما وصل الكلام إلى هذا الحد ، قدم الفدائي مبلغ ثلاثمائة وستين دينارا ذهبيا ، وقال : هذا على سبيل المثال راتب لك سنويا ، وقد تقرر لك سنويا من الديوان الأعلى ، فخذ ما يوازى هذا المبلغ من الرئيس أبى الفضل ، وعندما أذهب ، سيرسل مولانا لك ثوبين .

وغاب الفدائي بعد قول هذه الكلمات من لحظته ، وأخذ الإمام الذهب والخلعة ، وأخذ أيضا ما كان مقرراً له مدة أربعة أو خمسة أعوام ، وتوجه إلى سلاطين الفور غياث الدين

وشهاب الدين ، وأسرع من ناحية الغور إلى خوارزم ، وقضى فترة في صحبة السلطان محمد خوارزمشاه ، ووصل إلى أعلى الدرجات .

وقد ذكروا أن الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله ، كان قبل مقابلة الفدائي المذكور ، وفي أثناء الدرس إذا وصل إلى مسألة فيها خلاف كان يقول خلافا للملاحظة لعنهم الله ودمرهم الله وخذلمهم الله ، وعندما أخذوا الإمام تحت سيطرتهم ، وأرسلوا الخلع ، كان عندما يصل إلى المسائل المخالفة ، يقول خلافاً للاسماعيلية ، ولا يضيف على هذا اللفظ كلمة أخرى .

وذات يوم قال أحد التلاميذ للإمام : لماذا كان مولانا يلعن الملاحدة قبل ذلك ، والآن لا يفعل ، اجابه : لأنه لا يمكن لعن الاسماعيلية لأن لديهم البرهان القاطع !

عموماً قام محمد بن حسن وكان في التاسعة عشرة من عمره برشق أمور المملكة والسلطنة وقضى ستاً وأربعين سنة في استقرار ، ويقول أحد شعراء الاسماعيلية فيه :

« لماذا الغم ؟ وبيننا اسم محمد بن علي ذكره السلام » . (١١٢)

لقد أراق الملاحدة الدماء في عصوره ، وقطعوا الطرق ، وتناولوا ، واستولوا على أموال المسلمين ظلماً ، وكان لدى محمد بن حسن عدة أولاد ، كان أكبرهم جلال الدين ، وصل سن الرشيد في عهد أبيه ، فأنكر مذهب أسلافه ، وأعرض عن طريق آبائه وأجداده ، ولهذا السبب خافه الأب وحذر كل منهم الآخر ، وذات يوم دخل جلال الدين البلاط ، وارتدى الدرع تحت الثياب ، وأخذ جماعة من الملاحدة - الذين اعتقدوا فيه - لحماية ، وقضى فترة على هذا الحال حتى توفى محمد بن حسن في سنة ٦٠٧ هـ و برواية بعضهم مات مسموماً . (١١٣)



حكومة جلال الدين حسن بن محمد بن حسن

ولد سنة ٥٥٢ هـ ، وعندما سيطر على كرسي الحكم بعد والده ، سعى لإقامة واحياء قواعد الشريعة الفراء كما ينبغي ، وألغى رسوم الاتحاد تماماً ، ومنع قومه وشيعته عن ارتكاب الملاهى والمحرمات ، وأمرهم أن يبنوا في كل قرى ولاية رودبار حماما ومسجدا ، ويعودوا إلى عادة إقامة صلاة الجمعة ، وأرسل الرسل إلى خليفة بغداد الناصر لدين الله والسلطان محمد خوارزمشاه وسائر ملوك العراق والأطراف الأخرى ، وأخبرهم بعقيدته الصافية وصدقته الخلفاء والسلاطين في هذا الأمر ، وخلعوا الخلع على رسله ، وسمحوا لهم

بالانصراف معززين مكرمين ، وفتحوا أبواب المراسلات والمكاتبات ، وخاطبوه بالألقاب المناسبة للسلطين ، وأفتى الأئمة في هذا المجال بصحة إسلامه ، واشتهر بجلال الدين حسن «نومسلمان» . (١١٤)

وعندما أتم بناء المباني وبقاع الخير والمساجد والمعابد التي بدأها أول حكومته ، استدعى الفقراء والعلماء والحفاظ ، ونصّبهم في الإمامة والخطابة وغير ذلك ، وقدم لهذه الجماعة أسباب الاحسان والشفقة والامتنان ، ولما كان قد وقع بين قزوين والاسماعيلية حروب ومنازعات ونهب لمدة طويلة لذلالم يقبلوا اسلام جلال الدين حسن واتباعه ، وفتحوا باب الحوار ، وطلبوا الدليل والبينة ، وسمى جلال الدين لارضائهم ، وأرسل رسالة إلى عدد من أعيان قزوين ، ليوضح لهم حقيقة هذه الدعوى ، وأرسل أهالي قزوين جماعة من العدول إلى آلموت ، وأحرق جلال الدين حسن في حضور أكابر قزوين كتب حسن الصباح التي كانت مشتملة على أصول وفروع مذهب الاسماعيلية قزوين ، ولعن آباءه وأجداده ، وبعد هذه الأفعال حكم أئمة قزوين باسلامه .

وفي أيام دولته عزمّت أمه — وكانت امرأة زاهدة عابدة ، زيارة بيت الله ، وسارت خاشعة تماما ، وجعل جلال الدين على نظام سلاطين الاسلام بصحبته الراية والسبيل ، وعندما وصلت هذه السيدة إلى دار الخلافة ، تلقاها الخليفة بالإعزاز والإكرام (١٠) ، وأمر أن يقدموا راية جلال الدين على راية الملوك الآخرين في طريق الحج ، وعندما وصل هذا الخبر إلى السلطان محمد خوارزمشاه ، استاء من الخليفة الناصر ، وسوف يخط القلم ماصار من خلاف بينه وبين الخليفة الناصر إن شاء الله تعالى .



توجه جلال الدين حسن «نومسلمان» إلى ناحية آران وأذربايجان

عندما سلك جلال الدين حسن مع الأتابك مظفر الدين أوزبك حاكم بلاد آذربايجان طريق المحبة والوداد (١١٦) ، بينما أثار ناصر الدين منكلى والى العراق مع الأتابك الخلف والعناد ، تعرض لبعض ممالك جلال الدين ، فسار الأتابك وجلال الدين معاً لصد ناصر الدين ، فتوجه جلال الدين من آلموت إلى آذربايجان ، وقام الأتابك بلوازم الضيافة على مايرام ، وأنزله منازل التكرم ، وقدم لجيشه صنوف التحية والاكرام ، وبعد اظهار كل هذه الانسانية والبروة ، قرر أن يرسل يومياً ألف دينار إلى خزائنه من أجل احتياجات المطبخ ، واتفقوا على أن يرسلوا الرسل إلى دار السلام ، ويأخذوا الإذن من الخليفة لدفع حاكم العراق ، وأرسل ناصر جماعة من الأعيان مسطور أسماؤهم في كتب التواريخ لطلب العون ، قال لهم

ان طاعة جلال واجبة ، وعندما قوى جانب الأتابك مظفر الدين وجمال الدين بالرجال الشجعان والأبطال الميامين ، توجهوا إلى ملك العراق ، واصطفا لمواجهة ناصر الدين منكلى فى سنة ٦١١ هـ وقتلوه ، ومكنوا آخر من المملكة .

وعاد جلال الدين حسن بعد عام ونصف من آذربايجان إلى الموت ، وخلال هذا السفر وطول مدة إقامته فى بلاد الإسلام أكد تبرأه من مذهب الأجداد ، وانتلط المسلمون به ، وعندما انتشرت شهرة جلال الدين حسن فى العالم ، أراد أن يتصل بأمرء گيلان ، وأرسل الرسل إلى هذه الولاية ، وأطلعهم على ما فى ضميره ، فأجابوه : إن الخليفة لا يقبل هذا ، فأرسل جلال الدين رسلاً إلى دار السلام ، وعرض أمله ، فسمح له الناصر لدين الله ، ان يتصل بحكام العالم ، وتزوج جلال الدين أخت كيكائوس وولد علاء الدين من هذه السيدة . (١١٧)

وعندما توجه جنكيز خان من التركستان قاصداً السلطان محمد خوارزمشاه فكر جلال الدين حسن فى العواقب ، وأرسل إليه الرسل فى الخفاء ، ووالاة ، وفى سنة ٦١٨ هـ كانت بلاد الاسلام تضطرب بسبب هجوم التاتار ، حين توفى جلال الدين حسن (١١٨) ، وأجلس ابنه علاء الدين محمد على كرسى الولاية .



حكومة علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن

حل محل أبيه فى التاسعة ، وقتل جمعا غفيراً من أقربائه وبطانة جلال الدين بتهمة أنهم دسوا له السم ، ولما كانت عقيدة الاسماعيلية تقر أن أحوال الإمام واحدة سواء فى الطفولة أو الشباب والكهولة ، وكل حكم يحكم به فهو صواب وصدق ، لهذا لم يكن لأحد حق الاعتراض والانكار ، فلا جرم من أن كل ما أمر به علاء الدين سواء صواب أو خطأ كان تابعوه ينفذونه ، واهتم دائماً باللهو والطرب والصيد والتنزه وتربية الخراف ، وصارت تنظيم أمور المملكة معقوداً ومنوطاً بالنساء .

وعندما تنكر علاء الدين لمذهب أبيه ، سلك الاسماعيلية — الذين لم يربخ الاسلام فى باطنهم بعد — سلوكه ، حتى اندرست فى عهد دولته رسوم الشريعة ، ومرة ثانية راج مذهب الزندقة والاحاد (١١٩) ، وهدم القواعد الجيدة — التى كان قد سنها أبوه جلال الدين حسن — واختلت أمور الملك والملة ، وأهملت أمور الدين والدنيا ، وعندما مرت خمس سنوات من حكومته ، فصد نفسه دون مشورة الطبيب ، ونزف دماً كثيراً ، ولهذا السبب أصاب رأسه

فساد كبير، وأصيب بمرض الماخوليا، ولم يستطع أى مخلوق علاجه، وازدادت العلة يوماً بعد يوم حتى وصل الأمر إلى أنه مامن شخص يعرض أى أمر من أمور المملكة وأحوال الجيش والرعية لا يوافق طبعه إلا وقتل، ولهذا السبب أخذوا يخفون عنه الأمور الظاهرة والباطنة، ولم يستطع أى ناصح أن ينصح بأى شكل أو ينسب ببنت شفة، وعندما تجاوز هذا الأمر مداه، سرى الاضطراب فى تمام مملكته وأهله وماله وعياله.

وفى عهد علاء الدين بن محمد حمل ناصر الدين - الذى باسمه اخلاق ناصرى، خواجه نصير الدين محمد الطوسى إلى قلعة الموت، وظل بها حتى أيام ركن الدين خورم شاه يقول: إن علاء الدين كان مريداً للشيخ جمال الدين گيل، وكان يرسل إليه سنوياً مبلغ خمسمائة دينار ذهباً على سبيل النذر، وكان الشيخ يصرفها على طعامه، فقال أهل قزوین على سبيل لومه: انك تعطيه ملك فارس وتأكل مال الملاحدة، وصل هذا الكلام إلى سمع الشيخ، فقال الشيخ: إن الأئمة يأخذون مال هذه الجماعة غصباً، ويقدمونه حلالاً، وطالما يقدمه بارادته فهو من باب أولى حلال، وأمتن علاء الدين على أهالى قزوین فى حضرة الشيخ فقال: لو لم يكن هذا الشيخ بينكم لأحضرت تراب قزوین بكم فى مخلاة إلى قلعة الموت.

وذات يوم قدم شخص رسالة الشيخ إلى علاء الدين فى أثناء سكره، فأمر أن يضربوه مائة جلده، وعاتبه، فقال: أيها الشقى الجاهل لماذا تعطينى رسالة الشيخ فى أثناء السكر؟ كان يجب أن تصبر حتى أخرج من الحمام وأتنبه.

قال فى أيام طفولة ركن الدين: ان هذا الولد ولى عهدى. وعندما وصل ركن الدين إلى سن الرشد، عظمه الاسماعيلية، وافترقوا حول أوامر أبيه وأحكامه، إلى أن استاء علاء الدين من ابنه فى شهور سنة ٦٥٣ هـ، فقال: إن ولاية العهد منوطة بابنى الآخر، فلم يعر الاسماعيلية اهتماماً لهذا الكلام، لأن أصول مذهبهم تقول أن الأول أحق باعتبار النص.

وفى أثناء ذلك التهديد والوعيد تعقب علاء الدين ركن الدين، ويشس الإبن من الأب، وفكر فى أن يهرب من خدمة الأب، وتحصن فى قلعة من القلاع الحصينة، وتصادف أنه فى هذه السنة خاف الأمراء وأعيان الدولة أيضاً من علاء الدين، ولكنهم سلكوا طريق التملق والنفاق، وعندما تجمعت أسباب هلاك علاء الدين، كان حسن المازندرانى وهو رجل مسلم، تعلق علاء الدين بمحبته كثيراً على الرغم من شيبته، بل وصل الأمر إلى أن اللسان لا يقدر على ذكر هذا الفحش حياءً واجتمع معه بمكان فانتهر الفرصة واتفق مع ركن الدين، وذات يوم حسب الاتفاق كان علاء الدين يشرب ونام فى بيت كان مصنوعاً من الخشب والغاب متصللاً باصطبل الأغنام، وفى منتصف الليل ضربوا عنقه، ولم يطلع على السر آخر، وكان ذلك فى شوال سنة ٦٥٣ هـ. (١٢٠)

سلطنة ركن الدين خورشاه بن علاء الدين محمد الملحد

عندما جلس ركن الدين خورشاه محل أبيه ، لم يبحث عن دم أبيه ، لكنه قتل حسين المازندراني وأبناءه (١٢١) ، وكانت أمه كلما استاءت منه اتهمته بقتل الأب ، وأرسل ركن الدين - على خلاف علاء الدين - الرسل إلى كيلان ، ووضع أسس المحبة مع حكام هذه المملكة وأرسل رسولاً لبقاً إلى حاكم همدان ميسورنوين ، وسلمه رسالة من أنه عندما وصلت إلى الحكومة ، لن أسلك إلا طريق الطاعة والولاء ، وسأحوي غبار العناد والمخالفة عن وجه الزمان ، فرد عليه ميسورنوين : إن وصول هولاء كوشيك ، وصارح خورشاه في أن يلجأ بنفسه إلى بلاطه ، وبعد توافد الرسل اتفق على أن يرسل ركن الدين خورشاه أخاه شهنشاه في صحبة ميسورنوين لملازمة هولاء ، ووفى بالوعد .

وعندما أرسل شهنشاه إلى ميسورنوين ، أرسله ميسورنوين مع أخيه إلى البلاط ، وفي العاشر من جمادى الأولى سنة ٥٦٤ هـ قاد ميسور الجيوش المغولية وغيرها إلى ديار الموت ، واجتمع جنود وفدائيوز ركن الدين على قمة جبل قريب من الموت ، ووصل جيش المغول إليها ، وعزم الصعود إلى هذه القمة ، ووقع بين الفريقين قتال عظيم ، ولما كان الجبل محاطاً ، قُتل الكثير من الرجال الشجعان للأعداء ، وأحرقوا غلاة الاسماعيلية ، وقاموا بتخريب الولاية .

وخلال هذه الأحوال وبعد وصول شهنشاه ، أرسل هولاء كوخان الرسل إلى الموت ، وأبلغه بأمر ملكي مضمونه : طالما ان ركن الدين قد أرسل أخاه ، وأبدى ولاء وطاعة ، فاننا نتسامح عن جرائم أبيه وأتباعه ، ولم يظهر من ركن الدين نفسه خلال الأيام التي حل فيها محل والده - جرم ، فيجب ان نترك له قلاع التي خربتها ، وكان قد كتب رسالة إلى ميسور أيضاً لكي يكف يد التخريب عن ولاية رودبار ، وعندما وصلت هذه الأخبار والأحكام إلى مسامع ركن الدين وميسورنوين ، قام ركن الدين بهدم بعض حصون القلاع ، وأجلى ميسور الجيش عن رودبار ، وتوجه صدر الدين زنگي بموجب أمر ركن الدين مع أحد رسل السلطان إلى المعسكر ، وعرضوا على هولاء : أن خورشاه قد نرب عدة قلاع ، وقد توقف الرسل في ولاية رودبار بسبب تخريب باقى القلاع ، ونظراً لخوف خورشاه من مهابة الخان فقد طلب مهلة من انه سيذهب لخدمته بعد سنة أخرى ، وسمع هولاء كوخان صدر الدين وسفارته بالعودة ، وجعل بصحبته (باسقاي) ، وأرسل معه رسالة من انه لو أراد ركن الدين اطاعتنا فعليه أن يسرع إلى معسكرنا وان يقوم الشخص الفلاني الذي أرسله ويدعى باسقاي بحماية مملكته .

وأصيب ركن الدين لسوء حظه بالتلعثم والتخبط ، فأرسل إلى الخان وزيره شمس الدين كيلكى وابن عمه سيف الدين سلطان ملك بن كيا منصور على سفارة ، وتعذر بأعذار غير مقبولة ، وتوجه نوابه من كردكوه وقهستان إلى المعسكر الظافر ، وأبدوا الولاء والطاعة .

وعندما وصلت رايات هولاكو إلى دماوند ، أرسل شمس الدين كيلكى إلى كردكوه ، ليحضر معه حاكم القلعة ، وعين آخر من رفاق الوزير على قهستان بمثل هذا الأمر ، وأرسل سيف الدين سلطان ملك مع عدد من الرسل إلى ميمون دژ ليقول لركن الدين أن ملك الدنيا قد نزل في دماوند فلا مجال للتوقف أبدا ، وإذا تأخر عدة أيام في المشول فليرسل ابنه قبله رهينة ، ووصلوا في أوائل رمضان في سفح القلعة ، وأخبروه بوصول رايات فاتح العالم إلى هذه النواحي ، فأصيب ركن الدين وقومه بالحيرة ، واستولى عليهم الرعب والخوف ، ورد على الرسل بنصيحة أهل المشورة ، اننى سأرسل ابني ، ويقول قصار النظر انه كان قد ولد له ابن آخر من خادمة في قصر ابيه ، يعادل ابنه في نفس السن ، فسار الابن بصحبه الرسل إلى هولاكو ، واتمس ان يرسل شهنشاه أخاه الذي كان في المعسكر .

وعندما وصلت الراية الظافرة للملك القوي إلى حدود ولاية رودبار ، ظهر الرعب على ركن الدين ، وبعد يومين أرسل الابن الكاذب إلى ركن الدين ، وقال له : إن هذا الولد لا يليق لخدمة الملك ، فلو أرسلت أخاه الآخر ليلازم شهنشاه فترة ، فليما يوافق على التماسه بالانصراف .

وفي تلك الأثناء وصل شمس الدين وزير تاج الدين مردانشاه حاكم قلعة كردكوه إلى المعسكر الظافر ، وسمح الملك لشهنشاه بالعودة في التاسع من شوال من السنة المذكورة وأمره ان يقول لأخيه : انك خربت ميمون دژ فأسع إلى الملك ، وان لم تأت يعلم الله ما يحدث .

وخلال هذه الأحوال عاد القواد - الذين كانوا قد توجهوا إلى نواحي الممالك - لجمع الجيوش ، عادوا بجيش يملأ السهل والجبل ، والتحقوا بمعسكر الخان ، ونزل الملك في السابع عشر من شوال بظاهر ميمون دژ ، وقام بالحصار ، وفي الخامس والعشرين من الشهر المذكور وقعت الحرب ، واضطرب ركن الدين ، وفي اليوم التالي أرسل ابنه ، وهو ابنه الوحيد ، مع أخيه ايرانشاه لخدمة الملك ، وتضرعوا ، وفي التاسع والعشرين من شوال خرج ركن الدين مع خواجه نصير الدين الطوسي وجماعة من الأكابر والأعيان من القلعة ، وقدم أموالاً كثيرة ، فوهب الملك أكثرها للجنود .

ومستطور في بعض الكتب انه قبل خروج ركن الدين من القلعة أرسل خواجه نصير برسالة إلى هولاكو ، فقال له خواجه نصير : إن الملك لا يهاب حصانة وامتانة قلاع الملاحدة

كما أن علامات النجوم وأوضاع الفلك تخبر أن دولة الاسماعيلية قد وصلت إلى نهايتها ، وأفلت شمس سلطتهم ، واحتجز الملك خواجه في معسكره ، وجد في استئصالهم ، ولم تمتد أيام حكومة ركن الدين أكثر من عام . (١٢٢)



انقراض حكومة ركن الدين خورشاه بن علاء الدين وتخريب القلاع

عندما خرج ركن الدين من ميمون دثر ، وطلق عروس المملكة بالثلاثة ، وانزوى في ركن من معسكر هولوكو ، جعلوا جماعة من قوم التاتار للحفاظ عليه ، وأرسل الملك رجال ركن الدين بصحبة الرسل إلى قلاع ولاية رودبار ، ليقوموا بهدم المباني الحصينة ، وفي فترة وجيزة ، سووا قلعة جهلونند - وكانت مملوءة بالذخائر ومعروفة بالمتانة - بالأرض ، ولكن سكان الموت ولامستر وعدة قلاع أخرى تعللوا في إطاعة الأمر ، واتمسوا أنه عندما يقترب موكب الملك سيعملون بأمره ، وتحرك هولوكو خلال ثلاثة أيام ، ونزل بظاهر الموت ، وأرسل ركن الدين إلى سفح القلعة ليتوعد سكانها ، ودعا هذه الجماعة للطاعة ، ونفذ ركن الدين مضمون الأمر ، وتمرد كوتوال القلعة ، وترك الملك جماعة لمحاصرة الموت ، وتوجه إلى لامستر ، وأطاعه أهالي هذه القلعة ، وخاف أهالي الموت من عقاب الملك ، وأدركوا أن الخلاص في اطاعته ، فأرسلوا الرسل إلى ركن الدين ، واتمسوا أن يتشفع لذنوبهم عند الملك ، ونالوا صك الأمان بعد تذللهم ، والتحق حاكم القلعة بالمعسكر ، وأمهلوا سكان هذا المكان ثلاثة أيام ، لينقلوا أمتعتهم وأقشتهم ، وقبلوا هذا .

وفي اليوم الرابع صعد الجيش ، ونهبوا كل ما بقى في القلعة ، وآلوت جبل يشبهونه بريقة جمل ، تصل حصانها إلى درجة انه حين تخريبها ، كان الفريسان يضربونها كأنها بروج مشيدة ، وقد حفروا في احجارها عدة أحواض من العسل والشراب وبعد تسخير القلعة غاص الجنود في الخمر والعسل ، وكانت أكثر ذخائر القلعة التي كانت معدة من عهد حسن الصباح كانت لا تزال بحالتها ، ولم تصب بتلف ، وقد حملوا هذا المعنى على كراماته .

عموماً فرق السلطان جيش ركن الدين ، وتوجه في سنة ٦٥٤ هـ ظافرا إلى (أزدغ) الذي كان قد تركه في نواحي همدان - ولازم ركن الدين الراكب الظافر ، وعطف عليه السلطان وأكرمه ، وأرسل ركن الدين عدة أشخاص من خواصه بصحبة رسل السلطان إلى القلاع التي كانت في نواحي ولاية الشام ليسلموها لولاية الخان .

وفي أثناء ذلك تعلقت إحدى بنات أزدال بحب ركن الدين ، فقدم المملكة مهراً للعروس وعلم الملك بهذا الأمر ، فأمر أن يزوجه هذه الفتاة ، وعندما تزوج التمس أن يرسل لخدمة منگوقاآن ، وتعجب الملك كثيراً من التماس ركن الدين ، ولكن عندما وجد أن هذا الالتماس يوافق مزاج شهر يار ، حقق رغبته ، وأرسل طائفة من المغول لحراسته ، وقبل ركن الدين هذا من هولاء كوه ، وعندما وصل إلى كردكوه ، هاجموا سكان هذا المكان - الذين كانت فيهم روح العناد ، ونهبوهم .

وفي غرة ربيع الأول سنة ٦٥٥ هـ خرج من معسكر الفاتح ، وسار في طريقه ، وعندما وصل سفح القلعة المذكورة ، أمر أهالي القلعة بالنزول ، وأرسل الخبر سراً ، ليحموه ولا يدعوا باب القلعة أبداً ، وعندما سار ركن الدولة من سفح القلعة ، وقطع المسافات والمراحل ، عبر النهر ، ولذكائه أبدى خصومة وعداء مع جماعة من ولاية الملك فاتح العالم - الذين كان قد أرسلهم معه إلى خدمة منگوقاآن - وصل إلى درجة أن تشابكوا بالأيدى (إذا أراد الله شيئاً هياً أسبابه) .

على كل حال وصل ركن الدين إلى قراقوم ، وأبلغه رسول منگوقاآن برسالة يقول فيها : طالما تدعى طاعتنا ، لماذا لاتسلمنا بعض القلاع مثل كردكوه وغيرها ؟ والآن يجب أن تعود وبعد أن تخربها ، تعال إلى المعسكر الظافر ، لتسعد بشرف ولاننا ، وأعاد هذا المخذول ، وعندما أبلغوه شاطيء جيحون ، وبسبب ما كان يواجه رسله من جوع ، انزلوه ، وأعمدوا فيه السيف البتار وقتلوه . (١٢٣)



أحوال أبناء وأتباع ومن ينتسب إلى خورشاه بعد توجهه إلى التركستان

وخدمة ملك العالم منگوقاآن

لما كان فرمان منگوقاآن هو أن يجدوا في القضاء على الاسماعيلية ، ولا يدعوا أولادهم الذين في حوزتهم أحياء ، لذا أصدر هولاء كوه بعد غيبة ركن الدين خورشاه أمراً ؛ بأن ينفذوا الأمر في جميع حشمه وخدمه - الذين كانوا قد سلموهم إلى وكلاء أشداء - بالمئات والألوف ، وأرسل أحد ثقافته إلى قزوين ليبري أولاد وبنات وأخوة وأخوات وجميع أهل وقوم وعشيرة ركن الدين - الذين كانوا في هذا المعسكر - في نار الفناء ، وقتل شخصين من هذه الجماعة كان قد سلمهما إلى بلغاخواتون - اقتصاصاً منها لقتل أبيه جفتاي - الذي قتله الفدائيون ، وانقطع نسل كيا بزرگ اميد ، ولم يبق أحد منهم على وجه الأرض .

وصدر أيضاً أمر لقائد جيش خراسان - الذي كان مسئولاً عن ضبط وربط قهستان - حتى لا يبقى على أحد من ملاحدة هذه البلاد - وأشرح المشار إليه الاسماعيلية من الولاية ، وأعمد القتل فيهم ، حتى قضى على اثني عشر ألفاً من هؤلاء الأخصاء على أثرى الذلة والهوان ، وأرسل العيون إلى أطراف المملكة وكلها وجدوا أحد الرفاق ، ووقفوا على سره أطاحوا برأسه ، وهذه الوسيلة أمنت الطرق ، وبدأ الذاهبون والآيبون يسيرون بلا خوف ، وانطلقت السنة بقية أهل الاسلام - الذين ظلوا آمنين من سيف التاتار الكفار - بشكر نعمه البارئ سبحانه وتعالى والدعاء لهؤلاء.

وبعد أن انتهى هؤلاء من أمر الاسماعيلية وبسعى خواجه نصير الطوسي عزم التوجه إلى دار السلام بغداد طبقاً لما سيتم شرحه في الكتاب الخامس آملاً العون الإلهي ومساعدة الزمان وبين حضرة حاكم المملكة الذي يقصده الكاتب لكي يتم كتاب روضة الصفا ، وأطلبت العذر عما يكون خفياً على عقل الأمير المستنير. (١٢٤)



حاشية الفاطميين والاسماعيليين والملاحدة

- (١) هناك اختلاف في اسم المهدي ونسبه فقيل انه سعيد بن محمد (وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٢/١) وهو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القداح (الخطط المقيزية ١٥٠/٥/٢) وهو عبد الله المهدي أو عبد الله المهدي (عريب بن سعيد: صلة تاريخ الطبري ٥١/١١ - ٥٢) وهو محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق، وقيل عبد الله بن أحمد بن اسماعيل الثاني محمد بن اسماعيل بن جعفر (ابن الاثير ١٢٣/٦ وابن كثير ١٦١/١١) ويرى أهل السنة الجماعة المغاربة المهدي من نسل عبد الله سالم البصرى والمراقيون يمتزونه من نسل عبد الله بن ميمون القداح داعى اسماعيل بن جعفر الصادق تاريخ غز يده (٤٥٦ - ٤٥٨) انظر أيضاً الفرق بين الفرق للبغدادى ٢٧٣، وجامع الحكمتين لناصر خسر وتارجمه د. ابراهيم شتا ٢٤، وأصول الاسماعيلية برنارد لويس ٨٠، وزهر المعانى للداهى ادريس ٦٤، وكتابتنا حركات الغلو والتطرف في الاسلام.
- (٢) أقصر محمد خاوندشاه أمر الاسماعيلية على الفاطمية في المغرب ومصر وامتدادها في ملاحدة ايران.
- (٣) أبو عبد الله الشيعي (صلة تاريخ الطبري العريب ١١ / ٥٢، البغدادى ٢٧٣، ابن كثير ٥٢/١١، ابن كثير ١٦١/١١ - ابن الاثير ١٢٣/٦).
- (٤) انظر تاريخ غز يده لحمد الله المستوفى القزويني ٤٥٨.
- (٥) أهل زناته وناهرت وكنامه (الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ٥٨).
- (٦) انظر: ابن الاثير - أحداث ٢٩٦ هـ ١٢٤/٦ - ١٣٥.
- (٧) انظر ابن الاثير في كامله ١٤٧/٦.
- (٨) مات سنة ٤٢٢ هـ (ابن الاثير ٢٣٨/٦ - تاريخ غز يده ٤٦٠، ابن كثير ٢١/٢١٩ تاريخ الدولة الفاطمية ٧٨).
- (٩) أهل جرجنت وهي من بلاد صقلية (ابن الاثير ٢٦/٦).
- (١٠) أبو يزيد يده غلذ كيدان من قبيلة زناته في مدينة نوز (تاريخ الدولة الفاطمية ٩١) أبو يزيد كنداد (ابن الاثير ٦/٣٠٢ - ابن كثير ١١/٢١٠)

- (١١) أطلق عليه أتباع القائم الدجال (تاريخ غزى يده ٤٦٠)
- (١٢) مات سنة ٣٣٤ هـ (تاريخ غزى يده ٤٦٠ - ابن الأثير ٣١٧/٦ توفى سنة ٣٣٣ هـ (ابن كثير ١١/٢١٠) .
- (١٣) كان أبويز يد بالقرب منه على سوسة (ابن الأثير ٣١٧/٦)
- (١٤) كان أبويز يد من جارية هوارية من بلاد السودان التي كان والده يتاجر إليها ولهذا فر إلى السودان عند أحواله (ابن الأثير ٣٠٣/٦) .
- (١٥) ظل حبساً عنده حتى المحرم من سنة ٣٣٦ هـ فمات من الجراح التي به فأمر بإدخاله في قفص عمل له معه قردين يلعبان به (ابن الأثير ٣١١/٦ - تاريخ الدولة الفاطمية ٩٢) .
- (١٦) سنة ٣٣٦ هـ (ابن الأثير ٣٢٧/٦) .
- (١٧) مات سنة ٣٤١ في المهدي (حمد الله المستوفى ٤٦٢) .
- (١٨) انظر: ابن خلدون: العبروديان المبتدأ والخبر ٤٧/٤٧ .
- (١٩) انظر: ابن الأثير ٣٥٤/٦ - ابن كثير ١١/٢٣٣ .
- (٢٠) سنة ٣٥١ هـ، ٣٥٣ هـ (انظر ابن الأثير ١١/٧ - ١٢) .
- (٢١) كان أبوالمسك كافور عبد محمد بن طفيح الأحمدي من رؤساء الأجناد ، فلما آلت ولاية مصر إلى الأحمدي ، ترقى كافور في بلاطه ، ولما مات الأحمدي كان ابنه أوجور صغيراً ، فألت الرضاية لكافور الذي استبد بالسلطة في مصر وما يليها من البلاد زهاء إحدى ومئتين سنة ، وظل ابن الأحمدي مسلوب السلطة حتى مات سنة ٣٤٩ هـ وتولى أبو الحسن أحمد بن الأحمدي ، وظل كافور مسيطراً على شؤون الدولة حتى مات ابن الأحمدي الثاني سنة ٣٥٥ هـ ثم تقلد كافور الحكم ، ونودي به والياً من قبل الخليفة العباسي وظل كافور حتى سنة ٣٥٧ هـ حيث مات (انظر: ابن خلدون ١/٤٧ - النجوم الزاهرة: لأبي الهاسن ٢/٤ - الخطط المقرية ٢٧/١ - المغرب في حلى المغرب ٤٨ - ابن كثير ١١/٢٦٦)
- (٢٢) استولى جنود الصقلي على الاسكندرية أولاً ثم توجه إلى وسط البلاد (المعز لدين الله الفاطمي : حسن ابراهيم وطه أحد شرف ص ٨٤)
- (٢٣) بدأ في بنائها سنة ٣٦٢ هـ (حمد الله المستوفى ٤٦٤) .
- (٢٤) وما يقصد بلاد الصعيد ودمياط .
- (٢٥) انظر: ابن الأثير ٤٧/٧ - ابن خلدون ١/١٢٥ - ابن كثير ١١/٢٧٢ - الخطط المقرية ١/٣٥٣ .
- (٢٦) انظر: ابن الأثير ٧/٦٩ - ٧١ .
- (٢٧) اعتمد خاوند شاه على رواية ابن الأثير (الكامل ٧/٧١ - ٧٤) .
- (٢٨) أبو منصور تزار بن معز بن منصور بن قائم بن مهدي (تاريخ غزى يده ٤٦٤) .
- (٢٩) يرد في المصادر العربية المتكئين (تاريخ الدولة الفاطمية ١٥٧) .
- (٣٠) انظر: تاريخ غزى يده ٤٦٤ موقد أوردتها ابن الأثير مرتين ٧/١٤٦ ، ٧/١٧٣ .
- (٣١) انظر: ابن الأثير ٧/١٧٦ - حمد الله المستوفى ٤٦٤ - ابن كثير ١١/٣٢٠ .
- (٣٢) وردت في روضة الصفاء ٣٥٠ هـ (ص ٥٧) وصوابها ٣٧٥ هـ (ابن الأثير ٧/١٧٧ - تاريخ الدولة الفاطمية ١٦٤) .
- (٣٣) وردت بالخطوط ٣٧٨ هـ وهو خطأ (الروضة ٥٨) .
- (٣٤) انظر: ابن الأثير ٧/٣٠٤ - ابن كثير ١٢/٩ .
- (٣٥) انظر: ابن الأثير ٧/٣٠٥ - النجوم الزاهرة ٤/١٨٦ - الخطط المقرية ١/٢٨٧ - حمد الله المستوفى ٤٦٨ - ابن كثير ٩/١٢ .

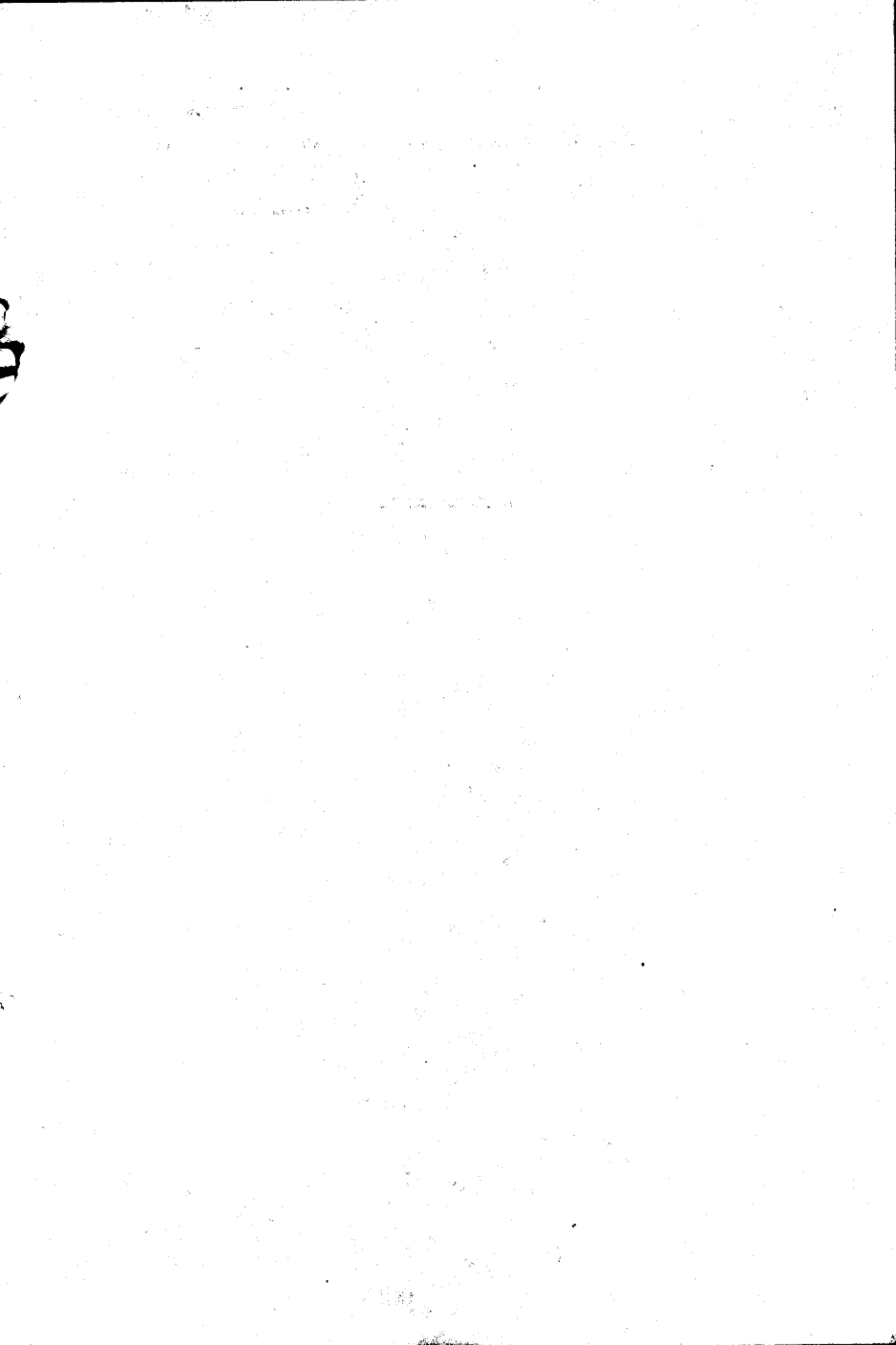
- (٣٦) انظر: ابن الاثير ٣٠٥/٧ - النجوم الزاهرة ١٨٧/٤ المخطوط المقر بزيبة ٢٨٧/١ - حمد الله المستوفى ٤٧٠ - ابن كثير ١٠٩/١٢ تاريخ الدولة الفاطمية ١٦٧ .
- (٣٧) سنة ٤١١ هـ (تاريخ كز يده ٤٧٠) .
- (٣٨) الظاهر لا عزازدين الله (ابن خلكان ٣/٣٩٧) .
- (٣٩) ابن داوس (تاريخ كز يده ٤٧٠) .
- (٤٠) انظر: ابن الاثير ١٠/٨ - ١١ ، ابن خلكان ١/٣٦٧ - حمد الله المستوفى ٤٧٠ - ابن كثير ١٢/٣٩ .
- (٤١) انظر: تاريخ كز يده ٤٧٢ .
- (٤٢) و يدعى المعز (ابن الاثير ٨/٣٩) .
- (٤٣) عشرة آلاف نفس (تاريخ مصر لابن ميسر - ١٣ وما بعدها) .
- (٤٤) انظر: تاريخ كز يده ٤٧٢ .
- (٤٥) توفي سنة ٤٨٧ هـ (ابن الاثير ٨/١٧٢ - حمد الله المستوفى ٤٧٤ - ابن كثير ١٢/٢٤٨) .
- (٤٦) انظر: الكامل في التاريخ ٨/١٧٣ - تاريخ كز يده ٤٧٤ البداية والنهاية ١٢/١٤٨ .
- (٤٧) توفي ٤٩٥ هـ (ابن الاثير ٧/٤٩٥) وقيل مات بعد تسع سنين ابن كثير ١٢/١٦٢) .
- (٤٨) الأفضل بن بدر الحمالي ، وقد أرسل ابنه شمس المعالي (ابن الاثير ٨/٢٢٨) .
- (٤٩) سنة ٤٩٨ هـ (انظر: ابن الاثير ٧/٢٢٩ - ابن كثير ١٢/١٦٤) .
- (٥٠) كان أمير الجيوش الأفضل قد نفى أحد الباطنية ، واسمه البديع إلا أن البديع هذا عاد إلى مصر والتف حوله الأنصار ، فاقترح نفيه إلى اليمن حيث يسودها مذهب البديعية بزعامة الحرّة بنت الصليحي ، وأراد عشرة من أتباع هذا المذهب اللحاق به ، وانضم آخرون ، وعلم أمير الجيوش بذلك فقتل عشرين منهم ، فغضب الآخرون وصمموا على اغتياله سنة ٥١٥ هـ (انظر ابن الاثير ٨/٣٠٨ - تاريخ مصر لابن ميسر ٢٥٧ - وفيات الأعيان ١/٤٦٦ - ابن كثير ١٢/١٤٠) .
- (٥١) الميمون عبد الحميد بن أبي القاسم المستنصر بالله (ابن الاثير ٨/٢٣٢) وذكره حمد الله المستوفى أبو ميمون بن عبد الحميد بن المستنصر (تاريخ كز يده ٤٧٨) أبو ميمون عبد الحميد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر (ابن كثير ١٢/٢٠١) .
- (٥٢) قتل بسبب استبداده بالأمر وتغلبه على الحافظ وحجره عليه (ابن الاثير ٨/٣٣٢ - ابن كثير ١٢/٢٠١) وقد أسقط ذكر اسماعيل بن جعفر الصادق من الخطبة (ابن ميسر تاريخ مصر ٧٥) .
- (٥٣) بهرام الأرمني وهو نصراني (ابن ميسر تاريخ مصر ٧٥) .
- (٥٤) انظر: تاريخ كز يده ٤٧٨ .
- (٥٥) قرية قليب (ابن الاثير ٩/٤٣) .
- (٥٦) ذكر ابن الاثير أن مدبر هذا الأمر هو أسامة بن منقذ الكنانى (الكامل ٩/٤٣) .
- (٥٧) قتله عباس بن تميم وزيره سنة ٥٤٩ هـ (تاريخ كز يده ٤٧٨) .
- (٥٨) ذكر حمد الله المستوفى انه مات بالصرع سنة ٥٥٢ هـ (تاريخ كز يده ٤٨٠) و يبدو أن محمد بن خاوند شاه يعتمد على أخبار ابن الاثير فقد أورد نفس مقالة ابن الاثير (الكامل في التاريخ ٩/٦٨) .
- (٥٩) ذكرها حمد الله المستوفى القزوينى ٥٥٤ هـ (تاريخ كز يده ٤٨٠) .
- (٦٠) ورد في روضة المصفا ٥٠٤ هـ (انظر الروضة ص ٦٠) .
- (٦١) تولى الوزارة سنة ٥٦٤ هـ بعد قتل شاور (ابن الاثير ٩/١٠٠) .
- (٦٢) شابور في المصادر الفارسية وشاور في المصادر العربية .

- (٦٣) استقط ذكر الفاطميين في المحرم ٥٦٧ هـ (ابن الأثير ١١٢/٩) وذكره حمد الله المستوفى المحرم ٥٥٦ هـ أو ٥٦٥ هـ (تاريخ كز يده ٤٨٢).
- (٦٤) يعرف هذا الأعجمي بالأمير العالم (ابن الأثير ١١١/٩).
- (٦٥) مات سنة ٥٦٧ هـ (ابن الأثير ١١٢/٩، ٥٦٥ هـ) حمد الله المستوفى (٤٨٢).
- (٦٦) نظام الملك: هو الحسن بن علي بن اسحاق وزير السلطان آلب ارسلان وولده ملكشاه السلجوقي، ولد بطوس ٤٠٨ هـ، وكان أبوه من أصحاب محمود الغزنوي، وكان من الدهاقين، قرأ نظام الملك القرآن في سن الحادية عشر، وقرأ الفقه والحديث واللغة والنحو وترقى حتى وصل إلى منصب الوزارة لمدة تسع وعشرين سنة بنى المدارس النظامية في بغداد ونيسابور وطوس وأماكن أخرى وقتل على يد أتباع صديقه الحسن بن الصباح سنة ٤٨٥ هـ (انظر ابن الأثير ١٩١/٨ - ابن كثير ١٤٠/١٢).
- (٦٨) وردت هذه القصة في كتاب الوصية لنظام الملك (انظر: الحشاشون في تاريخ العرب والاسلام لعمر أبو النصر ص ٥).
- (٦٩) هو حسن بن علي بن محمد بن جعفر بن حسين بن محمد الصباح من نسل يوسف الحميري ملك اليمن (تاريخ كز يده ٤٨٦).
- (٧٠) التومان: عملة مازالت مستعملة حتى الآن في إيران وهي تعادل عشرة ريالات حالياً.
- (٧١) انظر: ترجمة القصة في عمر الخيام لأحمد حامد الصراف الطبعة الثانية ١٩٤٩ ص ٣١-٣٢.
- (٧٢) يخالف حمد الله المستوفى هذا قائلاً: كان حاجباً للسلطان آلب ارسلان (تاريخ كز يده ٤٨٦).
- (٧٣) قاوردت بك (ابن الأثير ١١٤/٨).
- (٧٤) كان هذا سنة ٤٦٥ هـ.
- (٧٥) أورد حمد الله المستوفى انه في سنة ٤٦٤ هـ ابتعد عن آلب ارسلان وتوجه إلى الري ثم توجه إلى الشام سنة ٤٧١ هـ (تاريخ كز يده ٤٨٨).
- (٧٦) هذا الحديث موجه لأبي الفضل اللباني (انظر تاريخ كز يده ٤٨٨).
- (٧٧) كانت تسمى اله موت بمعنى عش العقاب وهي بحساب الجمل ٤٨٣ هـ وهي سنة صعود الحسن بن الصباح إلى القلعة (تاريخ كز يده ٤٩٠، واله موت معناها بلسان الديلم تعليم العقاب (ابن الأثير ٤٩٢/٨).
- (٧٨) هو تعبير عن اعتقاده في النكاح الروحي أو الأبوة الروحانية فالمرء ينسب إلى معلمه لا إلى أبيه الذي ولده جسداً (انظر: أصول الاسماعيلية برنارد لويس ١٢٩).
- (٧٩) ذكر حمد الله المستوفى انه كان في أول أمره شيعياً اثني عشرياً (تاريخ كز يده ٤٨٦).
- (٨٠) الرفاق هم الدرجة الرابعة، أول السلسلة شيخ الجليل ثم كبار الدعاة ثم الدعاة ثم الرفاق وهم طبقة تفقحت في أصول المذهب بقومون بتشقيف الدعاة واعدادهم لمهمتهم وبتفانون في المحافظة على المذهب، متسلحين بأسلحة العلم من فقه ومنطق وفلسفة (تاريخ الدولة الفاطمية ٣٦٩).
- (٨١) أحمد بن عطاش (ابن الأثير ٢٠١/٨).
- (٨٢) لقد خاطب الحسن بن الصباح المستنصر في اقامة الدعوة له ببلاد المعجم فعاد ودعا الناس إليه سرأثم أظهرها (ابن الأثير ١٧٢/٨).
- (٨٣) سأل الحسن بن الصباح المستنصر من امامي بغداد؟ فقال: ابني نزار (ابن الأثير ١٧٣/٨).
- (٨٤) انظر: تاريخ كز يده ٤٩٠.
- (٨٥) انظر المصدر السابق ٤٩٠.
- (٨٦) انظر المصدر السابق ٤٩٠-٤٩١.

- (٨٧) التون تاش لکنه مات فأرسل أرضان تاش (تاریخ گزیده ٤٩٠) .
- (٨٨) کلسارخ (ابن الاثیر ٢٠٢/٨) .
- (٨٩) قتل نظام الملك ومات السلطان ملکشاہ سنة ٤٨٥ هـ (ابن الاثیر ١٦٣/٨) .
- (٩٠) قتله صبی دیلمی من الباطنية فی نهاوند (ابن الاثیر ١٦١/٨) قتله قهائی ملحد (تاریخ گزیده ٤٩٢) .
- (٩١) کوتوال القلعة : حاکم القلعة .
- (٩٢) انظر : تاریخ گزیده ٤٩٢ .
- (٩٣) انظر : المصدر السابق ٤٩٢ .
- (٩٤) انظر : ابن الاثیر ٢٧٩/٨ .
- (٩٥) امرأة (تاریخ گزیده ٢٩٤) .
- (٩٦) مات سنة ٥١٩ هـ (ابن الاثیر ٣١٧/٨) مات فی لیلۃ الأربعاء السادس من ربيع الآخر سنة ٥١٨ هـ (حمد الله المستوفی ٤٩٦) .
- (٩٧) فی هذه السنة قتل الباطنية معین الدین أبانصر أحمد بن الفضل وزیر منجر فقاتلهم وقتل من أهالی آکوت ما یزید عن عشرين آلاف (ابن الاثیر ٣٢٥/٨) .
- (٩٨) أبو سعد المهروی - أحمد بن نصر من مشاهیر الفقهاء ، قتله الباطنية بهمدان سنة ٥١٩ هـ (ابن کثیر ١٢/١٩٥) .
- (٩٩) قتل سنة ٥٢٤ هـ (ابن کثیر ١٢/٢٠٠) .
- (١٠٠) قتل سنة ٥٢٩ هـ (ابن کثیر ١٢/٢٠٧) .
- (١٠١) مات فی ٢٦ من جمادی الآخر سنة ٥٣٢ هـ (تاریخ گزیده ٤٩٨) .
- (١٠٢) کان الراشد مریضا و بریء من مرضه ، وقتله خدمه من الخراسانین وهو یرید القبولة (ابن الاثیر ٣٦٢/٨) .
- (١٠٣) حکم أربعا وعشرين سنة وثمان شهور وأسبوع (حمد الله المستوفی ٤٩٨) .
- (١٠٤) مات سنة ٥٥٧ هـ (تاریخ گزیده ٤٩٨) .
- (١٠٥) السابع عشر من رمضان سنة ٥٥٩ هـ (تاریخ گزیده ٥٠٠) .
- (١٠٦) « برداشت علی شرع بتأیید ایزدی غدوم روزگار علی ذکره السلام »
- (١٠٧) لقب الحسن بن الصباح .
- (١٠٨) رئیس .
- (١٠٩) انظر : تاریخ گزیده ٤٩٨ - ٥٠٢ .
- (١١٠) السادس من ربيع الأول سنة ٥٦١ هـ (تاریخ گزیده ٥٠٤) .
- (١١١) خداوند محمد بن حسن بن محمد بن بزرگ امید (تاریخ گزیده ٥٠٤) .
- (١١٢) هم از کجا وجود بماند چه ما بریم ونام محمد بن علی ذکره السلام »
- (روضه الصفیاء ٦٨)
- (١١٣) فی العاشر من ربيع الأول سنة ٦٠٧ هـ (تاریخ گزیده ٥٠٤) .
- (١١٤) المسلم الجدید .
- (١١٥) انظر : ابن الاثیر ٣٠٦/٩ .
- (١١٦) انظر : تاریخ گزیده ٥٠٨ .

- (١١٧) انظر: ابن الاثير ٣٠٨/٩.
- (١١٨) مات منتصف رمضان سنة ٦١٨ هـ بالاسهال ، وقال جماعة ان النساء واحتنه سموه (تاريخ گزیده ٥٠٨).
- (١١٩) لقب بالملحد (تاريخ گزیده ٥٠٨).
- (١٢٠) انظر: تاريخ گزیده ٥١٠.
- (١٢١) انظر المصدر السابق ٥١٢.
- (١٢٢) انظر: ابن كثير ١٣/١٣ - ٢٠١/٢٠٢.
- (١٢٣) انظر: تاريخ گزیده ٥١٢ - ٥١٤.
- (١٢٤) يقصد مير علي شيرنوائي.





رفع مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٧	تقديم الدكتور السباعى محمد السباعى
١١	مقدمة المترجم
١٢	تاريخ المسلمين وحضارتهم .. واللغات الاسلاميه
١٦	دراسة وصفية لروضة الصفا
٢٠	محتويات روضة الصفا
٢٦	فن الترجمة .. ومنهجى فى ترجمة الروضة
٤٧	فصل فى الملوك الطاهرية
٤٩	حكومه طلحة بن طاهر
٤٩	حكومه عبدالله بن طاهر
٥٠	حكومه طاهر بن عبدالله
٥١	حكومه محمد بن طاهر
٥٧	فصل فى احوال الصفارية
٥٩	استيلاء يعقوب بن الليث على فارس ومحاربتة مع الخليفة الموفق

رَفْعُ مَكْتَبَةِ تَارِيخِ وَأَثَارِ دَوْلَةِ الْمَمَالِكِ

٦٠ عمرو بن الليث
٦٢ محاربة عمرو بن الليث مع اسماعيل الساماني ونهاية الصفارية
٦٤ طاهر بن محمد الصفار
٦٥ عمرو بن يعقوب بن محمد الصفار
٦٦ خلف بن أحمد
٦٧ بين خلف وسكتكين
٧٩ فصل في ملوك السامانية
٨١ اسماعيل بن أحمد الساماني
٨٥ احمد بن اسماعيل الساماني
٨٦ نصر بن أحمد الساماني
٨٧ مخالفة منصور بن اسحق الساماني
٨٨ استيلاء نصر بن أحمد على الري
٨٩ وفاة نصر بن احمد الساماني
٩٠ نوح بن نصر الساماني
٩٢ مخالفة أبي علي بن محمد بن محتاج مع نوح
٩٤ وفاة نوح بن نصر الساماني
٩٥ منصور بن نوح الساماني
٩٦ نوح بن منصور الساماني
١٠٠ وصول أبي العباس حام الدولة تاش إلى جرجان
١٠١ وفاة أبي الحسين سيمجور
١٠٣ رحيل بغراخان عن نجارا وعودة نوح بن منصور الساماني
١٠٩ منصور بن نوح الساماني
١١٠ غدر فائق بمنصور بن نوح
١١١ خروج منتصر بن نوح الساماني
١١٦ شمس المعالي قاموس بن وشمكير
١١٩ منوچهر بن قابوس بن وشمكير
١٢٠ دارا بن شمس المعالي قابوس
١٢٩ فصل في الملوك الغزنوية
١٢٩ ناصر الدين سبكتكين
١٣٠ فتح بست

فتح مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

- ١٣٢ فتح تصدار
- ١٣٤ اسماعيل بن سبكتكين
- ١٣٦ بين الدولة وامين الملة محمود القرنوي
- ١٣٦ غزوها طية والمولتان
- ١٣٧ مخالفة ايلك خان
- ١٤٠ غزو قلعة يهيم
- ١٤١ غزونارين
- ١٤١ غزوالغور
- ١٤٣ احوال ايلك خان مع محمود القرنوي
- ١٤٧ فتح أقص الهند
- ١٤٨ انقراض الخوارزمشاهية
- ١٤٩ فتح مهره وتفوج
- ١٥٢ فتح سومنات
- ١٥٦ توجه محمود القرنوي إلى الري ووفاته
- ١٦٠ الامير نصر بن ناصر الدين سبكتكين
- ١٦٠ محمد بن محمود القرنوي
- ١٦١ مسعود بن محمود القرنوي
- ١٦٥ محاربة مودود بن مسعود مع عمه محمد
- ١٦٦ وفاة مودود
- ١٦٧ قتل طغرل لعبد الرشيد
- ١٦٨ فرخ زاد بن مسعود
- ١٦٨ ابراهيم بن مسعود
- ١٦٩ وفاة ابراهيم بن مسعود
- ١٧٠ ارسال شاه بن مسعود بن ابراهيم
- ١٧١ بهرامشاه بن مسعود
- ١٧٢ خسرو شاه بن بهرامشاه
- ١٧٢ خسرو ملك بن خسرو شاه
- ١٨١ فصل في سلاطين آل بويه (الديلمه)
- ١٨٣ عماد الدولة على بن بويه
- ١٨٤ ركن الدولة بن بويه

١٨٦	معز الدولة بن بوية
١٨٨	عضد الدولة بن ركن الدولة
١٩٠	توجه عضد الدولة إلى بغداد
١٩٢	مؤيد الدولة بن ركن الدولة
١٩٣	فخر الدولة بن ركن الدولة
١٩٥	شرف الدولة ابوالفوارس شيرزِيل
١٩٦	صمصام الدولة بن عضد الدولة
١٩٧	بهاء الدولة بن عضد الدولة
١٩٩	مجد الدولة بن فخر الدولة
٢٠١	سلطان الدولة بن بهاء الدولة
٢٠٣	شرف الدولة بن بهاء الدولة
٢٠٣	ابو كالتجار بن سلطان الدولة
٢٠٤	جلال الدولة بن بهاء الدولة
٢٠٥	قوام الدولة ابوالفوارس
٢٠٧	خسرو بن فيروز بن أبي كالتجار مرزبان
٢٠٩	ابو منصور فولادستون
٢٠٩	كيخسرو بن عز الملك
٢١٩	فصل في خلفاء الاسماعيلية الذين حكموا المغرب ومصر
٢٢٠	القائم بأمر الله الفاطمي
٢٢١	المنصور بالله الفاطمي
٢٢١	المعز لدين الله الفاطمي
٢٢٣	العزیز بالله الفاطمي
٢٢٤	الحاكم بالله الفاطمي
٢٢٦	الظاهر لدين الله الفاطمي
٢٢٧	المستنصر بالله الفاطمي
٢٢٨	المستعلي بالله
٢٢٩	الأمير بأحكام الله
٢٣٠	الحافظ لدين الله
٢٣٠	الظاهر بالله
٢٣٠	الفايز بنصر الله

رفح مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

٢٣١ العاضد لدين الله
٢٣٥ فصل في احوال الملاحدة (الحسن بن الصباح)
٢٤١ استيلاء الحسن على قلعة الموت
٢٤٣ رحيل سكان الموت بسبب اعتداء ابن الصباح
٢٤٤ قتل خواجه نظام الملك ووفاه ملكشاه السلجوقي
٢٤٥ محاصرة قلعة رودبار
٢٤٦ كيا بزرگ أميد
٢٤٨ محمد بن كيا بزرگ أميد
٢٤٩ حسن بن محمد بن بزرگ لميد «على ذكره السلام» ذكر طائفة الملاحدة واعتقادهم في نسب «على ذكره السلام»
٢٥١ محمد بن حسن بن محمد بن كيا بزرگ أميد
٢٥٣ جلال الدين حسن «نومسلمان»
٢٥٤ توجه جلال الدين نومسلمان إلى آران وأذربايجان
٢٥٥ علاء الدين محمد بن جلال الدين حسن
٢٥٧ ركن الدين خورشاه
٢٥٩ انقراض حكومة ركن الدين خورشاه
٢٦٠ أحوال ابناء واتباع خورشاه بعد توجهه إلى التركستان لخدمة ملك العالم منگوقاآن
٢٦٩ فهرس المجلد الرابع من روضة الصفا



رفع مكتبة تاريخ وآثار دولة المماليك

رقم الايداع

٨٨ / ٢٨٠٧